



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باتنة -1-



قسم اللغة والأدب العربي

كلية اللغة والأدب العربي والفنون

مقامات بديع الزمان الهمذاني (دراسة تداولية)

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية وآدابها

تخصص: لسانيات

إشراف الأستاذ:

محمد بوعمامة

إعداد الطالب:

كرفاوي بن دومة

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د/عز الدين صحراوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 01	رئيسا
محمد بوعمامة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 01	مشرفا ومقررا
أ.د/عبدالكريم بورنان	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 01	عضوا مناقشا
أ.د/محمد بن صالح	أستاذ محاضر	جامعة مسيلة	عضوا مناقشا
أ.د/ليلي كادة	أستاذ محاضر	جامعة بسكرة	عضوا مناقشا
أ.د/ربيعة برباق	أستاذ محاضر	جامعة تبسة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

2017/2016



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باتنة -1-



قسم اللغة والأدب العربي

كلية اللغة والأدب العربي والفنون

مقامات بديع الزمان الهمذاني (دراسة تداولية)

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية وآدابها

تخصص: لسانيات

إشراف الأستاذ:

محمد بوعمامة

إعداد الطالب:

كرفاوي بن دومة

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د/عز الدين صحراوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 01	رئيسا
محمد بوعمامة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 01	مشرفا ومقررا
أ.د/عبدالكريم بورنان	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 01	عضوا مناقشا
أ.د/محمد بن صالح	أستاذ محاضر	جامعة مسيلة	عضوا مناقشا
أ.د/ليلي كادة	أستاذ محاضر	جامعة بسكرة	عضوا مناقشا
أ.د/ربيعة برباق	أستاذ محاضر	جامعة تبسة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

2017/2016

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

أشكر الله العلي العظيم وأحمده أن وفقني لإتمام هذا العمل

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل المشرف

الأستاذ "محمد بوعمامة"

الذي بثّ فيّ حب العلم والاجتهاد والمثابرة، التي أنارت دربي

كما أتقدم بالشكر الموفور إلى كل من أسدى إليّ عوناً في إنجاز هذا المشروع

إهداء

إلى روح والدتي رحمها الله تعالى رحمة واسعة

وأعلى مقامها في جنات النعيم

إلى رفيقة الدرب زوجتي الكريمة

التي تحملت معي أعباء ومشاق البحث

إلى فلذات كبدي ومهجتي أبنائي وبناتي

مَقَامَةٌ

عدّ الشعر العربي في موروثنا القديم ديوان العرب، و خزانة حكمتها، ومستنبت آدابها، ومستودع علومها، كما اعتبر أعلى مراتب الأدب، وميزانا للقول و للقوم، وأن أحسن الأخبار عندهم ما كان في أثناءها أشعار، وليس شيء من ضروب القول يبلغ في قوة اللفظ منزلة الشعر.

ولئن كانت هذه هي الصورة العامة التي طبع بها الشعر و اتسم ، فإن النثر لم يكن أقل شأنً أ من هذا اللون الأدبي، فقد كان أكثر كلامهم منشورا، نشأ في ظل السيادة الشفاهية، وكتب له الانتشار والشيوع في البلاد العربية مثله مثل الشعر - دعت إلى وجوده حاجة الحياة العربية - من خلال الأخبار و الحكايات المختلفة أغراضا و موضوعات وأساطير بعض الملوك و الشخصيات وقصص الشطار و الأذكىاء... إلخ، وبفعل ما طرأ عليها من تغير و تطور عبر الزمن، انتظمت في شكل أنواع لها خصائصها ومميزاتها الأسلوبية و التركيبية.

وفي العصر الحديث انبرت إلى معاينة النص ودراسته عدة مناهج نقدية غربية متجاوزة الشرح البلاغي واللغوي البسيط الذي عرفه النقد القديم ، ثم ما لبثت أن طورت أدواتها المعرفية في تحليل النصوص مع دي سوسير و أبحاث اللغويين الروس مشكلين اتجاهها جديدا في النظر إلى اللغة و الأدب يقترح مبادئ جديدة في التعامل مع الأثر الأدبي، واقتصر أصحاب هذا التوجه على بنية اللغة و نظامها، ويمثل هذا الاتجاه كل النظريات اللسانية التي تعد اللغات الطبيعية أنساقا مجردة، يمكن وصفها بمعزل عن وظيفتها التواصلية.

لكن جهود اللسانيين لم تتوقف عند هذا الحد من التحليل، ولم تعد مقيدة بالأطر البنيوية التقليدية المرتبطة بالدراسة الإفرادية، فطورت في إجراءات التحليل اللغوي من الدراسة الدلالية التي تقف على محصول المعنى فيما بين التراكيب، إلى الدراسة التي تعتمد كأحد مبادئها المنهجية اعتبار اللغة الطبيعية بنيات تحدّد خصائصها ظروف استعمالها، كما تهتم بنوايا المتكلمين و مقاصدهم، مع مراعاة الملايسات المحيطة بأداءهم و أحوالهم التخاطبية، ويمثل هذا الاتجاه كل النظريات اللسانية الوظيفية التي تعتمد في تحليلها للنص الأدبي على إجراءات مستندة على وظيفة اللغة الأساسية و هي التواصل؛ واصطلح على هذا الحقل المعرفي الذي اضطلع بهاته المهمة باللسانيات التداولية.

حظي هذا التراث الأدبي العربي القديم شعرا و نثرا بعناية الدارسين و الباحثين المحدثين وتعددت قراءاتهم له وتنوعت محاولات شرحه و تحليله، كل من زاوية نظر خاصة به ، أو من التصور الذي يتبناه و يحمله؛ و تتوزع هذه الزاوية و هذا التصور على مستويين:

أولاً: على مستوى الجنس والنوع ويمثل ذلك التأثير بالجدل القديم القائم على أساس المفاضلة بين الشعر و النثر من نواحي عدة كالشكل و البناء و اللغة و الإيقاع و الموضوعات التي يعالجها كل منهما ففتح عن ذلك أن النثر لم ينل من النقد منزلة الشعر وقلت العناية به متجاهلين امتلاكه خاصية الإبداع و الابتكار كغيره من فنون القول كما أن موضوعات الحياة لا تتصل بالمشاعر و العواطف و القلوب فقط كما هو الحال في موضوعات الشعر كما يرى أصحاب إثارة الشعر على النثر، بل تتوسع و تمتد لتشمل كل ما هو متصل بأعمال العقل و الفكر و الفهم و الإدراك، وليس هناك ما هو أقدر على استيعاب هذه الموضوعات ومستجدات الحياة اليومية من مثل النثر كأداة تعبير لنشر الأفكار و الآراء و القيم.

ثانياً: على مستوى المنهج المتبع في تحليل النصوص ؛ فقد كان الباحث العربي مسائرا لكل التطورات والمستجدات التي شهدتها البحث اللساني الغربي في مجال اللغة و الأدب ، فحاول استلهام تلك المفاهيم والأدوات الإجرائية التي توصلت إليها تلك النظريات اللسانية و استثمارها في وصف اللغة العربية و رصد خصائصها الخطابية التواصلية من ناحية؛ وفي تحليل الخطاب الأدبي مع الأخذ بعين الاعتبار أن الظاهرة الأدبية متشعبة و واسعة لا يمكن القبض عليها و الإحاطة بها بمنهج واحد أو بعض المناهج.

إن استغلال النظرية التداولية في النص النثري ظل بعيداً عن الدرس رغم اهتمامها بالجانب الاستعاري للكلام وكذا بعض المظاهر الصوتية التي تتعلق بمقصديّة المتكلم، لأجل ذلك كانت الرغبة ملحة في معرفة بعض جوانب تطبيق هذه النظرية في **فن المقامة** بوصفها ضرباً من ضروب الخطاب الإقناعي القائم على التلميح وعلى الاختزال وعلى التصوير وعلى أفانين الإثارة والتأثير، ونج م أسباب اختيار الموضوع فيما يلي:

1 محاولة تأصيلية لبعض مفاهيم التداولية وأدواتها الإجرائية ومحاولة الكشف عن الوجه الآخر للتفكير اللساني العربي، ومن ثم تكون التداولية مدخلا مناسباً من مداخل فهم التراث العظيم وأداة من أدوات قراءته.

- 2 إثراء الرؤية المعاصرة للظاهرة وتعميقها بمزاوجتها بالجهود الجبارة التي بذلها أسلافنا القدامى.
- 3 محاولة تأسيسية من خلال هذه الدراسة بوجود آليات وإجراءات تداولية غير التي تناولها النقد الغربي المعاصر في تحليل نصوصه اللغوية والأدبية.
- 4 معرفة القواعد والآليات اللغوية وغير اللغوية التي تمكن المتخاطبين من تحقيق أهداف التواصل.
- 5 من مبررات الدراسة تطبيق ما أفرزته المعرفة المعاصرة من نظريات ومفاهيم لغوية متباينة في جانبها التداولي على النصوص الأدبية العربية.
- 6 الحاجة القائمة لاكتشاف الملامح التداولية في نصوصنا القديمة وخاصة في جنس نثري عربي أصيل النشأة متمثلاً في فن المقامة.
- 7 من مبررات البحث أن المكتبة العربية الحديثة تعاني فراغاً كبيراً وشحاً في الكتب والدراسات التي تخصصت في بحث الظواهر التداولية وتطبيقاتها.
- 8 ضرورة معرفة طبيعة البناء الفني للمقامة وربط خصائص هذا البناء بوظيفة اللغة في التواصل.

وهناك أسباب متعلقة باختيار المدونة نجعلها فيما يلي:

وقع اختيارنا على مدونة نثرية متمثلة في مقامات بديع الزمان الهمداني، وهذا الاختيار نابع من منطلق تداولي وذلك لقيمتها في الخطاب العربي ومكانتها المهمة لما تفرّدت به من بناء فني وخصائص مميزة، وكذا تداخلها مع المدونات الأدبية، كما تظهر فيها الأبعاد والأسس التداولية بجلاء.

تتجسد كفاءة المرسل التداولية في خطابه في عدة استراتيجيات والتي تعد ثمرة سلسلة من الإجراءات الذهنية التي يقوم بها، معبرة عن التفكير النظري والانجاز اللغوي الذي يرى المرسل أنه الأمثل من بين الإمكانيات التي تتيحها اللغة في جميع مستوياتها، وذلك للارتفاع بأداء القول وتحقيق ما يريد من خطابه، كما هو الحال في النصوص النثرية، وإذا تعلق الأمر بالمقامات كان المخاطب أكثر تدقيقاً في اختياراته. على هذا الأساس تتضافر كل المعطيات السابقة في بناء الإشكالية الأساسية المؤطرة لهذا العمل كالتالي: فيم تتجلى الأبعاد والوظائف والأسس التداولية في مقامات بديع الزمان الهمداني؟ وتتفرع عنها مجموعة من الإشكاليات الجزئية:

من الطبيعي أن أساليب الإقناع والتأثير التي يعمد إليها المتكلم كما في مقامات الهمداني في إقناع الغير وحمله على الإذعان والتسليم أن تتسم بطبيعة التداول الحجاجي، فما حدود وضوابط هذا التداول الحجاجي؟ وهل يمكننا تطبيق نظرية الأفعال الكلامية - التي جاء بها أوستين وطورها سيرل - وقواعد التخاطب - التي تكلم عنها غرايس ودومينيك مانغينو - على مقامات الهمداني؟ وما تجليات هذا التطبيق؟ وهل الإمكانيات التي تتيحها اللغة كافية لوحدها لإحداث التأثير والتغيير، أم أن هناك آليات غير لغوية استعمالها الهمداني؟ الأمر الذي يحيلنا إلى ضرورة معرفة دور السياق وفاعليته في هذا اللون النثري المبتدع في القرن الرابع الهجري.

مما لا يخفى علينا ما يتصف به أدبنا القديم من سمات وخصائص أسلوبية وبلاغية راقية وخاصة فيما تعلق ببراعة التصوير وحسن اختيار الصورة الفنية وتمثيلها في بلاغة النصوص من جهة وفي عملية الإقناع من جهة أخرى، لما يدفنا هذا إلى الإجابة على الإشكالية الفرعية الآتية: هل نفس الأمر ينطبق على مقامات الهمداني؟ وما مدى حاجية الصور الفنية التي استعمالها في مقاماته؟

إن زاوية ضبط مجال البحث وتحديدته من أصعب ما يعترض الباحث في عملية تحليل نص من النصوص أو مدونة من المدونات، وقد ارتأينا ونحن ندرك أهمية التحليل التداولي للخطاب أن نلججه ببحث حول الخطاب النثري جاعلين محاوره تتركز على التداولية كمنهج لساني في مقارنة النص الأدبي مطبقين في ذلك المنهج الوصفي التحليلي على مدونة مقامات الهمداني مستعينين ببعض آليات المنهج الأسلوبي في الكشف عن بعض جماليات المظاهر الأسلوبية المتعلقة بالتراكيب وبأكبر مستويات الأسلوب الممثلة في الصورة الفنية وأثرهما العميقين في عملية الإقناع والتأثير، ومتمثلين وجود مستويات المقاربة التداولية ومختلف أبعاد التخاطب، مستفيدين من عدة بحوث في هذا المجال منها العربية والمترجمة والأجنبية.

وبناء على ذلك فقد اقتضت طبيعة الموضوع ومنهج البحث إرساءه على أربعة فصول يسبقها مدخل تمهيدي وتتلوها خاتمة:

جاء المدخل التمهيدي حول طبيعة التداولية ونشأتها بالتطرق ابتداءً إلى المرجعيات الفكرية والثقافية التي مهدت لظهور هذا الحقل المعرفي الجديد والمتمثلة في أعمال رواد الفلسفة التحليلية والنظريات اللسانية

الحديثة و وصولا إلى تناول مختلف المفاهيم و التعاريف التي حاولت ضبط هذا المصطلح اللساني الجديد و انتهاء إلى التأكيد على علمية هذا الاتجاه من خلال الإشارة إلى الجهاز المفاهيمي الذي يؤطر و يؤسس للتداولية و ذلك بالحديث عن أهم الأدوات الإجرائية التي تساهم في تحليل النص الأدبي باعتباره نسقا مفتوحا لا يتوقف عند حدود الدراسة النصية النبوية المغلقة.

أما الفصل الأول فيختص بآلية الحجاج في مقامات بديع الزمان الهمداني إذ زوَجنا فيه بين العمل النظري والعمل التطبيقي؛ مبرزين في بدايته طبيعة الحجاج و أهم مفاهيمه ، معرجين على الأداء الحجاجي في المدونة وفق مستويات ثلاث (المستوى الصوتي والصرفي ، المستوى المعجمي ، المستوى التركيبي) ، وقد سلطنا في ذلك منهجا أسلوبيا في تحليل النماذج المختارة من مقامات الهمداني على النحو الذي عالج به عبد الله صولة نصوص من القرآن الكريم في كتابه (الحجاج في القرآن) ، إذ قام بتحليل نماذجه تحليلا حجاجيا من منظور أسلوبيا ؛ وقد ختم هذا الفصل بتطبيق بعض نظريات الحجاج على هذه المدونة الثرية ؛ من مثل آلية السلام الحجاجية ، و آلية العوامل و الروابط الحجاجية.

وقد تناول **الفصل الثاني** أهم الآليات الخطابية ذات البعد التداولي والمتمثلة في السياق ، وقد عنون هذا الفصل بفاعلية السياق في مقامات الهمداني؛ مُهّد بجانب نظري عن ماهية السياق في التراث العربي وفي التصور الغربي و التعرف على أنواع السياق و وظائفه و دوره في تحقيق مقاصد الخطاب و أغراضه ؛ ثم تطرق البحث إلى جملة من السياقات الواردة في المدونة محل الدراسة ؛ كسياق المناسبة و سياق الافتراضات المسبقة و سياق الإضمار و سياق الإحالة، ثم انتقلت الدراسة إلى معرفة مختلف مراحل التلقي العربي لفن المقامات منذ ظهورها و نشأتها إلى يومنا هذا، وفي نهاية هذا الفصل تمت معالجة التقسيم السياقي الذي سلكه بديع الزمان الهمداني في اختيار عناوين مقاماته.

ويتعهد **الفصل الثالث** بمقاربة حجاجية الصورة الفنية في مقامات الهمداني، مزوجين فيه كما أسلفنا بين المستوى النظري و المستوى التطبيقي، فافتتح بمبحث عن مفهوم الصورة الفنية في الدراسات العربية والدراسات الغربية قديما و حديثا و تبيان أهم الوظائف الحجاجية و القيم التداولية التي تضطلع بها الصورة في الخطاب ؛ وفي جزء من هذا الفصل تم التركيز على فهم الاستعارة تركيبيا و تداوليا وعلى حجاجية الاستعارة في التصور العربي و في التصور الغربي، ثم دراسة الطبيعة الاستدلالية للصورة البيانية، معرجين على

دور التمثيل وسلطته وقوته الحجاجية وكذا الأهمية الحجاجية للشاهد باعتباره الأداة الأمثل لإيقاع التصديق كالأستشهاد بالقرآن أو الشعر أو الشخصيات وغيرها.

أما الفصل الرابع فيتعلق بحجاجية الأفعال الكلامية وقواعد التخاطب في مقامات الهمداني ؛ فقد استهل بمبحث نظري عن طبيعة الفعل الكلامي و ماهيته و عن جهود و إسهامات كل من أوستين و سيرل في تطوير الفعل الكلامي من خلال الاقتراحات و التعديلات والتصنيفات التي قاما بها ؛ و أثناء الممارسة التطبيقية حاولت الدراسة استجلاء أهم الأفعال الكلامية الثابتة في خطاب المدونة مع الإشارة إلى القيم و الأبعاد الحجاجية الملازمة لها، كما لم تهمل الدراسة جانبا مهما يتعلق بالعملية التواصلية التي يخضع لها المتخاطبان وفق مجموعة من القوانين تكمن وظيفتها في تحديد معالم الدلالات الحجاجية و التي يجب مراعاتها في أي ممارسة لغوية في المجتمع.

وتتلو الفصول الأربعة خاتمة هي نتائج تثبت أهم ما توصل إليه البحث في عرض ملخص.

وقد واجهت البحث ندرة الدراسات العربية التطبيقية التي تتخذ التداولية كمنهج تحليلي على النص الأدبي عموما وعلى الخطاب النثري خصوصا باستثناء ما كان متعلقا بالجانب النظري في ضبط المفاهيم وتحديد الأدوات الإجرائية التي يتطلبها هذا النوع من الدراسة، كما أن التعامل مع البحوث ذات الصلة باللغة الأجنبية يستتبع الكثير من الجهد والمشقة في الترجمة وبلورت المعاني واستيعابها، وأن المدونة محل الدراسة نثرية والمبحث متأصل في الدراسات الشعرية إلى حدّ المغالطة والإيهام بأن مجالات التحليل وجماليات التعبير وقف على الشعر دون فنون القول الأخرى، ويمكن الإشارة إلى بعض المصادر التي اعتمد عليها البحث وهي متوزعة بين ما هو عربي وعربي، تراثي و حدائثي ، من مثل: (التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي) لمسعود صحراوي، (في اللسانيات التداولية: مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم) لخليفة بوجادي، (الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية) لعبد الله صولة، (الحجاج في الشعر العربي القديم) لسامية الدريدي، (الاستعارات التي نحا بها لجورج لايكوف، (المقامات: السرد والأنساق الثقافية) لعبد الفتاح كيليطو، (المقامات والتلقي) لنادر كاظم، (فن المقامات في الأدب العربي) لعبد المالك مرتاض، وكتب طه عبد الرحمان وخاصة كتابيه

(اللسان والميزان أو التكوثر العقلي) و(في أصول الحوار وتحديد علم الكلام)، (التداولية من أوستين إلى غوفمان) لفيليب بلانشيه... إلخ.

وإننا لنأمل من خلال هذه الدراسة وهذا الجهد التطبيقي المبذول أن نكون قد أمطنا اللثام وأزحنا الغطاء عن مسائل كثيرة وحقائق ظلت محتفية على مدونة نثرية قديمة ظلت أمداً طويلاً معروضة في متحف يعلوها الغبار شيئاً فشيئاً، ولا يرجع إليها أو يتذكرها إلا التتر القليل من أهل العلم والأدب إن دعت الحاجة والضرورة إلى ذلك، وإذ نحن مستأنسين بأدوات إجرائية جديدة أفضت بها اللسانيات الحديثة في تحليل النصوص الأدبية، منتقين أحدث ما توصلت إليه من مناهج والمتمثل في الحقل اللساني التداولي؛ نكون قد حققنا ما اتجه إليه عبد الفتاح كيليطو على أن الخطاب في الماضي هو في حد ذاته خطاب في الحاضر، به نستكشف ونقوم.

وإنه في الأخير ليشرفنا ويسعدنا أن نعبر عن شكرنا لكل من قدم لنا يد العون وخاصة أستاذي الجليل محمد بوعمامة له مني كل أصدق مشاعر العرفان والشكر والتقدير، الذي لم يأل جهداً في تشجيعنا وتوجيهنا ومساعدتنا بالنصح والإرشاد والتقويم والأخذ باليد في مختلف محطات هذا العمل ومراحله، وقد كان لنا خير مثال وقدوة في كرمه وسخائه وطيبه وأخلاقه ورحابة صدره، وغزارة علمه، من خيرة ما أنجبت الجامعة الجزائرية، نسأل الله عز وجل أن يبسط في عمره، ويمده بالصحة والعافية لخدمة العلم ومؤازرة أهله.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر والعرفان لأستاذي الدكتور مقدم الجابري على الدعم والتشجيع، والذي كان كثيراً ما يشجذ المهتم ويرفعها في مواصلة البحث والاستمرار فيه؛ فله مني كل الاحترام والتقدير.

مدخل تمهيدى

مدخل تمهيدي : في التداولية (الماهية، النشأة، التطور)

1 في المرجعيات الفكرية و الثقافية للتداولية .

2 في ماهية التداولية

3 في الإجراءات التداولية.

4 في قيمة التداولية و أهميتها.

5 تداولية الخطاب السردي.

مدخل تمهيدي:

1- في المرجعيات الفكرية و الثقافية للتداولية :

تعدّ اللغة النظام التواصلية الوحيد الذي يؤدي وظيفة الإشارة التي تستند إلى اللغة البشرية في الظواهر الصورية المتوافرة في البنية، و وظيفة الدلالية التي تقوم على الدلالات التي تحققها هذه البنية. غير أن هاتين الصفتين غير كافيتين لتحقيق نجاح العملية التواصلية بين المتخاطبين و ذلك لغياب عناصر أخرى غير لغوية،" مما تفرضه الظروف الخارجية من تأويل، و سياق استعمال، و غيرها"¹. و قد ظهرت خلال القرن التاسع عشر نظريات لسانية وظيفية حملت على عاتقها الاهتمام بظروف الاستعمال، تقوم على مبدأ أن " اللغات الطبيعية بنيات تحدد خصائصها (جزئيا على الأقل) ظروف استعمالها في إطار وظيفتها الأساسية ؛ وظيفة التواصل"². و تعدّ التداولية نموذجا من هذه النظريات حيث تسند إلى عدة مصادر موزعة بين الفلسفة و المنطق و بعض نظريات اللسانية الحديثة، نذكر منها:

1.1- الفلسفة التحليلية :

ظهرت الفلسفة التحليلية في ظل مناخ فكري سائد متمسم بتحول بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع البحث في ماهية المعرفة وقضاياها إلى موضوع تحليل اللغات الطبيعية،" و لا سيما ما تعلق منها بالدلالة و المرجع على مستوى العبارات اللغوية، و كيفية أدائها لوظيفتها الأولى و الأساسية و هي التواصل"³. و من الباحثين الذين تناولوا هذا التخصص بشيء من الاهتمام نذكر:

أ - فريجه:

يذهب الدارسون إلى أن الفلسفة التحليلية نشأت بمفهومها العلمي الصارم في العقد الثاني من القرن العشرين في فيينا بالنمسا على يد الفيلسوف الألماني فريجه Goltlob Frege (1848-1925) في كتابه(أسس علم الحساب) .

¹خليفة بوحادي: في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص 48.

² أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985، ص 08.

³ مسعود صحراوي: الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي (رسالة دكتوراه)، جامعة باتنة، 2004-2005، ص 35

من أهم الدراسات التي قام بها فريجه تحليله اللغوي على العبارات اللغوية، و على القضايا كتمييزه بين اسم العلم، و الاسم المحمول و هما عماد القضية الحملية بخلاف القضية غير الحملية التي تتكون من علاقات أخرى خارجة عن الإطار الحلمي، و تمييزه هذا بين المقولتين السابقتين لم يتم إلا بعد صياغة المنطق الحديث حيث بين فريجه أن المحمول يقوم بوظيفة التصور، أي يقوم بإسناد مجموعة من الخصائص الوصفية الوظيفية إلى اسم العلم، أما اسم العلم فإنه يشير إلى فرد معين يؤدي معنى تاما مستقلا دون حاجة إلى لفظ آخر ليعتد معناه، والمحمول يحتاج إلى اسم العلم ليعطيه معنى، كما أن ألفاظ التسوير (كل بعض...) إذا دخلت عليه(المحمول) أفادت معنى جديدا¹.

لقد أحدث هذا الفيلسوف بأبحاثه اللغوية قطيعة معرفية منهجية بين الفلسفتين القديمة و الحديثة، من خلال الربط بين مفهومين تداوليين هامين هما الإحالة و الإقتضاء، والتمييز بين اسم العلم و المحمول، وهو ما يبرر اعتماده آلية التحليل كمنهج فلسفي جديد².

ب - لود فيغ فيتغنشتاين (Witgenstein) (1951-1989):

أسس فيتغنشتاين فلسفة جديدة خاصة به و أشار إليها في كتابه الثاني (أبحاث فلسفية) وهي ثمرة نقده لمبادئ الوضعانية المنطقية سماها فلسفة اللغة العادية، حيث يجعل مهمة الفلسفة وصف الاستعمال الشائع للغة ودراسة حالات ورودها. و أكد أن الفكر و اللغة غير منفصلين " بل يبني أحدهما الآخر، بشكل متبادل، و هما يجريان في تفاعلتهما، الغاية الواحدة، وهي الغاية التواصلية"³.

أهم ما يميز فلسفة فيتغنشتاين بحثه في المعنى، و ذهابه أن المعنى ليس ثابتا و لا مجددا، فقد ميز بين المعنى المحصل الذي يرتبط بالكلام، و بين المعنى المقدر الذي يرتبط بالجملة، حيث يتبع الإنسان عند نطقه لكلام المعنيين قانونا أو قاعدة ملزما بامتثالها، و هي لا تعدو في رأيه كونها لعبة من ألعاب اللغة، مثلها مثل باقي الممارسات التي نحيها (لعبة الشطرنج، و غيرها)⁴.

¹ مسعود صحراوي : التداولية عند العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2008، ص 27-28.

² المرجع نفسه، ص 29

³ فيليب بلاشيه : التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشي، دار الحوار، سوريا، ط2007، ص 01، ص 31.

⁴ الجليلي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتين د.م.ج.الجزائر، 1992، ص 18 و ما بعدها.

و خلاصة أبحاث فيتغنشتاين الفلسفية دعوته إلى تفادي البحث في المعنى المنطقي الصارم , و هذا ما اهتمت به الفلسفة التحليلية في إعادة صياغة الإشكالات و الموضوعات الفلسفية على أساس علمي متمثلا في اللغة باتخاذها موضوعا للدراسة.

ج- أوستن:

أحدثت آراءه التي نشرت في كتابه (كيف تنجز أفعالا بالألفاظ؟) ثورة علمية في مجال فلسفة اللغة و خاصة ربطه بين بنية اللغة و بنية الفكر و جعلها شيئا واحدا من خلال تشابه عمل العلاقات التي تشكل كل منهما و اعتبر وظيفة اللغة يتعدى وظيفة الاتصال إلى وظيفة التأثير و تغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية¹.

لقد وضع أوستن (1911-1961) و تلميذه سورل ؛ التداولية في حقل فلسفة اللغة العادية، إذ طورنا من وجهة نظر المنطق التحليلي مفهوم الفعل الكلامي .

عكف فلاسفة الستينات من القرن العشرين، على البحث في التأثيرات الفعلية للخطاب " حيث كان أوستين أول من بعث نظرية الأفعال الكلامية، و قد كانت الفلسفة تهتم باللغة منذ القديم، و كان البلاغيون القدامى تداوليين، إذ كانوا يفكرون في الصلات القائمة بين اللغة و المنطق " و خاصة المنطق الحجاجي من جهة، و آثار الخطاب في التسامح².

و جوهر مفهوم فعل الكلام عند أوستين يعود إلى اعتبار كل قول ملفوظ يعد عملا ، كما يميز بين نوعين من الملفوظات : الملفوظات الثابتة التقريرية (constatifs) و التي تمثل حالات أشياء و ينطبق عليها مقولة الصدق و الكذب ، و الملفوظات الإنجازية (performatifs)، و ترتبط بشروط تحقيقها التي تحملها حال المنطق بها، و بمساعدة بعض الشروط الظرفية الأخرى³.

¹ Austin: Quand dire c'est faire, introduction, traduction et commentaire par **gille laine**, éd, du seul, 1970: p 13-14

² فيليب بلانشيه : التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص20.

³ خليفة بوحادي : في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)، ص 53-54

د- بيرس :

اهتم بيرس بدراسة العلامة التي يعتبرها أساس النشاط السيميائي حيث يعتبر الكون علامة، و كل ما يحيط بنا علامة و كل شيء يمكن أن يتحول إلى علامة، بل إن الفكر في حد ذاته يعد علامة يمكن أن يؤولها الآخر.

تعتبر اسهاماته واضحة في التداولية، و لكونه سيميائيا بالأساس يعد سلفا للتداوليين الذين جاءوا من بعده.¹

كما أرسى في دراسته ثنائية طرفاها متميزان هما: النمط، و الورود، حيث عرّف النمط بأنه "العلامة بما هي كيان مجرد مثالي و تقع في اللسان"². أما الورود فقد عرّفه بأنه "الاستعمال الملموس للنمط في السياق"³.

وهو بتقديمه لهذه الثنائية يكون قد ميز بين المعنى الحرفي الذي هو النمط و الدلالة في السياق التي هي من الورود .

و في إسهاماته المرتبطة ببحث العلامات نجده قد صنّفها إلى ثلاث مجموعات:⁴

1 العلامة الرمزية و ترتبط بالمرجع بواسطة عرف ثقافي.

2 العلامة الإشارة : و هي علامة لا تشتغل إلا في الورود ما دام وجودها يتبع سياقها مثل الدخان و النار.

3 العلامة الأيقونة : و هي علامة تشارك المرجع في عدد من الخصائص التي تتوفر عليها، مثل الرسم التصويري.

وقد ميز بين الدلالة بعدها دراسة المؤولات، و بين التداولية التي تهتم بدراسة بقايا هذه المؤولات و رواسيها.⁵

¹ فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ص 39.

² المرجع نفسه: ص 42

³ المرجع نفسه: ص 42

⁴ المرجع نفسه: ص 42

⁵François latraverse:la pragmatique,histoire et critique,pierre mardaga, éditeur, bruxelles , Belgique,1987 , .de page 45-60 .

و في النهاية يؤكد بيرس أن وضع العلامة موجه نحو الفعل , ملزما الدراسة اللغوية بالمنظور التواصلية الذي يسم المقاربة التداولية التي تعنى بورود العلامة¹ .

هـ- موريس :

أسهم موريس في تأسيس الدرس السيميائي إلى جانب بيرس، وقد جعل التداولية جزءا من السيميائيات تعالج العلاقة بين العلامة و مستخدميهما , محمدا هذه العلاقة بأبعادها الثلاثة :علاقتها بالموضوعات الدالة عليها(بعد دلالي) وعلاقتها فيما بينها (بعد تركيبى) و علاقتها بالمؤولين (بعد تداولي) , و يعتبر أن هذه الأبعاد أساسية لدراسة اللغة و العلامة اللغوية وأن التداولية عمل تواصلية، يتسم بالصبغة الاجتماعية² .

و- برتراند راسل(1872-1970) :

أرسى راسل فلسفة منطقية مضادة لفلسفة كانط و هيغل الجديدة، واصل بذلك أعمال فرجه، و يعدّ ممثلا بارزا للفلسفة التحليلية البريطانية.

طور لغة رمزية صارمة تخلو من التباسات اللغة العادية، و يعد راسل ممثلا ممتازا للسياق الفلسفي و التاريخي الذي في كنفه نشأت التداولية³ .

2.1- النظريات اللسانية الحديثة:

تحولت اللسانيات مع البنويين خصوصا إلى علم تجريدي ، يتبع منهجا مميّتا للحيوية اللغوية، بإقصاءها للكلام و لسياق الحال، و إنكارها للدلالة في ممارسة التحليل اللغوي إلى أن ظهرت اللسانيات التوليدية. لقد سارت اللسانيات التوليدية التحويلية في بداياتها، كاللسانيات البنوية في طريق البحث الجرد بعيدا عن الاستعمال الفعلي الواقعي في تفسيرها للظواهر اللغوية، وذلك بإقصاءها للمتكلم الحقيقي و إلغاء دوره الايجابي في عملية التواصل، مثلما حدث مع دي روسير .

لقد أعادت اللسانيات التحويلية في مراحل تالية بعد النقد الذي وجه إليها و القصور الذي شابه الاعتبار للأشخاص المتكلمين بوصفهم الفاعلين الحقيقيين في مسرح العملية التواصلية و خاصة بعدما جاء تشومسكي بمفهوم الكفاءة اللغوية التي لا يتأتى فهمها إلا عن طريق وسيط آخر هو الأداء.

¹ فيليب بلانشيه : المرجع نفسه، ص43.

² خليفة بوحداني: في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)، ص 57

³ فيليب بلانشيه : التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص ص 32-33 .

و مفهوم الأداء لا يعكس " العلاقات النسقية الداخلية التي بموجبها يتم الربط بين الصوت و المعنى حسب مقتضى النظام اللغوي فقط، و لكنه يعكس أيضا ، كثيرا من مكونات العملية التواصلية " ¹ .
ويعني هذا المفهوم أمرين :

- " الأول : يتعلق بسياق الحال، و أدوار المتكلمين.

- الثاني :خاص بكيفية اشتغال العقل البشري (حدود الذاكرة)، و تشكيل البنى الذهنية " ²

فقد قارب تشومسكي بطرحه مسألة الأداء مقارنة لسانية تداولية من خلال مفهومه المقصود به التحقيق الفعلي للغة ضمن سياق معين. فهو يميز بين اللسان سواء- بوصفه نظاما من العلامات أو -لا- و بين الاستعمال العادي له في كل مقام تواصلية خاص، و يستغني عن تحليل الكلام بتحليل اللسان *langue* . إن بعض الوظيفيين المعاصرين كانوا في الأصل من المدافعين عن الطروحات التوليدية و التحويلية في بعض مراحلها ، قاموا بتقليص الجانب التحويلي منها، مع توظيفهم لبعض مقولاتها حيث رأوا أنها لا تراعي الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية (وظيفة التواصل) ، و ما يستتبع ذلك من مراعاة للسياق الكلامي ³ .
فقد وسعت اللسانيات الوظيفية-التداولية (ممتلة في نظرية النحو الوظيفي خصوصا) جهازها المفاهيمي و منهج دراستها ليشمل العناصر اللغوية الأساسية التي تم إقصاؤها في النظريتين السابقتين ، و قد انبثق عن هذه النظرية نموذج وصفي تفسيري أبرز انعكاسا هاما للفلسفة التحليلية على اللسانيات المعاصرة تمثل في قصور المنهجين البنيوي و التوليدي التحويلي عن سير أغوار الظاهرة اللغوية المتشعبة ⁴ .
يعتبر **مارتيني** أن أي جزء من أجزاء الكلام لا يمكن أن تكون له وظيفة ما إلا إذا كان ظهوره غير حتمي. بموجب السياق، فمفهوم الوظيفة عنده ارتبط بمدى التوقع موسعا إياه. بما يخرج عن مقتضيات النظر النحوي الصرف "فتحدد وظيفة جزء من أجزاء الكلام بالشحنة الإخبارية التي يحملها المتكلم إياها فتكون الوظيفة هي القيمة التمييزية من الناحية الدلالية العامة" ⁵ .

¹Chomsky (noam) :aspect de la théorie syntaxique-tr, franc,de : j,c, milner, le seuil , parie, 1969,p 126

²Chomsky,ibid, p126

³ مسعود صحراوي: الأفعال المتضمنة في القول (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي) ، ص 19.

⁴ المرجع نفسه، ص 21.

⁵ عبد السلام المسدي : مباحث تأسيسية في اللسانيات ، دارالكتاب الجديد المتحدة ، ليبيا ط 1 ، 2010 ، ص 200

و قد كان نتيجة لهذه الأبحاث اللسانية الحديثة أن ظهر تيار آخر و سم بتيار ما بعد البنيوية يبحث في حقيقة المعنى، ضمن الأنظمة الفكرية و الفلسفية واللغوية والأدبية، تجاوز اعتماد الكلمة وحدة تحليل إلى الاعتداد بالجملة , غير أن الأبحاث اللسانية لم تتوقف عند هذا المستوى من الدراسة بل تعدت النص وظروفه المقامية ليصبح موضوعا للسانيات، بعده وحدة التحليل الأساسية. و بهذا ساهمت لسانيات النص في تشكيل المعرفة التداولية من خلال وصف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي و أشكال الاتصال¹.

لم يعد الدرس المعاصر مقيدا منهجيا ومعرفيا بالأطر البنيوية التي رسّخت التضييق المفاهيمي لفترة من الزمن فتفتح على الأنساق المعرفية العامة كالفلسفة و المنطق و علم الاجتماع و علم النفس و حتى الرياضيات².

2- في ماهية التداولية :

تعدّ التداولية المقابل العربي الأشهر للمصطلح الإنجليزي pragmatic و للمصطلح الفرنسي pragmatique, و هي ليست ترجمة لمصطلح pragmatisme الفرنسي, أو المصطلح pragmatism الإنجليزي ويكون الفرق واضحا بين المصطلحين (pragmatism, pragmatics) لأن الأول يستخدم بكثرة في المجال اللغوي، أما الثاني يستخدم بكثرة في مجال الفلسفة و الثقافة الأمريكية خصوصا، و يترجم الأول إلى العربية بالتداولية غالبا، في حين يترجم الثاني إلى النفعية أو الذرائعية المأخوذة من المذهب الفلسفي الذي يجذب التركيز على كل ما له أهمية عملية بالبشر، و يتجنب البحث في القضايا المطلقة أو المجردة³.

من الصعوبة تقديم تعريف واضح للتداولية نظرا لتداخل هذا الحقل المعرفي مع حقول معرفية أخرى كالفلسفة التحليلية ممثلة في فلسفة اللغة العادية ، أو علم النفس المعرفي ممثلا في نظرية الملائمة على الخصوص ، أو علوم التواصل، و منها اللسانيات و علوم اللغة بطبيعة الحال .

و قد يساهم مجال اهتمام الباحث نفسه في عدم ضبط تعريف للتداولية " فقد يقتصر على دراسة المعنى، وليس المعنى بمفهومه الدلالي البحث بل المعنى في سياق التواصل، مما يسوغ معه تسمية المعنى بمعنى

¹ خليفة بوحادي: في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)، ص 59-60 .

² عبد القادر الفاسي القهري : اللسانيات و اللغة العربية ، منشورات عويدات ، بيروت 1986، ص41.

³ محمد عناني : المصطلحات الأدبية الحديثة ، الشركة المصرية العالمية لنجمان القاهرة، 1996، ص77-78

المتكلم فيعرفها بأنها دراسة المعنى التواصلية، أو المعنى الذي يسعى المتكلم لإيصاله للمتلقى بطريقة قد تتجاوز أحيانا معنى ما قاله حرفيا ليدركه المتلقي بصورة غير مباشرة من خلال السياق"¹.

ومن الأسباب التي أدت إلى صعوبة وضع تعريف جامع مانع للتداولية أن نشأتها لم تكن لغوية محضة ، بل كانت في أحضان فلسفة اللغة ، إضافة إلى ذلك الاختلاف في وجهات النظر حول استعمال اللغة في الموقف المعين الذي صعب من وضع تعريف للتداولية يتسم بالشمول و الدقة و الحصر لكل مجالات التداولية .

" و لعل أول صعوبة تصادف التعريف بالتداولية، تتمثل في الاستقرار على مصطلح قار يشمل مقولاتها ومجالاتها العديدة، حيث تعددت التسميات العربية المقابلة للمصطلح الأجنبي *pragmatique*، فقيل: البراغماتية، والبراغماتيك، والبرجماتية والبراجماتيك، وليس بين هذه المصطلحات فرق، بعدها نقلا حرفيا للكلمة الأجنبية، وقيل: التداولية، المقامية، الوظيفية، السياقية، الذرائعية، النفعية...و بين هذه التعبيرات - في الواقع- فروق لا تسمح باستعمالها مترادفة، لتكون مقابلة للمصطلح الأجنبي بمفهومه الذي سيعرض لاحقا"².

يقترح علينا الباحث اللساني و التداولي ليفنسون *levinson* في كتابه *pragmatics* وجوها متعددة عرفت بها التداولية ، سوف نسوقها لنقف على حقيقة تنوعها و تعددها ³ ، ثم نحاول استخلاص ما يجمع بينها :

التعريف الأول : مادام التركيب دراسة للخصائص التأليفية بين الكلمات ، و الدلالة بحث في المعنى و ما يعكسه من أشياء (ملموسة أو مجردة) ، فإن التداولية دراسة للاستعمال اللغوي الذي يقوم به أشخاص لهم معارف خاصة ووضعية اجتماعية معينة.

التعريف الثاني : التداولية دراسة للمبادئ التي تؤهلنا لإدراك غرابة بعض الجمل أو عدم مقبوليتها أو لحنها أو عدم ورودها في لغة المتكلم.

التعريف الثالث : دراسة للغة في إطارها الوظيفي أو من وجهتها الوظيفية و هذا يعني شرح و فهم البنيات اللغوية بالاعتماد على علل و استدلالات غير لغوية .

¹ عبد الهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط 1 ، 2004 ، ص 21 .

² خليفة بوحادي: في اللسانيات التداولية(مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)، ص 65

³Levinson, s : pragmatics, Cambridge university press , 1986, p5-35

التعريف الرابع: التداولية جزء من الإنجاز (بمفهوم شومسكي) وهذا ما ذهب إليه katz fodor حيث

اعتبر النظرية التداولية أو نظرية الانتقاء التركيبي يومئذ تتعلق بدراسة الجمل الصحيحة في سياقها .

التعريف الخامس : التداولية دراسة للعلاقات بين اللغة و السياق ، أو هي دراسة لكفاية مستعملي اللغة بسياقاتها الخاصة .

التعريف السادس : التداولية دراسة لظواهر بنية الخطاب اللغوي من تضمينات و اقتضاءات أو ما يسمى بأفعال اللغة.

التعريف السابع : التداولية دراسة كل مظاهر المعنى ، من غير فصلها عن نظرية الدلالة ، إلا أن الدلالة محدودة في عنصر شروط الصدق في حين تتناول التداولية التعبيرات التي لا تعلل بشروط الصدق (الملفوظات الإنشائية ، عللها مقامية إنجازية) .

و في الغالب ، فإن التداولية تعرف عموما ، كما يلي :

- " " التداولية هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية ... ، و هي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة ، و تهتم بقضية التلاؤم بين التعبيرات الرمزية و السياقات المرجعية و المقامية و الحديثة و البشرية " (الموسوعة الكونية) .

- وقد رُصد للتداولية تعريف آخر ، و هو " أنها تمثل دراسة تهتم باللغة في الخطاب ، و تنظر في الوسميات الخاصة به ، قصد تأكيد طابعه التخاطبي " و هو تعريف أتى به أ ، م ، ديلر (a,m,diller)، و ف ريكاناتي (f, recanati).

- كما تحدّ التداولية بكونها " دراسة للغة بوصفها ظاهرة خطابية و تواصلية و اجتماعية ، في نفس الوقت (ف، جاك)، (f, jacques).

- و تحدّ أيضا : كالتالي : " هي الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات ، و يهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل " (ل ، سفز)، (l, sfez) " ¹.

و بمحصلة هذه التعاريف نلاحظ أن لفظ (الاستعمال) هو القاسم المشترك الأكبر بالمفهوم الرياضي أو بما تقول ألفاظها إليه حيث يدخل تحته جملة من العناصر بالتضمن من غير الحاجة لتفصيلها وهي : أطراف التخاطب أو المستعملون للغة ، قصودهم وهي درجات ومراتب، السياق، والمقام، وهي مترابطة متداخلة .

¹ فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ص 18-19.

و بتحليل ما تم عرضه من تعريفات نخلص إلى جملة العناصر التي يمكن الإعتماد عليها في تحديد مفهوم واضح للتداولية تتضح فيما يلي¹:

1-أهمية دور السياق و الأبعاد الاجتماعية التي تحكم الخطاب، فدراسة استخدام اللغة في شتى

السياقات و المواقف الواقعية يقدم بعدا جوهريا يدخل في تعريف التداولية.

2- دراسة الظاهرة اللغوية من وجهة نظر استعمالها في الاتصال.

3-كيفية اكتشاف المتلقي مقاصد المتكلمين التي يريدون تبليغها و توصيلها.

4-التعامل مع علاقة العلامة بمؤولها فمجال العلامة نشاط حيوي لا تغفل عن ه التداولية ذلك بدراسة

علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، و تحليل عملية الكلام ووظائف الأقوال.

و قد أجاد الباحث الجزائري خليفة بوجادي عند رصده لأغلب التعريفات التي تناولت المفهوم بأنها

تصنف إلى أربعة زمر²:

1-زمرة التعريفات التي ترتبط بحقل نشأة التفكير التداولي من خلال التأسيس لها انطلاقا من إشكالية أفعال

الكلام التي طورت التفكير في آليات معالجة اللغة، أو من خلال عدها جزءا من السيميائية أو أحد مكوناتها.

2-زمرة التعريفات التي ترتبط بحقل موضوع التداولية و وظيفتها من خلال اهتمامها بجميع شروط

الخطاب، والمتكلم انطلاقا من سياق الملفوظات التي يؤديها ، و توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال.

3-زمرة التعريفات التي ترتبط بحقل التواصل و الأداء: و ذلك بدراسة العلاقة بين المتكلم و السامع و ما

يعتري هذه العلاقة من ملابسات و شروط مختلفة، و تجتمع هذه التعريفات في أن موضوع التداولية هو

التواصل البشري المعتمد على دراسة المقام، و الشروط المناسبة لأداء الحديث.

4-زمرة التعريفات التي ترتبط بحقل علاقتها بعلوم أخرى، و بما تشمله من اتجاهات كما عدها امتدادا

للسانيات التلفظ و التي ميزت بين الملفوظ الذي يقصد به ما يقال، و الملفوظ الذي يعد فعلا للقول.

و نصل في الأخير كما نخلص إليه الباحث أن الحقل الأوسع في تعريفها، هو المرتبط بظروف النشأة،

والخلفيات الفكرية التي أسست لها.

3-أبرز الأدوات الإجرائية التداولية:

¹ علي محمود حجي الصراف:الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة , مكتبة الاداب ، القاهرة ، مصر , ط1 , 2010 ص 4

² خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية(مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)، ص 67-75

لقد سار البحث التداولي المعاصر على جملة من المفاهيم و المبادئ الإجرائية ، كانت ذات شأن في تحديد وضبط بعض معالم هذا الحقل المعرفي الجديد، و من بين هذه المفاهيم التداولية نذكر :

1.3-متضمنات القول Les Implicites: و هي عبارة عن مفهوم إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية و خفية من قوانين الخطاب، حيث تخضع هذه الظواهر إلى ظروف إنتاج الخطاب كسياق الحال، و من أهمها:

أ-الافتراض المسبق:

وهو مصطلح من وضع الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجه ويعنى هذا النوع من متضمنات القول بالمعلومات المشتركة بين المتكلم و المتلقي و المعروفة سابقا، و هي تشكل الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، حيث يوجه المتكلم حديثه إلى المتلقي على أساس مما يفترض سلفا أنه معلوم له و الافتراضات المسبقة محتواه ضمن السياقات و البنى التركيبية العامة¹.

-ففي الملفوظ 1 - أغلق النافذة.

-و في الملفوظ 2 - لا تغلق النافذة.

فالمفترض سلفا أن النافذة مفتوحة، و أن هناك مبررا يدعو إلى إغلاقها، و أن المتلقي قادر على الحركة، و أن المتكلم في منزلة الأمر، أو الناهي، و كل ذلك موصول بسياق الحال و علاقة المتكلم بالمتلقي². و تكمن قيمة الافتراض المسبق تداوليا في أن المتكلم حين يريد أن يرسل أو يوجه خطابا للمتلقي فإنه يؤسس حديثه و تواصله على أساس ما يملكه من حقائق و معلومات سابقة مشتركة بينهما.

و قد لوحظ أن كثيرا من وكلاء النيابة يستثمرون هذه الخاصية في استجواب المتهمين و استطلاع رأي الشهود³، كما لوحظ أن بعض مظاهر سوء التفاهم لها سبب أصلي مشترك هو ضعف أساس الافتراضات المسبقة الضروري لإنجاح العملية التواصلية.

ب-الأقوال المضمرة :

¹ مسعودي صحراوي، التداولية عند العرب، ص42.

² محمود نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2006، ص 26.

³ شاهر الحسن : علم الدلالة السيميائية و البراهماتية في اللغة العربية، دار الفكر للطباعة و النشر، عمان، ط1، 2001، ص 176.

وهي النوع الثاني من أنواع الافتراضات المسبقة وهي مرتبطة بظروف الخطاب و سياقه، في حين أن الافتراض المسبق يتحدد على أساس الآلية اللغوية " والفرق بينه وبين الافتراض المسبق أن الأول وليد السياق الكلامي المتنامي تدريجيا و الثاني و ليد ملاسبات الخطاب " ¹ .
و مثاله : إن السماء ممطرة.

إن السامع لهذا الملفوظ قد يعتقد أن القائل أراد أن يدعوه إلى:

- المكوث في بيته.
- الإسراع إلى عمله حتى لا يفوته الموعد.
- أو الانتظار و التريث حتى يتوقف المطر.
- أو عدم نسيان مظلمته عند الخروج.
- إلى غير ذلك من الاحتمالات والتأويلات.

2.3- الاستلزام الحواري (التخاطبي) أو (المحادثي):

يرجع البحث في هذا المجال إلى الفيلسوف غوايس عندما ألقى محاضراته في هارفارد سنة 1967 و قد نشأت فكرة الاستلزام الحواري عنده عندما لاحظ أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون و قد يخالفون ما يقصدون أكثر ما يقولون فعبر عن ذلك بما يحمله القول من معنى صريح، و معنى متضمن و مثال ذلك حين يسأل المدير الأستاذ :

- هل حضر الطالب إلى الصف فيجيبه الأستاذ:
- هو مريض.

فبتأملنا الحمولة الدلالية لإجابة الأستاذ نجد أنها تدل على معنيين في نفس الوقت أحدهما حرفي و الآخر مستلزم . معناها الحرفي: أن الطالب مريض و معناها الاستلزامي: أن المرض قد منع الطالب من حضور الصف.

ولوصف هذه الظاهرة يقترح التداوليون و خصوصا غوايس قوانين كلية هي مسلمات (MAXIMES) مفرعة كما يلي :

¹ مسعود صحراوي: التداولية عند العرب ، ص 45.

1-قاعدة الكم أو القدر *Quantité*: هي تخص كمية الإخبار الذي يجب أن تلتزم به المبادرة الكلامية حيث تكون مساهمة المتخاطبين بالقدر الكافي دون نقص أو زيادة و تنفرع إلى مقولتين:

أ - اجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الإخبار.

ب- لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر مما هو مطلوب.

2-قاعدة الكيف *Qualité*: و نصها: (لا تقل ما تعتقد أنه كاذب، و لا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه). حيث تكون مساهمة المتخاطبين متصفة بالصحة.

3-قاعدة الملائمة *Pertinence*: و هي عبارة عن قاعدة واحدة (لتكن مشاركتك ملائمة) وهي تشترط أن تكون المساهمة في الحديث مناسبة للمقام .

4-قاعدة الجهة *Modalité*: التي تنص على الوضوح في الكلام وهي تجعل المساهمة في الحديث موجزة و خالية من الغموض و التلاعب بالألفاظ . و تنفرع إلى ثلاث قواعد فرعية :

أ - ابتعد عن اللبس.

ب - تحر الإيجاز.

ت - تحر الترتيب.

وتحصل ظاهرة الاستلزام الحواري في نظر الفيلسوف غرايس، إذا تم خرق إحدى القواعد الأربع السابقة .

تندرج هذه القواعد ضمن مبدأ التعاون الذي يحكم الاستلزام الحواري في كثير من الأحيان نجد بعض

المخاطبين لا يتقيدون بهذه القواعد فيخالفونها " و غالبا ما تكون هذه المخالفة مثمرة و مفيدة في الحوار

الكلامي كإثارة الإهتمام، و تبليغ غرض معين و من ذلك ما يسمى مبدأ (التأدب في الكلام) الذي

يتعارض غالبا مع قواعد السلوك المتضمنة في مبدأ التعاون، كأن يحاول شخص الاعتذار، أو تهوين تبليغ خبر

مؤلم، أو مزعج... إلخ" ¹ .

3.3- المعاني الصريحة والمعاني الضمنية:

يقدم غرايس في بحثه اللغوي توصيفا وتنميطا للعبارات اللغوية ²، يقوم على المقابلات الآتية التي تنقسم

الحمولة الدلالية للعبارة على أساسها إلى معان صريحة و معان ضمنية :

¹ علي محمود حجي الصراف : الأفعال الإنجازية ، ص 9.

² أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية : مدخل نظري ، منشورات عكاظ ، 1986 ، ص 25-26.

1_ **المعاني الصريحة** : هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها ، و تشمل ما يلي :

أ_ المحتوى القضوي : و هو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد.

ب_ القوة الإنجازية الحرفية : و هي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصبغ الجملة بصيغة أسلوبية ما:

كالاستفهام ، و الأمر ، و النهي ، و التوكيد ، و النداء ، و الإثبات والنفي ...إلخ.

2_ **المعاني الضمنية** : هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة ، و لكن للسياق دخل في

تحديدتها و التوجيه إليها ، و تشمل ما يلي :

أ_ معان عرفية : و هي الدلالات (أو المعاني) التي ترتبط بالجملة ارتباطا أصيلا و تلازم الجملة ملازمة في

مقام معين ، مثل معنى : الاقتضاء .

ب_ معان حوارية : وهي التي تتولد طبقا للمقامات التي تنجز فيها الجملة ، مثل الدلالة الاستلزامية .

ويمكن التمثيل لتلك المستويات الدلالية بالجملة (د) :

(د) : هل تعيرني القلم الأحمر ؟ .

فالمعنى الصريح للجملة (د) مشكّل من محتواها القضوي و قوتها الإنجازية .

أما المحتوى القضوي فهو ناتج من ضم معاني مكوناتها : تعير+ني+ القلم+الأحمر.

و أما قوتها الإنجازية الحرفية ، و المؤشر لها بالأداة "هل" ، فهي الاستفهام ، و ينتج معناها الصريح من ضم

محتواها القضوي إلى قوتها الإنجازية الحرفية .

و المعنى الضمني للجملة (د) يتألف من معان جزئية هي كالاتي :

_ معنى عرفي هو الإقتضاء ، أي اقتضاء وجود القلم ، و كونه ذا لون أحمر .

_ معنى حوارى استلزامي ، و هو التماس المتكلم من المخاطب أن يعيره القلم الأحمر.

4- **قيمة التداولية و أهميتها** :

-دراسة استعمال اللغة في الطبقات المقامية المختلفة ، " أي باعتبارها كلاما محمدا صادرا من متكلم محدد

وموجهها إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصلى محدد لتحقيق غرض تواصلى محدد" ¹ .

¹ مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ، ص 37.

و تكمن أهميتها في قدرتها على معالجة العجز الذي عانت منه البنية و التوليدية التي لاحظت وجود ظواهر تركيبية ظاهرية يستحيل تفسيرها بصورة كاملة دون مراعاة السياق اللغوي ، فهي " تكمن في التأكيد على ارتباط المتكلم بالسياق الخارجي ارتباطا وثيقا مؤثرا في تحديد المعنى الذي يقصده المتكلم"¹ .
 _ تساهم في توضيح و بيان سير و جريان العمليات الاستدلالية التي يقوم بها العقل البشري في معالجات ملفوظات عالمه .

- مساهمتها في تقدم الدراسات النصية ، وقد دخلت مع النحو و الدلالة في تشكيل هذا العلم ، و تحديد مفهومه ، و توضيح مجالات البحث فيه ، "إنما تهتم بالأسئلة الهامة ، و الإشكاليات الجوهرية في النص الأدبي المعاصر ، لأنها تحاول الإحاطة بعدد من الأسئلة ، من قبيل : من يتكلم و إلى من يتكلم ؟ ، ماذا نقول بالضبط عندما نتكلم ؟ ، ما هو مصدر التشويش و الإيضاح ، كيف نتكلم بشيء ، ونريد قول شيء آخر ؟ ..."²

_ الحاجة إلى استثمار منجزات اللسانيات في علوم مختلفة ، كالشعرية و البلاغة و الأسلوبية ... إلخ ، والحاجة إلى اتباع الطلب العلمي المعاصر إلى إنجاز الدراسات التكاملية و التي ترفض اختزالية الاتجاهات البنية و التوليدية حين أقصت الأولى الدلالة من البحث اللساني ، و صاغت الثانية قواعد النحو على أساس الحدس اللغوي لا على أساس ملاحظة الاستعمال الحقيقي للغة .

- من المهام التي تقوم بها التداولية في المجال التواصلية ، بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر و غير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر³ .

5-تداولية الخطاب السردي :

عكفت اللسانيات التداولية على دراسة وتحليل اللغة العادية و اليومية في حالة الاستعمال والإنجاز، وهي عند بعض فلاسفة اللغة المعيار الذي نحكم به على صحة أو بطلان ما نقوله من عبارات، وهي جزء من

¹ علي محمود حجي الصراف : الأفعال الإنجازية، ص 7.

² فرانسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية ، ترجمة سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، الرباط ، المغرب ، 1986 ، ص 4.

³ علي محمود حجي الصراف : الأفعال الإنجازية، ص 8 .

الكيان العضوي الإنساني، ولا يحق للفلسفة أن تتدخل في الاستعمال العادي للغة، وكل ما يمكن أن تقوم به هو أن تصف هذا الاستعمال فحسب، وأنا عندما نتكلم عن اللغة فإننا نتكلم لغة الحياة اليومية¹.

" واللغة التي حفل فلاسفة أكسفورد بفحص منطقتها هي اللغة العادية، ذلك خلاف راسل (Russel) والوضعانيين المناطق الذين حاولوا الاستعانة بلغات اصطناعية صورية عالية، وهذا يعني اختيار فلاسفة أكسفورد نقطة بداية مختلفة.

فاللغة إذن هي الطريق إلى المعرفة باعتبارها وسيلة لفهم تكوين المعنى في الخطاب، ونظرا لعلاقة التضمن أو التوازي بين اللغة والتفكير، فلا سبيل إلى فلسفة التفكير و المعرفة والفهم دون اللغة، إذ أن كل شيء يحدث داخل اللغة"².

ولما كانت اللغة وسيلة الاتصال الأولى في المجتمع، وأما مجال البحث التداولي في اللغة العادية والتي قد نجدها في استعمالات الكثير من الأدباء في كتاباتهم وخطاباتهم وخصوصا إذا تعلق الأمر بلغة كاتب عُرف عن لغته أنها أقرب إلى اللغة اليومية، نجد من الباحثين من لا يفرق بين اللغة العادية واللغة الأدبية، ويعتبر من الصعوبة التمييز بينهما و أن اللغة اليومية ليست مفهوما مطردا، فهي تضم منوعات شديدة الاختلاف كاللغة العامية واللغة التجارية واللغة الرسمية، ولغة الدين وعامة الطلبة³.

" وأبرز ما يميز اللغة العادية واللغة الأدبية، هي أن اللغة العادية هي لغة شفافة وتوفيقية ومباشرة، فالمتكلم يستعمل الكلمات لمقاربة الأشياء، ولمعرفتها، وللتعرف عليها، أو لنقل صفات عنها، أما في اللغة غير العادية أو الأدبية فإنه عندما نستعمل الكلمات تنسحب من ميدان اللغة التي تقف عند حدود الاتصال بالواقع. فالأديب يعمل في مكان أبعد من مكان استعمال الكلمات في سبيل الاقتراب من الأشياء بجد ذاتها، إنه يعالج الكلمات حيث هي إشارات لأشياء أخرى، فالكلمة عند الأديب تكسب خطابه حياة خاصة به، وتخلق بنفسها في عالمها الصغير كذلك"⁴.

¹ تكتك إكرام، اللغة التداولية وقوانين التخاطب (مقال)، مجلة دراسات جزائرية، ع 9، 2012، مختبر الخطاب الأدبي جامعة وهران، ص152.

² المرجع نفسه: ص152-153.

³ رينيه وبلك-أستن وارين : نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط2، 1981، ص23.

⁴ جورج مو لينيه: الأسلوبية، ترجمة بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 1999. ص16.

وهكذا فقد تجاوزت التداولية اهتمامها من وحدة جزئية هي الملفوظ أو الجملة في سياق التلفظ إلى اهتمامها بالخطاب و اعتباره غرضاً من أغراض التداولية بدخول كثير من مفاهيمها و إجراءاتها في تحليل الخطاب واللسانيات النصية، وبذلك انفتح مجال دراسة الأدب باعتباره خطاباً ناتجاً في سياق تواصلية معين، مستثمراً تلك المفاهيم و الأدوات الإجرائية مع الخطاب الأدبي " على اعتبار أن الظاهرة الأدبية متشعبة واسعة الأرجاء لا يحيط بها منهج واحد أو بعض المناهج، بل قد تكون التداولية من أعرق الأدوات المنهجية في دراسة النص و الخطاب باعتباره نسقاً مفتوحاً ولا يصح أن يدرس ها دراسة نصية بنيوية مغلقة معزولة ثم يُكتفى بها"¹.

¹ محمود طلحة: تداولية الخطاب السردي، عالم الكتب الحديث، الاردن، ط1، 2012، ص ص:3-4.

الفصل الأول

الفصل الأول: آلية الحجاج في مقامات الهمداني

1. الحجاج :

1.1 مفهوم الحجاج

1.1.1 الحجاج بما هو مرادف للجدل في اللغة و الاصطلاح.

1.1.2 الحجاج قاسم مشترك بين الجدل و الخطابة .

1.1.3 الحجاج بما هو مبحث لغوي .

2. مستويات الإقناع في مقامات الهمداني.

1.2 المستوى المعجمي.

2.2 المستوى الإيقاعي.

1.2.2 السجع.

2.2.2 الموازنة .

32.2 الجناس.

4.2.2 البنية الصوتية.

5.2.2 الصيغ الصرفية.

3.2 المستوى التركيبي:

1.3.2 مفهوم الجملة.

2.3.2 العدول الكمي بالزيادة داخل الجملة و أبعاده الحجاجية.

3.3.2 العدول الكمي بالزيادة بين الجمل.

4.3.2 العدول الكمي بالنقصان داخل الجملة و أبعاده الحجاجية .

5.3.2 العدول النوعي و أبعاده الحجاجية.

3. السلم الحجاجي.

4. الروابط و العوامل الحجاجية

1.4 الروابط الحجاجية .

2.4 العوامل الحجاجية.

1- الحجاج :

1.1- مفهوم الحجاج:

1. 1. 1- الحجاج بما هو مرادف للجدل في اللغة و الاصطلاح :

في لغتنا العربية نجد الحجاج و الحاجة مصدر للفعل حاج. جاء في (لسان العرب) لـ (ابن منظور) ما يلي: " حاججته، أحاجه، حجاجا و محاجة، حتى حججته، أي غلبته بالحجج التي أدليت بها (...) و حاجه محاجة و حجاجا نازعه الحجة (...) و الحجة الدليل و البرهان"⁽¹⁾. فعلى هذا يكون مفهوم الحجاج التزاع و الخصام بواسطة الأدلة و البراهين و الحجج ، فيكون مرادفا للجدل إذ حد الجدل حسب ابن منظور : " مقابلة الحجة بالحجة"⁽²⁾. و في موضع آخر يجعل (ابن منظور) الحجاج مرادفا للجدل صراحة بقوله: " هو رجل محجاج أي جدل"⁽³⁾.

لكن فرقا دقيقا بين معنيي اللفظين في استخدام القرآن الكريم إياهما أشار إليه محمد الطاهر بن عاشور (ت 1393هـ/1973)، فقد قال في شأن (حاج) و ما اشتق منه عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [سورة البقرة ، الآية 258]، " معني (حاج) خاصم، و من العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى، مع أن حاج لا يستعمل غالبا إلا في معني الخصامة، و أن الأغلب أنه يفيد الخصام بباطل"⁽⁴⁾.

و قال في شأن (الجدل) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَتُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [سورة النساء ، الآية 107]، " و المجادلة مفاعلة من الجدل و هو القدرة على الخصام و الحجة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك"⁽⁵⁾.

فمفهوم الحجاج هنا مرادف للجدل و نجده خاصة في اصطلاح القدماء من مثل أبي الوليد الباجي في كتابه "المنهاج في ترتيب الحجاج " مستخدما في العنوان لفظة الحجاج ، لكنه في المقدمة ينعته بكونه كتابا في الجدل ، و كذلك الزركشي و السيوطي إذ أكثرا داخل الفصل الذي عقده "جدل القرآن " من

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مصر، دط، دت، مجلد2، ص 779 .

² المرجع نفسه: المجلد 1 ، ص 571 .

³ المرجع نفسه: المجلد2، ص779 .

⁴ الطاهر بن عاشور: التحرير و التنوير، الدار التونسية، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان، تونس، دت، ج3، ص31، 32.

⁵ المرجع نفسه: ج5، ص194.

استخدام ألفاظ (الحاجة)، (الحجاج)، و(الاحتجاج) على أنها مرادفة للفظ الجدل و تسد مسده، وقد استمر الأمر على ذلك في الدراسات العربية الحديثة كما فعل الهادي همو في كتابه (مواقف الحجاج و الجدل في القرآن الكريم) فقد اعتبرهما بمعنى صراحة و من خلال إيرادهما مرارا في مركب عطفني واحد بدءا من العنوان¹.

1.1.2- الحجاج قاسم مشترك بين الجدل و الخطابة :

إنَّ اهتمام الفلاسفة بالخطاب قديم يمتد إلى الفلسفة اليونانية، حيث نشأت و أینعت و تطورت مع (سقراط وأفلاطون وأرسطو، والسفسطائيين....)، و إن كانت آثار -أرسطو- هي أهم تلك الأعمال: كآراءه المتعلقة بالحجاج، وعن السفسطائيين كحركة فكرية و اجتماعية، ثم حديثه عن السفسطة "كظاهرة خطابية التي عرفها تعريفا دقيقا سيصير من بعده التعريف المعتمد عند أغلب من نظروا في هذا الموضوع. فهي استدلال صحيح في الظاهر معتل في الحقيقة"² حيث نجده يركز على إنتاج الحجاج عندهم وما يتعلق به من آليات الشرك القولية التي كانوا ينصبونها للإيقاع بخصوصهم انطلاقا من أغاليط دلالية متنوعة يتم فيها أحيانا التلاعب بمعنى المقدمات، أو إحداها، كي يكون القياس مخالفا للمتوقع و موافقا لمآرب السفسطائي، الذي يعتمد في حججه على التفنن في توجيه اللغة³.

فقد قدم (أرسطو) مفهوما للحجاج يجعله قاسما مشتركا بين الخطابة و الجدل. ذلك أن الخطابة (La rhétorique) أو (الريطوريقا) بالمفهوم اليوناني كما ترجمها العرب القدامى بأنها فن الإقناع عن طريق الخطاب. و أن الوظيفة الإقناعية هي وظيفتها الأساسية كما أكد ذلك (الفارابي) في قوله: "الخطابة صناعة قياسية غرضها الإقناع"⁴. وبما أنها قياسية فالحديث عنها يحتم الاهتمام بجمللة الوسائل التي تجعل أي

¹ عيد الله صولة: الحجاج في القرآن، دار المعرفة للنشر، تونس، ط 2، 2007، ص 10 وما بعدها.

² الراضي رشيد: السفسطة في المنطقيات المعاصرة التوجه التداولي الجدلي نموذجا، عالم الفكر، العدد 4، المجلد 36، أفريل-ماي 2008، ص 135.

³ محمد سالم محمد الأمين طلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ن لبنان، ط 1، 2008، ص 34-35.

⁴ Al Farabi. Deux ouvrages inédits sur la rhétorique Publication عند هشام الرفي: الحجاج عند

أرسطو ضمن كتاب(أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)،لفريق البحث في البلاغة و الحجاج، بإشراف:حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، سلسلة آداب، 1998، ص 142.

خطاب مقنعا، على اعتبار أن مهمة الخطابة ليست الإقناع بقدر ما هي البحث عن الوسائل الموحدة للإقناع⁽¹⁾.

و من المهم هنا أن نلفت الانتباه إلى قضية أساسية في الحجاج عند (أرسطو) تتمثل في علاقة الحجاج بمجال الخطابة والجدل. فقد أكد (أرسطو) وجود الحجاج في الخطابة كما في الجدل، فهو القاسم المشترك بينهما، على سبيل المثال من حيث أن الجدل والخطابة "قوتان لإنتاج الحجج"⁽²⁾، بمعنى آخر أن الخطابة تعتمد الحجاج شأنها في ذلك شأن الجدل مع اختلاف كامن في بنية الحجاج في كليهما. إن هذه العلاقة القائمة بين الجدل والخطابة من جهة نوع الحجج تجعل الخطابة كما يقول (أرسطو) نفسها "فرعا من الجدل وأيضا فرعا من علم الأخلاق يمكن أن يدعى بحق علم السياسة"⁽³⁾، حيث نستنتج من وجهة نظره هذه الوعي المبكر بخصائص الخطاب البلاغي الجدلي من انفتاح على مختلف الميادين المعرفية، وقابلية منهجها للإفادة والاستفادة من كل الحقول المجاورة⁴.

إن الحجاج أوسع من الجدل، فكل جدل حجاج وليس كل حجاج جدلا، وباعتبار أنه القاسم المشترك بين الجدل والخطابة، فيعني أن هناك حججين: الأول حجاج جدلي والثاني حجاج خطابي "أما الحجاج الجدلي فمن قبيل ما عرض له أرسطو في كتابه (topiques) ومداره على مناقشة الآراء ومناقشة نظرية محضة لغاية التأثير العقلي المجرد، وتمثله في التراث العربي الإسلامي مناظرات علم الكلام... كما تمثله المناظرات الفقهية من قبيل كتاب الباجي... وأما الحجاج الخطابي فمن قبيل ما عرض له أرسطو في كتابه الخطابة وهو موجه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة وفي مقامات خاصة"⁵.

1.1.3 الحجاج بما هو مبحث لغوي :

وهو المفهوم الأخير الذي ظهر شيئا فشيئا منذ 1958 تاريخ صدور كتابين في الحجاج يضعانه في إطار فلسفي ولم يكن أحد من المؤلفين على الأرجح بمطلع على ما كان يصنع الآخر، وهما برلمان (Perlman) و تيتيكا (tyteca) حيث يعتبران نظرية الحجاج التي جاء بها "خطابة جديدة مع كل

¹ هشام الريفي: الحجاج عند أرسطو ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم): ص144.

² أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، دط، 1976، المقالة 01، الفصل 02، 1356أ، ص 10، ص11.

³ المرجع نفسه، المقالة 01، الفصل 02، 1356أ، 1356ب، ص 10-11.

⁴ محمد سالم محمد الأمين طلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 32-33.

⁵ عبد الله صولة: الحجاج في القرآن: ص 17_18.

ما يقتضيه لفظ جديد عادة من قطيعة مع القدم، وقد عبرا عن هذه القطيعة تعبيرا صريحا، ومهما يكن من أمر فإن برلمان و تيتيكا لا يعتبران الحجاج مناورة و تلاعبا بالعقل"¹.
فهذا المفهوم الثالث للحجاج لا يجعله مرتبطا بالخطابة و هي موضع اتمام بكونها مناورة، ولا يجعله مرتبطا بالجدل و هو موضع اتمام بالقصور و العجز عن الإمام بكل ما ينشأ في خطاب اللغات الطبيعية من وجوه المحاجات .

1.1.3.1 مفهوم برلمان و تيتيكا :

تكاد البلاغة تكون مدينة لأعمال (شاييم بيرلمان CH.Perelman) في إحيائها و تحديثها و بعثها من جديد، وإخراجها من متاهات التصنيف و التبسيط، إذ ارتبطت جل أعماله بالبلاغة، و حاول أن يجعل من النظرية البلاغية أداة لتفسير و تحليل غيرها من الظواهر الفلسفية و القانون بالخصوص. من هنا تولدت حاجته إلى بناء تصور نظري للحجاج، والدفاع عن أهميته وجدواه على ضوء المفاهيم البلاغية والفلسفية والقانونية .

يقدم (بيرلمان و تيتيكا) تعريفا جديدا للحجاج يجعله جملة من أساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه، أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع معتبرا أن غاية الحجاج الأساسية، إنما هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهيئه للقيام بالعمل⁽²⁾. فهما يتزلان الحجاج في صميم التفاعل بين الخطيب و الجمهور.

" فالحجاج يأخذ من الجدل التماهي الفكري الذي يقود إلى التأثير الذهني في المتلقي و إذعانه إذعانا نظريا مجردا لفحوى الخطاب و ما جاء فيه من آراء و مواقف. و هو يأخذ من الخطابة أيضا توجيه السلوك، أو العمل و الإعداد له و الحض عليه، و لكنه يظل مختلفا عن الخطابة و الجدل، من جهة كسره للشئائية التقليدية و جمعه بين التأثير النظري، والتأثير السلوكي العملي، فهو خطابة جديدة بالفعل متسعة كما رأينا"³.

¹ عبد الله صولة: الحجاج في القرآن ، ص22.

² بيرلمان و تيتيكا، مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة، المطابع الجامعية، ليون، فرنسا، ج 1، 1981. ص 13 . نقلا عن : الحجاج في الشعر العربي القديم، ص21.

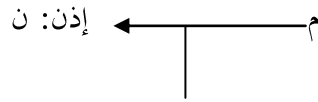
³ سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم في الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة: بنيتة وأساليبه، عالم الكتب الحديث الأردن، ط1، 2008، ص 22 .

فنظرية الحجاج عندهما أقرب للخطابة منها إلى الجدل، لأن الجدل مداره النظر فقط، والخطابة همها الأساسي العمل، ثم إن الجدل متعلق بآراء غير مخصوصة، أي أنها غير شخصية، في حين أن الخطابة مخصوصة دائما يقول المؤلفان: "الغاية من تقربنا بين الحجاج و الخطابة أن نلح على أنه لا حجاج دون وجود جمهور يرمي الخطاب إلى جعله يقتنع و يصادق على ما يعرض عليه"¹.

البلاغة الحديثة- كما تجسدت لدى (بيرلمان)- أمام مواجهة خطابية جدلية أحادية الوجهة، ترتبط بقضية أو أطروحة، يستند فيها الخطيب على (تقنياته الحجاجية) و مكانته الاجتماعية ليعدل موقف المتلقي أو يعززه فتستمر بذلك في وجهتها التقليدية، إذ لا يزال الحجاج مقاومة للانحرافات الخطابية .

1.1. 3. 2 مفهوم تولين:

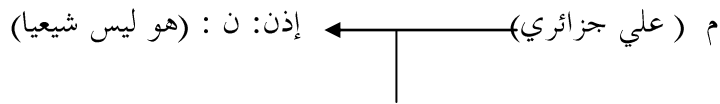
نستخلص مفهوم الحجاج عند تولين من الرسوم الحجاجية المختلفة التي صاغها في كتابه انطلاقا من الرسم الأول الذي هو ذو ثلاثة أركان أساسية هي المعطى م والنتيجة ن والضمان ض ، ويصاغ نظريا على النحو التالي:



نظرا إلى أن :

ض

والمثال عليه :

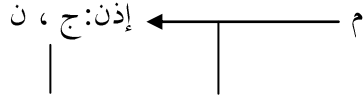


نظرا إلى أن :

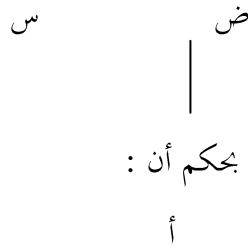
ض (أغلبية الجزائريين المطلقة ليسوا شيعية)

¹ - عبد الله صولة، الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال مصنف الحجاج لبرلمان و تيتيكا ، ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو على اليوم) : ص306.

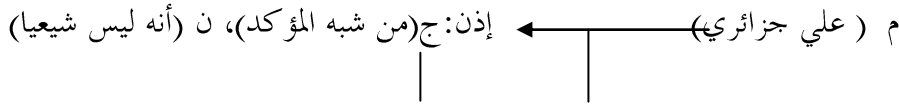
ووصولاً إلى الرسم الثالث حيث فيه مزيد من التدقيق والتطوير للرسم الثاني بإدخال عنصر الأساس الذي يبنى عليه الضمان ض ويكون الرسم كالتالي :



نظراً إلى أن : اللهم إلا إذا :

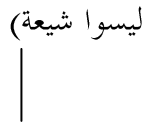


المثال عليه:



نظراً إلى أن : اللهم إلا إذا :

ض(أغلبية الجزائريين س (تشيع أثناء دراسته بجامعة إيران)



بحكم أن :

(أ) نسبة الشيعة لا تكاد تذكر في الجزائر)

نلاحظ أن أهم الأركان في رسوم تولمين حسب الباحث الفرنسي بلونتين المعطى م، والنتيجة ن

، والضمان ض حيث الفرق ما بين المعطى و الضمان أن المعطى يكون مصرحاً به في حين يكون الضمان ضمناً ، وهي بالاستدلال المتوخى فيها بهذه الأركان الثلاثة تكون شبيهة بنهج الاستدلال الأرسطي في بناء الأقيسة المنطقية على طريقة (صغرى ، كبرى ، إذن نتيجة) ، كما نلاحظ فيها غياب ركن الجمهور أي هو قوام الحجاج¹.

¹ عبد الله صولة: الحجاج في القرآن، ص 25-26

من اللافت للانتباه في نموذج (تولمين) الحجاجي هذا أنه غير حجاجي إذا اعتبرنا أن الحجاج يرمي دائما إلى إقناع الآخر، و إنما هو أقرب إلى صناعة البرهان في المنطق، حيث يقصد بالبرهان إثبات الحق، لا لإقناع الآخر في العادة، و إنما لإقناع المرء نفسه و تلك هي الطريقة المتوخاة عادة في البرهان. بخلاف سائر الصناعات المنطقية التي يراد بها عادة إقناع الآخر فهي من الحجاج بسبيل¹.

3. 1. 1 مفهوم ديكر و أوسكمبر:

إن هذه النظرية التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي (أزفالد ديكر و O.Ducrot) منذ سنة 1973 – من خلال كتابه (الحجاج في اللغة)، الذي شاركه في تأليفه (جان كلود أنسكومبر Gean- Claud Anscombe) – نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية، و بإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم و ذلك بقصد توجيه خطابه و جهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير.

تريد أن تبين هذه النظرية أن اللغة تحمل بصفة ذاتية و جوهرية وظيفة حجاجية.

لقد انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من داخل نظرية الأفعال الكلامية التي وضع أسسها (أوستين و سورل). و قام (ديكر و) بتطوير أفكار (أوستين) بالخصوص، و اقترح في هذا الإطار، إضافة فعليين لغويين هما (فعل الاقتضاء) و فعل (الحجاج) .

و بين (ديكر و) أن الحجاج باللغة يجعل الأقوال تتابع و تترايط على نحو دقيق، فتكون بعضها حججا تدعم و تثبت بعضها الآخر، أي أن المتكلم إنما يجعل قولاً ما حجة لقول آخر، هو بلغة الحجاج (نتيجة) يروم إقناع المتلقي بها و ذلك على نحو صريح واضح أو بشكل ضمني؛ بمعنى آخر أن المتكلم قد يصرح بالنتيجة و قد يخفيها فيكون على المتلقي استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال الإخبارية، بل اعتماداً على بنيتها اللغوية فحسب⁽²⁾.

كما أضاف ديكر و إلى نظريته مفهوماً جديداً هو (التوجيه L'orientation) إذ يرى أن غاية الخطاب الحجاجي تتمثل في أن تفرض على المخاطب نمطا من النتائج باعتبارها الوجهة الوحيدة، التي يمكن

¹ عبد الله صولة: الحجاج في القرآن، ص 26 .

² سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 23 .

للمخاطب أن يسير فيها⁽¹⁾. وهو بذلك يؤكد على ميزتين أساسيتين تميزان رؤيته الحجاجية تتمثلان في :
التأكيد على الوظيفة الحجاجية للبنى اللغوية، وإبراز سمة الخطاب التوجيهية².
عموما إن الحجاج عند ديكرو و أنسكومبر :

❖ قائم في جوهر اللغة.

❖ واسع جدا، فكل قول هو قول حجاجي، وهذا فيه مبالغة كبيرة، لأن للغة وظائف أخرى لا تقل أهمية عن الحجاج.

❖ يمكن القول إن أعمال هذين الباحثين أعمال بنيوية تغلق النص و الخطاب، و لا تتعامل مع خارجه وضمن هذا الداخلة اللغوية تحيل اللغة على ذاتها.

إن أهم مأخذ و عيب يرتبط بهذه النظرية حصر صاحبها دلالة الملفوظ في التوجيه ، والحقيقة أن دلالة الكلام ليست التوجيه فحسب، وإنما التوجيه جزء من دلالة ذلك الكلام وبعض منها .فقد يكون للكلام وفق المواقف التأويلية التي نقفها منه، دلالات تتجاوز الحجاج والتوجيه وتفيض عنهما³.

1.1. 3. 4 مفهوم ماير :

يقوم الحجاج عند ماير على قسمين :صريح و ضمني ،مما يجعل الخطاب ذا طبيعة حوارية أي مسرحا للتفاوض و التفاوض ،وهو لا يتفرد بهذا الرأي عن بعض الأعلام والمنظرين بقدر ما يختص به في صياغته لمفهوم الحجاج بربطه بنظرية المسئلة ، فما الحجة عنده إلا جواب أو وجهة نظر يجب بها عن سؤال مقدر يستنتجها المتلقي ضمينا من ذلك الجواب ، داخل المقام المستعمل ، " بحيث لا يكون المتلقي في نهاية المطاف وهو يقرأ الحجج الصريحة أو الأجوبة في خطاب ما إلا طارح أسئلة يستنتجها ضمينا من خلال تلك الأجوبة المقدمة في النص، مستعينا بالمعطيات التي يوفرها المقام"⁴. فالحجاج عند ماير في ضوء نظرية المسئلة هو إثارة الأسئلة و إثارة الأسئلة هي عنده الأساس الذي يبنى عليه الخطاب⁵.

2. مستويات الإقناع في مقامات الهمداني :

¹ ديكرو، السلام الحجاجية (les échelles argumentatives)، منشورات مينيوي (Edition des minuit)، باريس،

1980، ص60. نقلا عن: الحجاج في الشعر العربي القديم : ص 23 .

² سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص24.

³ عبد الله صولة: الحجاج في القرآن : ص36 .

⁴ المرجع نفسه: ص39.

⁵ المرجع نفسه: ص38-39 .

1.2 المستوى المعجمي:

تستخدم كلمة معجم في الدراسات اللسانية الحديثة بمعنيين مختلفين:

ـ الأول: " هو قائمة الكلمات التي تستخدمها مجموعة ما ، أو هو خاص بنشاط بشري معين أو قطاع علمي أو تقني معين إلى غير ذلك " ¹ .

ـ الثاني : " قائمة الكلمات التي يستخدمها شاعر أو كاتب أو هي مستخدمة في مدونة خطاب ما " ² فيقال على سبيل المثال " معجم شاعر ما " ، أي قائمة الكلمات المستخدمة فيه من أسماء ، وصفات و أفعال .
بمختلف وجوه تصريفها ... إلخ ؛ فواضح إذن أن المعجم الذي نقصد هنا ليس المعجم الصناعي و ليس كذلك المعجم الذهني و إنما هو مجمل السجلات اللغوية المحققة في الخطاب ³ .

ومن القدماء من يطلق على الوحدات المعجمية حين تستعمل في الخطاب مصطلح " كلمات " فيذهب إلى اعتبار الفعل في حالات تصريفه المختلفة كلمة كقولهم : " ... و الكلمة لفظة مفردة تدل على مركب من اسمين مثل قولنا زيد قائم و منه ما هو مركب من اسم و كلمة مثل قولنا زيد يمشي و عمرو كتب " ⁴ وربما يرجع ذلك إلى التأثير اليوناني الذي يرى أن الفعل كلمة.

ومنهم من يعتبر من قبيل الكلمة ما جاء مركبا بحرف التعريف مثل (الغلام) وحتى بالإسناد مثل (ضربوا) كما فعل عبد القاهر الجرجاني في مواضع كثيرة من كتابه (دلائل الإعجاز) إذ يطلق مصطلح كلمة أو جمعها " كلم " على وحدات لغوية أكبر من " الكلمة " بمفهومها النظري الضيق. أو كما فعل الزركشي إذ يطلق على الفعل و الصفة كما وردا في الخطاب القرآني مصطلح (الكلمة) ⁵ .
وقد شارك بعض الغرب العرب في إطلاق مصطلح " الكلمة النحوية " على الوحدات المعجمية إذا ما خرجت من الأفراد إلى إفادة المركب (كالصفات و المصادر) أو إلى المركب صراحة (كالفعل على اختلاف تصاريفه) ⁶ .

¹ عبد الله صولة : الحجاج في القرآن ، ص 63 .

² المرجع نفسه: ص 63 .

³ المرجع نفسه: ص 64 .

⁴ أبو نصر الفارابي : كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق ، تحقيق و تعليق محمد مهدي ، دار المشرق ، بيروت ، 1986 ، ص 41_42 .

⁵ الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ن د ط ، 1972 ، ج 1 ، ص 397.

⁶ عبد الله صولة : الحجاج في القرآن ، ص 67 .

أما بورنييه فيرى أن الكلمة لا يمكن أن توجد خارج حالات التصريف و الإعراب فيعتبرها مجموعة من السمات الدلالية المتضامنة كسمة الزمن الدلالية و سمة الضمير الدلالية بالنسبة إلى الفعل و سمة الجنس و سمة العدد بالنسبة إلى الاسم فهي " عنده وحدة معجمية _ صرفية _ إعرابية معا " ¹ .

فالدراسات الغربية إذن تفرق ما بين الوحدة المعجمية والتي يقصد بها الوحدة الدنيا لمعجم لغة من اللغات والتي تكون مجردة عارية عن مظاهر الاستعمال الطارئة عليها إعرابيا و صرفيا وبين الكلمة من حيث هي أبعاد معجمية و صرفية و إعرابية مجتمعة فيها.

إن تعريف الكلمة تعريفا حجاجيا يقتضي منا أن نأخذ في الاعتبار دورها الدلالي في التأثير و الإقناع وفي حمل المتلقي على التسليم بالقضايا المطروحة، وقد عرفها عبد الله صولة حجاجيا كما يلي : " إنها الوحدة المعجمية-الصرفية-الإعرابية معا القابلة لأن تكتسب بالإضافة إلى معناها المعجمي سمات دلالية إضافية من خلال علاقتها بالمقال الذي ترد فيه و بالمقام الذي تستعمل فيه ، وهي قادرة في الوقت نفسه على التأثير في ذلك المقال و المقام بفضل ما لها من قيم دلالية مختلفة بعضها مستمد من اللغة نفسها و بعضها متأت من الاستعمال و التداول " ² وعلى هذا التأثير يكون مدار بعد الكلمة الحجاجي.

يرى ابن الأثير في القسم الأول الذي خصه باللفظة المفردة أنها صناعة يحتاج فيها صاحبها إلى ثلاثة أشياء: (الاختيار، والصياغة، والغرض). وقد تناولت الدراسات اللسانية الحديثة هذه القضايا و أولتها اهتمامها في التحليل اللغوي ³ .

الاحتياج الأول يتمثل في الاختيار و حكمه في ذلك كحكم الآليء المبددة ؛ إذ ينبغي أن تتخبر ، وتتنتقى قبل النظم . وأما الصياغة فحكمها المشاكلة ؛ إذ هي كحكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منها بأختها المشاكلة لها . وأما الغرض من الكلام فحكمه حكم الموضوع الذي يوضع فيه العقد المنظوم إذ تارة يجعل إكليلا على الرأس ، وتارة يجعل قلادة في العنق ، وتارة يجعل شنفا في الأذن ؛ لأن لكل موضع من ه ذه المواضع هيئة من الحسن تخصه ⁴ .

¹ عبد الله صولة : الحجاج في القرآن ، ص 67 .

² المرجع نفسه: ص68.

³ رابع بوحوش : اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، عنابة ، الجزائر، دط ، 2006 ، ص104.

⁴ ابن الأثير: المثل السائر، ج 1 ، ص 149 .

ولقد تأكد اعتماد الدراسات الحديثة على هذه المبادئ؛ إذ تشترط في المحور الاختياري حسن التخيير والانتقاء، وفي المحور التأليفي حسن الائتلاف، والتوزيع.

فحسن انتقاء الألفاظ يُعدُّ قانوناً حجاجياً عامًّا؛ يعني الاختيار الدقيق والواعي لدقائق الخطاب قبل قضاياها الكبرى لغاية حجاجية فيحل اللفظ المحدد مكاناً معيناً ليقود المتلقي إلى غاية ما، لذلك نجد الشعراء القدامى يحرصون في تشكيل قصائدهم على الانتقاء الجيد للألفاظ مما يبلغهم مقاصدهم وييسر فعل مقاصدهم في النفوس¹.

فمن خلال هذا التقديم حول مفهوم الوحدة المعجمية ومعرفة الفرق بينها وبين الكلمة وما للألفاظ من قيم حجاجية نحاول أن نتناول بعض انتقاعات بديع الزمان الهمداني في هذا الباب وما حققته من وظائف وأبعاد حجاجية في مقاماته:

1- يقول في المقامة القردية: "حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا بِمَدِينَةِ السَّلَامِ، قَافِلًا مِنَ الْبَلَدِ الْحَرَامِ، أَمِيسُ مَيْسَ الرَّجُلَةِ، عَلَى شَاطِئِ الدَّجَلَةِ، أَتَأْمَلُ تِلْكَ الطَّرَائِفَ، وَأَتَقْصِي تِلْكَ الزَّخَارِفَ"².

فلفظ التأمل هنا يشير إلى أن عيسى بن هشام وجد المدينة قد تغيرت بيوتها من خارجها واستحدثت مستحدثات جديدة تناولت واجهات البيوت ونقشها، فجاء استعمال لفظ التأمل الذي يعني إعمال الفكر والعقل والبصر للوصول إلى استجلاء معالم الجدة في بناء المدينة وأبنيتها دالاً على ذلك، ولم يكفه التعبير الحاصل في المظهر الخارجي في تأمله، بل تلك المبالغة في فن الزخرفة التي شغلت بصر عيسى بن هشام وقلبه وعقله، فذهب يستقصي في طلب الوقوف على دقائقها وأبعادها العميقة، فهو يتقصي الزخارف بنظره حتى لا يفوته منها فائت، فلفظ التأمل في هذا النص أدت وظيفة حجاجية مؤداها إظهار عنصر الإدهاش الحاصل لهذه الشخصية.

2- لفظ المسجد: يقول الهمداني في المقامة الرصافية:

" فَلَمَّا نَصَفْتُ الطَّرِيقَ اشْتَدَّ الْحَرُّ وَأَعْوَزَنِي الصَّبْرُ فَمِلْتُ إِلَى مَسْجِدٍ قَدْ أَخَذَ مِنْ كُلِّ حُسْنٍ سِرَّهُ وَفِيهِ قَوْمٌ يَتَأَمَّلُونَ سُقُوفَهُ وَيَتَذَاكَرُونَ وَقُوفَهُ..."³

¹ سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 102.

² المقامة القردية: ص 113

³ المقامة الرصافية: ص 171

فكلمة مسجد في هذا النص لها دلالة حضور روحي أساسي في كل المجتمعات الإسلامية، وفي هذا المجتمع الذي يتجه إليه النص بصفة أخص، فهي كلمة تملك قدسية بكونها مكان للعبادة، ورمز للطهر والنقاء. ومع ما لهذه اللفظة من دلالة دينية فقد أوردها الهمداني في سياق يستدعي خروجاً عن الوظيفة الطبيعية التي أسس لها فصار هؤلاء أمام المسجد الموضع وليس أمام المسجد الرمز من خلال سمرهم وحديثهم فيه عن اللصوص وحيلهم والمجرمين ومكرهم وعدائهم، فإذا به مسجد في غير زيه كـ "ليلة القمراء يقال فيها ليلة في غير زيه وأنشد يقول:

وَطَيْفٌ سَرَى وَاللَّيْلُ فِي غَيْرِ زِيهِ وَوِافَاهُ بَدْرٌ التَّمَّ فَابْيَضَ مَفْرَقَهُ¹

فالنص باستعماله لهذه اللفظة يجسد حقيقة العالم الدنيوي بكل تناقضاته باستهتار القوم وبعدهم عن القيم والمثل الدينية حتى أوتيَ فيها بقصة لأبي الفتح الإسكندري فيها ألفاظ تنافر آداب هذه الأيام أشار الهمداني إلى حذفها²

3- يقول الهمداني في المقامة الصيمرية: "حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي الْعَبَّاسِ الصَّيْمَرِيِّ: إِنَّ مِمَّا نَزَلَ بِي مِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ اصْطَفَيْتُهُمْ وَانْتَخَبْتُهُمْ وَأَدَّخَرْتُهُمْ لِلشَّدَائِدِ مَا فِيهِ عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ وَأَدَبٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ وَاتَّعَظَ وَتَأَدَّبَ"³.

يخبرنا الصيمري عن ما لاقاه من الأصحاب و الإخوان الذين كان يظن بهم خيراً بأنهم المعين له قي الشدائد والملمات وكيف لم تصح ظنونه فيهم بتغيرهم وانقلابهم عليه فذكر هذا ونبه عليه ليؤخذ الحذر من أبناء الزمن ويترك الثقة بهم.

وقد أدت لفظة (اصطفيتهم) بدلالاتها على الانتقاء من بين الكثير من الإخوان بعدا حجاجيا مؤداه قيمة ومكانة هذه الصحبة عنده من خلال قانون الاختيار ليؤكد للسامع إحساسه العميق بتأثره لعظمة و هول انقلاب الأوبة عليه. ومما زاد اللفظة حجاجية أن أكدها بلفظة تليها تحمل نفس الدلالة و الوظيفة (انتخبتهم) حيث يكون في الانتخاب ترشيح الأنسب والأفضل لتحمل المهام والصعاب وذلك في مقاربتها لسمة المصطفين الأخيار من الإخوان.

4/ جاء في المقامة المارستانية :

¹ المقامة الرصافية : ص 189

² المقامة الرصافية : ص 189

³ المقامة الصيمرية : ص 236.

"... كُنْتُ مِنْ قَبْلُ مُطَّلِعًا عَلَى أُمُورِنَا، وَلَمْ تَعُدْ الْآنَ مَا فِي صُدُورِنَا، فَفَسَّرْنَا لَنَا أَمْرَكَ، وَاكْشَفْنَا لَنَا سِرَّكَ فَقَالَ:

أَنَا يَنْبُوعُ الْعَجَائِبِ فِي احْتِيَالِي دُو مَرَاتِبِ
أَنَا فِي الْحَقِّ سَنَامٌ أَنَا فِي الْبَاطِلِ غَارِبٌ
أَنَا إِسْكَندَرُ دَارِي فِي بِلَادِ اللَّهِ سَارِبٌ
أَعْتَدِي فِي الدَّيْرِ قِسِّيًّا، وَفِي الْمَسْجِدِ رَاهِبًا.¹

ذكر ابن منظور في لسان العرب " سنام البعير والناقة: أعلى ظهرها، والجمع أسنمة

وفي الحديث: نساء على رؤوسهن كأسنمة البخت، هن اللواتي يتعممن بالمقانع على رؤوسهن يكبرن بها وهو من شعار المغنيات²

استعمل الهمذاني لفظ السنام الذي هو أعلى البعير كمثل للدلالة على العلو والرفعة، وهو حجة على أن الحق يعلو ولا يعلى عليه، وعلى أن هذا الجنون المشار إليه في المقامة إذا أراد تقرير الحق عدّ في أعلى مقام منه و الناس دونه، وإذا عزم على تمويه الباطل عدّ في البارعين من المبطلين. فهو يملك حجية التقرير وحجية التمويه في أن واحد لأن البيان مطاوعه واللسان مشايعه.

5- لفظة (مرق): جاء في المقامة المارستانية: " يَا أَعْدَاءَ الْكِتَابِ وَالْحَدِيثِ، بِمَاذَا تَطَيَّرُونَ أَبَالَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ تَسْتَهْزِئُونَ. إِنَّمَا مَرَقْتُ مَارِقَةً فَكَأَنِّي خَبْتُ الْحَدِيثَ، ثُمَّ مَرَقْتُمْ مِنْهَا فَأَنْتُمْ خَبْتُمُ الْخَبِيثَ، يَا مَخَابِيثَ الْخَوَارِجِ "³

لقد عبر الجنون المشار إليه في هذه المقامة عن الجماعة التي خرجت عن نظام السنة في أيام الحسن بالمارقة. وكان داود العسكري الموجه إليه الكلام من متأخريهم فهو مارق من مارقين فهو وأمثاله خبت الخبيث. وبالرجوع إلى معاجم اللغة العربية للفظ (مَرَقَ) نجدها تعبر عن الدلالات الآتية: " ومرق السهم من الرمية بمرق مرقا و مروقا: خرج من الجانب الآخر. وفي الحديث: بمرقون من الدين كما بمرق ال سهم من الرمية

¹ المقامة المارستانية: ص146

² ابن منظور: لسان العرب: ج3، ص 2119

³ المقامة المارستانية: ص144.

أي يجوزونه و يخرقونه و يتعدونه كما يخرق السهم المرمي به ويخرج منه ... والمروق : سرعة الخروج من الشيء¹

وقد كان اختيار لفظ (مارق) موفقا ومعبرا عن حال وكيفية خروج جماعة الخوارج من كنف أهل السنة وقد كانوا منهم، وهو خروج من الجانب الآخر في سرعة يخرقون بها الدين ويتعدونه كما يبرق السهم من الرمية وهي حجة قوية قد استعملها المجنون لتأكيد صحة دعواه من شأنها أن تزيد في إقناع السامع .

6- لفظة (عضين) : جاء في المقامة الوعظية : " ، كَذَبْتُ ظُنُونُ الْمَلْحِدِينَ، الَّذِينَ جَحَدُوا الدِّينَ، وَجَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ " ². فقد عبر واعظ القوم عن حال الملحدين الذين كثرت ظنونهم وشكوكهم في قدرة الخالق وأنكروا ما جاء من تعاليم الدين من عقائد وعبادات ومعاملات لتنظيم حياة الناس ، ولم يقفوا عند هذا الحد فقط بل زاد إنكارهم وتبجحهم أنهم كانوا يفرقون في القرآن أقاويلهم فيقولون: سحر وشعر وكهانة وأساطير الأولين.

وقد بلغ الواعظ بهذه اللفظة من خلال استعمالها بنفس الأسلوب الذي تناوله القرآن في سياق الرد على الملحدين و المشركين قيمة حجائية لها وقع عظيم في التأثير و الإقناع.

7- لفظة (أعتام): جاء في المقامة الأزاذية : " حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ بِيَعْدَاذَ وَقْتِ الْأَزَادِ فَخَرَجْتُ أَعْتَامُ مِنْ أَنْوَاعِهِ لِإِتْيَاعِهِ " ³, فأعتام بمعنى أختار، من العيمة ، وعية كل شيء: خياره واعتام الرجل، أخذ العيمة . قال قيس بن الخطيم :

وإني لأعتام الرجال بخلي أولي الرأي في الأحداث حين تحين⁴

فقد خرج عيسى بن هشام من المدينة إلى سوق بغداد (ويبدو أن أسواق بغداد كانت خارجها) ليختار نوعا من أنواع الأزاد لينال منه ، وفي اختياره هذا انتقاء وتميز ، و ردَّ على الأسئلة التي قد تتبادر إلى ذهن السامع كأيتها سيختار من أنواع التمر، وهنا يتجلى البعد الحجاجي لهذه القضية المطروحة.

¹ ابن منظور : لسان العرب ، ج 6 ، ص 4185.

² المقامة الوعظية : ص 152.

³ المقامة الأزاذية: ص 12.

⁴ قيس بن الخطيم : الديوان ، تحقيق ناصر الدين الأسد، ط 1، دت ، ص 108.

8- لفظنا (نجيبة و جنيبة): جاء في المقامة الغيلانية: "فَقَالَ عِصْمَةُ: سَأُحَدِّثُكُمْ بِمَا شَاهَدْتُهُ عَيْنِي وَلَا

أُحَدِّثُكُمْ عَنْ غَيْرِي، بَيْنَمَا أَنَا أُسِيرُ فِي بِلَادِ تَمِيمٍ مُرْتَحِلًا نَجِيبَةً، وَقَائِدًا جَنْبِيَّةً"¹

والنجيبة: الكريمة من الإبل المختارة. وقد تكرر في الحديث ذكر النجيب من الإبل مفردا ومجموعا وهو القوي منها، الخفيف السريع، وناقة نجيب ونجيبة². قال امرؤ القيس:

وَتُؤَفِّقُ جَرْدَاءَ مُهْلِكَةٍ جَاوَزَتْهَا بَنَجَائِبٍ فَتَلِّ³

والجنيبة: العليقة، وهي الناقة يعطيها الرجل القوم يمتارون عليها له، وهي ما تستصحبه من المراكب لتراوح بينها، وبين ما تتركب، إذا تعبت إحدهما الأخرى، والمذكر منه جنيب⁴.

لقد ذكر عيسى بن هشام على لسان عصمة بن بدر الفزاري أنه اختار من الإبل أفضلها وأكرمها وهي حجة على مطاوعة الناقة له في السير، ولكنه لم يتوقف عند هذا الحد، بل أعقبها بحجة أقوى منها متمثلة فيما يستصحب من المراكب للمراوحة، وكل هذا للرد على قول السائل حسب نظرية ماير ألا يجانب الناقة الكريمة القوية التعب والإرهاق؟.

ومما زاد في حجاجية دلالة اللفظتين تقديمهما في صياغة جميلة أحدثت إيقاعا متميزا وذلك بالموازنة بينهما فأدى فعل التحنيس القائم بين (النجبية و الجنبية) إلى توطيد اللحمة بينهما قصد الإثارة وتحريك انفعالات المتلقي .

لقد وفق الهمداني في اختيار ألفاظه فهو يأتي بها قوية رصينة جزلة، إلا أنه يسوقها بسهولة وسلاسة معبرا بها عن كل المعاني التي يعرضها في أسلوب مترابط، لا تحس فيه بانقطاع، أو سقوط، مما أسهم في جلب العقول لهذه المقامات وكانت إحدى الأسلحة التي تسلح بها ليمليها⁵.

2.2 المستوى الإيقاعي :

لقد اهتم القدماء بموسيقى الشعر مشيرين إلى وجود تناسب بين الأوزان و الأنواع الشعرية كما فعل أرسطو حين ذهب إلى أن الوزن البطولي هو أنسب الأوزان للملاحم لأنه أرزن الأوزان و أوسعها ."

¹ المقامة الغيلانية: ص46.

² ابن منظور: لسان العرب، مادة نجب، ج6، ص4342.

³ امرؤ القيس: الديوان، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، ط4، 1984، ص237.

⁴ ابن منظور: لسان العرب، مادة نجب، ج1، ص693.

⁵ عبد الهادي عبد الله عطية: أدب الرواية في مقامات الهمداني، دارالمعرفة الجامعية، مصر، دط، 1994، ص485.

يتلائم مع الكلمات الغريبات و المجازات كل التلاؤم إذ في هذه المسألة تفوق المحاكاة القصصية غيرها " ¹ ،
وكما فعل حازم القرطاجني الذي أكد تنوع الأغراض الشعرية ووجوب محاكاة تلك الأغراض بما يناسبها
من الأوزان ؛ فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة و إن قصد في موضع
آخر قصدا هزليا أو استخفافيا و قصد تحقير شيء أو العبث به حاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة
القليلة البهاء، ف" للأعاريض اعتبار من جهة ما تليق من الأغراض و اعتبار من جهة ما تليق به من أنماط
النظم: فمنها أعاريض فخمة رصينة تصلح لمقاصد الجد كالفخر ونحوه ؛ نحو عروض الطويل و البسيط (...
لأن المقصود بحسب هذا الغرض أن تحاكي الحال الشاجية بما يناسبها من لفظ و نغمة تأليف و وزن،
فكانت الأعاريض التي بهذه الصفة غير منافية لهذا الغرض، وذلك نحو المديد و الرمل " ² .

ومن خلال هذه الإشارة يتبين لنا أهمية الموسيقى كعنصر رافد لعملية الحجاج و إن كان هذا القانون
ينطبق على الشعر اليوناني لأنه ذو بنية مسرحية مقترنا بالنشيد و الرقص ولكن ذلك لا يمنع أن تكون
الموسيقى في الشعر العربي ذات بعد حجاجي مساعد في إنجاز عملية الإقناع ³ . وفي التعمق في خفايا النص
و كشف وظائفه الدلالية كما فعل العرب القدماء موسعين دائرة اهتمامهم متجاوزين النص الشعري إلى
كثير من فنون النثر إذ " تفننوا في طرق ترديد الأصوات في الكلام ، حتى يكون لها نغم و موسيقى ، وحتى
يسترعي الأذان بالفاظه (...) مما يدل مهارتهم في نسج الكلمات و ترتيبها و تنسيقها ، والهدف من هذا
هو العناية بحسن الجرس بحيث يصبح البيت الشعري أو الجملة من الكلام أشبه بفاصلة موسيقية ، متعددة
النغم ، مختلفة الألوان يستمتع بها من له دراية بهذا الفن ، ويرى فيها دليل المهارة و القدرة الفنية " ⁴ .
الإيقاع " مصطلح إنجليزي اشتق أصلا من اليونانية بمعنى الجريان و التدفق " ⁵ ثم تطور فأصبح " كل ما
يحدثه الوزن ، و اللحن من انسجام " ⁶ و من خلال هذا يتضح لنا أن هناك الكثير من الباحثين من يربط
الإيقاع بالشعر، في حين نجد من يخرج من هذا المفهوم الضيق إلى أوسع من ذلك فيعرفه بأنه " الرجوع

¹ أرسطو طاليس : فن الشعر ، تحقيق عبد الرحمان بدوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 68 .

² حازم القرطاجني : منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 2 ، 1981 ، ص 205 ..

³ سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القلم : ص 128 .

⁴ فاروق شوشة : لغتنا الجميلة ، مكتبة مدبولي، مصر ، دت ، ص 165 .

⁵ مجدي وهبه : معجم مصطلحات الأدب ، مكتبة لبنان ، لبنان ، ط 1 ، 1974 ، مادة rhythm

⁶ أحمد مطلوب : معجم مصطلحات النقد العربي القلم ، مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان ، ط 1 ، 2001 ، ص 119 .

المطرّد في السلسلة المنطوقة للانطباعات السمعية المتماثلة لتي تخلفها عناصر مختلفة " ¹ ؛ أي هو عبارة عن تردد ظاهرة صوتية معينة على مسافات محددة لا يشترط فيها طبيعة الخطاب ونوعه. فالإيقاع هنا ليس الوزن بل هو أشمل ، فكل موزون ذو إيقاع ، والعكس غير صحيح ، فالقرآن الكريم له إيقاعه الخاص و لكنه غير ذي وزن ، وكذلك الأحاديث النبوية ، والخطب ، وكثير من فنون النشر. ما نلاحظه أن خطاب المقامة الهمدانية يسعى إلى مزج الصوتية الإيقاعية بالدلالة وأبعادها الحجاجية لأنه حدث أدبي مزدوج في غايته فهو حدث تكون الحواس فيه محط رحال النشوة الغنية بقطعة موسيقية غنائية و منافذ الإدراك في الوقت نفسه. وقد تنوعت هذه الصوتية الإيقاعية في الصور التالية:

1.2.2 السجع :

حظي السجع كأسلوب إيقاعي بالإقبال والحضور الكبيرين في هذا الفن خاصة و في كتابات القرن الرابع الهجري عامة، حيث كان ثمرة لتراكم تاريخي من الاستعمال المتعدد الأغراض للسجع، ونتيجة للظرف الاجتماعي و السياسي والثقافي الذي ساد في هذه الفترة انقلب الحال لدى بعض النثرين بحيث صار الشكل يوازي المضمون في حضوره وإن كان هذا الأخير دائما هو صاحب السيادة والغلبة . ونظرا لقيمة السجع وأهميته فقد " تتبع المسعدي العناصر المكونة لبنية السجع مفككا هذه العناصر إلى وحداتها الأولية راصدا ما يحدث بينها من تفاعل أو انفصال وما ينتابها من تحولات المفارقة والمماثلة بوصفها ظواهر تعرض للكلام فتؤكد قابليتها للفهم والتذوق على النحو الذي طرحه البلاغيون العرب القدامى، أو عدم هذه القابلية ذلك أنه قد شاع بين الدراسين أن السجع مجرد اتفاق التراكيب في الحرف الأخير وهو شيوع مصدره الأخذ المتعجل لبني البديع عموما ، وبنية السجع خصوصا إذ أن إغفال ظاهرة الوزن تكاد تبعد السجع عن إطاره المفهومي"²

وقد استخلص المسعدي عند تحليله لمكونات السجع عند الهمداني مستخلصات أفرزها الإجراء التطبيقي كما يلي :

¹ المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات : عن المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، مطبعة النجاح الجديدة ، المغرب ، ط2 ، 2002 ، ص 130 .

² محمد عبد المطلب : مقال نظرية الإيقاع عند المسعدي في ضوء الأسلوبية المعاصرة، الموقع الإلكتروني:

- 1 / عدم طول الفقرات تجاوبا مع القدرة على التنفس.
- 2 / أن الضابط في القانون الفيزيولوجي الصارم للتنفس هو السجع.
- 3 / ميل الهمذاني في سجعه إلى الازدواج الذي يكون الجزء الأول فيه أطول من الثاني.
- وبالرجوع إلى دراسة البلاغيين العرب إلى هذا النوع من المحسنات حيث يرون أن أفضل السجع وأحسنه ما تساوت فيه القرينتان ثم يليه ما طالت فيه القرينة الثانية : ويفسرون ذلك تفسيراً تداولياً لأن قصر القرينة الثانية عن الأولى يقبح و" السجع قد استوفى أمده في الأولى ،فاعتبر ذلك الأمد هو المطلوب في الأخرى ، فإذا جاءت قصيرة صار السجع كمن يريد الانتهاء إلى غاية تم يعثر دونها ، لأنه فوجيء بغير ما ترقب ...فمقولتهم عن طول الفقرة الثانية من السجع تتوافق مع تفكيرهم البلاغي على وجه العموم ،الذي يعتمد حضور علاقة جدلية بين المبدع الناطق والمتكلم الصامت بينما تقوم هذه العلاقة - عند المسعدي- بين المبدع الناطق والمتلقي الناطق أيضاً"¹.
- تجسد مقامات الهمذاني مظهراً كتابياً مارست فيه بعض الظواهر الإيقاعية حضورها ممتدة على طول النص المقامي بأكمله على نمط متواز تتكرر عبره مقاطع صوتية حتى عُدت مظهراً من مظاهر التكلف الذي ينقص من شاعرية النص المقامي الذي تتحول معه الكثافة إلى مبدأ تكراري كما يرى محمد العمري : " الكثافة يمكن أن تتضاعف في المكان وتمتد في الزمن إلى أقصى حد من التعقيد والامتداد .. قد يتبادر إلى الذهن أن الشاعرية تنمو طرداً مع تزايد الكثافة وليس الأمر كذلك .. الشاعرية نتاج تفاعل بين المؤلف المنتجة والمخالفة المعارضة لها"².
- لكن النظر إلى المستوى الإيقاعي يوجهنا إلى وجود ملمح متميز في الجملة داخل المتن المقامي والتي تمارس وعيها الإيقاعي بنفس الدرجة التي تخضع فيه لسياقها الدلالي، والذي من شأنه أن يجعل من الكلمة بؤرة لالتقاء عدة مكونات صوتية تكسبها كثافة في الأداء"³.

¹ محمد عبد المطلب : مقال نظرية الإيقاع عند المسعدي في ضوء الأسلوبية المعاصرة، الموقع الإلكتروني:

(بتاريخ 16-07-2016 التوقيت: 16:25) www.aljasra.org/archive/cms

² محمد العمري: تحليل الخطاب الشعري(البنية الصوتية : الكثافة، الفضاء، التفاعل)، الدار العالية للكتاب، المغرب، ط1-1990، ص123.

³ محمد عبد الجليل: شعرية النص النثري (مقارنة نقدية تحليلية لمقامات الحريري)، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002، ص116.

ونمثل لذلك بنموذج من المقامة السجستانية: " سَلُوا عَنِّي الْبِلَادَ وَحُصُونَهَا، وَالْجِبَالَ وَحَزُونَهَا، وَالْأَوْدِيَةَ وَبُطُونَهَا، وَالْبِحَارَ وَعُيُونَهَا، وَالْحَيْلَ وَمُتُونَهَا، مَنِ الَّذِي مَلَكَ أَسْوَارَهَا، وَعَرَفَ أَسْرَارَهَا، وَنَهَجَ سَمْتَهَا، وَوَلَجَ حَرَّتَهَا سَلُوا الْمُلُوكَ وَخَزَائِنَهَا، وَالْأَغْلَاقَ وَمَعَادِنَهَا، وَالْأُمُورَ وَبَوَاطِنَهَا"¹.

ما نلاحظه في هذا المقطع أن الهمداني جعل الفصل الأول أطول من الثاني بخلاف ما كان يراه القدامى كابن الأثير أن صفة الاعتدال تستجوب أن يكون الفصل الثاني من السجعة أطول من الفصل الأول، وهو ما يعد في نظره عيباً من عيوب السجع.

ومن خلال هذا النموذج يتضح أن هناك تعالقا دلاليا بين جمل مركزية وأخرى ثانوية يوازي تعالق إيقاعي، فمن الجملة الأولى (سلوا عني البلاد وحصونها) إلى (والبحار وعبوبه) يتضح أن العطف يربط بين الجمل المركزية والثانوية بشكل بدت معه هذه الأخيرة معتدلة الطول، فصارت الجملة الثانية صدى دلاليا وصوتيا للأولى، وبذلك تحققت الفاعلية الإيقاعية من خلال هذا التوازي الصوتي، امتدت آثاره إلى مسمع المتلقي بالإيجاب.

ولنتأمل ما جاء في بعض مقاماته:

" دَخَلَ عَلَيَّ شَابٌّ فِي زِيٍّ مِلِّ الْعَيْنِ، وَلَحِيَةٍ تَشُوكُ الْأَخْدَعَيْنِ"².

" وَاسْتَحَرْتُ اللَّهَ فِي الْعَزْمِ جَعَلْتُهُ أَمَامِي، وَالْحَزْمِ جَعَلْتُهُ إِمَامِي"³.

" وَأَحْذَنَا الطَّرِيقَ نَنْتَهَبُ مَسَافَتَهُ، وَنَسْتَأْصِلُ شَافَتَهُ، وَلَمْ نَزَلْ نَفْرِي أَسْنِمَةَ النَّجَادِ بِنَلِكِ الْجِيَادِ"⁴

" فَهَلْ مِنْ كَرِيمٍ يَجْلُو غِيَابَ هَذِهِ الْبُؤُوسِ، وَيَفُلُّ شَبَا هَذِهِ النُّحُوسِ؟ ثُمَّ قَعَدَ مُرْتَفِقًا وَقَالَ لِلطُّفْلِ: أَنْتَ وَشَأْنُكَ، فَقَالَ: مَا عَسَى أَنْ أَقُولَ وَهَذَا الْكَلَامُ لَوْ لَقِيَ الشَّعْرَ لَحَلَقَهُ، أَوْ الصَّخْرَ لَفَلَقَهُ، وَإِنْ قَلْبًا لَمْ يُنْضِجْهُ مَا قُلْتَ لَنِي، وَقَدْ سَمِعْتُمْ يَا قَوْمُ، مَا لَمْ تَسْمَعُوا قَبْلَ الْيَوْمِ، فليشغل كل منكم بالجود يده، وليذكر غده"⁵

[القرينة الثانية]

[القرينة الأولى]

يذكر نموذج

¹ المقامة السجستانية: ص 24.

² المقامة البلخية: ص 18

³ المقامة السجستانية. ص 22

⁴ المقامة الأسدية: ص 36.

⁵ المقامة البخارية: ص 99.98

وفي المقامة الأصفهانية: "حدثنا عيسى بن هشام قال: كُنْتُ بِأَصْفَهَانَ، أَعْتَرِزُ الْمَسِيرَ إِلَى الرَّيِّ، فَحَلَلْتُهَا حُلُولَ الْفَيِّ، أَتَوَقَّعُ الْقَافِلَةَ كُلَّ لَمَحَةٍ، وَأَتَرَقَّبُ الرَّاحِلَةَ كُلَّ صَبْحَةٍ"¹.

وبنشر مسجوع فيه من الوشي والزخرف الكثير يصور الهمداني بطله عيسى بن هشام وكأنه فيء لأنه ينتقل من حركة الشمس في إيقاع جميل بين لمحة وصيحة يبعث الطرب ويؤكد حالة الترقب والانتظار .

لقد لاحظ المسعدي شيوع بعض الظواهر الإضافية في سجع الهمداني وأهمها أن ألفاظ القافية تتجاوب بالجرس نفسه ، سواء أ كان الجرس جرس الحرف أو الحرفين أو الثلاثة أو حركة المد نفسها "حيث يرى أن قافية السجع قد تكون أكثر إيقاعاً في الإيقاعية ، ... لأن المتلقى لا يركز انتباهه على جرس حرف القافية وحده ، بل يركز على - نحو أشد - على تكرار نسق إيقاعي أوسع ، هو دون القافية كلياً"²

2.2.2 الموازنة :

وقد ذكرها ابن الأثير: "وهي أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن"³ نحو قوله تعالى :

﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الصافات، الآية: 117-118]

وللموازنة بعد حجاجي يتمثل في الاعتدال ، الذي هو مطلوب في كل الأشياء " وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت في النفس موقع الاستحسان ، وهذا لا مرأى فيه لوضوحه"⁴

فبين السجع والموازنة علاقة عموم وخصوص ، فكل سجع موازنة ، وليس كل موازنة سجعا . وقد تكون الموازنة في الاتفاق الكامل الذي يشمل الفقرة كقول الهمداني "خالق المصباح ومدبره ، وخالق الإصباح

ومنيره " ومثل قوله " مات ولم تظهر أسرار دفائنه ، ولم تفتق أغلاق خزائنه "

وقوله : " فَسِرْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ إِلَى رَجُلٍ قَدْ أَخَذَ أَصْنَافَ الْفَوَاكِهِ وَصَنَّفَهَا وَجَمَعَ أَنْوَاعَ الرُّطْبِ وَصَفَّفَهَا"⁵

وقوله:

¹ المقامة الأصفهانية : ص 62

² محمد عبد المطلب: نظرية الإيقاع عند المسعدي في ضوء الأسلوبية المعاصرة، الموقع

الإلكتروني: www.aljasra.org/archive/cms بتاريخ 16-07-2016 التوقيت: 16:25

³ ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المكتبة العصرية، لبنان، دط، 1999 ، ح1، ص 272.

⁴ المرجع نفسه: ح1 ص 272.

⁵ المقامة الأزادية : ص 12

- " كُنْتُ وَأَنَا فَبِي السِّنِّ أَشَدُّ رَحْلِي لِكُلِّ عَمَائِيَّةٍ، وَأَرْكُضُ طِرْفِي إِلَى كُلِّ غَوَائِيَّةٍ، حَتَّى شَرِبْتُ مِنَ الْعُمْرِ سَائِعَهُ، وَلَبِسْتُ مِنَ الدَّهْرِ سَابِعَهُ" ¹
- "فَوَطَّأَ لِي مَضْجَعًا، وَمَهَّدَ لِي مَهْجَعًا" ²
- " وَالْأُخُوَّةَ كَيْفَ نُحْكِمُ مَعَاقِدَهَا، وَالسُّرُورِ فِي أَيِّ وَقْتٍ نَتَقَاضَاهُ، وَالشُّرْبِ فِي أَيِّ وَقْتٍ نَتَعَاطَاهُ ، و
الانْسِ كَيْفَ نَتَهَادَاهُ، وَفَائِتِ الْحَظِّ كَيْفَ نَتَلَفَاهُ" ³
- "لَنَا فِي هَذَا السَّوَادِ نَخْلَةٌ، وَفِي هَذَا الْقَطِيعِ سَخْلَةٌ" ⁴

ومن هنا كانت الموازنة في مقامات الهمداني " ذات أثر بالغ الأهمية في بناء الإيقاع السجعي الذي يقتضي أن تتحدد جميع الكلمات المشتركة في بناء السجعة في عدد المقاطع ، ومدى الحركة وأجراس هذه الحركة ، ومواقع نبرها " ⁵ ، وهي تأتي كعنصر مركزي في السجع من شأنه جذب اهتمام الملتقى والتأثير فيه من خلال هذه البنية الإيقاعية المتميزة.

3.2.2 الجناس :

هو ظاهرة صوتية ذات تأثير فعال، وحده : " أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتهما في تأليف حروفها " ⁶، فللجناس إذن دلالة زيادة على أنه ظاهرة صوتية تزيد في إغناء موسيقى النص. ويقوم على تشابه حروف كلمتين مع اختلاف معناهما وقد يكون تشابها تاما أو غير تام وقد كان الهمداني واعيا بهذه الإمكانية اللغوية حيث وظفه كثيرا في مقاماته لغرض تكثيف الظاهرة الإيقاعية . وقد كان حظ لجناس الغير تام وافرا في المقامات بخلاف النوع الأول ومن أمثله :

" حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: لَمَّا قَفَلْتُ مِنَ الْحَجِّ فِيمَنْ قَفَلَ، وَنَزَلْتُ مَعَ مَنْ نَزَلَ، قُلْتُ لِإِعْلَامِي: أَجِدُ شَعْرِي طَوِيلًا، وَقَدْ أَتَسَخَّ بَدَنِي قَلِيلًا، فَاخْتَرْتُ لَنَا حَمَامًا نَدْخُلُهُ، وَحَجَامًا نَسْتَعْمِلُهُ، وَلَيْكُنْ الْحَمَامُ وَاسِعًا

¹ المقامة الكوفية : ص 29

² المقامة الجرجانية : ص 59

³ المقامة الأهوازية : ص 67

⁴ المقامة الموصلية : ص 116

⁵ محمد عبد المطلب : مقال نظرية الايقاع عند المسعدي في ضوء الأسلوبية المعاصرة، الموقع الإلكتروني:

(بتاريخ 16-07-2016 التوقيت: 16:25) www.aljasra.org/archive/cms

⁶ أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 1986، ص321.

الرُّقْعَةُ، طَيْفَ البُقْعَةِ، طَيْبَ الهَوَاءِ، مُعْتَدِلَ المَاءِ (...) فَقُمْتَ مِنْ ذَلِكَ المَكَانِ خَجَلًا، وَكَبِسْتُ الثِّيَابَ وَجَلًا"¹

ف نجد الجناس في (قفل - نزل)، (طويلا - قليلا)، (حماما - حماما)، (الرقعة - البقعة)، (الهواء - الماء) (خجلا - وجلا)

ومنه قوله في المقام الفزارية: "فَلَا اللَّيْلُ يَنْبِنِي بَوَعِيدِهِ، وَلَا البُعْدُ يَلْوِينِي بِيَدِهِ"² وكذلك قوله في المقامة ذاتها: "وَأَخْوَضُ بَطْنَ اللَّيْلِ، بِحَوَافِرِ الخَيْلِ، فَبَيَّنَّا أَنَا فِي لَيْلَةٍ يَضِلُّ فِيهَا العَطَاطُ، وَلَا يُبْصِرُ فِيهَا الوَطَاطُ"³.

ف نجد الجناس في (وعيد - بيد)، (الليل - الخيل)، (العطاط - الوطاط).

وقوله في المقامة القرديّة: " حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: بَيَّنَّا أَنَا بِمَدِينَةِ السَّلَامِ، قَافِلًا مِنَ البَلَدِ الحَرَامِ"⁴. فنلاحظ الجناس الناقص بين لفظي سلام وحرام، لاتفاقهما في أكثر أصوات الكلمة أو حروفها، مما يحقق انسجاما صوتيا، ويؤمىء إلى انسجام في المعاني مما يعيد إلى فكرة التوازن المعنوي أبعاده النفسية والروحية للفظين (سلام و حرام) في المعتقد الديني.

4.2.2 البنية الصوتية:

قد وافق الناقد القديم النحاة واللغويين على أن بناء الكلمة الصوتي في الشعر هو بناؤها في النثر، فظل يقيس الشعر على النثر ويقيس تشكلاته الصوتية والإيقاعية على بناءه ليثبت فاعلية التشكيل الصوتي. "ويجعل دراسة التركيب الصوتي، من جديد، عنصرا هاما في توضيح جماليات الشعر وتكوين المعنى"⁵.

والبناء الصوتي " ينهض بأعباء المعنى والإيقاع، وينفذ إلى ما وراء المستويات الواعية للتفكير والشعور، ويعبر من خلال التنوع الجرم الذي يتمتع به، عن نقط التقاء علاقات متبادلة بين عناصر التعبير.. إن التشكيل الصوتي حركة الإيقاع والمعنى. وتفاعلات الإيقاع والمعاني تتداخل مع تفاعلات هذا التشكيل"⁶.

¹ المقامة الحلوانية: ص 197.

² المقامة الفزارية: ص 81

³ المقامة الفزارية: ص 81

⁴ المقامة القرديّة: ص 113

⁵ تامر سلوم. نظرية اللغة و الجمال في النقد العربي، دار الحوار، سوريا، ط1، 1983، ص 39

⁶ المرجع نفسه: ص 62

مما جاء في المقامة البغدادية قوله: "... وَمَدَدْتُ يَدَ الْبِدَارِ، إِلَى الصِّدَارِ، أُرِيدُ تَمْزِيْقَهُ، فَكَبَضَ السَّوَادِيُّ عَلَى حَصْرِي بِجَمْعِهِ، وَقَالَ: نَشَدْتُكَ اللَّهُ لَا مَرْقَتَهُ، فَقُلْتُ: هَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ نُصِبْ غَدَاءً، أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتِرِ شِوَاءً، وَالسُّوقُ أَقْرَبُ، وَطَعَامُهُ أَطْيَبُ، فَاسْتَفَزَّتْهُ حُمَةُ الْقَرَمِ، وَعَطَفَتْهُ عَاطِفَةُ اللَّقْمِ، وَطَمَعَ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ، ثُمَّ أَتَيْنَا شِوَاءً يَتَقَاطَرُ شِوَاؤُهُ عَرَقًا، وَتَنَسَّيْلُ جُودَابَاتِهِ مَرَقًا، فَقُلْتُ: افْرِزْ لِأَبِي زَيْدٍ مِنْ هَذَا الشِّوَاءِ، ثُمَّ زِنْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الْحَلْوَاءِ. وَاخْتَرَهُ لَهُ مِنْ تِلْكَ الْأَطْبَاقِ، وَانْضِدَّ عَلَيْهَا أَوْرَاقَ الرُّقَاقِ، وَرُشَّ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ مَاءِ السَّمَاقِ، لِيَأْكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيئًا " ¹.

استخدم الهمداني في هذا الجزء من المقامة بعض أصوات القلقلة بطريقة فنية طريفة، وإيقاع متميز نحو (القاف) مشكلة بترديدها دالا متصلا متينا بدلالة التحول والحركة، وهو أيضا ما تشير إليه دلالات الألفاظ الحاملة لهذا الصوت (القرم، اللقم، طمع، وقع، يتقاطر، عرقا ...) ففي القرم وهو اشتداد الشهوة إلى اللحم خاصة، حركة و تحرك لعمل الأمعاء والمعدة، وفي اللقم والذي يعنى الأكل السريع، أي تصويره للتمكن من سرعة الأكل ليشفي ألم شهوته عطفه للسير معه، والعطف على الحركة حركة، و في الوقع سقوط وهو أيضا حركة.

وفي قوله (يتقاطر...عرقا) تتجلى بوضوح آلية الحركة في نزول ماء العرق وانصبابه في شكل قطرات، وقد زاد ترديد الطاء (يتقاطر، الأطباق) من حيث هو صوت مطبق، ومن الأصوات المستعلية المفحمة على شحن الإيقاع بمعاني الحدة والقوة وتفخيم الموقف. وهو ما يكشف حسن تخير الدوال المناسبة، لأحداث محددة، قصد إمتاع المتلقي، وإقناعه بجدوى الرسالة، وحرارة الانفعالات المتدفقة ².

ومما جاء في المقامة الأهوازية: "فَأَفْضَنَّا فِي الْعِشْرَةِ كَيْفَ نَضَعُ قَوَاعِدَهَا، وَالْأُخُوَّةَ كَيْفَ نُحْكِمُ مَعَاقِدَهَا، وَالسُّرُورِ فِي أَيِّ وَقْتٍ نَتَقَاضَاهُ، وَالشُّرْبِ فِي أَيِّ وَقْتٍ نَتَعَاطَاهُ، وَالْأَنْسِ كَيْفَ نَتَهَادَاهُ، وَفَائِتِ الْحِطِّ كَيْفَ نَتَلَفَاهُ، وَالشَّرَابِ مِنْ أَيْنَ نُحْصِلُهُ، وَالْمَجْلِسِ كَيْفَ نُزِينُهُ " ³.

فالكلمات (نتقاضاه، نتعاطاه، نتهاداه، نتلاقاه) خضعت بفعل طول مقاطعها (قا) (ضا) (عا) (طا) (ها) (دا) (لا) (قا) لانفعال قوي، أخذت جانبا من الحزن و الشوق لليالي و الأيام الخوالي وما فيها من سرور وسعادة، الذي يحاول عيسى بن هشام مع صاحبه أن يخفيها .

¹ المقامة البغدادية: ص ص: 72-73.

² رابع بوحوش : اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم للنشر و التوزيع، عنابة، الجزائر، دط ، 2006، ص 34.

³ المقامة الأهوازية: ص 67.

وقد أدى الفعل (أفضنا) بوحداته الإيقاعية، مع توالي وتتابع تلك المقاطع إلى تكون شعور هو مزيج من القلق والحسرة على الحظ الفائت من الماضي السعيد مصاغ في تشكّل صوتي لا يمكن أن يفسر إلا على أساس أنه أثر ونتيجة لذلك الإحساس بالحنين و الشوق الذي تنطوي عليه أعماقهما. وهكذا فقد ساهمت أصوات المد واللين في جماليات التشكيل الصوتي وفي توضيح ما يسمى التأليف اللحني وإدراك قيمه الموسيقية ونشاطه الإيقاعي الذي من شأنه يؤثر في السامع ويؤكد صحة الدعوة المقدمة.

5.2.2 الصيغ الصرفية:

الصيغة الصرفية لكلمة ما تعني " الهيئة التي ركبت فيها حروف الكلمة الأصلية و الزائدة ، و البناء الذي جمعت فيه ، أو القالب الذي صببت فيه هذه الحروف ، وهو الذي يعطي للكلمة صورتها و شكلها ، و يجعل لها جرسا معنا " ¹ ، و لا شك أن لكل صيغة دلالتها المنوطة بها ، فهي عنصر مهم في تحديد معنى الكلمة، إذ هي " التي تقيم الفروق بين كاتب و مكتوب و كتابة ... " ² أي تحدد معنى الفاعلية و المفعولية وغيرهما.. و هذا يدل على ارتقاء اللغة و دقة وسائلها و لطافة خصائصها. و من أمثلة هذه الصيغ و أبعادها الحجاجية في نص المدونة مايلي :

- " يَأْمُحْرِكُ الْعَظْمَ يَأْمُعْجَلُ الْمَضْمِ يَأْمُحُ الْأَسْنَانَ، يَأْمُحُ الْأَذَانَ، يَأْمُجَرُّ مِنْ قَلَسٍ، يَأْمُأَقْلُ مِنْ فَلَسٍ، يَأْمُأَفْضَحُ مِنْ عِبْرَةٍ، يَأْمُأَبْعَى مِنْ إِبْرَةٍ، يَأْمُأَهَبُّ الْخُفَّ، يَأْمُأَدْرَجَةُ الْأَكُفُّ " ³.
- "وَأَسْرَحْتُ الطَّرْفَ مِنْهُ إِلَى حُرْقَةٍ كَالْقَرْتَبِيِّ أَعْمَى مَكْفُوفٍ، فِي شَمْلَةٍ صُوفٍ " ⁴.
- " فَهَذَا نَحْنُ نَرْتَضِعُ مِنَ الدَّهْرِ تَذَنِي عَقِيمٍ، وَنَرَكِبُ مِنَ الْفَقْرِ ظَهْرَ بَهِيمٍ، فَلَا نَرْتَوِي إِلَّا بِعَيْنِ الْيَتِيمِ، وَلَا نَمُدُّ إِلَّا يَدَ الْعَدِيمِ، فَهَلْ مِنْ كَرِيمٍ يَجْلُو غِيَاهِبَ هَذِهِ الْبُؤُوسِ، وَيَفْلُ شَبَابَ هَذِهِ التُّحُوسِ؟ " ⁵.

نلاحظ في المثال أن الآخر قام شاتما أبا الفتح الإسكندري مستعملا قوالب صرفية صببت فيها حروف كلمات من قبيل اسم الفاعل (محرك، معجل) أو من قبيل أفعال التفضيل (أجر، أقل، أفضح، أبغى) .

¹ محمد المبارك: فقه اللغة و خصائص العربية، دار الفكر الحديث، لبنان، ط2/1964، ص112.

² المرجع نفسه: ص116.

³ المقامة الدينارية: ص ص: 250-251.

⁴ المقامة المكفوفية: ص93.

⁵ المقامة البخارية: ص98.

فقد دلت لفظة محرك على أن الحمى الشديدة المصحوبة بوجدان البرد و القشعريرة قد أحدثت اضطرابا في البدن حتى اهتزت لها العظام و تحركت من شدة وقعها، وقد بالإضافة إلى هذه الوظيفة الدلالية بعدا حجاجيا متمثلا في تصوير سرعة توسع وانتشار إذا يتهلل خلق كانتشار وتوسع الحمى في الجسم . وقد أدى فعل التفضيل (أجر) في التركيب السابق (أجر من قلس) إلى وصف خصم الشاتم وتشبيهه بسهولة جذب هذا النوع من الحبال المصنوع من ليف أو خص أو نحوها من قلوس سفن البحر، وهو مبالغة في الوصف بالمهوان كما لا يخفى لأن مدار البعد الحجاجي في هذه القضية المطروحة اللجوء إلى استعمال أكبر قدر ممكن من الصيغ المبالغة للحط من شأن وقدر الخصم للاستفادة من السلب عند الغلبة وهو ما كان متفق عليه سلفا.

إن دراسة الصيغة كشف لما تنطوي عليه من دلالات، وما تؤديه من وظائف فنية تتم عنها نغمتها الموسيقية مسموعة، و تناظرها التزييني مكتوبة.

وفي الأخير نصل إلى نتيجة مفادها مدى مساهمة الموسيقى في العملية الحجاجية واعتبارها رافدا هاما للحجاج يساعد المتكلم على الإقناع وييسر له حمل المتلقي على الإذعان من جهة استيلاء ما وقع على النفوس وامتلاك الأنعام للأسماع وقد قيل ما كان أملك للسمع كان أفعال بالنفوس تأثيرا وإقناعا.

3.2 المستوى التركيبي:

يقوم المستوى التركيبي بدراسة التراكيب اللغوية وكيفية بنائها، و ما يتعلق بها من تقديم أو تأخير، ووصف للأتماط التي تظهر عليها، إضافة إلى ذلك تصنيف هذه التراكيب و بيان أنواعها .
يُعَدُّ التركيب النحوي المتمثل في الجملة، البنية اللغوية التي تحمل الدلالات العديدة، والذي يتجاوز اللفظ المفرد، ليتناول علاقات الترابط داخل النص. فما مفهوم الجملة؟ وماهي أبعادها الحجاجية في نص المقامات؟

1.3.2 مفهوم الجملة :

الجملة لغة : تكاد تتفق أغلب المعاجم العربية على المعنى اللغوي للجملة حول معنى جمع الشيء و لم أشتاته بعد تفرقها¹، و هو نفس الدور الذي تقوم به الجملة في التركيب النحوي حيث تجتمع المفردات داخل النظام النحوي .

¹ ابن منظور : لسان العرب ، ج1، ص 686.

الجملة اصطلاحاً : وقد عرفها النحاة القدامى مفرقين في تعريفهم بينها و بين الكلام كتعريف ابن هشام :
 " الكلام هو : القول المفيد بالقصد ، و المراد بالمفيد : ما دل على معنى يحسن السكوت عليه ، والجملة
 عبارة عن الفعل و فاعله كقام زيد ، و المبتدأ و خبره كزيد قائم ، و ما كان بمثثلة أحدهما نحو : ضرب
 اللص ، و أقائم الزيدان ، أو كان زيد قائما ، و ظننته قائما ، و بهذا يظهر لك أنهما _ أي الكلام و الجملة
 - ليسا مترادفين ، كما يتوهمه كثير من الناس " ¹ ،

أمّا مفهوم الجملة عند المحدثين ، فهو وحدة قابلة للتحليل في المادة اللغوية وهو منظور ينطلق من
 فكرة التحليل ، ويقدم مهدي المخزومي مفهوماً جديداً للجملة يقول فيه : " الجملة هي الصورة اللفظية
 الصغرى للكلام المفيد في أية لغة من اللغات ، وهي المركب الذي يبين فيه المتكلم أن صورة ذهنية كانت
 قد تألفت أجزاؤها في ذهنه ، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع " ² ، ويبدو
 أن هذا المفهوم يتعدى كونه اسماً و فعلاً و حرفاً إلى أنه مجموعة الكلمات المسترسلة التي تعني بالشرح و
 التفصيل و لا تقف عند حد اكتمال المعنى الواحد لدى السامع .

ما يهمنا في هذا الباب هو تركيب الإسناد الذي تكون به الجملة ، و هي مرادفة للكلام بالمفهوم الذي
 نجده عند ابن جني و الزمخشري و ابن يعيش ، إذ يعرفه الأول : " إنما هو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ
 القائمة برؤوسها ، المستغنية عن غيرها ، و هي التي يسميها أهل الصناعة الحمل ، على اختلاف تركيبها " ³
 . و في موضع آخر نجده يقول : " كل لفظ استقل بنفسه و جنيت منه ثمرة معناه فهو كلام " ⁴ ، مركزاً
 على مبدأ الاستقلال في تكوين الجملة أو الكلام.

يُعدُّ مبدأ الاستقلال مهم في تعريف الجملة في اللسانيات الحديثة مبني على مقياس شكلي محض فهي "
 شكل لغوي مستقل غير مقحم ، بموجب تركيب نحوي ما ، في شكل لغوي أوسع منه " ⁵ .

إن اختيارات الباحث وانتقائه التي يعتمد إليها لغايات حجاجية لا تقتصر على معجم الألفاظ فقط بل
 تتعدى ذلك إلى التراكيب والتي إـ إذا ما كان انتقاؤها جيداً وملائماً للمعنى من شأنها أن تبلغ المقاصد

¹ ابن هشام ، معنى اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق صلاح عبد العزيز علي السيد ، دار السلام ، القاهرة ، مصر ، ج 2 ، ص 505 .

² مهدي المخزومي : في النحو العربي (نقد و توجيه) ، المكتبة العصرية ، لبنان ، ط 1 ، د ت ، ص 31 .

³ ابن جني : الخصائص ، تح محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، مصر ، د ط ، د ت ج 1 ، ص 32 .

⁴ المرجع نفسه : ج 1 ، ص 17 .

⁵ L, bloomfield, le langage , pp 161_162 ، نقلاً عن : عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن ، ص 239 .

وتستميل المتلقي وتساعد الحجة على التأثير فيه ، فتكون هذه التراكيب رافدا مهما لها. وللجملة في اللغة العربية نظاما خاصا ترتب وفقه العناصر ترتيبا معيناً لتستقيم ويتم معناها ، لكنها تمتاز كذلك بالمرونة الأمر الذي يساعد مستعملي هذه اللغة على إمكانية إحداث التغيير في ترتيب عناصرها استنادا لقواعد ضبط حدها النحويون ؛ وهي قواعد الوجوب والجواز في التقديم والتأخير.

فإذا زيدت على التركيب في صورته الخبرية الابتدائية لفظة أو أكثر لتحقيق معنى زائد على معناها الأصلي عُدَّ ذلك من باب العدول الكمي بالزيادة و إذا أنقص منها لفظ أو ألفاظ لتحقيق فائدة معنوية ؛ عد ذلك من باب العدول الكمي بالنقصان . وعلى هذا فالتركيب ، شأن الكلمة متأثر بالمقام ؛ مؤثر فيه أو يرمي إلى التأثير فيه .

2.3.2 العدول الكمي بالزيادة داخل الجملة و أبعاده الحجاجية :

إن عدول الكلام بالزيادة داخل التركيب يشكل علامة على مطابقة الكلام للمقام أو محاولة للتأثير في المقام بفضل ما تنتجه خصيصة العدول تلك من طاقة حجاجية . ومن أشكال وصور هذا النوع من العدول في مقامات الهمداني ما يلي :

التوكيد : و يحصل التوكيد على صعيد الجملة الواحدة شأن التوكيد الداخل على الجملتين الفعلية و الاسمية ؛ مثل قد و السين و سوف و مثل إن و أن مع لام الابتداء و مثل القسم و القصر و غير ذلك و مثل البدل والنعت و العطف مما يقع داخل الجملة الواحدة على نحو ما ، فهذا الضرب من التوكيد من قبيل العدول الكمي بالزيادة الذي يطرأ على صعيد الجملة .

على أن التوكيد (أو الزيادة) بدخوله على الكلام يجعله مخرجا على غير الأصل و معدولا به عن ذلك الأصل . قال الزركشي عن التوكيد : " إنه خلاف الأصل " ¹ . و اعتبار التوكيد خلاف الأصل حدا ببعضهم ، إلى أن يُعدَّ مجازا ² .

ما يمكن أن نفهمه من قول الزركشي عن التوكيد إنه خلاف الأصل ، أنه يوجد أصل هو الكلام قبل أن تدخل عليه ألفاظ التوكيد المختلفة أي ما سبق أن أسميناه الجملة في مظهرها الخبري الابتدائي و قد أفاد معنى أوليا .

¹ الزركشي بدر الدين : البرهان في علوم القرآن ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، د ط ، 1991 ، ج 3 ، ص 385 .

² المرجع نفسه: ج 3 ، ص 384.

إن الكلام المؤكد ، يحمل في الوقت نفسه الأصل و الخروج عن هذا الأصل ، " أو العدول عن القاعدة بلغة الأسلوبين إلا أن حدود هذه القاعدة ليست غائمة أو مائعة كما هو الشأن في الدراسات الأسلوبية الحديثة و إنما هي قائمة في الجملة ماثلة فيها . و مدارها على الجملة في شكلها العاري عن كل زيادة و تأكيد ، فهذه القاعدة مما يسهل ضبطه و الوقوف عليه . إن الأصل أو القاعدة أو المقياس ليس (عرفيا) كما يقول السكاكي قديما و كما يفهم حديثا من كلام كوهين عن مقياس العدول ، و إنما هو مقياس (ملموس) يمكن أن يلاحظ و يحدد بعد أن نجرد الكلام المؤكد من ظواهر التوكيد (الزائدة) التي أدخلت عليه " ¹ .

إن هذا المقياس الدلالي هو المقياس الذي دفع بيعقوب الكندي حين جاء أبا العباس قائلا "إني لأجد في كلام العرب حشوا (...) يقولون : عبد الله قائم ثم يقولون إن عبد الله قائم ثم يقولون إن عبد الله لقائم، فالألفاظ متكررة و المعنى واحد " ² . و هو المقياس الدلالي نفسه الذي استخدمه أبو العباس في الردّ عليه بالقول: " بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ فقولهم عبد الله قائم إخبار عن قيامه ، و قولهم : إن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل و قولهم إن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر قيامه ، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني " ³ . و قد عمد السكاكي لاحقا إلى وضع مصطلحات لهذه المعاني المختلفة فعبد الله قائم (خبر ابتدائي) عنده ، و إن عبد الله قائم (خبر طلبي) و إن عبد الله لقائم (خبر إنكاري) ⁴ . إن كلّ توكيد يزداد فيدخل على الإسناد الخبري الابتدائي تحصل بفضله ، بلاغيا و دلاليا ، زيادة في المعنى الأصلي و ذلك على النحو التالي :

_الجملة (هي نفسها في كل الحالات من الناحية

_معناها (هو) نفسه لكن يراد فيه درجات الإسنادية (

زيادة اللفظ في كل مرة (

قيام عبد الله

عبد الله قائم

قيام عبد الله +دفع للشك أو الظن

(إن) عبد الله قائم

¹ عبد الله صولة : الحجاج في القرآن ، ص 244- 245 .

² عبدالقاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، د ط ، د ت، ص 254.

³ المرجع نفسه: ص 242 .

⁴ السكاكي : مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1987 ، ص 170 ، 171 .

(إن) عبد الله (ل) قائم

قيام عبد الله + دفع الإنكار

(و الله) (إن) عبد الله (ل) قائم

ومن أمثله في مقامات الهمداني :

- " إِنَّ اللَّهَ عَبِيدًا أَخَذُوا الْعُمَرَ خَلِيطًا

فهم يمسون أعرا بًا و يضحون نبيطًا " ¹

- "إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَاتَ بَرَدَ اسْتُهُ، وَهَذَا الرَّجُلُ قَدْ لَمَسْتُهُ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ حَيٌّ" ²

- " وَلَيْسَ الشَّانُ فِي السَّقَاءِ، الشَّانُ فِي الْإِنَاءِ " ³

- " وَإِنَّ بَعْدَ الْمَعَاشِ مَعَادًا، فَأَعِدُّوا لَهُ زَادًا " ⁴

- " أَلَا وَإِنَّ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ عَلِيمًا، يُحْيِي الْعِظَامَ رَمِيمًا، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ جَهَازٍ، وَقَنْطَرَةٌ جَوَازٍ، مَنْ

عَبَّرَهَا سَلِمَ، وَمَنْ عَمَّرَهَا نَدِمَ، أَلَا وَقَدْ نَصَبْتَ لَكُمْ الْفَخَّ وَنَثَرْتَ لَكُمْ الْحَبَّ؛ فَمَنْ يَرْتَعُ، يَقَعُ، وَمَنْ

يَلْقُطُ، يَسْقُطُ، أَلَا وَإِنَّ الْفَقْرَ حِلْيَةٌ نَبِيكُمُ فَانْكُسُوها، وَالغنى حُلَّةُ الطُّعْيَانِ فَلَا تَلْبَسُوها، كَذَبَتْ ظُنُونُ

المُلْحِدِينَ الَّذِينَ جَحَدُوا الدِّينَ، وَجَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ إِنَّ بَعْدَ الْحَدَثِ جَدَثًا، وَإِنَّكُمْ لَمْ تُخْلِقُوا عَبَثًا، فَحَذَارِ

حَرِّ النَّارِ، وَبَدَارِ عُقْبَى الدَّارِ، أَلَا وَإِنَّ الْعِلْمَ أَحْسَنُ عَلَى عِيَالَتِهِ، وَالْجَهْلَ أَقْبَحُ عَلَى حَالَاتِهِ وَإِنَّكُمْ أَشَقَى مَنْ

أَظْلَمَتْهُ السَّمَاءُ، إِنَّ شَقِيَّ بِكُمْ الْعُلَمَاءُ " ⁵

- " يَا قَوْمُ الْحَذَرَ الْحَذَرَ، وَالْبِدَارَ الْبِدَارَ، مِنَ الدُّنْيَا وَمَكَايِدِهَا " ⁶

إنَّ ما يقدمه التوكيد في المثال الأول ليس ما هو موجود على مستوى التركيب ، وإنما يتجاوز ذلك إلى

تحقيق الوظيفة الحجاجية والتي من خلالها يتوخى المتكلم إضافة قيمة إبلاغية للتركيب على مستوى

تداوله، وتحصيل غرضه لدى السامع ، والتي مؤداها أن هؤلاء القوم أخذوا أعمارهم مخلوطا من مختلفات

أطوار، فالشخص الواحد منهم كأنه خليط من الناس لا يعرف لهم نسب.

¹ المقامة البلخية : ص 21 .

² المقامة الموصلية : ص 116 .

³ المقامة المضيرية : ص 132 .

⁴ المقامة الوعظية : ص 151 .

⁵ المقامة الوعظية : ص 152 .

⁶ المقامة الوعظية : ص 155 .

و **القصر** : هو أيضا ضرب من التوكيد و تكرير لجملة الخبر الابتدائي مرتين أو أكثر فهو عند بعضهم " توكيد مضاعف " ¹ وهو (بمثلة مؤكدين إذ ليس القصر إلّا تأكيداً على تأكيد) كما أشار إلى ذلك السكاكي في كتابه ².

ومن أمثله في مقامات الهمداني :

- " قَالَ لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا، وَإِنَّمَا حَاجَتِي بَعْدَ هَذَا أَنْ تَحْدُوا أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تُعُوا " ³
- " فَوَفَّ الرَّجُلُ وَقَالَ: لَا يَنْظُرُ لِهَذَا الطِّفْلِ إِلَّا مَنْ اللَّهُ طِفْلُهُ، وَلَا يَرِقُّ لِهَذَا الضَّرِّ إِلَّا مَنْ لَا يَأْمَنُ مِثْلَهُ " ⁴
- " بِحَيَاتِي لَا اسْتَعْنَتَ إِلَّا بِهِ عَلَى مِثْلِهِ، وَهَذِهِ الْحَلَقَةُ تَرَاهَا اشْتَرَيْتَهَا فِي سُوقِ الطَّرَائِفِ مِنْ عِمْرَانَ الطَّرَائِفِيِّ بِنِثْلَاثَةِ دَنَانِيرٍ مُعَزِّيَّةٍ، وَكَمْ فِيهَا يَا سَيِّدِي مِنَ الشَّبَهِ؟ فِيهَا سِتَّةُ أَرْطَالٍ، وَهِيَ تَدُورُ بِلَوْلَبٍ فِي الْبَابِ، بِاللَّهِ دَوْرَهَا، ثُمَّ أَقْرَهَا وَأَبْصَرَهَا، وَبِحَيَاتِي عَلَيْكَ لَا اشْتَرَيْتَ الْحَلَقَ إِلَّا مِنْهُ؛ فَلَيْسَ يَبِيعُ إِلَّا الْأَعْلَاقَ " ⁵

- "فَقُلْتُ لِمُصَلِّ بَحْنِي: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا سُوسٌ لَا يَقَعُ إِلَّا فِي صُوفِ الْأَيْتَامِ، وَجَرَادٍ لَا يَسْقُطُ إِلَّا عَلَى الزَّرْعِ الْحَرَامِ وَلِصٌّ لَا يَنْقُبُ إِلَّا خِزَانَةَ الْأَوْقَافِ، وَكُرْدِيٌّ لَا يَغْبِرُ إِلَّا عَلَى الضَّعَافِ، وَذَنْبٌ لَا يَفْتَرِسُ عَبَادَ اللَّهِ إِلَّا بَيْنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ " ⁶

وبتحليل نص المثال الثاني نجد الرأوي عيسى بن هشام ينقل لنا كلام التاجر في سلسلة من التراكيب المبنية على أسلوب القصر ليؤكد البعد الحجاجي الذي تتضمنه ؛ حيث يجنح المتكلم إلى تثبيت ما يريده في ذهن السامع وتغيير ما يعتقده إذا كان مخالفا للحكم (ففي حياته لا يستعين بأحد إلا بصاحبه البائع عمران الطرائفي، وأنه يقتصر عليه في شراء النفائس التي يتميز بها) وقد حققت الوحدة اللغوية المضافة للجملة الابتدائية (لا...إلا...) الغرض السابق من الخطاب.

الصفة : وتعد الصفة أيضا من المؤكدات كما أشار إلى ذلك ابن يعيش في قوله " وقد تجيء الصفة للتأكيد نحو قولهم : أمس الدابر و أمس لا يكون إلا دابرا... و معنى التأكيد هنا أن مدلول الصفة استفيد مما في

¹ الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير ، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1984، ج15، ص 323 .

² السكاكي : مفتاح العلوم ، ص 291 .

³ المقامة الأهوازية : ص 70 .

⁴ المقامة البخارية : ص 97-98 .

⁵ المقامة المضيرية : ص 127 .

⁶ المقامة النيسابورية : ص 227 .

الموصوف فصار ذكره في الصفة كالتكرار " ¹ وهي من الأشكال الحجاجية التي يلجأ إليها المتكلم لإقناع المخاطب وتغيير الحكم الذي لديه فيتحقق الوصف المذكور في ذهنه و يعلق به ، " وكأنه بذلك مرتين على سبيل التكرار والتوكيد ، مرة بما يحمله المنعوت ، ومرة حين يتكرر في النعت ، ولا يلجأ المتكلم إلى هذه العملية الحجاجية التي يقتضيها النعت إلا إذا كان في مقام الحديث ما يستدعي ذلك " ² ، ومن الأمثلة الواردة في المدونة نذكر مايلي :

- " فلما رأني قال :

أُرِيدُ مِلْحًا جَرِيشًا أُرِيدُ بَقْلًا قَطِيفًا
أُرِيدُ لَحْمًا غَرِيضًا أُرِيدُ خَلًّا ثَقِيفًا
أُرِيدُ جَدْيًا وَضِيْعًا أُرِيدُ سَخْلًا خَرُوفًا " ³

- " : فَمَا تَقُولُ فِي رَغِيْفٍ ، عَلَي خِرْوَانٍ نَظِيْفٍ ، وَبَقْلٍ قَطِيْفٍ إِلَى خَلِّ ثَقِيْفٍ ، وَلَوْنٍ لَطِيْفٍ ، إِلَى خَرْدَلٍ جَرِيْفٍ ، وَشِبْوَاءٍ صَفِيْفٍ ، إِلَى مِلْحٍ خَفِيْفٍ " ⁴

- " أَتَفَقَّ لِي فِي عُنْفُوَانِ الشَّبِيْبَةِ خُلُقٌ سَحِيْحٌ ، وَرَأْيٌ صَحِيْحٌ " ⁵

- " وَهَلْ الْمَالُ إِلَّا عَارِيَةٌ مُرْتَجَعَةٌ ، وَوَدِيْعَةٌ مُنْتَرَعَةٌ؟ " ⁶

والمتتبع للبناء الفني الذي تتشكل عليه المقامات الهمدانية والطابع العام الذي يميزها عن باقي النصوص النثرية يجد أن أسلوبها المنفرد هو الذي أكسبها شهرتها ، وهو أسلوب المكدي المحتال الساعي في رحلاته بين البلدان إلى كسب المال وطلب الحاجات ولا مانع له في ذلك من أن يسلك أي سبيل يراه مناسباً لتحقيق أغراضه فنجده يلجأ إلى تزيين الكلام و تحسينه فيختار الألفاظ و العبارات التي من شأنها أن تؤثر فيمن يستجديه .

ومن اختياراته اللجوء إلى الوصف كما في المثال الأول (جريشا ، قطيفا، غريضا ، ثقيفا، وضيعا ، خروفا) ليتحقق في ذهن المخاطب و يعلق به ، وكأنه بذلك يذكره مرتين على سبيل التكرار و التوكيد، وقد لجأ

¹ ابن يعيش ، شرح المفصل ، عالم الكتب، بيروت، لبنان، دط، دت، ج3 ، ص 48 .

² خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، مقارنة بين التداولية والشعر، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2012، ص99 .

³ المقامة الساسانية : ص 109 .

⁴ المقامة الجماعية :ص ص: 147-148 .

⁵ المقامة الخمرية : ص269 .

⁶ المقامة المطلبية : ص 277 .

الراوي في هذا المثال إلى هذه العملية الحجاجية التي يقتضيها الوصف لتحقيق وظيفة حجاجية متمثلة في الرغبة الشديدة في الكثير من أصناف اللحم و عدم الاكتفاء بالقليل.

البدل : هو التابع المقصود وحده بالحكم ، أي أن معنى الكلام يتوجه إليه وحده، بغير واسطة عاطف، فهو يتبع اسما سابقا عليه يسمى المبدل منه، وإنما يذكر المتبوع توطئة للتابع الذي يكون كالتفسير بعد الإبهام، نحو: كان الخليفة عمر عادلا . والبدل يعد عدولا كميًا بالزيادة يفيد التوكيد و البيان وخاصة بدل الاشتمال و بدل البعض أيضا إذ تكمن فائدة البدل فيهما حسب الزركشي في أن " المبدل منه يصير مذكورا مرتين إحداهما بالعموم و الثانية بالخصوص " ¹ . وحسب قول الزمخشري في تفسير بعض الآيات المشتمة على بدل: " فإن قلت ما فائدة البدل؟ (...). قلت فائدته التوكيد لما فيها من التثنية و التكرير " ² .

فعلى هذا يعد البدل ضربا من التكرار المقصود به التوكيد وهو أيضا لكون الجملة المشتمة عل بدل و مبدل منه تقوم مقام جملتين ³ .

ومن أمثله في نص المدونة:

- " فَجُلْتُ خُرَاسَانَ، وَالْحَرَابَ مِنْهَا وَالْعُمْرَانَ، إِلَى كَرْمَانَ وَسَجِسْتَانَ، وَجِيلَانَ إِلَى طَبْرِسْتَانَ وَإِلَى عُمَانَ " ⁴

- " فَلَمَّا بَلَغَ هَذَا الْبَيْتَ تَنَبَّهَ ذَلِكَ النَّائِمُ، وَجَعَلَ يَمَسْحُ عَيْنَيْهِ " ⁵ .

- " فَالزُّمُومَا مَكَائِكُمْ هَذَا " ⁶

- " قَدَرْتُ إِلَى وَجْهِهِ لِأَعْلَمَ عِلْمَهُ فَإِذَا هُوَ وَاللَّهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيُّ، وَانْتَهَرْتُ إِجْفَالَ النَّعَامَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ تَعَرَّضْتُ فَقُلْتُ: كَمْ يُجِلُّ دَوَاءَكَ هَذَا؟ فَقَالَ: يُجِلُّ الْكَيْسُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكْتُهُ وَأَنْصَرَفْتُ " ⁷

¹ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، د ط ، 1991 ، ج2 ، ص 445 .

² الزمخشري أبو القاسم محمود : الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الدار العالمية للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، د ط ، د ت ، ج1 ، ص 68 .

³ عبد الله صولة: الحجاج في القرآن، ص258.

⁴ المقامة الصيرمية:ص241.

⁵ المقامة الغيلانية : ص50.

⁶ المقامة الشعرية، ص252.

⁷ المقامة السجستانية: ص28.

- " فِدَى لَكَ يَا سَجِسْتَانُ الْبِلَادُ وَلِلْمَلِكِ الْكَرِيمِ بِكَ الْعِبَادُ " ¹

في المثال الأول (فجلت خراسان الخراب منها و العمران) يظهر لنا البديل بالإضافة إلى كونه يكرر المعنى به فيؤكده فيجعل للمنطوق من الكلام ضميا بأن يدعى المتلقي إلى الوقوع عليه واستخراجه، فيتعمق بذلك دور البديل من الناحية الحجاجية حيث أن المبدل منه في معظم الأمثلة السابقة قد جاء لفظا تقويميا، فهو بهاتين الصفتين (التكرير و التقويم) يكون ذا وظيفة حجاجية توجيهية مضاعفة.

و من وسائل التوكيد أيضا **المفعول المطلق** إذ يأتي المصدر مؤكدا لعامله سواء كان عامله هذا مصدرا مثله أو فعلا أو صفة. " وتتمثل أهميته في مجال الحجاج في أنه يؤجل، بإنتاجه مقتضى ما ، لحظة إنكار المخاطب للقضية المعروضة عليه فقد باتت هذه القضية، بفضل المقتضى الذي أنتجه لها تأكيد المصدر لعامله، من الحقائق التي يقر بها المخاطب ولو مؤقتا " ² ومن أمثله :

- " حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: طَرَحْتَنِي النَّوَى مَطَارِحَهَا حَتَّى إِذَا وَطِئْتُ جُرْجَانَ الْأَقْصَى. فَاسْتَظْهَرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ بَضِياعٍ أَحَلَّتْ فِيهَا يَدَ الْعِمَارَةِ، وَأَمْوَالٍ وَقَفَّتْهَا عَلَى التَّجَارَةِ، وَحَانُوتٍ جَعَلْتُهُ مَثَابَةً، وَرُقْفَةً اتَّخَذْتُهَا صَحَابَةً، وَجَعَلْتُ لِلدَّارِ، حَاشِيَتِي التَّهَارِ، وَلِلْحَانُوتِ بَيْنَهُمَا، فَجَلَسْنَا يَوْمًا نَتَذَاكُرُ الْقَرِيضَ وَأَهْلَهُ، وَتَلَقَّاءَنَا شَابٌ قَدْ جَلَسَ غَيْرَ بَعِيدٍ يُنْصِتُ وَكَأَنَّهُ يَفْهَمُ، وَيَسْكُتُ وَكَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ حَتَّى إِذَا مَالَ الْكَلَامُ بِنَا مَيْلَهُ، وَجَرَّ الْجِدَالَ فِينَا ذَيْلَهُ، قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ عُدَيْقَهُ، وَوَأْفَيْتُمْ جُدَيْلَهُ " ³

- " وَوَفَّرْتُ مَعَ ذَلِكَ عَنِ الدُّنْيَا نُفُورَ طَبَعِ الْكَرِيمِ عَنِ وُجُوهِ اللَّثَامِ، وَنَبَّوتُ عَنِ الْمُخْزِيَاتِ نُبُوَ السَّمْعِ الشَّرِيفِ عَنِ شَنِيعِ الْكَلَامِ " ⁴

- " فَرَقَصْتُ رَقْصَ الْمُحَرَّجِ، وَسِرْتُ سِيرَ الْأَعْرَجِ " ⁵

- " أَيُّ الثُّلَمَتَيْنِ نُقَدِّمُ سَدَّهَا؟ قُلْتُ: الْجُوعُ فَقَدْ بَلَغَ مِنِّي مَبْلَغًا! " ⁶

وبتحليل القول في المثال الثاني يتضح أن كلا من المفعولين المطلقين (... نفور طبع الكريم ...) و (... نوب السمع ...) يقومان بإنتاج مقتضيان على الترتيب من قبيل (بيان طبيعة النفور من الدنيا والمتمثل في

¹ المقامة التيمية: ص 268.

² عبد الله صولة: الحجاج في القرآن، ص 312.

³ المقامة القرظية : ص 9 .

⁴ المقامة السجستانية : ص 26 .

⁵ المقامة القرظية : ص-ص 113-114

⁶ المقامة الجماعية : ص 147 .

طبع الكريم عن وجوه الثام) وآخر من قبيل (بيان طبيعة نبوت المتكلم عن المخزيات و المتمثل في نب و السمع) .

و العطف من مظاهر العدول الكمي بالزيادة الذي يطرأ داخل الجملة ، و العطف المقصود ههنا ما يقع بواسطة الواو ؛ فمن الكلمات و المركبات المعطوف بعضها على بعض بهذه الطريقة ما يكرر بعضه بعضا من جهة المعنى بشكل يقترب من الترادف و إن لم يكن إياه . ومن أمثله في المدونة :

- " ، فَمَا قَوْلُكَ فِي لَحْمِ طَرِيٍّ ، وَسَمَكِ نَهْرِيٍّ ، وَبَادِنَجَانِ مَقْلِيٍّ ، وَرَاحِ قَطْرُبُلِّيٍّ ، وَنُفَاحِ جَنِّيٍّ ، وَمَضْجَعِ وَطِيٍّ ، عَلَى مَكَانِ عَلِيٍّ ، حِذَاءَ نَهْرِ جَرَّارٍ ، وَحَوْضِ تَرْتَارٍ ، وَجَنَّةِ ذَاتِ أَنْهَارٍ؟¹

- " فَصَادَفْتُ عِنْدَ أَطْنَابِهَا فَتِيٍّ ، يَلْعَبُ بِالثَّرَابِ ، مَعَ الْأَثْرَابِ ، وَيُنْشِدُ شِعْرًا يَقْتَضِيهِ حَالُهُ"²

- " وليس فيها شيء يستحق الذكر سوى أن الليلة القمراء يقال فيها ليلة في غير زيبها وأنشد يقول:

وَطَيْفٌ سَرَى وَاللَّيْلُ فِي غَيْرِ زَيْبِهِ وَوَأِفَاهُ بَدْرُ التَّمِّ فَابْيَضَ مَفْرَقُهُ"³

" فَلَمَّا أَنْ سَمِعْنَا ذَلِكَ أَقْبَلْنَا عَلَيْهِ وَمِلْنَا إِلَيْهِ ، وَأَخَذْنَا نَسْتَعِجِرُ رَأْيَهُ ، فِي الْقُنُوعِ بِيَسِيرِ الْمَكَاسِبِ ، مَعَ أَنَّهُ عَارِفٌ بِهَذِهِ "⁴

وهكذا نجد أن عناصر التوكيد من قصر و صفة و عطف و بدل و مفعول مطلق ... إلخ تجعل الكلام بدخولها عليه ذا بعد حوارى تفاعلي وهي تمثل في الجملة التي تدخل عليها اشارات حجاجية تستدعي الضمني و تفتح عليه و تومئ إلى النتيجة و تدفع إلى استنتاجها ؛ أي تمكن المتلقي لهذه الرسالة القيام بعمل استنتاجي قد يكون مقنعا أو غير مقنع⁵ .

3.3.2 العدول الكمي بالزيادة بين الجمل:

الاعتراض : يعد الاعتراض من قبيل العدول بالزيادة الذي يطرأ بين الجمل وهو من وسائل الحجاج المهمة ، حيث تكون الحاجة به بواسطة منطوق الكلام لا مفهومه ولقد عرف بأنه " كل كلام أدخل فيه لفظ

¹ المقامة الجماعية : ص 149 .

² المقامة الأسودية : ص 159 .

³ المقامة الرصافية : ص 189 .

⁴ المقامة المطلبية : ص 278 .

⁵ عبد الله صولة : الحجاج في القرآن ، ص 260 .

مفرد أو مركب ، ولو أسقط لبقني على حاله... ويكون بين القسم و جوابه ، وبين الصفة والموصوف ، وبين المعطوف و المعطوف عليه ، و أشباه ذلك مما يحسن استعماله ¹ ، كقول بعضهم (الطويل) :

فَظَلُّوا يَوْمَ دَعَّ أَخَاكَ بِمِثْلِهِ عَلَى مَشْرَعٍ يَرَوِي وَلَمَّا يَصْرَدُ²

و الغرض من استعمال الاعتراض في الكلام بالإضافة إلى تحسين الكلام التوكيد والتشديد والتقوية ³ وردّ الشك حين يظن الشاعر " بأن رادا يرد عليه قوله أو سائلا يسأله عن سببه ، فيعود راجعا إلى ما قدمه فيما أن يذكر سببه، أو يحل الشك فيه " ⁴ . وقد جعل الزركشي للاعتراض سبع وظائف دلالية أهمها التوكيد يمكن ردها من الناحية الحجاجية إلى وظيفتين اثنتين فحسب : وظيفة دعم القضية المعروضة في الجملة أو الجمل الأصلية المعترض بينها ، ووظيفة نقض القضية و إبطالها ⁵ .

وهو بهاتين الوظيفتين يعد مظهرا حيويا في صنع حجاجية الكلام إذ يعتبر مسرحا للحوار بالتقاء ملفوظين، أحدهما ملفوظ المتكلم والآخر ملفوظ الغير حيث علاقة هذا بذاك حسب باختين " شبيهة بالعلاقة القائمة بين أجزاء الكلام في المحادثات اليومية و إن لم تكن العلاقتان متطابقتين بطبيعة الحال " ⁶ . وقريرا إلى هذا المعنى كان قد أشار قدامة بن جعفر عند حديثه عن الاعتراض في قول الشاعر(من الطويل) :

" فَلَا صِرْمُهُ يَبْدُو وَفِي الْيَأْسِ رَاحَةٌ وَلَا وَصْلُهُ يَصْفُو لَنَا فَكُرْمُهُ

قال فكأنه بقوله (وفي اليأس راحة) التفت إلى المعنى لتقدير أن معارضا يقول له : وما تصنع بصرمه ؟ فقال : لأن في اليأس راحة " ⁷ .

ومن أمثله في مقامات الهمداني مايلي :

- "فَقَالَ: اخْلَعُهُمَا لَا أُمَّ لَكَ، فَقُلْتُ: هَذَا خُفٌ لَبِسْتَهُ رَطْبًا فَلَيْسَ يُمَكِّنِي نَزْعُهُ" ⁸

¹ ابن الأثير: المثل السائر : ج 2 ، ص 172 .

² ابن المعتز عبد الله : كتاب البديع، تعليق و فهرسة إغناطيوس كراتشكوفسكي ، دار المسيرة ، د ط ، 1982 ، ص 59 60 .

³ ابن هشام : مغني اللبيب : ج 2 ، ص 519 .

⁴ قدامة بن جعفر: نقد الشعر ، تحقيق عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ط1، 1978، ص 150.

⁵ عبد الله صولة: الحجاج في القرآن : ص 351- 352 .

⁶ T , Todorof .Mickhail bakhtine :Le principe dialogique, p95 نقلا عن : الحجاج في القرآن : ص 355 .

⁷ قدامة بن جعفر: نقد الشعر : ص 151 .

⁸ المقامة الأسدية : ص 43 .

- " فَقَالَ: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَكْبَرَ هَذَا الْعَلَطُ! تَقُولُ الْكَثِيرَ فَقَطُّ؟ وَتَنْفَسَ الصُّعْدَاءَ، وَوَقَالَ: سُبْحَانَ مَنْ يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ، وَأَنْتَهَيْتَنَا إِلَى بَابِ دَارِهِ، فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي، كَمْ تُقَدِّرُ يَا مَوْلَايَ أَنْفَقْتُ عَلَى هَذِهِ الطَّاقَةِ؟ أَنْفَقْتُ وَاللَّهِ عَلَيْهَا فَوْقَ الطَّاقَةِ، وَوَرَاءَ الْفَاقَةِ، كَيْفَ تَرَى صَنَعَتَهَا وَشَكْلَهَا ؟ أَرَأَيْتَ بِاللَّهِ مِثْلَهَا ؟ أَنْظُرْ إِلَى دَفَائِقِ الصَّنَعَةِ فِيهَا، وَتَأَمَّلْ حُسْنَ تَعْرِيجِهَا، فَكَأَنَّمَا خُطُّ بِالْبِرِّكَارِ وَأَنْظُرْ إِلَى حِذْقِ النَّجَّارِ فِي صَنَعَةِ هَذَا الْبَابِ، اتَّخَذَهُ مِنْ كَمْ؟ قُلْ: وَمِنْ أَيْنَ أَعْلَمُ، هُوَ سَاحٌ مِنْ قِطْعَةٍ وَاحِدَةٍ لَا مَأْرُوضٌ وَلَا عَفْنٌ، إِذَا حَرَكْتَ أَنْ، وَإِذَا نُقِرَ طَنْ، مَنْ اتَّخَذَهُ يَا سَيِّدِي؟ اتَّخَذَهُ أَبُو إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَصْرِيُّ، وَهُوَ وَاللَّهِ رَجُلٌ تَطْيِفُ الْأَنْوَابِ، بَصِيرٌ بِصَنَعَةِ الْأَنْوَابِ خَفِيفٌ الْيَدِ فِي الْعَمَلِ، اللَّهُ دَرُّ ذَلِكَ الرَّجُلِ! " ¹.

- " فَقُلْتُ: اللَّهُ أَنْتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ: عَرِيضُ الثَّمَانِ؟ قَالَ: عَرِيضُ الْجَبْهَةِ، عَرِيضُ الْوَرِكِ، عَرِيضُ الصَّهْوَةِ، عَرِيضُ الْكَتِفِ، عَرِيضُ الْجَنْبِ، عَرِيضُ الْعَصَبِ، عَرِيضُ الْبَلْدَةِ، عَرِيضُ صَفْحَةِ الْعُنُقِ. فَقُلْتُ: أَحْسَنْتَ، فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ: غَلِيظُ السَّبْعِ؟ قَالَ: غَلِيظُ الذَّرَاعِ، غَلِيظُ الْمَحْزَمِ،... قُلْتُ: اللَّهُ دَرُّكَ! فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ: رَقِيقُ السَّتِّ؟ " ².

- " قَدْ أَرْضَعْتِكَ ثَدْيَ حُرْمَةٍ، وَشَارَكْتُكَ عِنَانَ عِصْمَةٍ، وَالْمَعْرِفَةَ عِنْدَ الْكِرَامِ حُرْمَةً، وَالْمَوَدَّةَ لِحِمَّةً، فَقُلْتُ: أَبْلَدِي أَنْتَ أُمَّ عَشِيرِي " ³.

- " فَقُلْتُ: يَا عَافَاكَ اللَّهُ هَذَا رَأْسِي، قَدْ صَحَبَنِي فِي الطَّرِيقِ، وَطَافَ مَعِيَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ " ⁴.

- " أَفْهَمْتَهُمَا يَا ابْنَ الْمَشْوُومَةِ؟ إِئِمَّا التَّجَارَةَ، تُنْبِطُ الْمَاءَ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَبَيْنَ الْأَكْلَةِ وَالْأَكْلَةِ رِيحُ الْبَحْرِ، يَبْدَأُ أَنْ لَا خَطَرَ، وَالصَّيْنُ غَيْرَ أَنْ لَا سَفَرَ، أَفْتَرَكُهُ وَهُوَ مُعْرِضٌ ثُمَّ تَطْلُبُهُ وَهُوَ مُعْوَزٌ؟ أَفْهَمْتَهَا لَا أُمَّ لَكَ ؟ إِنَّهُ الْمَالُ عَافَاكَ اللَّهُ فَلَا تُنْفِقَنَّ إِلَّا مِنَ الرَّبْحِ " ⁵.

ففي المثال الأول نجد :

الجملة الأصلية : (فقال : اخلعها)

الجملة المعترضة : لا أم لك

¹ المقامة المضيرية : ص 126 .

² المقامة الحمدانية : ص 178 .

³ المقامة الشيرازية : ص ص: 195 - 196 .

⁴ المقامة الحلوانية : ص 198 .

⁵ المقامة الوصية : ص ص: 234 - 235 .

فالاعتراض هنا من وسائل الحجاج المهمة. والحاجة به بواسطة منطوق الكلام لا مفهومه وهو في الجملة (لا أم لك) وكأن المتكلم يعترضه ظن بأن رادا يرد قوله أو لا يسمع كلامه فيعود راجعا على ما قدمه من أمر الخلع والتزع بلفت انتباه السامع وتخوئته. وبذلك أدت الجملة المعترضة السابقة في التركيب وظيفتين حجائيتين تتمثل الأولى في دعم القضية المعروضة في الجملة الأصلية (فقال : احلها) ، وتتمثل الثانية في نقض وإبطال ما قد يتوهمه السامع.

التذييل: وهو من " ذيل الشيء يذيله تذييلا إذا جعل له ذيلا وهو أنواع " ¹ ، وقد عدّه ابن عاشور ضربا من ضروب الاعتراض يكون في ذيل الكلام لا في وسطه ² ، تكون العلاقة بين الجملة الأصلية وبين الجملة أو الجملتين أو الثلاث التي تذيّلها ذات وجوه دلالية وحجاجية ، مؤدية وظيفية الإقناع وبسط الحجة وإقامتها على المتلقين ومن أمثله :

قول زهير (الطويل) ³ :

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنْلُنُهُ وَإِنْ يَرِقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بَسَلِمَ

وقول طرفة (الطويل) ⁴ :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لَكَ الطُّولُ الْمَرْخَى وَتَثْيَاهُ بِالْيَدِ

ومن أمثله ما جاء في المدونة مايلى :

- " وَإِنَّمَا حَدَّثْتُكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ لِتَعْلَمَ سَعَادَةَ جَدِّي فِي التِّجَارَةِ، وَالسَّعَادَةُ تُنْبِطُ الْمَاءَ مِنَ الْحِجَارَةِ " ⁵

الجملة الأصلية: وإنما حدثتك بهذا الحديث لتعلم سعادة جدي في التجارة

الحجة: والسعادة تنبسط الماء من الحجارة

ومن خلال هذا التركيب يظهر لنا أن التذييل بمثابة الحجة على ما يقدم في الجملة الأصلية ، والمستمدة من عالم خطاب المتلقين ، له وظيفة حجائية تضاف إلى الوظيفة الدلالية الأساسية المتمثلة في التوكيد، إذ هي مما يخامر كل ذهن ويجري على كل لسان ، وهي صوت الحكمة والتجربة التي لا يمكن أن تدفع .

¹ ابن القيم الجوزية : الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ، إشراف لجنة تحقيق التراث ، مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت ، ص 173-175.

² الطاهر بن عاشور: التحرير و التنوير ، ج 5 ، ص 207 .

³ الزوزني : شرح المعلقات السبع ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د ط ، 1963 ، ص 87 .

⁴ المرجع نفسه : ص 63 .

⁵ المقامة المضيرية: ص ص:129-130.

4.3.2 العدول الكمي بالنقصان داخل الجملة و أبعاده الحجاجية :

الحذف: إن اعتبار الزيادة و الحذف خلاف الأصل يقتضي أنهما ظاهرتا عدول ، " وهذا العدول عن أصل هو البناء التركيبي في مظهره الإخباري البسيط المحرد من ملاسبات المقال و المقام وما يتولد عنهما من تدخل على أصل البناء أو من نقصان يصيبه"¹

يكاد يكون مطابقا لمفهوم الإيجاز عند القدماء و حد الإيجاز حسب الرماني (ت 386_996م) " تقليل الكلام من غير اخلال بالمعنى " ² . و هو عند ابن الأثير على نوعين : " إيجاز بالحذف و إيجاز بالقصر " ³ ، أما إيجاز الحذف فهو - حسب السيوطي - بأن " يكون الكلام القليل بعضا من كلام أطول منه " ⁴

و أما إيجاز القصر فبأن يكون الكلام ، حسب السيوطي أيضا ، " كلاما يعطي معنى أطول منه (...) و أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقل من القدر المعهود عادة " ⁵ . و من الأمثلة الواردة في المدونة ما يلي :

- " وَقُلْتُ: احْتَكِمْ حُكْمَكَ فَقَالَ: دِرْهُمْ " ⁶
- " فَقُلْتُ: مَا حَدَاكَ وَيَحَاكَ إِلَيَّ هَذَا الْمَقَامِ؟ قَالَ: جَوْرُ الْأَيَّامِ، فِي الْأَحْكَامِ، وَعَدَمُ الْكِرَامِ، مِنَ الْأَنْامِ " ⁷
- " فَقَالَ الْعُلَامُ: أَيُّ الثُّلَمَتَيْنِ تُقَدِّمُ سَدَّهَا؟ قُلْتُ: الْجُوعُ فَقَدْ بَلَغَ مِنِّي مَبْلَغًا! " ⁸
- " فَقَالَ: لِي فِي كُلِّ كِنَانَةٍ سَهْمٌ فَأَيُّهَا تُحْسِنُ؟ فَقُلْتُ: الشُّعْرُ " ⁹
- " وَجَعَلْتُ أَعْدُوَ وَهُوَ يَتَّبِعُنِي وَيَصِيحُ: يَا أَبَا الْفَتْحِ الْمَضِيرَةَ، وَظَنَّ الصَّبِيانُ أَنَّ الْمَضِيرَةَ لَقَبٌ لِي فَصَاحُوا صِيَاحَهُ " ¹⁰

¹ عبد الله صولة : الحجاج في القرآن ، ص 248 .

² أبو الحسن الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ، دت ، ص 70 .

³ ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، ج 2 ، ص 68 ، 118 .

⁴ السيوطي جلال الدين : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، تح علي محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، د ط ، دت ، ج 1 ، ص 295 ،

⁵ المرجع نفسه: ج 1 ، ص 292_295 .

⁶ المقامة الأسدية : ص 44 .

⁷ المقامة الإبلية : ص 212 .

⁸ المقامة المجاعية : ص 147 .

⁹ المقامة العراقية : ص 164 .

¹⁰ المقامة المضيرية : ص 136 .

يقع الحذف في المثال الأول في قوله (فقال: درهم) وتقديره (فقال: حكمي درهم) فالمحذوف هنا المبتدأ (حكمي) كأنه معلوم ومحدد من خلال التركيب و سياق أدائه ليحقق في السامع التأثير و الإقناع من خلال إحالته إلى خطاب آخر غير خطابه المنطوق, هو سياق الحال.

ويقع عدول الحذف في المثال الأخير في قوله (ويصيح يا أبا الفتح المضيرة) وتقديره (ويصيح يا أبا الفتح تركت المضيرة) أو (نسيت المضيرة) حيث حذف الفعل(تركت أو نسيت) لدلالة سياق الحال عليه وكأن المتكلم يصور لنا مشهداً تمثلياً هزلياً نرى فيه أبا الفتح هارباً من فرط الضجر الذي لاقاه من صاحب البيت وهو يصيح وراءه بخطاب (يا أبا الفتح المضيرة) غير الخطاب المنطوق مؤكداً ومعقباً على ذلك بحجة ظن الصبيان أن المضيرة لقب لأبي الفتح ؛ ليدحض بذلك توهم السامع وظنه كما فعلت الصبية .

تتمثل أهم فائدة من دراسة العدول على مستوى التركيب عند ربط العدول الطارئ على الكلام بأثر المقام من ناحية و بما يرمي إليه من تأثير في المقام من ناحية أخرى و ذلك بإضافة أبعاد و وظائف أخرى غير بناء الجمالية في الكلام ، في الوظيفة الحجاجية التي ينهض بها الكلام المنبني على العدول الذي يكون مدار حجاج و مناط إقناع وليس مجرد صنعة وتحسين . فالعدول بهذه الصفة لا يؤتى به ليمتن عرى انتماء الكلام وجعله مجرد زينة و حلية ، إنما العدول الطارئ على التراكيب هو تدبير خطاب و خطة حجاج و مطلب إقناع¹ .

5.3.2 العدول النوعي و أبعاده الحجاجية:

والمقصود به الانتقال من طريقة في التعبير إلى طريقة أخرى مختلفة عنها كالعدول عن التعبير بالخبر إلى التعبير بالإنشاء وعكسه ، و العدول عن التعبير بالجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية ويطلق على هذا النوع بالعدول الجدولي ، والعدول الناشئ عن التقديم و التأخير أو في طريقة تعدية الفعل في حالة التضمين أو عن وجود ظاهرة الالتفات أو الأسلوب الحكيم... يطلق عليه بالعدول النسقي² .

التقديم و التأخير: وهو مبحث لغوي يقع على مستوى التركيب ؛ إذ بمجرد المخالفة فيه يبرز التركيب على هيئة مخصوصة لالتفات السامع إليها ، له أهمية بالغة في إعادة تركيب اللغة من المستوى النفعي إلى مجال أكثر انفتاحاً ، هو المجال الإبداعي ؛ و هو من أهم الأشكال التي تحقق العدول على مستوى الجملة .

¹ عبد الله صولة : الحجاج في القرآن ، ص 251 – 252 .

² المرجع نفسه : ص 423 .

لقد اهتم به القدماء وأولوه عناية كبيرة ، يقول ابن رشيق : " و رأيت من علماء بلدنا من لا يحكم للشاعر بالتقدم ، ولا يقضي له بالعلم إلا أن يكون في شعره التقديم و التأخير " ¹ ، وأما عبد القاهر فيبين ما له من قيمة دلالية على مستوى التركيب الجملي قائلا : " هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، ولا يزال يفتر لك عن بديعة ، ويقضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعرا يروك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان آخر " ² .

وقد يعمد الباحث إلى قلب التركيب من دون ضرورة نحوية ، فيكون التصرف في التركيب عنده ؛ أي في ترتيب العناصر رافدا من روافد الإقناع وتقنية من تقنيات الاستمالة و التأثير على نحو قول أبي صخر الهذلي من البسيط ³ :

و تَلَكْ هَيْكَلُهُ حَوْدٌ مُبْتَضَّةٌ	صَفْرَاءُ رَعْبَلَةٌ فِي مَنْصِبٍ سَائِمٌ
عَذْبٌ مُقْبَلُهَا جَدَلٌ مُخْلَجُلُهَا	كَالدُّعْصِ أَسْفَلُهَا مَخْضُودَةُ الْقَدَمِ
سَوْدٌ ذَوَائِبُهَا بِيضٌ تَرَائِبُهَا	مَحْضٌ ضَرَائِبُهَا صَبِغَتْ عَلَى الْكَرَمِ

فهو يتغزل بالمرأة معددا محاسنها مرزا مواطن الفتنة فيها محتجا بكل ذلك لمكانتها عنده و فعلها فيه . لذا عمد في أبيات كثيرة إلى تقديم الخبر و تأخير المبتدأ من غير ضرورة نحوية فقدم بذلك الصفة على الموصوف لإبراز المحاسن و إجلاء مواطن الفتنة ، إذ بين القول : ذوائبها سود و سود ذوائبها فارق فني إذ التالي أقوى من الأول فعلا و أشد أثرا لبروز الصفة فيه فضلا عن التوقيع الداخلي الذي أحدثه اعتماد التركيب ذاته في أبيات متتالية في القصيدة .

ومن أمثله في مقامات الهمداني :

- " وَسِيرْتُ سَيْرَ الْأَعْرَجِ ، فَوْقَ رِقَابِ النَّاسِ يَلْفِظُنِي عَاتِقُ هَذَا لِسُرَّةِ ذَاكَ " ⁴
 - " فَإِنْ لَمْ يَثْنِ الْمَاءُ فَدَمِي عَلَيْكُمْ حَالِشٌ " ⁵

¹ ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 218- 219 .

² عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 118 .

³ قدامة بن جعفر: نقد الشعر ، ص 84.

⁴ المقامة القرديّة : ص 114 .

⁵ المقامة الموصلية: ص 119 .

- "وَرَفَعْنَاهَا فَاَرْتَفَعَتْ مَعَهَا الْقُلُوبُ، وَسَافَرَتْ خَلْفَهَا الْعُيُونُ، وَتَحَلَّبَتْ لَهَا الْأَفْوَاهُ"¹
- "وَقَدْ خَسِئَتْ فَوْقَ الْمَنِيَّةِ نَفْسُهُ تُرَدِّدُهَا مِنْهُ اللَّهْيُ وَالْحَنَاجِرُ"²
- "قَالَ: بَيْتَ الْأَمْنِ نَزَلَتْ، وَأَرْضَ الْقَرَى حَلَّتْ"³
- "فَقَالَ: لِي فِي كُلِّ كِنَانَةٍ سَهْمٌ فَأَيُّهَا تُحْسِنُ؟ فَقُلْتُ: الشُّعْرُ"⁴.

في المثال الأول قدم المتكلم (فوق رقاب الناس) على (يلفظني عاتق) حيث أصل الكلام (يلفظني عاتق فوق رقاب الناس) لبيان الحال التي يلفظه عليها العاتق وللاهتمام بذكر الموضوع قبل الحدث ليوجه عناية السامع إليه فيجعله لا يشك في مذهبه ولا فيما يعرضه.

ونفس الأمر يقال عن ما للتقديم و التأخير في التراكيب من أبعاد حجاجية حيث يقدم ما حقه التأخير ليكون أفيد للمخاطب وأجلب لاقتناعه كما هو الحال في المثال (قال : بيت الأمن نزلت . وأرض القرى حللت) إذ قدم المفعول به (بيت الأمن) على الفعل (نزلت) ، وقدم المفعول به (أرض القرى) على الفعل (حللت) لأن هذا التقديم مناسب لمقاصد المتكلم وتأكيدهما (بيت الأمن وأرض القرى) وليس المقصود النزول في حد ذاته وفي ذلك محاجة لآراء السامع و أجلب لاقتناعه.

الالتفات: الالتفات عند ابن المعتز هو " الانصراف عن معنى يكون المتكلم فيه إلى معنى آخر "⁵ ، وقد بسط بسط ابن الأثير الكلام في هذه الظاهرة وخصها بباب في كتابه (المثل السائر) ، إذ يقول : "وهذا النوع خلاصة علم البيان التي حولها يدندن ، وإليها تستند البلاغة وعنهما يعنعن وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله ، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا ، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة ، لأنه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة (...) ويسمى شجاعة العربية ، وإنما سمي بذلك لأن الشجاعة هي الإقدام ؛ وذاك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره ، ويتورد ما لا يتورده سواه ، وكذلك هذا الالتفات في الكلام "⁶ ، وهو عنده على ثلاثة أقسام:

- القسم الأول : وهو الرجوع من الغيبة إلى الخطاب وعكسه .

¹ المقامة المضيرية : ص123 .

² المقامة الوعظية : ص157 .

³ المقامة الأسودية : ص160 .

⁴ المقامة العراقية: ص165 .

⁵ ابن المعتز عبد الله : كتاب البديع، تعليق و فهرسة إغناطيوس كراتشكوفسكي ، دار المسيرة ، د ط ، 1982، ص 58 .

⁶ ابن الأثير: المثل السائر : ج 2 ، ص 3 .

- القسم الثاني : وهو الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر .

- القسم الثالث : في الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وعكسه¹ .

على أنه بإمكاننا أن نجعل أقسام ابن الأثير الثلاثة قسمين كما هو الشأن في البلاغة الغربية ، لأنه واقع في لغتهم وليس مختصا باللغة العربية فقط وهما²:

- الالتفات في مستوى الضمائر .

- الالتفات في مستوى الزمن .

ومثاله في المستوى الثاني قول تأبط شرا³:

بأبي قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان

فأضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجـران

فإن الشاعر قصد أن يصور لقومه الحال التي تشجع فيها على ضرب الغول ، في مشهد تمثيلي كأنه

يصرهم إيها ، مينا قوته وبسالته في مصارعته، و لو قال فضربتها عطفًا على الأول لزال الفائدة

المذكورة ، والفائدة هنا هي الوظيفة الحجاجية للالتفات في جعل الشيء أشد حضورا في ذهن المتلقي .و "

إن تقوية الشعور بمدى حضور الأشياء المتحدث عنها بواسطة الالتفات تحصل بالالتفات الزمني⁴ ، كما

هو حاصل في هذا المثال .

وتخيل السامع مع المستقبل أوكد و أشد تخيلا ؛ لأنه يستحضر صورة الفعل حتى كأن السامع ينظر إلى

فاعلها في حال وجود الفعل منه . ولهذا استعمل تأبط شرا (فأضربها) في المستقبل لجعل السامع يتخيل أنه

مباشر للفعل ، متحها نحو الغول ، وقد رفع سيفه ليضربها ، وأما إذا استعمل (فضربتها) في الماضي فإن هذا

التخيل لا يحصل؛ لأنه لا يتخيل السامع منه إلا فعلا قد مضى من غير إحضار للصورة في حالة سماع الكلام

المدال عليه⁵ .

ومن أمثلة الالتفات الواردة في المدونة نجد :

¹ ابن الأثير: المثل السائر، ج 2 ، ص 3 - 16 .

² عبد الله صولة: الحجاج في القرآن : ص 455 .

³ ابن الأثير: المثل السائر: ج2، ص 14.

⁴ عبد الله صولة: الحجاج في القرآن : ص 456 .

⁵ ابن الأثير: المثل السائر : ج2، ص 14 .

- " مَنْ قَدَّمَ شَيْئًا وَجَدَهُ، وَمَنْ عَرَفَ مَا يُنَالُ، هَانَ عَلَيْهِ بَدَلُ الْمَالِ، فَكُلُّ مَنَّا حِبَاهُ بِمَا حَضَرَ"¹ .
- " قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ خَلَطَ فِي سِيرَتِهِ، وَابْتَلَى بِقَادُورَتِهِ، فَلْيَسَعَهُ دِيْمَاسُهُ، دُونَ أَنْ تُنَجِّسَنَا أَنْفَاسُهُ"² .
- " فَأَنْشَأُ يَقُولُ :

مَنْ أَبْصَرَ الدُّرَّ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ حَجْرًا وَمَنْ رَأَى خَلْفًا لَمْ يَذْكَرِ الْبَشْرًا
زُرَّةٌ تَزُرُّ مَلِكًا يُعْطِي بِأَرْبَعَةٍ لَمْ يَحَوْهَا أَحَدٌ وَانظُرْ إِلَيْهِ تَرَى
أَيَّامَهُ غُرًّا وَوَجْهَهُ قَمْرًا وَعِزَمَهُ قَدْرًا وَسِيَّهَ مَطْرًا"³

- "فَقَالَ: عِنْدِي رَجُلٌ مِنْ نَجَارِ الصُّفْرِ، يَدْعُو إِلَى الْكُفْرِ، وَيَرْفُصُ عَلَى الظُّفْرِ، وَقَدْ أَدَبَتْهُ الْعُرْبَةُ"⁴

- " لَعَمْرُ الَّذِي أَلْقَى عَلَيَّ ثِيَابَهُ لَقَدْ حُشِيَتْ تِلْكَ الثِّيَابُ بِهِ مَجْجَدًا
فَتَى قَمَرْتُهُ الْمَكْرَمَاتُ رِدَاءَهُ وَمَا ضَرَبَتْ قِدْحًا وَلَا نَصَبَتْ نَرْدًا
أَعْدُ نَظْرًا يَا مَنْ حَبَانِي ثِيَابَهُ وَلَا تَدْعُ الْأَيَّامَ تَهْدِمُنِي هَـ____دًا"⁵

- " فَبِحَيَاتِي لَا اشْتَرَيْتَ الْحُصْرَ إِلَّا مِنْ دُكَّانِهِ، فَالْمُؤْمِنُ نَاصِحٌ لِإِخْوَانِهِ، لَا سِيَّمَا مَنْ تَحَرَّمَ بِخَوَانِهِ، وَنَعُودُ إِلَى حَدِيثِ الْمَضِيرَةِ"⁶ .

في التركيب الأول يتجلى لنا الالتفات من النوع الأول (على مستوى الضمائر) حيث نقل التركيب من الغيبة (من قدم شيئاً وجدته.ومن عرف ما ينال.هان عليه بذل المال) إلى الخطاب (فكل منا حباه بما حضر), بحيث يتوخى المتكلم أن يتجه بشكل مباشر إلى السامع ، بطريقة أكثر مباشرة في الإبلاغ ليضمن حضور ذهن المتلقي ومتابعته له، فالباث يشك في لحظة ما أن التعبير بالغيبة قد لا يحقق مقصده فيعدل عن ذلك بالتعبير بالخطاب.

في المثالين الرابع والخامس نلاحظ الالتفات من النوع الثاني (على مستوى الزمن), ففي التركيب (يدعو إلى الكفر، ويرقص على الظفر، وقد أدبته الغربة) تم الانتقال من المستقبل إلى الماضي , وقد ورد ذكر هذا الشكل عند ابن كثير , وسماه الإخبار بالماضي عن المستقبل, وهو أبلغ و أكد في تحقيق الفعل, يلجأ إليه

¹ المقامة المطلية : ص 278.

² المقامة الخمرية : ص 271 .

³ المقامة الملوكية : ص ص:258-259 .

⁴ المقامة الصفرية: ص 261 .

⁵ المقامة الجاحظية : ص 91 .

⁶ المقامة المضيرية : ص ص:130-131 .

المتكلم لإثبات ما يذكره وكأنه محقق بالفعل، وتقوية لحضوره و الشعور به، ومع أن هذا لم يحصل بعد ، فعبّر بما يدل على تحقيقه في صيغة الماضي مؤدياً بعداً حجاجياً وظيفته أن يكون المقصد أقرب إلى السامع وأفيد له.

التكرار: يرتبط التكرار بالشعر ارتباطاً وثيقاً، فهو سمة، وبخاصة ما كان منه موزوناً ، وما الوزن في حقيقة الأمر إلا تكرار لتفعيله ما ، يتلبس بها الكلام ، "و يرى ياكبسون أنه أهم ملمح على الإطلاق للغة الشعرية في كثير من اللغات... وقد يكون على مستوى الصوت و التركيب النحوي ، و الكلمة كذلك... و كثيراً ما ينظر إليه في ضوء مسألة الانحراف ، فهو يخرق القواعد المعيارية للاستعمال بتجاوز المعدل الطبيعي ، فالأنماط التكرارية في الصوت و التركيب ... يتجاوز التوقع في الاستعمال الطبيعي لها في الكلام ، وتصدم بذلك انتباه القارئ كشيء غير معهود ، محدثة بذلك الأثر الذي أشرنا إليه للغة الشعرية"¹. ينقسم التكرار إلى قسمين هما :

التكرار البسيط: يخص تردد الكلمة اسماً، فعلاً أم حرفاً دون مراعاة السياق الذي وردت فيه.

التكرار المركب: يخص تردد السياق جملة أو عبارة...

ونظراً لارتباط ظاهرة التكرار بالشعر أكثر من ارتباطها بالنص النثري فقد تجلّت بوضوح في مقامات الهمداني في بعض المقاطع و الأبيات الشعرية المتضمنة في أغلبها والتي نذكر منها :

- "يا قومُ قدْ أثقلَ دَيْني ظَهري وطالبتني طَلّتي بالْمَهْرِ
يا قومُ هلْ بينكم مِنْ حُرٍ يُعِينني على صُرُوفِ الدَّهْرِ
يا قومُ قدْ عِيلَ لِفَقْري صَبْري وانكشفت عني ذبول السّترِ"²
- " أريدُ مِنْكَ رَغيفاً يعلو خَوَانًا نظيفاً
أريدُ ملحاً جَرِيشاً أريدُ بَقلاً قَطيْفاً
أريدُ لحمًا غَريفًا أريدُ خَ لًا ثَقيفًا
أريدُ جَدْيًا رَضيفًا أريدُ سَخلاً خَروفًا
أريدُ ماءً بَنلجٍ يَغشي إناءً طَريفًا"¹

¹ السيد إبراهيم:قراءة الشعر بين النظرية الشكلية وآفاق الاتجاهات الأسلوبية ، مجلة علامات في النقد (مج 10 ، ج39) ، النادي الثقافي بمجدة ، السعودية ، مارس 2001 ،ص 155 .

² المقامة المكفوفية: ص94.

- " أنا مَنْ يَعْرِفُهُ كُلُّ لُ تَهَامٍ وَيَمَانِي
أنا مِنْ كُلِّ غُبَارٍ أنا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ " ²

- " يا قَوْمُ الْحَذَرَ الْحَذَرَ، وَالْبِدَارَ الْبِدَارَ، مِنْ الدُّنْيَا وَمَكَايِدِهَا، وَمَا نَصَبْتُ لَكُمْ مِنْ مَصَايِدِهَا " ³.

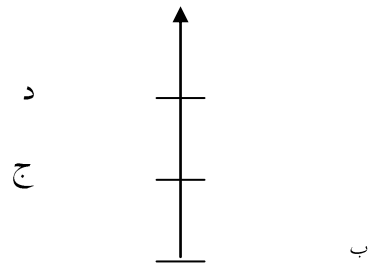
يظهر التكرار في المثال الأول في شكل نداء استغاثة من المتكلم إلى المخاطب يشكو من ثقل الدين عليه بثقل مطالبة الغرماء له كأنما يحمل على ظهره مالا يحتمل وزاده ثقلا مطالبة طلته ؛ أي زوجته بمهرها فغلب من شدة الفقر وانكشف ستر الغنى لما أتى به الدهر من صروف وشدائد، وهذه حجة قوية أتى بها لبيّن تنكر الأحباب له حتى أن زوجته ضاقت منه ذرعا، فيأخذ التكرار (يا قوم قد أثقل ديني ظهري ... يا قوم هل من بينكم من حر... يا قوم قد عيل لفقري صبري ...) هنا قيمته الحجاجية من حيث إن المتكلم يستخدمه في تثبيت الحكم في نفس المخاطب وتقديره في قلبه.

نلاحظ في المثال الثاني أن تكرار اللفظة (أريد) يؤدي إلى نوع من التوازن و الانسجام في صدر الأبيات، من ناحية ، و يؤدي إلى لفت نظر القارئ عن طريق الإيقاع الصوتي الذي يحدثه تكرار الكلمة ، من نغمة تفيد شدة تلهفه لأكل صنوف اللحم.

أما التكرار الذي لجأ إليه المتكلم في أبيات المثال الثالث ، يعمل على شحن المتلقي من خلال تعمده تكرار لفظ (أنا) في صدر الأبيات في سياق حجاجي يؤكد ولع الباث بذاته متخذاً من شهرته بين الناس مصدراً من مصادر تعامله مع الآخر ليعمق في النهاية اعتزازه بنفسه في وعي المتلقي .

3. السلم الحجاجي:

- مفهوم السلم الحجاجي :السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالتالي:



¹ المقامة الساسانية: ص109.

² المقامة الخمرية: ص275.

³ المقامة الوعظية: ص155.

ن:النتيجة ، "ب" و"ج" و"د": حجج و أدلة تُخدم النتيجة"ن".

فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجج ما ، علاقة ترتيبية معينة ، فإن هذه الحجج تنتمي
إذًا إلى نفس السلم الحججي، الذي يعد فئة حجج موجهة ، يتسم بالسمتين الآتيتين¹ :
أ_ كل قول يرد في درجة ما من السلم ، يكون القول الذي يعلوه دليلًا أقوى منه بالنسبة ل"ن".
ب_ إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن" ، فهذا يستلزم أن "ج" أو "د" الذي يعلوه درجة يؤدي
إليها، والعكس غير صحيح ، فإذا أخذنا الأقوال الآتية:

1_ حصل زيد على الشهادة الثانوية.

2_ حصل زيد على شهادة الإجازة .

3_ حصل زيد على شهادة الدكتوراه.

فهذه الجمل تتضمن حججًا تنتمي إلى نفس الفئة الحججية ، وتنتمي كذلك إلى نفس السلم الحججي
، فكلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة من قبيل "كفاءة زيد" أو "مكانته العلمية" . ولكن القول الأخير هو
الذي سيرد في أعلى درجات السلم الحججي ، و حصول زيد على الدكتوراه هو بالتالي أقوى دليل على
مقدرة زيد و علي مكانته العلمية، ويمكن الترميز لهذا السلم كما يلي :

ن: الكفاءة العلمية

د الدكتوراه

ج الإجازة

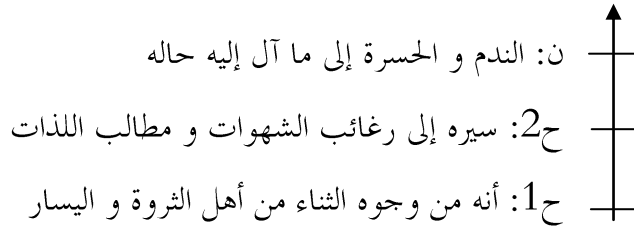


ب الشهادة الثانوية

" حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي الْعَنْبَسِ الصَّيْمَرِيِّ: إِنَّ مِمَّا نَزَلَ بِي مِنْ
إِخْوَانِي الَّذِينَ اصْطَفَيْتَهُمْ وَأَتَّخَبْتَهُمْ وَأَدَّخَرْتَهُمْ لِلشَّدَائِدِ مَا فِيهِ عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ وَأَدَبٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ وَأَتَّعَظَ وَتَأَدَّبَ.
وَذَلِكَ أَنِّي قَدِمْتُ مِنَ الصَّيْمَرَةِ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ، وَمَعِيَ جِرَابُ دَنَانِيرٍ وَمِنْ الْخُرَيْثِيِّ وَالْآلَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَا لَا
أَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى أَحَدٍ، فَصَحِبْتُ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ وَالْكِتَابِ وَالشُّجَارِ، وَوُجُوهُ الثَّنَاءِ مِنْ أَهْلِ الثَّرْوَةِ
وَالْيَسَارِ، وَالْجِدَّةِ وَالْعَقَارِ، جَمَاعَةً اخْتَرْتَهُمْ لِلصُّحْبَةِ، وَأَدَّخَرْتَهُمْ لِلنُّكْبَةِ، فَلَمْ نَزَلْ فِي صُبُوحٍ وَغُبُوقٍ، نَتَّعَدِّي

¹ حمو النقاري، التحاجج (طبيعته ومجالاته ووظائفه)، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بلوباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص60.

بِالْحَدَايَا الرُّضْعِ وَالطَّبَاهِجَاتِ الْفَارِسيَّةِ، وَالْمُدَقَّقَاتِ الْإِبْرَاهِيمِيَّةِ، وَالْقَلَايَا الْمُحْرِقَةَ وَالْكَبَابِ الرَّشِيدِي
وَالْحَمْلَانِ، وَشَرَابِنَا نَبِيدُ الْعَسَلِ، وَسَمَاعِنَا مِنَ الْمُحْسِنَاتِ الْحُدَّاقِ، الْمَوْصُوفَاتِ فِي الْآفَاقِ، وَنَقْلُنَا اللَّوْزَ الْمُقَشَّرُ
وَالسُّكَّرَ وَالطَّبِيرُزْدُ، وَرِيحَانِنَا الْوَرْدُ وَبَحُورُنَا النَّدُّ، وَكُنْتُ عَنْدَهُمْ أَعْقَلَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ. وَأَظْرَفَ مِنْ
أَبِي نُوَّاسٍ، وَأَسْخَى مِنْ حَاتِمٍ، وَأَشْجَعَ مِنْ عَمْرٍو، وَأَبْلَغَ مِنْ سَحْبَانَ وَإِثْلٍ وَأَدْهَى مِنْ قَصِيرٍ، وَأَشْعَرَ مِنْ
جَرِيرٍ وَأَعْدَبَ مِنْ مَاءِ الْفَرَاتِ، وَأَطْيَبَ مِنَ الْعَافِيَةِ، لِبَدْلِي وَمُرُوعَتِي، وَإِثْلَافِ ذَخِيرَتِي، فَلَمَّا خَفَّ الْمَتَاعُ،
وَأَنْحَطَّ الشَّرَاعُ وَفَرَّغَ الْجِرَابُ، تَبَادَرَ الْقَوْمُ الْبَابَ، لَمَّا أَحْسُوا بِالْقِصَّةِ، وَصَارَتْ فِي قُلُوبِهِمْ غُصَّةً، وَدَعَوْنِي
بِرَبْصَةٍ، وَأَبْعَثُوا لِلْفِرَارِ كَرَمِيَّةَ الشَّرَارِ، وَأَخَذْتُهُمُ الضُّجْرَةَ، فَانْسَلُوا قَطْرَةَ قَطْرَةً، وَتَفَرَّقُوا يَمَنَةً وَيَسْرَةً، وَبَقِيَتْ
عَلَى الْآجِرَةِ، قَدْ أَوْرَثُونِي الْحَسْرَةَ " ¹ ويمكننا الترميز لهذه البنية بالسلم كالاتي:



- " حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ فِي بَعْضِ مَطَارِحِ الْعُرْبَةِ مُجْتَازًا، فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ يَقُولُ لِآخَرٍ: بِمِ أَدْرَكَتَ
الْعِلْمَ؟ وَهُوَ يُجِيبُهُ، قَالَ: طَلَبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ بَعِيدَ الْمَرَامِ، لَا يُصْطَادُ بِالسَّهَامِ، وَلَا يُقَسَّمُ بِالْأَزْلَامِ، وَلَا يُرَى فِي
الْمَنَامِ، وَلَا يُضَبُّ بِاللِّجَامِ، وَلَا يُورَثُ عَنِ الْأَعْمَامِ، وَلَا يُسْتَعَارُ مِنَ الْكِرَامِ، فَتَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ بِافْتِرَاشِ الْمَدْرِ،
وَاسْتِنَادِ الْحَجَرِ، وَرَدِّ الضَّجْرِ، وَرُكُوبِ الْخَطْرِ، وَإِدْمَانِ السَّهْرِ، وَاصْطِحَابِ السَّفْرِ، وَكَثْرَةِ النَّظْرِ، وَإِعْمَالِ
الْفِكْرِ، فَوَجَدْتُهُ شَيْئًا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلْعَرْسِ، وَلَا يُعْرَسُ إِلَّا بِالنَّفْسِ، وَصَيْدًا لَا يَقَعُ إِلَّا فِي النَّدْرِ، وَلَا يَنْشَبُ
إِلَّا فِي الصَّدْرِ، وَطَائِرًا لَا يَخْدَعُهُ إِلَّا قَنْصُ اللَّفْظِ، وَلَا يَعْلَقُهُ إِلَّا شَرَكُ الْحِفْظِ فَحَمَلْتُهُ عَلَى الرُّوحِ، وَاسْتَعْنْتُ
فِي ذَلِكَ بِالتَّوْفِيقِ، " ² . ففي هذا النص سلسلة من الحجج كل واحدة منها تقوي سابقتها:

ح1: افتراش المدر، ح2: استناد الحجر، ح3: رد الضجر... ح ن: الاستعانة بالتوفيق . ويرمز لها بالسلم
الآتي:

¹ المقامة الصيرمية: من ص 236 إلى ص 238.

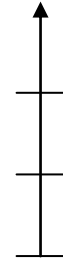
² المقامة العلمية: من ص 230 إلى ص 232.

ن: الأسباب و العوامل التي بها يدرك العلم تقوم على بذل المشاق

ح ن: الاستعانة بالتوفيق

ح 2: استناد الحجر

ح 1: افتراش المدر



- " قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ: لَمَّا نَطَّقَنِي الْغِنَى بِفَاضِلِ ذَيْلِهِ، أَتَهَمْتُ بِمَالِ سَلْبَتِهِ، أَوْ كَنَزِ أَصْبَتِهِ، فَحَفَزَنِي اللَّيْلُ، وَسَرَّتْ بِي الْخَيْلُ، وَسَلَكْتُ فِي هَرَبِي مَسَالِكَ لَمْ يُرْضَهَا السَّيْرُ . قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ: لَمَّا نَطَّقَنِي الْغِنَى بِفَاضِلِ ذَيْلِهِ أَتَهَمْتُ بِمَالِ سَلْبَتِهِ ... وَسَلَكْتُ فِي هَرَبِي مَسَالِكَ لَمْ يُرْضَهَا السَّيْرُ " ¹

يقدم الراوي حجته المتمثلة في أن الغنى قد زاد حتى شغل الحاجات بأسرها و أتى عليها ثم صدر عليها بعد سدادهما جميعا إلى حيث تعقد عليه العقد دون الخزائن لعدم الحاجة إلى استعماله، فكان ثمرة ذلك أن اتهمه قومه بسلب المال أو إصابة كثر لظهور الغنى عليه، مما حفزه ذلك على الهرب لما أحس منهم إرادة القبض عليه لمصادرة ماله و انتزاعه منه .

و يكون السلم الحجاجي لهذه القضية على الشكل التالي :

ن: الهروب ليلا ليحفظ ماله

ح 3: اتهام قومه له بسلب المال

ح 2: امتلاكه المال الزائد

ح 1: امتلاك المال



- " وَحَمَى ذُو الرُّمَّةِ فَقَالَ:

فَلَمْ يَسْقِ مَنبَتَهُمْ رَاجِسُ

وَأَمَّا مُحَاشِيعُ الْأَرْدُلُونِ

عِقَالٌ، وَيَحْبِسُهُمْ حَابِسُ

سَيِّعِقَلُهُمْ عَنِ مَسَاعِي الْكِرَامِ

فَقُلْتُ: الْآنَ يَشْرَقُ فَيْتُورُ، وَيَعْمُ هَذَا وَقَبِيلَتُهُ بِالْهَجَاءِ، فَوَاللَّهِ مَا زَادَ الْفَرَزْدَقُ عَلَيَّ أَنْ قَالَ: قُبْحًا لَكَ يَا ذَا الرُّمَيْمَةِ! أَتَعْرِضُ لِمِثْلِي بِمَقَالٍ مُنْتَحَلٍ؟ ثُمَّ عَادَ فِي نَوْمِهِ كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْ شَيْئًا، وَسَارَ ذُو الرُّمَّةِ وَسِرَّتْ مَعَهُ، وَإِنِّي لَأَرَى فِيهِ انْكِسَارًا حَتَّى افْتَرَقْنَا " ²

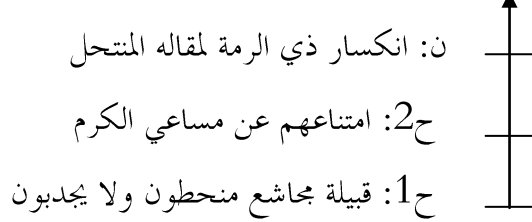
¹ المقامة الأذربيجانية: ص 52.

² المقامة الغيلانية: ص 50-51.

يورد ذو الرمة حجة الأولى في أدنى السلم الحجاجي المتمثلة في أن مجاشع قوم الفرزدق منحطون لا يتزل المطر بمنابتهم أي مواضع نباتهم فيجذبون ثم يتدرج إلى حجة ثانية تتضمن في تشبيه طباعهم من الخسة التي تقعد عن مطالب الكرام بالعقال.

وكلا الحجتين تخدمان نتيجة ضمنية من قبيل (انكسار ذي الرمة لمقاله المنتحل) وبذلك يكون السلم

الحجاجي لهذه القضية كالآتي:



4. الروابط و العوامل الحجاجية :

لما كانت للغة وظيفة حجاجية ، و كانت التسلسلات الخطائية محددة بواسطة بنية الأقوال اللغوية و بواسطة العناصر و المواد التي تم تشغيلها ، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج ، فاللغة العربية مثلا ، تشتمل على عدد كبير من الروابط و العوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية ، نذكر من هذه الأدوات : لكن ، بل ، إذن ، حتى ، لا سيما ، إذ ، لأن ، بما أن ، مع ذلك ، ربما ، تقريبا ، إنما ، ما ... إلا... إلخ.

إن هذه الأدوات هي التي دفعت ديكرو و أنسكومبر إلى رفض نموذج شارل موريس و الدفاع عن

فرضية التداوليات المندجة (**la pragmatique intégrée**) و ترتبط القيمة الحجاجية لقول ما

بالنتيجة التي يمكن أن يؤدي إليها ، أي بتتمته الممكنة و المحتملة ، و لا ترتبط بتاتا بالمعلومات التي

يتضمنها¹. و ينبغي أن نميز بين صنفين من المؤشرات والأدوات الحجاجية : العوامل الحجاجية

(**les operateurs**) و الروابط الحجاجية (**les connecteurs**) فالروابط تربط بين قولين

، أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر) ، و تسند لكل قول دورا محدد داخل الإستراتيجية الحجاجية

العامة ، ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية : بل ، لكن ، حتى ، لا سيما ، ... إلخ

¹ أبو بكر العزاوي : الحجاج و المعنى الحجاجي ضمن كتاب التحاجج، لحمو النقاري، ص 63 .

" أما العوامل الحجاجية ، فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة و نتيجة أو بين مجموعة حجج) ، و لكنها تقوم بحصر و تقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما ، و تضم مقولة العوامل أدوات من قبيل ربما ، تقريبا ، كاد ، قليلا ، كثيرا... إلخ و جل أدوات القصر"¹ .
ولتوضيح مفهوم العامل الحجاجي ، ندرس المثالين الآتيين :

_الساعة تشير إلى الثامنة .

_لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة .

فعندما أدخلنا على المثال الأول أداة القصر "لا...إلا" ، وهي عامل حجاجي ، لم ينتج عن ذلك أي اختلاف بين المثالين بخصوص القيمة الإخبارية أو المحتوى الإعلامي ، و لكن الذي تأثر بهذا التعديل هو القيمة الحجاجية للقول أي الإمكانيات الحجاجية التي يتيحها .

ففي المثال (الساعة تشير إلى الثامنة ، نجد أن له إمكانيات حجاجية كثيرة ، فقد يخدم هذا القول نتائج من قبيل : الدعوة إلى الإسراع ، التأخر و الاستبطاء ، هناك متسع من الوقت... إلخ. بمعنى أنه يخدم نتيجة من قبيل : (أسرع) كما يخدم النتيجة المضادة لها : (لا تسرع) ، لكن عندما أدخلنا على هذا المثال العامل الحجاجي : (لا...إلا) ، فإن إمكانياته الحجاجية تقلصت ، و أصبح الإنتاج العادي و الممكن هو : (لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة ، لا داعي إلى الإسراع).

1.4 الروابط الحجاجية :

الرابط (لكن): تستعمل لكن لنفي كلام و إثبات غيره ، يقول الرماني : " تقع لكن بين كلامين لما فيها من نفي و إثبات لغيره فهي تتوسط بين كلامين متغايرين نفيًا و إيجابًا يستدرك بها النفي بالإيجاب ، و الإيجاب بالنفي "² .

إن الوصف الحجاجي الذي يقدمه أصحاب النظرية الحجاجية للأداة (mais) أو لما يقابلها من الأدوات و الروابط في اللغات الأخرى في حال استعمالها للحجاج ، يمكن تلخيصه كما يلي : إن التلفظ بأقوال من نمط (أ لكن ب) يستلزم أمرين اثنين³ :

¹ أبو بكر العزاوي : الحجاج والمعنى الحجاجي ضمن كتاب التحاجج، لحمو النقاري، ص 64 .

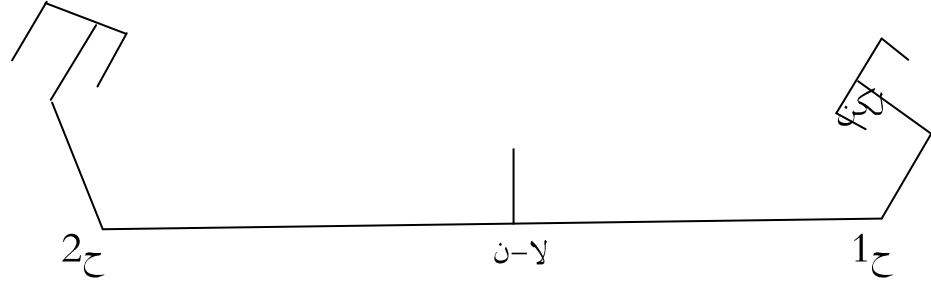
² الرماني أبو الحسين علي بن عيسى : معاني الحروف ، تحقيق : عرفان بن سليم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط 1 ، 2005 ، ص 196

³ أبو بكر العزاوي : اللغة و الحجاج، الأحمدي للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2006م، ص 58 .

1 _ أن المتكلم يقدم (أ) و (ب) باعتبارهما حجتين ، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة معينة (ن)
والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها ، أي (لا ، ن) .

2 _ أن المتكلم يقدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى ، و باعتبارها توجه القول أو الخطاب برمته .
و يمكن توضيح هذه العلاقة الحجاجية بواسطة الرسم البياني التالي :

ن - لا - ن



و بالمثال الآتي يبين ذلك :

(ألا إن وعد الله حق ، و لكن أكثرهم لا يعلمون) .

فالقسم الأول من الآية (إن وعد الله حق) يتضمن حجة تُخدم نتيجة من قبيل (سيقوم الناس بالواجب)
أو (سيطيعون و يتقون) ، و القسم الثاني من الآية (أكثرهم لا يعلمون) يتضمن حجة تُخدم نتيجة مضادة
للنتيجة السابقة ، (لا _ ن) أي تُخدم نتيجة من نمط (لن يطيعوا ربهم و لن يتقوه) .

فالرابط لكن الحجاجي يعمل تعارضا حجاجيا بين ما يتقدم الرابط و ما يتبعه .

من أمثلته في المدونة نجد مايلي :

- " وَلَقَدْ وَجَدتُ فِئَاءَكُمْ رَحْبًا، وَلَكِنَّ أَمْطَارَكُمْ مَاءٌ وَالْمَاءُ لَا يُرْوِي الْعِطَاشَ " ¹

- " بَلَى إِنَّ اللَّهَ لَكَرِيمٌ، وَلَكِنَّ كَرَمَ اللَّهِ يَزِيدُنَا وَلَا يَنْقُصُهُ، وَيَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّهُ " ²

- " فَأَخَذَنِي مِنْهُ مَا يَأْخُذُ الْأَعْرَلُ، مِنْ مِثْلِهِ إِذَا أَقْبَلَ، لَكِنِّي تَجَلَدْتُ " ³

¹ المقامة الناجمية : ص221 .

² المقامة الوصية : ص 234 .

³ المقامة الملوكية : ص 257 .

- " ثُمَّ قَالَ: يَا بَشْرُ سَلِّمْ عَمَّكَ وَادْهَبْ فِي أَمَانٍ، قَالَ: نَعَمْ، وَلَكِنْ بِشْرِيَّةٍ أَنْ تَقُولَ مِنْ أُنْتِ، فَقَالَ: أَنَا ابْنُكَ" ¹.

فقوله في المثال الثاني (بلى إن الله لكريم) يتضمن حجة تخدم نتيجة من قبيل (مؤكد أن الله يفيض من كرمه على عباده بالخير العميم)، أو من قبيل (كرم الله عظيم غير محدود)، و أما قوله الذي بعد الرابط الحجاجي لكن (كرم الله يزيدنا ولا ينقصه وينفعنا ولا يضره) يتضمن حجة تخدم نتيجة مضادة للنتيجة السابقة و هي أن كرم الله و عطاءه لعباده لا يعتريه النقص و الضر كما يعتريههم .

ن : مؤكداً أن الله يفيض من كرمه على عباده بالخير العميم لا-ن : أن كرم الله و عطاءه لعباده لا يعتريه النقص و الضر كما يعتريههم



ج 1: بلى إن الله لكريم
ج 2: كرم الله يزيدنا ولا ينقصه وينفعنا ولا يضره

الرابط (حتى) :

لقد تناول الباحثان ديكرو و أنسكومبر الأداة (MEME) في اللغة الفرنسية المقابلة للأداة (حتى) في اللغة العربية بشيء من الدراسة و التحليل وقدمها لها وصفا حجاجيا ، " فالحجاج المربوبة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة ، أي أنها تخدم نتيجة واحدة ، ثم إن الحجة التي ترد بعد (حتى) هي الأقوى و هو ما يقصده النحاة بقولهم : (أن يكون ما بعدها غاية لما قبلها) ...، و لذلك فإن القول المشتمل على الأداة حتى لا يقبل الإبطال و التعارض الحجاجي " ².

ومن الأمثلة الواردة في مقامات الهمداني نذكر :

- " وَسِرْتُ مَعَهُ وَإِنِّي لَأَرَى فِيهِ إِنْكَسَارًا حَتَّى إِفْتَرَقْنَا " ³.

- " فَسَاقَتْنِي الْحِرْصُ إِلَى مَا سَاقَهُمْ . حَتَّى وَقَفْتُ بِمَسْمَعِ صَوْتِ رَجُلٍ دُونَ مَرَأَى وَجْهِهِ لِشِدَّةِ الْمَحَمَّةِ " ¹.

¹ المقامة البشرية : ص 288 .

² أبوبكر العزاوي : اللغة و الحجاج ، ص 73

³ المقامة الغيلانية : ص 51 .

- " وما ودَعْنَا الْحَدِيثَ حَتَّى قُرِعَ عَلَيْنَا الْبَابُ " ² .
- " فَمَا زِلْنَا نَتَعَاطَى نُجُومَ الْأَقْدَاحِ ، حَتَّى نَفَدَ مَا مَعَنَا مِنَ الرَّاحِ " ³ .
- " ثُمَّ تَشَاغَلُوا بِتَجْهِيزِ الْمَيْتِ فَأَنْسَلْنَا هَارِبِينَ حَتَّى أَتَيْنَا قَرْيَةً عَلَى شَفِيرِ وَادِ السَّيْلِ يُطْرَفُهَا " ⁴ .
- " وَإِنثَالَتْ عَلَيْنَا الْهَدَايَا مِنْ كُلِّ جَارٍ . حَتَّى وَرِمَ كَيْسُنَا فِضَّةً وَتَبْرًا " ⁵ .
- " وَأُرْكَضُ طِرْفِي إِلَى كُلِّ غَوَايَةٍ . حَتَّى شَرِبْتُ مِنَ الْعُمْرِ سَائِعَهُ " ⁶ .
- " وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بَقَائَهُ . حَتَّى أُرْزَقَ لِقَائَهُ " ⁷ .

ففي المثال الرابع حجتان :

ح1 : فمازلنا نتعاطى نجوم الأقداح.

ح2 : نفذ ما معنا من الراح (وهي حجة أقوى من الحجة الأولى).

و الحجتان تخدمان نتيجة واحدة من قبيل (شدة بهجتهم لكؤوس الخمر في أعينهم زادهم في شربها إلى أن فنيت ولم يبق منها شيئا).

أما في المثال الخامس فنلاحظ الحجج التالية :

ح1 : تشاغلوا بتجهيز الميت.

ح2 : فانسلنا هاربين.

ح3 : أتينا قرية على شفير واد السيل يُطْرَفُهَا.

فكل هذه الحجج سواء الواردة قبل الرابط الحجاجي (حتى) أو الواردة بعدها تخدم نتيجة واحدة ضمنية من قبيل (هول المصيبة التي وقع فيها كل من عيسى بن هشام وأبي الفتح الإسكندري جراء كذب هذا الأخير بادعائه إحياء الميت , جعلتهما يفران إلى قرية مجاورة).

وهذه الحجج : ح1, ح2, ح3 جاءت متساوقة أي أنها تخدم نتيجة واحدة.

¹ المقامة القردية : ص113 .

² المقامة الناجمية : ص218 .

³ المقامة الخمرية : ص269 .

⁴ المقامة الموصلية : ص118 .

⁵ المقامة الموصلية : ص117 .

⁶ المقامة الكوفية : ص29 .

⁷ المقامة الأسدية : ص35 .

ونلاحظ أن الحجة الأخيرة التي تلي الرابط (حتى) هي الأكثر قوة لما قامت به من تأكيد للحجج

السابقة.

و للرابط (حتى) استعمال حجاجية أخرى كأن تستعمل للتعليل كما هو الحال في المثال الأخير (وأنا أسأل الله بقاءه. حتى أرزق لقاءه) فقد جاءت تدل على التعليل أي أن ما قبلها تعليل وحجة لما بعدها ،

ويمكن أن نعوضها بأداة التعليل (كي) فتصير العبارة كما يلي :

(وأنا أسأل الله بقاءه كي أرزق لقاءه) حيث أدت حتى وظيفة حجاجية تعليلية مؤداها أن سؤال عيسى بن

هشام الله ببقاء الإسكندري حيا يكون سببا للقاء به.

الرابط (لام التعليل):

تُعدُّ لام التعليل من الروابط الحجاجية التي تربط بين النتيجة و الحجة لدعم و تبرير النتيجة .

ومن الأمثلة على هذا الرابط في المدونة مايلي :

- " وَتَرَكْنَا مَا أَفَلْتِ . وَعُدْنَا إِلَى الرَّفِيقِ لِنُجْهِّزَهُ " ¹ .

- " فقال (أبو الفتح الإسكندري): دَعُوهُ وَلَا تُرَوِّعُوهُ، وَإِنْ سَمِعْتُمْ لَهُ أُنِينًا فَلَا تُجِيبُوهُ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَقَدْ

شَاعَ الْخَبْرُ وَانْتَشَرَ، بِأَنَّ الْمَيِّتَ قَدْ نُشِرَ، وَأَخَذْنَا الْمَبَارَّ مِنْ كُلِّ دَارٍ، وَأَثَالَتْ عَلَيْنَا الْهَدَايَا مِنْ كُلِّ جَارٍ، حَتَّى وَرِمَ كَيْسُنَا

فِضَّةً وَبِرًّا وَامْتَلَأَ رَحْلُنَا أَقْطًا وَتَمْرًا، وَجَهَدْنَا أَنْ نَنْتَهِيَ فُرْصَةَ فِي الْمَهْرَبِ فَلَمْ نَجِدْهَا، حَتَّى حَلَّ الْأَجَلُ

الْمَضْرُوبِ، وَاسْتَنْجَزَ الْوَعْدَ الْمَكْدُوبُ فَقَالَ الْإِسْكَانْدَرِيُّ: هَلْ سَمِعْتُمْ لِهَذَا الْعَلِيلِ رِكْزًا، أَوْ رَأَيْتُمْ مِنْهُ رَمْزًا؟

فَقَالُوا: لَا، فَقَالَ: إِنْ لَمْ يَكُنْ صَوْتٌ مُدَّ فَرَقْتُهُ، فَلَمْ يَجِبْ بَعْدَ وَقْتِهِ، دَعُوهُ إِلَى غَدٍ فَإِنَّكُمْ إِذَا سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ، أَمِنْتُمْ مَوْتَهُ،

مُعْرُوفِي لِأَحْتَالٍ فِي عِلَاجِهِ " ² .

- " وَإِنَّمَا حَدَّثْتُكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ لِتَعْلَمَ سَعَادَةَ جَدِّي فِي التَّجَارَةِ . وَ السَّعَادَةُ تُنْبِطُ الْمَاءَ مِنَ الْحِجَارَةِ " ³ .

- " وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ هَذَا وَنَبَّهْتُ عَلَيْهِ لِيُؤْخَذَ الْحَدْرُ مِنْ أَبْنَاءِ الزَّمَنِ وَ يُتْرَكَ الثُّقَّةُ بِالْإِخْوَانِ الْأَنْدَالِ السُّفْلِ " ⁴ .

¹ المقامة الأسدية : ص38.

² المقامة الموصلية: ص ص: 117- 118 .

³ المقامة المضيرية: ص ص: 129-130.

⁴ المقامة الصيرمية : ص 245.

ففي المثال الأول يخبرنا عيسى بن هشام و الإسكندري عن رجوعهما إلى الرفيق الميت وتركهما للفتى الذي كان يقاتل الأسد ليجهزا له مايلزم لدفنه من غسل وتكفين ثم مواراة في التراب وقد جاء هذا التركيب ممثلا في البناء الحجاجي الآتي :

- النتيجة: وتركنا ما أفلت. وعدنا إلى الرفيق.

- الربط الحجاجي: لام التعليل.

- الحجة: التهيئة لتجهيز الميت ودفنه.

أما المثال الثالث فممثلا في البنية الحجاجية التالية:

- النتيجة : وإنما حدثك بهذا الحديث.

- الرابط الحجاجي: لام التعليل.

- الحجة: تعلم سعادة جدي في التجارة.

فالرابط الحجاجي (لام التعليل) تموضع مباشرة بعد إلقاء الحجة وجاء مرتبطا بالحجة ليعلل و يفسر ويضمن سلامة النتيجة المطروحة والتي مفادها بسط التاجر لأبي الفتح الإسكندري في الحديث وتوسيعه فيه لكي يعلم جهده وسعيه في كسب المال .

_ الرابط (الواو) :

يستعمل الواو حجاجيا و ذلك بترتيبه للحجج ووصل بعضها ببعض ، إذ تقوي كل حجة منها الأخرى وتعمل على الربط النسقي أفقيا على عكس السلم الحجاجي .

ومن الأمثلة في المدونة:

- " تَقَدَّمَ يَا غَلامُ واحسِرْ عَن رَأْسِكَ. وشَمِّرْ عن ساقِكَ. وانضُ عن ذِراعِكَ وافترِّ عن أسنانِكَ. وأقْبِلْ وأدْبِرْ "1.

- " وهَضُنَّا في أثْرِ الحَيْلِ فَتَأَلَّفْنَا مِنْها ما ثَبَّتْ. وترَكْنَا ما أَفَلَّتْ. وَعَدُّنا إلى الرِّفِيقِ لِجَهْرِهِ "2.

- " اللَّهُمَّ يا مُبَدِّئِ الأَشْياءِ ومُعِيدِها، ومُحْيِي العِظامِ ومُبيدِها، وَخالِقَ المِصْبَاحِ ومُدِيرِهُ، وفالِقَ الإِصْباحِ ومُنِيرِهُ، ومُوصِلَ الآلاءِ سابعَةَ إِيانِنا، ومُمسِكَ السَّماءِ أَنْ تَقَعَ عَلَيْنَا، وبَارِي النَّسَمِ أرواجاً وَجاعِلَ الشَّمسِ

¹ المقامة المضيرية:ص131.

² المقامة الأسدية:ص38.

سِرَاجًا، وَالسَّمَاءِ سَقْفًا وَالْأَرْضِ فِرَاشًا، وَجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالتَّهَارِ مَعَاشًا، وَمُنْشِيَّ السَّحَابِ ثِقَالًا وَمُرْسِلَ الصَّوَاعِقِ نَكَالًا، وَعَالِمَ مَا فَوْقَ النُّجُومِ وَمَا تَحْتَ التُّحُومِ، أَسْأَلُكَ الصَّلَاةَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَأَنْ تُعِينَنِي عَلَى الْعُرْبَةِ أَنْبِيَّ حَبْلَهَا " ¹.

- " وَ طَلُّوا بِالْمَغْرَةِ لِبُوسِهِمْ. وَتَأَبَّطَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَجْرًا يَدُقُّ بِهِ صَدْرَهُ. وَفِيهِمْ زَعِيمٌ لَهُمْ يَقُولُ وَهُمْ يُرَاسِلُونَهُ. وَيَدْعُو وَيُجَاوِبُونَهُ " ².

ففي هذا المثال الأخير بني الخطاب على جملة من الحجج : ح1, ح2, ح3, ... إلخ حيث:

- ح1: مبدي الأشياء و معيدها.

- ح2: محيي العظام ومبيدها.

- ح3: خالق المصباح ومدبره.

وغيرها من بقية الحجج.

- الرابط الحجاجي: الواو.

- النتيجة : الدعاء والتضرع وطلب الإعانة من الخالق .

فالرابط الحجاجي هنا قام بالوصل بين الحجة والحجة . وقام كذلك بترتيب الحجج لتقوية النتيجة المطروحة ودعمها وهي التضرع واللجوء إلى الخالق سبحانه وتعالى بالدعاء إليه بقدرته العظيمة من إنشاء وخلق وتديير للكون وإسباغ للنعم وإمساك للسماء ... إلخ للإعانة على الغربة وعلى العسرة التي لقيها أبو الفتح الإسكندري في بعده . كما عمل هذا الرابط على ربط الحجج وترتيبها ترتيبا أفقيا.

وقد يأتي هذا الرابط الحجاجي واو حال سابقة للحجة لذلك فهي مقدم حجة و البنية الحجاجية مع الواو تبدأ بالنتيجة لا بالحجة ، " فمع استعمال واو الحال تكون الحجة أقوى لها طابع البرهان " ³ ، و تأتي من الشكل :

نتيجة _____ واو الحال + حجة .

وكنموذج على ذلك ما جاء في المثال الرابع قوله (وفيهم زعيم لهم يقول وهم يرأسلونه) حيث بنيته الحجاجية على النحو التالي :

¹ المقامة الأذربيجانية: ص ص: 53-54.

² المقامة الساسانية: ص ص: 108-109.

³ الخواس مسعودي : البنية الحجاجية في القرآن ، مجلة اللغة والأدب ، ملتقى علم النص ، ع12 ، 1997 ، ص 334.

- النتيجة : وفيهم زعيم لهم يقول.

- الرابط الحجاجي : واو الحال.

- الحجة : هم يرأسلونه.

فلووا الحال دور في عملية الإقناع حيث يصور لنا الراوي حال تأثر القوم لترتيل قوله في نغم مخصوص وهم يعيدون لفظه مع النغم المناسب لنغمه فهم لذلك يرأسلونه وهو يرأسلهم.

الرابط الحجاجي (إذ):

ومن أمثلته:

- " فَبَيْنَا أَنَا فِي لَيْلَةٍ يَضِلُّ فِيهَا الْعَطَاطُ، وَلَا يُبْصِرُ فِيهَا الْوَطَاطُ، أَسِيحُ سَيْحًا، وَلَا سَانِحُ إِلَّا السَّبْعُ، وَلَا بَارِحَ إِلَّا الضَّبْعُ، إِذْ عَنِّي لِي رَاكِبٌ تَامُ الْآلَاتِ، يَوْمُ الْأَثَلَاتِ " ¹.

- " حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: أَحَلَّتْنِي دِمَشْقَ بَعْضُ أَسْفَارِي، فَبَيْنَا أَنَا يَوْمًا عَلَى بَابِ دَارِي، إِذْ طَلَعَ عَلَيَّ مِنْ بَنِي سَاسَانَ كَتِيبَةٌ قَدْ لَفُوا رُؤُوسَهُمْ " ².

- " فَبَيْنَمَا أَنَا عَلَى الشَّطِّ إِذْ عَنِّي لِي فَتَى فِي أَطْمَارٍ " ³.

ففي المثال الأول يخبرنا الراوي وهو يسير في ليلة كانت من الظلام بسواد ، لا مسرب للضياء فيه والطريق مسبعة مخوفة ، حتى أن السائر فيها لا يجد من الحيوان سانحا (الذي يمر عن يمينك) ولا بارحا (الذي يمر عن يسارك) إلا المفترسة من سبع وضبع ، فبينما هو كذلك إذ ظهر له راكب مستكمل لسلاحه متجها بسرعة نحوه ، ويمكننا توضيح بنية هذا التركيب كالاتي :

الحجة : بينا أنا في ليلة يضل فيها الغطاط. ولا يبصر فيها الوطاط. أسيح سيحا ولا سانح إلا السبع. ولا بارح إلا الضبع.

الرابط الحجاجي : إذ .

النتيجة : عن لي راكب تام الآلات يوم الأثلات.

وعليه تكون البنية الحجاجية من الشكل :

الحجة _____ إذ _____ النتيجة.

¹ المقامة الفزارية: ص ص: 81-82.

² المقامة الساسانية: ص 108.

³ المقامة العراقية: ص 164.

وعلى نفس البناء درجت باقي الأمثلة.

4. 2 العوامل الحجاجية:

العامل الحجاجي (لا ... إلا) :

ومما جاء ذكره في النص قيد الدراسة مايلي:

- " فَوَقَفَ الرَّجُلُ وَقَالَ: لَا يَنْظُرُ لِهَذَا الطِّفْلِ إِلَّا مَنْ اللَّهُ طَفْلَهُ، وَلَا يَرِقُّ لِهَذَا الضُّرِّ إِلَّا مَنْ لَا يَأْمَنُ مِثْلَهُ " ¹.
- " فَقَالَ مَا يَجْمَعُنَا إِلَّا بَلَدُ الْعُرْبَةِ وَلَا يَنْظِمُنَا إِلَّا رَحِمُ الْقُرْبَةِ " ².
- " كُنْتُ فِي مُنْصَرَفِي مِنَ الْيَمَنِ، وَتَوَجَّهِي إِلَى نَحْوِ الْوَطَنِ، أَسْرَى ذَاتَ لَيْلَةٍ لَا سَانِحَ بِهَا إِلَّا الضَّبْعُ، وَلَا بَارِحَ إِلَّا السَّبْعُ " ³.

فإذا حللنا القول الحجاجي (لا ينظر لهذا الطفل إلا من طفله الله) الوارد في المثال الأول نجده يسير في نفس الاتجاه للحجة (ينظر لهذا الطفل من طفله الله) ؛ و هما يخدمان نتيجة ضمنية من قبيل وجوب رحمة المساكين والضعفاء و الرفق لخالهم.

أما إذا حللنا القول الحجاجي (لا ينظمننا إلا رحم القربة) الوارد في المثال الأول نجده يسير في نفس الاتجاه للحجة (ينظمننا رحم القربة) ؛ و هما يخدمان نتيجة ضمنية من قبيل مفادها أن القرب في المكان والمثالة هو ثبت أمن ؛ ضمتهما الغربية في طريق واحد فكأن المتقاربين في المكان قريبين في الرحم.

العامل الحجاجي (كاد) :

تُعدُّ كاد من العوامل الحجاجية التي لا تربط بين متغيرات حجاجية (بين حجة و نتيجة أو بين مجموعة حجج) خلافا للرباط الحجاجي (و) ، لكنه يقوم بحصر و تقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما فمثلا قولنا (كدت أستجيب) مقتضاه أن الاستجابة لم تحصل ، ووجود المؤشر اللغوي (كدت) يوضحه و يؤكد و بالتحليل الحجاجي تكون الحجة (كدت أستجيب) تسير في الاتجاه الذي تؤدي إليه الحجة (أستجيب) و تخدم النتيجة التي تخدمها هذه الحجة ، و يمكن التمثيل لهذه العلاقة على الشكل التالي :

أستجيب _____ الضغط شديد .

¹ المقامة البخارية: ص ص:97-98.

² المقامة الشيرازية : ص196.

³ المقامة الملوكية :ص257.

كدت أستجيب _____ الضغط شديد .

و إذا كان هناك فرق بينهما على مستوى الاقتضاء ، إذ أن الاستجابة حصلت في الحالة الأولى و لم تحصل في الثانية ، فإنهما تشتركان في الوجهة الحجاجية ، و في النتيجة التي تخدمانها و تقصدان إليها ¹ .
ومن الأمثلة التي استعمل فيها هذا العامل ما يلي :

- "ثُمَّ اتَّخَذْتُ اللَّيْلَ لِي مَرْكَبًا وَمَا سِوَى الْعَزْمِ أَمَامِي جَنَيْبٌ
فَقَدُّكَ مِنْ سَيْرِي فَشِي لَيْلَةٍ يَكَادُ رَأْسُ الطِّفْلِ فِيهَا يَشِيبُ ² .
- " ثُمَّ تَعَاوَلْتُ عَنِ اقْتِضَائِهِ، حَتَّى كَادَتْ حَاشِيَةُ حَالِهِ تَرِقُّ، فَأَتَيْتُهُ فَأَقْتَضَيْتُهُ " ³ .
- " فَمَا اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ سَمْعِي مَسَافَةً مُقَامِي؟ ، أَفَصَحُّ مِنْ كَلَامِي، وَلَمَّا حَتَّى الْفِرَاقُ بِنَاقُوسِهِ أَوْ كَادَ دَخَلَ عَلَيَّ
شَابُّ فِي زِيٍّ مِلءِ الْعَيْنِ، وَلَحِيَّةٍ تَشُوكُ الْأَخْدَعَيْنِ " ⁴ .
- " قَالَ: وَلِمَ؟ قِيلَ: مِنْ أَجْلِ مَا صَنَعَ أَبُو الْعَنْبَسِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ امْتَحَنَ بَعْشَرَتِهِ وَمُنَادَمَتِهِ، فَضَجِكَ حَتَّى كَادَ
يُبُولُ فِي سَرَاوِيلِهِ أَوْ بَالَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " ⁵ .

وبتحليل القول (يكاد رأس الطفل فيها يشيب) الوارد في البيت الثاني من المثال الأول نلاحظ الاستجابة لم تحصل ، وإنما الملفوظ يقتضي ذلك، و وجود العامل (يكاد) يوضحه و يؤكد، وهو يقوم بوظيفة حجاجية تتمثل في الربط بين أجزاء النص، وبين الملفوظات داخل المقطع الواحد، وتحليل التركيب السابق حجاجيا (يكاد رأس الطفل فيها يشيب) نجده يسير في نفس الاتجاه الذي تؤدي إليه الحجة (يشيب رأس الطفل) ويخدمان نفس النتيجة.

العامل الحجاجي (ربما) :

ومن أمثلة هذا العامل في نص المدونة :

- " وَنَعُودُ إِلَى حَدِيثِ الْمَضِيرَةِ، فَقَدْ حَانَ وَقْتُ الظُّهْرِ، يَا غَلَامُ الطَّسْتِ وَالْمَاءَ فَقُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، رَبِّمَا قَرُبَ
الْفَرَجُ " ⁶ .

¹ أبو بكر العزاوي : الخطاب والحجاج، الأحمديّة للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007م ، ص 55 / 56.

² المقامة القزوينية، ص 105.

³ المقامة المضيرية : ص 128.

⁴ المقامة البلخية: ص ص: 17-18.

⁵ المقامة الصيمرية: ص 244.

⁶ المقامة المضيرية: ص 131.

فالراوي هنا يصور فرحة أبي الفتح الإسكندري وتكبيره حين رجع التاجر للحديث عن المضيرة بعد ثرثرة طويلة مملة أفقدت أبي الفتح صبره.

وإذا حللنا هذا القول حجاجيا فإننا نجد أن الحججة (ربما قرب الفرج) تسير في نفس الاتجاه مع الحججة (قرب الفرج) . ويخدمان نفس النتيجة والتي تكون من قبيل (حانت لحظة الأكل والخروج من كثرة كلام التاجر وثرثرته المملة).

الفصل الثاني

الفصل الثاني : فاعلية السياق في مقامات الهمداني.

- 1.2 مفهوم السياق.
- 2.2 السياق في التراث.
- 3.2 نظرية السياق عند فيرث.
- 4.2 أنواع السياق.
- 5.2 دور السياق ووظائفه.
- 6.2 سياق المناسبة في مقامات الهمداني.
- 7.2 سياق الافتراضات المسبقة في مقامات الهمداني.
- 8.2 سياق الإضمار في مقامات الهمداني.
- 9.2 سياق الإحالة في مقامات الهمداني.
- 10.2 مقامات الهمداني والتلقي.
- 1.10.2 التلقي الإحيائي.
- 2.10.2 التلقي الإستبعادي.
- 3.10.2 التلقي التأصيلي.
- 11.2 التقسيم السياقي لعناوين مقامات الهمداني.

الفصل الثاني : فاعلية السياق في مقامات الهمداني :

1.2 مفهوم السياق:

السياق في اللغة : جاء في لسان العرب " ساق الإبل يسوقها سوقا وسياقا ، وهو سائق وسواق ..وسواق يسوق بمن ، أي: حاد يحدو الإبل فهو يسوقهن بحدائه ، وسواق الإبل يقدمها ، ومنه : رويدك سوقك بالقوارير . وقد انسأقت وتسأوقت ، وتسأوقت الإبل إذا تابعت ، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتسأوقة ..والمسأوقة : المتابعة كأن بعضها يسوق بعضها..وساق الصداق والمهر سياقا وأساقه ، وإن كان دراهم أو دنانير لأن أصل الصداق عند العرب الإبل ، وهي التي تساق ؛ فاستعمل ذلك في الدراهم والدينار وغيرهما والسياق: المهر..فيل للمهر: سوق ؛ لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهرا... يقال :ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة ؛ أي بعضهم على إثر بعض ليس بينهم جارية"¹. وقال الزمخشري في أساس البلاغة : " وهو يسوق الحديث أحسن سياق ، وإليك يساق الحديث ، وهذا الكلام مسأقة إلى كذا ، وجئتك بالحديث على سوقه : على سرده"².

وقد تناولت المعاجم الحديثة هذه المادة بالتفسير و التوضيح ، ففي المعجم الوسيط مادة (ساق): يقال ساق الله إليك خيرا ونحوه ؛ بعثه إليه وأرسله ، وساق المهر إلى المرأة: أرسله وحمله إليها..وانساق : تبع غيره وانساق : انقاد ، وتسأوقت الماشية ونحوها : تابعت وتراجمت في السير ..والسويق طعام يتخذ من مدقوق الحنطة و الشعير سمي بذلك لانسياقه في الحلق ، وسياق الكلام : سرده و أسلوبه الذي يجري عليه"³.

ومما سبق يمكننا أن نقول : إن السياق في الدلالة اللغوية ، يدل على انتظام متوال في الحركة لبلوغ غاية محددة دون انقطاع أو انفصال.

المفهوم الاصطلاحي للسياق في التراث : إن المفاهيم المستفادة من بعض استخدامات لفظ السياق من طرف اللغويين و البلاغيين و الأصوليين و المفسرين لها خصوصية دلالة ، قد تقود إلى بناء مفهوم للسياق في التراث العربي كما تشير إلى ذلك النقاط التالية :

¹ ابن منظور : لسان العرب : ج4، ص 2154-2155..

² الزمخشري : أساس البلاغة ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2006 ، ص 314 .

³ مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، مكتبة التراث الدولية ، بيروت ، لبنان ، ص : 464-465..

1 - السياق يراد به السياق اللغوي وقد تناوله الشافعي (204 هـ) حين عقد بابا في الرسالة أسماءه (باب الصنف بين سياقه معناه) ، وبلوغه أنه لم يعرفه إلا أنه ساق أمثلة من القرآن الكريم من مثل قوله تعالى : ﴿وَسأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية 163] ، ثم قال : "فابتدأ جل ثناؤه الآية بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر ، فلما قال : (إذ يعدون في السبت) دَلَّ على أنه إنما أراد أهل القرية ، لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا في غيره ، وإنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون " ¹ ، و واضح من استدلاله بما بعد لفظ القرية أنه يعني سياق النص و إن لم يذكره في هذا الموضوع.

2 - دخل لفظ السياق في حد أحد أقسام اللفظ من حيث الوضوح هو النص الذي يعرفه السرخسي (490هـ) بأنه : " ما يزداد وضوحا بقرينة تقترب باللفظ من المتكلم ليس في اللفظ ما يوجب ذلك ظاهرا بدون تلك القرينة " ² ، وهذه القرينة التي تقترب باللفظ من المتكلم ، وتكون فرقا فيما بين النص و الظاهر هي السياق بمعنى الغرض الذي سيق لأجله الكلام ³.

2.2 السياق في التراث :

السياق عند اللغويين : قد اهتم اللغويون بمسألة تركيب الألفاظ مع بعضها ، فتطرق سيبويه بعد أن أشار إلى أقسام الألفاظ من حيث الترادف و الاشتراك ⁴ .. الخ إلى قضية الاستقامة و الإحالة في الكلام ، فقال : "فمنه مستقيم حسن ، و محال ، و مستقيم كذب ، و مستقيم قبيح ، و ما هو محال كذب . فأما المستقيم الحسن فقولك : أتيتك أمس ، و سأتيك غدا . و أما المحال : فأنت تنقض أول كلامك بآخره ، فنقول : أتيتك غدا ، و سأتيك أمس . و أما المستقيم الكذب فقولك : حملت الجبل ، و شربت ماء البحر و نحوه .. و أما المستقيم القبيح فأنت تضع اللفظ في غير موضعه ، نحو قولك : قد زيدا رأيت ، و كي زيدا يأتيتك ، وأشباه هذا .

¹ الشافعي : الرسالة ، تح أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت ، ص 62 - 63.

² السرخسي : أصول السرخسي ، تح أبو الوفاء الأفعاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ج 1 ، ص 164 .

³ المرجع نفسه : ج 1 ، ص 164 .

⁴ سيبويه : الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 4 ، 2004 . ج 1 ، ص 24.

و أما المحال الكذب فأن تقول : سروف أشرب ماء البحر أمس¹.

و يلاحظ أن مذهبا يتكئ على معيار الصدق و الكذب يفترض أن يجمع حسن التركيب ، إلى حسن التواءم مع الواقع الخارجي (الموقف) .

كما أن إمام سيبويه إلى قضية التوافق بين التركيب اللغوي و الواقع الخارجي في مثاليه عن المستقيم الكذب في مثل : (حملت الجبل ، و شربت ماء البحر) ، هو أمر يدعو إلى أن التركيب اللغوي الصحيح نحويا ليس بالضرورة أن يقود إلى معنى صحيح دائما ، بل يقود إلى التباس في عدم التسليم بصحة الدلالة للتنافي العقلي بين صحة التركيب و مقولات الواقع .

وقد حوت كتب النحو إشارات مهمة إلى الترابط في سياق الجملة أو الجمل ، مما يعني وعيهم بسياق النص ، و إن لم يشرروا إليه بلفظه صراحة ، وقد أشاروا إلى الرتبة و أهميتها دلاليا ، قال ابن جني : " ويدلك على تمكن المعنى في أنفسهم ، و تقدمه لللفظ عندهم تقديمهم لحرف المعنى في أول الكلمة ، و ذلك لقوة العناية به ، فقدموا دليله ليكون ذلك أمانة لتمكنه عندهم ، و على ذلك تقدمت حروف المضارعة في أول الفعل ، إذ كن دلائل على الفاعلين : من هم ، و ما هم ، و كم عدتهم ، نحو افعل ، و نفعل و يفعل .."².

و المقصود بالعناية و الأهمية هو مراعاة لحال المتكلم أو المخاطب ، أو للموقف بكامله ، إذ يفترض أن بعض ما تشير إليه الألفاظ قد يكون خطايا أولى بالتقديم ، و هذا هو ما ذكره عبد القاهر الجرجاني (471) حين قال : " إن معنى ذلك أنه قد يكون من أغراض الناس في فعل ما أن يقع بإنسان بعينه ، ولا يبالون من أوقعه ، كمثل ما يعلم من حالهم في حال الخارجي يخرج فيعيث و يفسد و يكثر به الأذى ، أنهم يريدون قتله ، ولا يبالون من كان القتل منه ، ولا يعينهم منه شيء ، فإذا قتل وأراد مريد الإخبار بذلك فإنه يقدم ذكر الخارجي فيقول : قتل الخارجي زيد ، ولا يقول : " قتل زيد الخارجي " ، لأنه يعلم أن ليس للناس في أن يعلموا أن القاتل له " زيد " جدوى و فائدة .."³.

إن بعض الأمثلة و النماذج التي نسوقها فيما يلي تكشف عن أن الحذف إنما كان لدليل من سياق النص ، أو الموقف .

¹ المرجع نفسه : ج 1 ، ص 25_26.

² أبو الفتح عثمان بن جني : الخصائص ، ج 1 ، ص 224-225 .

³ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 119.

و تعتبر القرائن الحالية المشار إليها هي الموقف ، كما يكون الحذف بناء على علم المخاطب ، أو حال المتكلم ، أو مقتضى الموقف .. ، وقد يكون من حال المتكلم حركة يديه و وجهه و هيئته بكاملها ، قال ابن جني حول قول نعيم بن الحرث بن يزيد السعدي:

" تقول- و صكت وجهها بيمينها - أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

فلو قال حاكيا عنها : أبعلي هذا بالرحى المتقاعس -من غير صك الوجه - لأعلمنا بذلك أنها متعجبة منكورة ، لكنه لما حكى الحال فقال : و صكت وجهها ، علم بذلك قوة إنكارها ، و تعاضم الصورة لها ، هذا مع أنك سامع لحكاية الحال ، غير مشاهد لها ، ولو شاهدتها لكنت أعرف بها و لعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين ، و قد قيل : ليس المخبر كالمعائن " ¹.

على اعتبار أن السياق بنوعيه اللغوي و المقامي يؤدي إلى القدرة على تقدير الناقص ، وتحديد المتعدد فعلا ، فإن تفسير إشارات النحاة للسياق أو لقرائن الأحوال لم تظهر إلا في باب الحذف ، "فحينما يتم الحديث مثلا عن المبتدأ و الخبر و شروط كل منهما وفق الأصل المستنبط من كلام العرب لجملة المبتدأ و الخبر ، يبدأ الحديث عما يخالف هذا الأصل ، من فقدان لترتيب عناصره (التقديم و التأخير) ، أو لأحد عناصره (الحذف لأحدهما) و حينئذ يشرع في البحث عن المسوغ لاختلال الترتيب (الأصل) أو القرينة الدالة على المحذوف من كثرة الاستعمال ، أو علم المخاطب ، أو دليل عليه حالي أو مقالي ، و كذلك الحال في جميع أبواب النحو العربي" ².

السياق عند البلاغيين :

كان البلاغيون والنقاد على حد سواء يحتفلون بالقول المشهور " لكل مقام مقال " الذي ورد في بيت للحطيئة يخاطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ³ :

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكُ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا.

وقد أخذت مقولة (لكل مقام مقال) في التراث قيمتها ودلالاتها ، حيث ذهب بشر بن المعتمر (210)

— فيما نقله عن الجاحظ — إلى أن : " المعنى ليس يشرف بأن يكون من معان الخاصة ، و كذلك ليس

¹ ابن الجني: الخصائص ، ج1 ، ص 245-246 .

² ردة الله الطلحي: دلالة السياق ، مطابع جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 1424هـ، ص 77 .

³ ابن منظور : لسان العرب ، ج5 ، ص 3778.

يتضح بأن يكون من معاني العامة ، و إنما مدار الشرف على الصواب ، و إحراز المنفعة ، مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام مقال¹.

يتضح من النص أن المعاني تختلف فهناك معان للعامة ، ومعان للخاصة بحسب أقدارهم ، و مدار الشرف على موافقة المقال لمقام الخاصة أو مقام العامة ، وهو ما يؤكد فيما بعد بقوله : " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني و يوازن بينها و بين أقدار المستمعين ، و بين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ، ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، و يقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات "².

و الجاحظ في كلامه هذا يشير إلى أنه يوجد تناسب ما بين المقال والمقام في عبارة (لكل مقام مقال) ويوضحه أكثر في قوله : " و أرى أن أَلْفَظَ بِالْفَظِ الْمُتَكَلِّمِينَ مَا دَمَتْ خَائِضًا فِي صِنَاعَةِ الْكَلَامِ مَعَ خَوَاصِ أَهْلِ الْكَلَامِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَفْهَمُ لَهُمْ عَنِّي ، وَ أَحْفَ لِمُؤْتَمِعِهِمْ عَلَيَّ ، وَ لِكُلِّ صِنَاعَةِ أَلْفَازٍ قَدْ حَصَلَتْ لِأَهْلِهَا بَعْدَ امْتِحَانِ سِوَاهَا ، فَلَمْ تَلْزُقْ بِصِنَاعَتِهِمْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَشَاكِلًا بَيْنَهَا وَ بَيْنَ تِلْكَ الصِّنَاعَةِ ، وَ قَبِيحٌ بِالْمُتَكَلِّمِ أَنْ يَفْتَقِرَ إِلَى أَلْفَازِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي خُطْبَةٍ ، أَوْ رِسَالَةٍ ، أَوْ فِي مَخَاطَبَةِ الْعَوَامِ وَ التَّجَارِ ، أَوْ فِي مَخَاطَبَةِ أَهْلِهِ وَ عِبَدِهِ وَ أُمَّتِهِ أَوْ فِي حَدِيثِهِ إِذَا تَحَدَّثَ ، أَوْ خَبَّرَهُ إِذَا أَخْبَرَ . وَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ مِنَ الْخَطَأِ أَنْ يَجْلِبَ أَلْفَازَ الْأَعْرَابِ وَ أَلْفَازَ الْعَوَامِ وَ هُوَ فِي صِنَاعَةِ الْكَلَامِ دَاخِلٌ ، وَ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ ، وَ لِكُلِّ صِنَاعَةٍ شَكْلٌ "³.

فالمقال ليس إلا الألفاظ المناسبة للمقام الاجتماعي الذي يجري فيه الحديث ، و يوصف هذا التناسب بأن له وجهان : أحدهما : تناسب الألفاظ مع المجال الخاص (الموضوع) كتناسب مصطلحات العلم مع الموضوع ، و الوجه الآخر : تناسب الألفاظ مع الطبقة المستمعة من الجمهور .

و قد تناول ابن رشيقي هذه المقولة (لكل مقام مقال) بشيء من التفصيل حيث ذهب إلى أن " أول ما يحتاج إليه الشاعر بعد الجهد الذي هو الغاية، وفيه وحدة الكفاية، حسن التأني و السياسة ، و علم مقاصد القول، فإن نسب ذل و خضع ، و إن مدح أطرى و أسمع ، و إن هجا أقل و أوجع ،... و إن استعطف حن و رجع ، و غايته معرفة أغراض المخاطب كائنا من كان ، ليدخل إليه من بابه ، و يداخله في ثيابه،

¹ الجاحظ: البيان و التبيين، تحقيق و شرح عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، دط، دت. 1/ 136.

² المرجع نفسه : ج 1 ، ص 138-139.

³ الجاحظ : الحيوان ، تح عبد السلام هارون ، دار الجيل، بيروت ، لبنان ، ط 3، 1996، ج 3، ص 368 369.

فذلك هو سر صناعة الشعر ، و مغزاه الذي به تتفاوت الناس ، و به تفاضلوا " ¹ . فابن رشيق يربط المقال بأغراضه التي هي عنده (المقام) حيث قال تلو ذلك مباشرة : " و قد قيل : لكل مقام مقال " ² .

و يفهم من كلام ابن رشيق أنه يعني بالمقام (الغرض) ، و الأغراض تختلف بين مراد المتكلم و حال المخاطب ، فهناك أغراض فردية و أخرى احتفالية ، و هذه الأغراض هي التي يحتاجها الشاعر من معرفته (بعلم مقاصد القول) و المقاصد هي الأغراض من نسيب و مدح و هجاء و فخر و عتاب و استعطاف .

3.2 نظرية السياق عند فيرث : تعد نظرية السياق في الفكر اللغوي الغربي والتي أرسى معالمها الإنجليزي فيرث (1890_1960) منذ سنة 1935م ، خطوة مهمة و متقدمة ، حاول بها أن يستعيض عن المذاهب الأخرى في التحليل اللغوي .

لقد بنى فيرث نظريته السياقية وخاصة فيما يتعلق بسياق الموقف على جهود وأبحاث مالينوفسكي ³ ، وإن اختلفت نظرة كل منهما ، ف " سياق الموقف الخاص بمالينوفسكي يتألف من الملامح الواقعية الفعلية التي ترتبط بالبيئة الثقافية و الطبيعية التي حدث فيها الموقف مما أدى إلى اتهامه بالتخصيصية ، و افتقاره إلى التعميم بمعنى أن كل عبارة ينبغي أن تتناول على حدة ، و بالتالي تستبعد النظريات العامة للمعنى ، و لهذا يأخذ علي فيرث أن اتجاهه في تطبيق فكرة (سياق الموقف) يعد اتجاهًا براجماتيا ، إذ خلط بين ما يمكن أن يكون (إطارا نظريا) و بين الأحداث العملية نفسها التي يصح أن تؤخذ على أنها مجرد أمثلة نموذجية لهذا الاستخدام اللغوي أو ذاك " ⁴ .

لقد قدم فيرث السياق على أنه إطار منهجي يمكن تطبيقه على الأحداث اللغوية ⁵ ، أو هو كما يقول بالمر : " جزء من أدوات عالم اللغة مثله مثل الفصائل النحوية التي يستخدمها " ⁶ .

وقد وُجّهت إلى نظرية فيرث حول سياق الموقف برغم أهميتها انتقادات من أهمها: وصفها بأنها نظرية دلالية ناجحة لكنها غير علمية .

¹ ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ج1، ص 208.

² المرجع نفسه : ج1، ص 208.

³ علي عزت : اللغة و نظرية السياق ، مقال في مجلة الفكر المعاصر ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر ، العدد 76 ، سنة 1971 ، ص 23 .

⁴ المرجع نفسه ، ص 23.

⁵ المرجع نفسه ، ص 23.

⁶ بالمر : علم الدلالة (إطار جديد) ، تر صبري إبراهيم السيد ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، د ط ، 1999 ، ص 77.

و مع ذلك فإن بعض اللغويين أمثال **المرو** و **أولمان** رغم إيرادهما ما واجه النظرية السياقية من نقد فإنهما يعتدان بها من حيث ميزتان قدمتهما هذه النظرية للدرس اللغوي :

إحدهما : ما يقوله **المرو** من أن " من السهل أن نسخر من النظريات السياقية مثلما فعل بعض العلماء ، وأن نرفضها باعتبارها غير علمية ، لكن من الصعب أن نرى كيف يمكننا أن نرفضها دون إنكار الحقيقة الواضحة التي تقول بأن معنى الكلمات و الجمل يرتبط بعالم التطبيق "¹.

والأخرى : أن فيرث كما يقول **أولمان** : " يجعل المعنى سهل الانقياد للملاحظة و التحليل الموضوعي "².

4.2 أنواع السياق :

يرى السياقيون أن معنى الكلمة لا ينكشف إلا من خلال وضع الوحدة اللغوية في سياقات مختلفة ، و أن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها. وان دراسة معنى أي كلمة من الكلمات يتطلب تحليل السياقات والمواقف التي ترد فيها ³.

واستعمال الكلمة عند هؤلاء يحكمه أمران :

الأول : السياق اللغوي الذي تحدد فيه معنى الكلمة بعلاقتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية فالكلمة هنا ليست وحدة منعزلة .

الثاني : سياق الموقف أو سياق الحال عند فيرث ، وهو يشمل كل أنواع النشاط اللغوي جميعاً كلاً و كتابتا ويتكون من ثلاثة عناصر هي ⁴ :

- 1 شخصية المتكلم والسامع ومن يشهد الكلام ودور المشاهد في المراقبة و المشاهدة .
 - 2 للعوامل والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بالحدث اللغوي .
 - 3 كل الآثار الناجمة عن الحدث اللغوي في المشتركين كالإقناع أو الفرح أو الألم ...
- ويحدد الشهري أنواعاً مختلفة من السياق تقوم على أساس نظرة **بريت (parret)** إلى السياق وهي كالاتي :

¹ المرو : علم الدلالة (إطار جديد) ، ص 80.

² Meaning and style .p8h نقلا عن : أحمد مختار عمر : علم الدلالة ، دار عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط 5 ، 1998 ، ص 73.

³ تمام حسان : الأصول ، دار الثقافة ،الدار البيضاء ، دط ، 1411هـ ، ص 68- 69.

⁴ فطومة لحمادي : السياق والنص(استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك للنص) ،الموقع الإلكتروني:

www.fil.univ.biskra.dz/index بتاريخ: 16-07-2016 ، التوقيت: 16:15.

- 1 السياق النصي : وفي هذا النوع يقدم نحو النص وتحليل الخطاب بعض الآليات لتحليل الوحدات اللغوية الكبرى مثل العبارة .
- 2 السياق الوجودي : ويتضمن هذا السياق المرجعي بطبعه (عالم الأشياء، حالاتها، الأحداث) والتي ترجع إليها التعبيرات اللغوية .
- 3 السياق المقامي : وهو سياق يوفر جزئيا بعض العوامل أو المحددات التي تسهم في تحديد معاني التعبيرات اللغوية والمقامات ، بوصفها سياقاً .
- 4 سياق الفعل : تعد الأفعال الكلامية أصنافاً جزئية من السياق المقامي ... إذ تبين كل الجمل التي تقال ليكون لها قوة إنجازيه .
- ويلح أوستين (austin) على دور العرف الاجتماعي ، أي التعاقدية لإنتاج اللغة.
- 5 السياق النفسي : ترى التداولية أن السياق النفسي ممزوج بالحالات الذهنية التي تنظر إليها نظرية المقاصد بأنها مسؤولة عن برنامج الفعل والتفاعل .
- ويرى فيرث أن هناك أنواعاً من السياقات ، وهي موزعة بحسب التوزيع الهرمي كما يلي¹ :

1 سياق صوتي.

2 سياق معجمي .

3 سياق صرفي.

4 سياق تركيبى .

5 سياق موقعي .

6 سياق ثقافي .

5.2 دور السياق ووظائفه :

يشير صلاح الدين زرال إلى بعض أهداف السياق كالاتي² :

- 1 معرفة الأساليب المختلفة للمنطوقات وتصنيفها حسب المواقف الصحيحة بالإضافة إلى معرفة الملامح الشكلية نفسها .

¹ أحمد مومن : اللسانيات النشأة والتطور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط4، الجزائر 2010 ، ص

² صلاح الدين زرال : الظاهرة الدلالية ، منشورات الإختلاف . الجزائر . ط2008، 1، ص381-382

- 2 - وصف الاستعمال الفعلي لنطق معين في موقفه الخاص باعتباره شيئاً فريداً .
 - 3 - معرفة الوظائف الدلالية التي يمكن إرجاعها إلى التركيبات النحوية .
 - 4 - إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم وسائر المشتركين في الكلام .
 - 5 - وجوب تحديد بيئة الكلام ، و أن هذا التحديد يضمن عدم الخلط بين لغة وأخرى .
 - 6 - يجب تحليل الكلام إلى عناصره و وحداته الداخلية المكونة له و الكشف عما بينهما من علاقات داخلية تساهم في بناء المعنى.
- " ويمكن أن نوجز طبقاً لما قد مر بنا الوظائف العامة للسياق فيما يلي :
- 1 - السياق يفرز المعاني عن بعضها ، ويحدد بدقة المعنى المطلوب .
 - 2 - لا يحدد السياق المعنى فحسب ، بل يحدد المقاصد أيضاً من الخطابات .
 - 3 - ونتيجة لأعراف اللغة التي يفرضها السياق ، فإنه تالياً يقوم الإنتاج أسلوبياً وفق المقومات المتعارف عليها ، ليس هذا فقط ولكن أيضاً يخلق أنماطاً جديدة بمفهوم أصالة المبدع .
 - 4 - السياق عامل مهم جداً في التعاملات الاجتماعية ، إذ يخلق قواعد ومبادئ ما بين الناس بها يتعاملون في أحاديثهم اليومية .
 - 5 - السياق يتجاوز هذا ويحدث أعرافاً ، ثم ما تلبث الأعراف أن تكون قوانين بعامل العادة والتكرار"¹

6.2 سياق المناسبة في مقامات الهمداني :

تدرج نظرية المناسبة ضمن علم النفس العرفاني وتتصل بشكل خاص باتجاه معين هو نظرية فودور المنظوماتية التمثيلية ، وقد أشار إلى هذه النظرية كل من 'سبابر' و 'ويلسون' في كتابهما عن الحديث عن عملية اشتغال النظام المركزي وخاصة عندما ينتج تأويلاً تداولياً . ذلك بعد ما يقدم النظام الطرقي اللساني تحليلاً أولياً لسانيا للقول الموافق لصورته المنطقية والذي هو عبارة عن سلسلة من المتصورات منظمة في بنية² .

¹ سعد بلنوار : آليات تحليل الخطاب في أضواء البيان للشنقيطي (رسالة دكتوراه) جامعة الأغواط، موسم 2011/2012 ، ص 96.

² جاك موشر - أن ريبول : القاموس الموسوعي للتداولية ، ترجمة مشتركة ، دار سيناترا ، تونس ، ط2، سنة 2010 ، ص 143-144.

وفي هذا الباب يؤكد الباحثان على أن كل متصور يوافقه عنوانا في ذاكرة النظام المركزي وتخزن تحت هذا العنوان معلومات من طبيعة مختلفة¹:

1 منطوية : هي المعلومات الموافقة للعلاقات المنطقية المختلفة (الاستلزام . التناقض...) التي تكون بين متصور وآخر .

2 معجمية : المعلومات المتعلقة بما يقابل ذلك المتصور في لسان أو السنة طبيعية مختلفة .

3 موسوعية : المعلومات التي ليست بمنطقية ولا معجمية والتي تمكن من إسناد ما صدق للمتصور .

وليس المعلومات التصورية في المقابل المعلومات الوحيدة التي تؤدي دورا في تكوين السياق الذي لا يكون في هذا الإطار معطى بل يقع بناؤه تدريجيا قولاً قولاً، " وإنما يتدخل في ذلك تأويل الأقوال السابقة للقول والمحيط الفيزيائي الذي وقعت فيه عملية التواصل ، فحسب سربر وولسون إن الأقوال السابقة مباشرة للقول المحلل لا تنسى كما أنها ليست مخزونة في ذاكرة النظام المركزي " ² .

تحدث سربر وولسون على ثلاثة أصناف من المعلومات تكون القول وهي ³:

1 تلك المستخرجة من الذاكرة الطويلة التي يتم فيها معالجة المعلومات التصورية .

2 تلك المستخرجة من الذاكرة المتوسطة المدى والتي يخزن فيها تأويل الأقوال السابقة مباشرة .

3 تلك المستخرجة من المحيط الفيزيائي أي من المعطيات الفيزيائية المستخلصة من الوضعية التي حصل فيها التواصل .

ومجموع هذه الأصناف من المعطيات يكون محيط المتكلم العرفاني ، وبالتالي يكون محيط الشخص العرفاني وهو جملة الأحداث التي تكون ظاهرة وبينه لديه ، أي تلك التي يمكن للفرد تمثلها ذهنياً .

ويقتضي المحيط العرفاني لفرد ما في لحظة ما أن يشمل " الأحداث التي يمكن للفرد الاستدلال عليها انطلاقاً من المعلومات التي لديه والأحداث التي يمكن للفرد إدراكها وتلك التي يدركها الفرد ويستدل عليها فعليا " ⁴

¹ المرجع نفسه : ص 144 .

² جاك موشر - أن ريبول : القاموس الموسوعي للتداولية ، ص 144

³ المرجع نفسه : ص 144-145 .

⁴ المرجع نفسه : ص 145

وقد لاحظ الباحثان أن السياق الذي قد يجمع بين كل المعلومات المتعلقة بالمتصورات والتي تظهر في الصور المنطقية للقول ، وكل المعلومات المستخلصة من تأويل الأقوال السابقة ، وكل المعلومات الإدراكية التي يمكن التوصل إليها في المحيط الفيزيائي قد يكون سياقاً ضخماً جداً إلى درجة أنه يصعب استغلاله بحكم تعدد هذه المعلومات وتنوعها .

ولحل هذه الإشكالية فإن هناك آلية عمل يحتكم إليه تقوم بانتقاء لبعض المعلومات من كل هذه المعلومات المختلفة .

تشتغل هذه الآلية وفق مبدأ يحرك التحليل الذي قام به سبربر وويلسون للتواصل اللغوي يدعى مبدأ المناسبة الذي يستلزم المعرفة الـهَيْئَة لدى كلا المتخاطبين ، وتحدد هذه المعرفة البَيِّنَة باعتماد متصور المحيط العرفاني المتبادل المشترك الذي تكون فيه هوية الأفراد الذين يتقاسمون به بَيِّنَة ، بالإضافة إلى أن يقترن عمل المتكلم التواصلية بشرط يضمن القدر الأقصى من المناسبة¹ .

وقد تناول غرايس هذا المبدأ عند حديثه عن قواعد التخاطب، و يعده "شرطاً ضرورياً لتعديل الكفة بين ما يقال وما يقصد وما يفهم أيضاً، وذلك أن الملفوظ الخطابي لا بد و أن يلم بمقصد المتكلم دون إضافة أو نقصان، و المستمع كذلك له أن يأخذ من المستوى الحرفي والمضمر للملفوظ لما يقع في حدود الفعل"² .
ومما سبق تُعدُّ المناسبة إجراءً تداولي 1 ؛ مدونته خطاب مجرد ، بينما السياق يختص بعدد من المدونات والمناسبة تتسم بالخصوصية أما السياق فيتسم بالعمومية ، بالإضافة إلى أن المناسبة وسيلة لخدمة السياق العام.

وجاء في المقامة الحلوانية: " حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: لَمَّا قَفَلْتُ مِنَ الْحَجِّ فِيمَنْ قَفَلَ، وَنَزَلْتُ مَعَ مَنْ نَزَلَ، قُلْتُ لِغَلَامِي: أَجِدُ شَعْرِي طَوِيلاً، وَقَدْ أَتَسَخَّ بَدَنِي قَلِيلاً، فَاخْتَرْنَا لَنَا حَمَامًا نَدْخُلُهُ، وَحَجَامًا نَسْتَعْمِلُهُ، وَلِيَكُنَّ الْحَمَامُ وَاسِعَ الرُّقْعَةِ، نَظِيفَ البُقْعَةِ، طَيِّبَ الهَوَاءِ، مُعْتَدِلَ المَاءِ، وَلِيَكُنَّ الحَجَامُ خَفِيفَ اليَدِ، حَدِيدَ المَوْسَى، نَظِيفَ الثِّيَابِ، قَلِيلَ الفُضُولِ، فَخَرَجَ مَلِيًّا وَعَادَ بَطِيًّا..."³ .

والسياق الذي وردت فيه هذه المقامة هو العودة من سفر شاق يكون حال المسافر فيه أشعث أعبر متسخ البدن لو أقسم على الله لأبره ، وخاصة وهو قافل من بيت الله الحرام وقد أدى مناسك الحج

¹ جاك موشر - أن ريبول : القاموس الموسوعي للتداولية ، ص 146-147.

² سعد بولنوار: آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي، ص 98.

³ المقامة الحلوانية : ص 197 .

متخطيا كل الصعاب والأهوال ، متجها إلى مدينة من مدن العراق في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد تدعى حلوان . وقد كانت هناك مناسبة قوية في انتقاء وصف حال عيسى ابن هشام العائد من سفر طويل يفصل بين مدينتين طويلتين حيث يسوء فيها الحال فيطول الشعر ويتسخ البدن وهو بحاجة إلى حمام يدخله وحمام يستعمله. إضافة إلى ذلك فإن المسافر يتعرض إلى متاعب ومشاق في رحلته تنعكس على ذاته وحالته النفسية لذلك كان عيسى ابن هشام ملحا على غلامه أن يكون الحمام واسع الرقعة، وأراد من الرقعة: الأرض التي يحيط بها الحمام ويريد بالواسع : المساحة غير الضيقة ، يضيق به الصدر ، وقد كان يكفيه ما يلائمه قدر حاجته من وقوفٍ وجلسٍ ، ولكنه أراد أن يشعر القارئ والمتلقي أن التعب بلغ به مبلغه ، تاركا في نفسه آثارا سيئةً وقد كان اختياره للفظ الرقعة مناسباً ؛ لأن أصل الرقعة قطعة من القرطاس ونحوه التي تكتب أو ما يرقع به الثوب ثم استعملت في القطعة من الشيء تمتاز عما اتصل بها منه . والبقعة تجري مجرى الرقعة في المعنى وهي القطعة من الأرض على غير الهيئة التي إلى جنبها ، وكان لسان حاله يقول إنما يمتاز عما اتصل بها منه ، وعلى غير الهيئة التي إلى جنبها هو خروج من حال إلى حال ؛ من التعب إلى الراحة ومن الضيق إلى السعة ، ومن الحركة إلى السكون، ومن التغيير إلى الثبات والاستقرار . وجاء في المقامة الموصلية : " حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: لَمَّا قَفَلْنَا مِنَ الْمُوصِلِ، وَهَمَمْنَا بِالْمَنْزَلِ، وَمُلِكَتْ عَلَيْنَا الْقَافِلَةُ، وَأَخَذَ مِنَّا الرَّحْلُ وَالرَّاحِلَةُ، جَرَّتْ بِي الْحُشَاشَةُ إِلَى بَعْضِ قَرَاهَا، وَمَعِيَ الْإِسْكَندَرِيُّ أَبُو الْفَتْحِ، فَقُلْتُ: أَيْنَ نَحْنُ مِنَ الْحِيلَةِ؟ فَقَالَ: يَكْفِي اللَّهُ، وَدَفَعْنَا إِلَى دَارٍ قَدْ مَاتَ صَاحِبُهَا، وَقَامَتْ نَوَادِبُهَا، وَاحْتَفَلَتْ بِقَوْمٍ قَدْ كَوَى الْجَزَعُ قُلُوبَهُمْ، وَشَقَّتِ الْفَجِيعَةُ جُيُوبَهُمْ، وَنِسَاءٌ قَدْ نَشَرْنَ شَعُورَهُنَّ... " ¹ .

الهمداني في هذا النص يشير إلى أن الراوي والبطل وجهها عزمهما في رجوعهما إلى الأوطان . وفي أثناء الطريق بعد مبارحتهم المدينة خرج عليهما السلبة فملكوا عليهم القافلة وأخذوا منهم ما كان معهم من الرحل ؛ وهو ما يوضع على المطية ليركب عليه ، فلم يبق لهم شيء فأصبحوا خاوي الأيدي بعد أن سرقت أمتعتهم، فواصلوا السير إلى أحد قراها .

وفي مثل هذا الموقف يكون المصاب في حيرة من أمره لأنه أمام جملة من المعلومات المتعلقة بالصور المنطقية كالاتدلال والتناقض ومعلومات مستخلصة من تأويل الأقوال السابقة وكذا كل المعلومات الإدراكية التي يمكن التوصل إليها في محيطه الفيزيائي، فهما أمام عدة معطيات : كأن يرجعا ويقاطلا من أجل استرداد

¹ المقامة الموصلية: ص 115.

متاعهما أو أن يستسلما و يخنعا إلى اليأس والقنوط ، وفي هذه الحالة لا يقدم اليأس شيئا، أو أمام استجداء القوم الذين نزلا عندهم ولكن الحالة التي هم عليها هم وت سيد البلدة لا تسمح بذلك، أو أمام معطى آخر وهو اتخاذ المكر و الحيلة أسلوبا كم على سابق يعرفان طريقه من خلال خبرتهما في التسول و الكدية. و يتمثل البناء العام الذي يوظف هذا الفن ندرك أن هذا المعطى سمة لصيقة و خصوصية تتفرد بها المقامة الهمدانية.

وفي خضم هذا السياق العام الضخم تتدخل المناسبة كإجراء تداولي لانتقاء ما يناسب المقام فيقوم البطلان باستغلال الفرص بالحيلة والدهاء عندما وجدا سيد البلدة قدمات لتوه ، فقلبا الأمور بأن الرجل حي وساعدتهم سداجة القوم على الاحتيال ، فقاما بتقمص شخصية طبيين و وعدا القوم بأن يسلمنا السيد الميت حيا بعد يومين ، ويجسد هذا الانتقاء قول الراوي عيسى بن هشام وإجابة أبي الفتح الإسكندري له " فقلتُ: أَيْنَ نَحْنُ مِنَ الحِيلَةِ؟ فَقَالَ: يَكْفِي اللهُ " ¹.

فهنا استفهام عن مكاهم بالنسبة إلى الحيلة أيعدون عنها أم يقربون منها؟، ثم يكون الجواب : أي يكفيننا الله تعالى مؤونة التكلف في الحيلة ، أي هي قريبة منا سهل علينا إثباتها بكفاية الله . وفي قوله (احتفلت بقوم ق دكوى الجزع قلوبهم، وشقت الفجعة جيوبهم) ؛ يريد أنه امتلأ بالقوم واختلط بهم كما يمتلى الضرع باللبن وأن الحزن غطاه وألم به ، فلم يستطع كتمانته ورده لشدته وسيطرته على القلب، فشبهه بالنار، وقد اسند له فعل الكي لأن أثره في القلب ليس بأقل من أثر النار إذا كوي بها الجسم ، واختيار هذا الإسناد يعد عملية انتقائية من بين جملة المعطيات والمعلومات التي يكون حال الإنسان الجزع فيها، والحال نفسه يقع في إسناد شق الجيوب إلى الفجعة لأنها السبب فيه، لأن من عادة المفجوعين أن يمسكوا بجوانب القميص ثم يحملون عليه فيشقونه إظهارا لشدة الحزن أو اضطرارا لتغلبها على العقل . وفي المقامة المضيرية : " حدثنا عيسى بن هشام قال : كُنتُ بالبَصْرَةِ، وَمَعِيَ أَبُو الفَتْحِ الإسْكَندَرِيُّ رَجُلٌ الفَصَاحَةُ يَدْعُوها فُتْحِييُهُ، وَالبَلَاغَةُ يَأْمُرُها فُتْطِيعُهُ، وَحَضَرْنَا مَعَهُ دَعْوَةَ بَعْضِ الثُّجَّارِ، فَقُدِّمَتْ إِلَيْنَا مَضِيرَةٌ، تُثْنِي على الحَضَارَةِ، وَتَتَرَجَّرُ في العَضَارَةِ، وَتُؤَذِّنُ بِالسَّلَامَةِ، وَتَشْهَدُ لِمَعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ بِالإِمَامَةِ، فِي قَصْعَةٍ يَزِلُّ عَنْهَا الطَّرْفُ، وَيَمُوجُ فِيهَا الطَّرْفُ، فَلَمَّا أَخَذْتُ مِنَ الخِوانِ مَكَانَهَا، وَمِنَ القُلُوبِ أوطَانَهَا، قامَ أبو

¹ المقامة الموصلية: ص115.

الْفَتْحِ الْإِسْكَندَرِيُّ يُلْعَنُهَا وَصَاحِبِهَا، وَيَمْقُتُهَا وَأَكْلِهَا، وَيَثْلِبُهَا وَطَابِخِهَا، وَظَنَّنَاهُ يَمْرَحُ فَإِذَا الْأَمْرُ
بِالضَّدِّ...¹

تدور فصول وأحداث المقامة حسب حديث عيسى بن هشام ، أن الإسكندري دُعيَ إلى وليمة فقدمت إليه مضيرة ؛ وهو طعام عبارة عن لحم يطبخ باللبن المضير ؛ أي الحامض، وتعتبر من أجود طعام الحضرة بلاد فارس والعراق. غير أن الإسكندري امتنع عن تناولها، فلما استفسر عن سر امتناعه، روى قصته معها . وتبدأ القصة لم ا دعاه أحد التجار إلى مضيرة ، فانزعج بأحاديثه الرتيبة والطويلة، أمام ذلك فضّل الإسكندري الانصراف والهروب فتبعه التاجر يناديه : المضيرة، المضيرة، إذ اعتقد صبيان الحي أنه يلقب بذلك، فأطروه صيحا، لكنه أمام ذلك فقد أعصابه، وقرر في النهاية أن يرشقهم بالحجارة . إذا أصاب رجلا، فكان أن أمسكوه، وضربوه، ليتم اقتياده للسجن، ومنذ ذلك الوقت أقسم الإسكندري على نفسه أن لا يتناول المضيرة.

فهناك مناسبة جلية بين امتناعه أكل المضيرة وما حدث له من متاعب وآلام بسبب الدعوة إليها نتيجة لسوء تقدير قاده إلى السجن كضحية تعرض لعنف الأخر.

7.2 سياق الافتراضات المسبقة في مقامات الهمداني:

"يرى التداوليون أن الافتراضات المسبقة ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ ، ففي التعليمات تم الاعتراف بدور الافتراضات المسبقة منذ زمن طويل، فلا يمكن تعليم الطفل معلومة جديدة إلا بافتراض وجود أساس سابق يتم الانطلاق منه والبناء عليه . أمّا مظاهر سوء التفاهم المنضوية تحت التواصل السيء فلها سبب أصلي مشترك ؛ هو ضعف أساس الافتراضات المسبقة الضروري لنجاح كل تواصل كلامي"² . ويعرفه ديكرود كما يلي : "هو العنصر الدلالي الخاص بالقول بالإمكان تحويله إلى استفهام ، هل (أ) ؟ وإلى نفي لا (أ)"³ .

¹ المقامة المضيرية ص 122

² مسعود صحراوي: الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر مجلة الآداب واللغات ، عدد 6 جامعة الأغواط 2007

³ Oswald dicrot : dire et ne pas dire(principe de sémantique linguistique), Herman, paris,1éd,1972

والمقياس الذي استعمله لاكتشاف الاقتضاء هو بكل بساطة مقياس النفي والاستفهام نظرا إلى أن هاتين البنيتين التركيبيتين تحافظان على المحتوى القضوي والمثال الذي يقدمه هو كالتالي :¹

أ - هل أفلع فلان عن التدخين ؟.

ب - لم يقلع فلان عن التدخين .

والاقتضاء المستخلص من هاتين القضيتين هو :

ج- كان فلان يدخن سابقا .

والافتراضات المسبقة تحيل إلى مفهوم آخر هو مفهوم الاقتضاء والذي يعتبر علاقة تداولية بين الأقوال لا علاقة دلالية بين القضايا ، لا يحدد في مقارنته باعتبار مضمون القضايا المعبر عنها ؛ بل يحدد باعتبار المقامات التي ينجز فيها الإثبات ، وهي مقامات تضم المواقف القضائية ومقاصد كل من المتكلم ومخاطبه².

إذن فالاقتضاءات تحيل إلى الاعتقادات الخلفية ، وهو " مفهوم مبرر ببعض البديهيات المتصلة بالتواصل إذ يرى ستالنيكار من ناحية أولى أن التواصل لغويا كان أو غير لغوي، لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان قائما على الاعتقادات الخلفية المشتركة بين المتكلم ومخاطبه . فوجود مثل هذه الفرضيات يعتبر ضرورة للتواصل وبدونها لا يمكن أن يكون التواصل ممكنا لأن انعدامها سيستوجب صياغة صريحة للمعلومات الخفية وراء الأقوال المنجزة"³.

و ستالنيكار يعرف الخلفية المشتركة بين المتكلم والمخاطب بأنها مجموع المقامات الممكنة التي ينوي المتكلم تمييزها بواسطة اخباراته ، ويعتبر الاقتضاء بأنه استعداد لغوي لدى المتكلم لاستعمال اللغة ، وهو بهذا يركز على نوع خاص من الاقتضاءات ، هو الاقتضاء التداولي ، بخلاف ما هو متعارف عليه ؛ إذ تعتبر الاقتضاءات ظواهر لغوية سواء من وجهة نظر دلالية أو تداولية .

ويتميز الموقف التداولي عند ستالنيكار، عن التعريف الدلالي للاقتضاء بأربعة أشياء⁴ :

¹ جاك موشر وأخرون : القاموس الموسوعي للتداولية ص 255

² جاك موشر وأخرون : القاموس الموسوعي للتداولية ، ص 249

³ المرجع نفسه : ص 249

⁴ المرجع نفسه : ص 250-251

1 تتمثل الميزة الأولى في أن تعريف الاقتضاءات بمعزل عن شروط الصدق يمكن من تفسير تغير

الاقتضاءات من سياق إلى آخر ، والمثال الذي يقدمه هو التالي :

(لم يعد ابن عمي ولداً).

فتحليل هذه العبارة سياقياً يكون التأويل المقصود فيها ؛ أن ابن عمي هو الآن شاب تقدم في السن أو يكون التأويل ؛ بأنه لم يعد ولداً لأنه غير جنسه ، ولا يمكن أن تتحقق هذه التأويلات المحتملة المختلفة إلا بحسب الفرضيات الخلفية.

2 للموقف التداولي يُمكن من الفصل بين مشكلتي الاستلزامات والاقتضاءات فصلاً واضحاً

والتعريف الدلالي ينص على أن (أ) تقتضي (ب) إذا وفقط إذا كانت (ب) تفرضها (أ) و (لا - أ) في نفس الوقت ، وأن (أ) تستلزم (ب) إذا وفقط إذا كانت (ب) تفرضها (أ) أو لا تفرضها (لا - أ).

ومن الإشكالات التي تطرحها هذه التعريفات أن (ق) في القول (أدرك رامي أن (ق)) هي مستلزمة ومقتضاة في الآن نفسه ، أما في التعريف التداولي فإن الاقتضاء يكون كذلك مستلزماً إمكاناً لا وجوداً .

3 أن بعض الاقتضاءات تكون ملزمة أو تصبح ضرورية بصفة ملحة في القول (فوجيء رامي بخسارة

شريك في الانتخابات) يقتضي المتكلم اقتضاء قوياً بأن شريك قد خسر الانتخابات ، في حين يكون إبلاغ بعض الاقتضاءات الأخرى ضعيفاً ومثاله :

أ/ لو كان السيد بار (Mr :Barre) أكثر وضوحاً لفاز شريك في الانتخابات.

ب/ :خسر شريك الانتخابات.

ج/ لو كان بار أكثر وضوحاً لنجح شريك (مع ذلك) في الانتخابات.

فسياق (ج) يلغي سياق (ب) لأن إبلاغ الاقتضاء (ج) أكثر قوة وإلزامية من إبلاغ الاقتضاء (ب).

فهذه الميزة مرتبطة بالطبيعة المتدرجة للإكراه التي يفرضها إخبار ما على اقتضاء .

4 -تتمثل هذه الميزة للتعريف التداولي للاقتضاء في إضفاء تبسيط على الوصف اللساني ، إذ لم يعد

هناك مجال لتفسير الظواهر عن طريق المعجم أو الدلالة فقط ، بل إن استعمال اللغة وتنوع

السياقات هما اللذان يفسران دور الاقتضاءات.

جاء في المقامة المارستانية : " دَخَلْتُ مَارِسْتَانَ الْبَصْرَةَ وَمَعِيَ أَبُو دَاوُدَ الْمُتَكَلِّمُ، فَظَرَّتْ إِلَى مَجْثُونٍ تَأْخُذُنِي

عَيْنُهُ وَتَدْعُنِي فَقَالَ: إِنَّ تَصَدَّقِ الطَّيْرُ فَأَنْتُمْ غُرَبَاءُ، فَقُلْنَا: كَذَلِكَ، فَقَالَ: مَنِ الْقَوْمُ لَهِ أَبُوهُم؟ فَقُلْتُ: أَنَا

عيسى ابن هشام وهذا أبو داود المتكلم فقال: العسكري؟ قلت: نعم، فقال: شأهت الوجوه وأهلها إن الخيرة لله لا لعبده، والأمر بيد الله لا بيده وأنتم يا مجوس هذه الأمة تعيشون جبراً، وتموتون صبراً وتساقون إلى المقدور قهراً، ولو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم، أفلا تُنصِفون، إن كان الأمر كما تصفون؟ وتقولون: خالق الظلم ظالم! أفلا تقولون: خالق الملك هالك؟¹

فالنص الذي بين أيدينا قائم على مجموعة من الاشتراكات القائمة بين المتكلم ومخاطبه، تعتبر ضرورة لإقامة التواصل، فمثلاً عندما عرف عيسى بن هشام بـ أبي داود المتكلم سأله المجنون قائلاً: العسكري؟ أجابه عيسى بن هشام بالإثبات، وهذا افتراض مسبق بأن المجنون يعرف ويدرك أصل أبو داود المتكلم وآراءه في الجبر والاختيار، ولهذا لم يسره أن يراه فقال: شأهت الوجوه وأهلها أي قبحت البلدة وما فيها، وأراد بلدة داود ورفيقه.

وفي قوله (إن الخيرة لله لا لعبده. والأمر بيد الله لا بيده. و أنتم يا مجوس هذه الأمة تعيشون جبراً. وتموتون صبراً. وتساقون إلى المقدور قهراً...) افتراض مسبق لأن المجنون يعلم أن المعتزلة يذهبون إلى أن العبد مختار مطلق في أفعاله، وما لإرادة الله دخل فيها؛ يدفع ذلك ويقرر أن الاختيار لله وحده وليس للعبد إرادة مطلقة في أفعاله وأن الأمور وتصريفها سواء كانت من أفعال العبد أم لا، هي بيد الله لا بيد العبد.

وفي قوله: (ماجوس هذه الأمة) الذين ينكرون القدر الإلهي افتراضاً مسبقاً على أنهم المعتزلة لقولهم المتقدم " وهو يستدل عليهم بأنهم يعيشون في هذه الحياة جبراً لأنهم ولدوا بغير اختيار ونمو بغير صنيعهم ولا يزالون يستشارون في حفظ حياتهم أو إعدامهم، فإذا كانت معيشتهم جبرية وكل يحس من نفسه أنه مصرف بقوة أعلى من قوته وهو في يومه لا يعلم ما يكون في غده، بل هو في عمله المشتغل به لا يأمن أن يعرض عليه ما يمنعه من إتمامه، بل هو في تناول شربة من ماء أو لقمة من غذاء على خطر أن يغص بها فيموت؛ فكيف مع شهود هذه الحال مع أنفسهم يذهبون إلى الخيرة للعبد في أحواله وأعماله"².

¹ المقامة المارستانية ص 141-142

² شرح مقامات الهمداني، ص 142

وجاء في المقامة الصيمرية: " أترددُ على الشَّطِّ، كأنِّي راعي البَطِّ، أمشي وأنا حافي، وأتبعُ الفيافي،
عيني سخيئةٌ ونفسي رهينةٌ، كأنِّي محنونٌ قد أفلتَ من دَيْرٍ، أو غيرَ يدورٍ في الحَيْرِ، أشدُّ حزنًا من الخنساءِ
على صخرٍ. ومن هندٍ على عمرو " ¹.

ومن البديهي أن نجاح أي عملية تواصلية رهن المعرفة المسبقة بين المتكلم ومخاطبه كقاعدة خلفية مشتركة
ضرورية وبدونها لا يمكن أن يكون التواصل ممكناً ، فقلوه : (أشدُّ حزنًا من الخنساء على صخر . ومن هند
على عمرو) يتطلب افتراضاً مسبقاً لمعرفة صخر ابن عمر السليمي الذي أغار على بني أسد ، فأصابه سهم
واعتل منه ومات . فلزمت أخته الخنساء قبره تبكيه وترثيه حتى ماتت ، ومعرفة عمر بن المنذر ابن ماء
السماء وكيف حزنت عليه أمه .

وفي قوله في المقامة الدينارية: " يا بخلَ الأهوازِ، يا فضولَ الرّازي، واللهِ لو وضعت إحدَى رجليك
على أروندٍ والأخرى على دُباوندٍ، وأخذت بيدك قوسَ قزحٍ، وندفت الغيمَ في جبابِ الملائكةِ، ما كنتُ إلا
حلاجاً " ².

فالافتراض المسبق في هذا الخطاب يتطلب معرفة مشتركة بين المخاطبين تتجلى في بعض البلدان وطبائع
أهلها ، وفي بعض المواضع وخصوصيتها ، فالأهواز كور بين فارس والبصرة ، وبخل أهلها مشهور قبيح ،
والرازي منسوب إلى مدينة الري من مدن الديلم كان منها علماء عظام مثل : فخر الدين الرازي ، وأبو
بكر الرازي وأهلها ثرثارون يهرفون الكلام بما يثقل على النفس ، وأروند جبل نزه اخضر ناضر يطل
على همدان ، يعد من محاسن بلادها وله ذكر كثير في أشعارهم وأسجاعهم، أما دماوند فهو جبل عظيم
بناحية الري يناطح النجوم ارتفاعاً ، كان فيه بركان يقذف النار ومنابع كثيرة للمياه كبرى و بين المسافات
المتباعدة .

ومن الضروري إدراك المسافة بين هذين الجبلين لتكتمل الصورة التي وصفه بها بوضع قدم على جبل
والأخرى على الآخر لعظمته وجسامته ، حتى إنه يندف الغيم كما يندف القطن وكان ما يبسطه تحت

¹ مقامات الهمداني ، ص 240

² المقامة الدينارية ، ص 249-250

مندوفه هو جباب الملائكة ، وجمع جبة ما زاد قدرك على ما هو لك بوصف أنك حلاج ، وأي مقدار بين الناس لحلاج إن عظم مندوفه واتسع ما بين رجليه وتبسط لمندوفه لما بسط¹.

8.2 سياق الإضمار في مقامات الهمداني:

ترى أوربكيوني (Oréchioni) " أننا لا نستطيع التعبير المباشر إلا قليلا ، أو ربما لا نستعمله إطلاقا ، ونفضل بدلا من ذلك التعبير غير المباشر بمعنى الضمنيات " ² ، ولعل السبب في لجوء المتكلم إلى استعمال هذا الأسلوب من الخطاب ما يلي³ :

1 وجود مواقف تسبب للمتكلم أو المتلقي الحرج أو الحساسية أو أنها تدخل في سياق الطابوهات المنوعة و المحرمة .

2 طبيعة الغرض أو الهدف الذي يفرض استعمال المعنى الضمني كالكشف عن بعض الأسرار أو إيصال معلومات غير مؤكدة أو لتجنب تشويش ما .

ويعرف الكلام الضمني بأنه " الكلام الذي لا يظهر على سطح الملفوظ "⁴.

و هو الوجه الثاني للمعنى حين يكون غير مباشر لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال ربط الملفوظ بسياقه وذلك بالاعتماد على قوانين الخطاب.

و من متضمنات القول (Les Implicites) التي تتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب نجد الأقوال المضمرة .

تحدد أوربكيوني القول المضمرة بأنه : " كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها ، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث "⁵.

ومن أوائل الفلاسفة الذين تناولوا ظاهرة الأقوال المضمرة نجد غوايس، حيث بنى فكرته على أساس أن الفعل الخطابي يفترض وجود تعاون بين الأطراف المشاركة⁶ ، " وهي تفتح المجال لتنوع الأقوال في سياق

¹ شرح المقامات الهمدانية ، ص 249

² Orécchioni: l'implicite, Armand, Collin, Paris, 1986, p5.

³ موساوي فريدة : في الشعر العربي الجاهلي (مذكرة ما جستر) ، جامعة الجزائر ، موسم 2005/2004 ، ص 27/26

⁴ D.Maingueneau: les termes clés de l'analyse du discours, seuil, paris, 1996, p47.

⁵ Orécchioni: l'implicite, p39

⁶ قدور عمران : البعد التداولي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، موسم 2009/2008 ، ص 77

الخطاب المقامي ، فتكثر المسائل المتعلقة بالقضية الواحدة، وكل مسألة تختلف عن الأخرى لتناولها جانبا فرضته مقولات طرحها السياق الخارجي¹ .

والمثال الآتي يوضح ذلك :

- إن السماء ممطرة.

فهذا القول على بساطته ينطوي على أقوال مضمرة عديدة ، تأويلها يحدده السياق ، فالسامع لهذا

الملفوظ قد يعتقد أن المخاطب أراد أن يدعوه إلى :

1 المكوث في بيته .

2 الإسراع إلى عمله حتى لا يفوته الموعد.

3 الانتظار والتريث حتى يتوقف المطر .

4 عدم نسيان مظلته عند الخروج .

وقائمة التأويلات مفتوحة مع تعدد السياقات التي صدر عنها القول والطبقات المقامية التي ينجز ضمنها الخطاب .

- مما جاء في المقامة الدينارية : " يا وسخ الأذان . يا أجر من قلس . يا أقل من فلس . يا أفصح عبرة . يا أبغى من إبرة . يا مهيب الخف . يا مدرجة الأكف . يا كلمة لئت ..."²

فقوله " يا مهيب الخف " ينطوي على عدة أقوال مضمرة نذكرها كما يلي :

1 إما أن يرد من مهيب الخف الموضع الذي يجيء منه ، من قولهم : من أين هببت ؟ أي من أين

جئت ؟ ، أي إنه لملازمة الخف لقفاه صفعاً فهو إذا هب يهب منه .

2 وقد يكون من هب إذا نشط أي ينشط الخف إلى صفعه .

3 وقد يكون مهيب ربيع الخف وله رائحة كريهة جدا كما يضرب المثل بريح الجورب يضرب بريح

الخف أيضاً .

¹ سعد بو لنوار : آليات تحليل الخطاب في أضواء البيان للشنقيطي (رسالة دكتوراه) ، ص 175.

² المقامة الدينارية : ص 250-251

- وجاء في المقامة الشعرية : " قُلْنَا: فَالْبَيْتُ الَّذِي يَأْكُلُهُ الشَّاءُ، مَتَى شَاءَ، قَالَ: بَيْتُ الْقَائِلِ:

فما للنوى جُدَّ النوى قُطِعَ النَّوَى رأيت النَّوَى قِطَاعَةَ الْقَرَائِنِ " ¹

فالشاعر ينكر إلحاح البعد عليه بمفارقة أحبته فيقول : ما للنوى وأي غرض لها في ملازمتي ، ثم يدعو عليها فيقول : جذ النَّوَى : أي قطع ومحق ، وقوله (قطاعة للقرائن) ينطوي على أقوال مضمرة نذكر منها :

1 - قد تكون القرائن الأرواح وقطاعتها المهلكة لها .

2 - وإما أن تكون هذه القرائن الصلات بين الأحبة التي تقرن بينهم بالميل والوداد .

- وقوله في المقامة الملوكية: " وهل يجوز أن يكون ملك يرجع من البذل إلى سرفه.ومن الخلق إلى

شرفه . ومن الدين إلى كلفه . ومن الملك إلى كنفه .ومن الأصل إلى سلفه.ومن النسل إلى خلفه "

2 .

ففي قوله (ومن الملك إلى كنفه) أي وفي الملك رجوعه إلى كنفه ، أقوال مضمرة منها :

1 - رجوعه إلى حضنة الصدر والعضدان ومن كان الملك حاضنا له كان مكفولا بأعظم قوة منه.

2 - وقد يكون المعنى : وفي الملك رجوعه إلى الحرز أي الحفظ والأمان.

- وقوله في المقامة الوصية : " إِنْمَا التَّجَارَةُ، تُنْبِطُ الْمَاءَ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَبَيْنَ الْأَكْلَةِ وَالْأَكْلَةِ رِيحُ الْبَحْرِ،

يَبْدُ أَنْ لَا خَطَرَ، وَالصَّيْنُ غَيْرَ أَنْ لَا سَفَرَ، أَفْتَرُّكُهُ وَهُوَ مُعْرِضٌ ثُمَّ تَطْلُبُهُ وَهُوَ مُعَوِّزٌ " ³ .

فقوله : (بين الأكلة والأكلة ربح البحر.بيد أن لا خطر والصين غير أن لا سفر)يحيل إلى أقوال مضمرة

بجملها فيما يلي ⁴ :

1 - وجوب أن يتخيل التاجر بين الأكلة والأكلة أن قد هبت عليه ربح البحر فتشغله عن تناول زاده

وفي هذا حث له على الحرص وصرف القوى إلى العمل حتى يكون إحساسه بالجوع كإحساس

من هبت عليه ربح البحر .

¹ المقامة الشعرية ، ص 255

² المقامة الملوكية ، ص 260

³ المقامة الوصية ، ص 234-235 .

⁴ شرح المقامة الوصية ، ص 234.

2 - وقد يكون المعنى تصويراً للمصاعب التي يلقاها التاجر في تحصيل قوته ، فيقول إن أكلته ربما كان بينها وبين أختها ربح البحر هبت بين المراكب الحاملة لبضائع التاجر فأغرقتها ، فهو في تحصيل قوته معرض للأخطار وإن كان لا خطر عليه في نفسه .

وفي قوله (والصين غير أن لا سفر) قولين مضميرين :

1 - ربما حصل على أنه يلزم أن يكون بين الأكلتين مسافة ما بينك وبين الصين فهو إثارة لتخيله ذلك وإن لم يكن سفر .

2 - وقد يحمل على معنى أنه يعترض التاجر بعد الأكلة الأولى أمر في حاله بزيادة أو نقصان يكون موقعه في الصين، فكأنه صار إلى الصين بين الأكلتين غير أنه لا سفر.

9.2 سياق الإحالة في مقامات الهمداني:

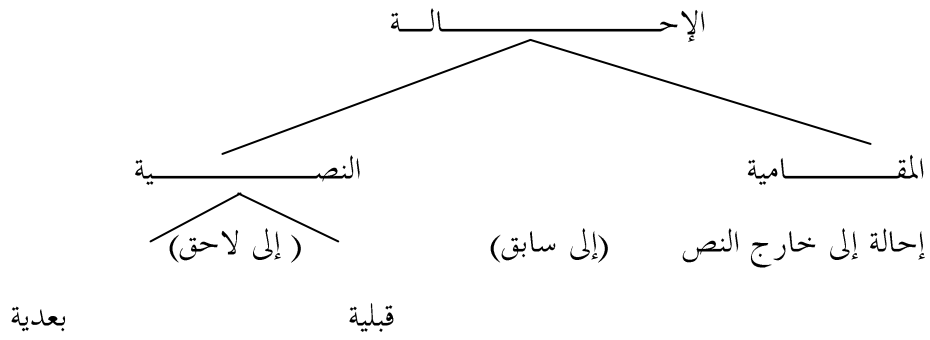
إن من مهام التداولية تأويل القول تأويلاً تاماً انطلاقاً من التحليل اللساني المحض ، وإن من عناصر هذا التأويل تحديد شروط صدق قول ما ، حيث تكون عملية إسناد المراجع جزءاً منها . ومنه فظاهرة الإحالة تتعلق باللغة المستعملة لا خارج نطاق الاستعمال ، وهذه الخاصية تجلوها بعض التعابير الإحالية باعتبارها علاقة بين اللغة والعالم الخارجي، إذ تكون " متنوعة الطبائع ، وهي دائماً مركبات اسمية (أو إن شئت تعابير اسمية) ، ولكن هذه المركبات تتخذ أشكالاً شديدة التنوع من قبيل ؛ ضمائر الشخص أو أسماء الإشارة والأسماء الأعلام والتعابير المحددة وغير المحددة وتعابير الإشارة أو الملكية " ¹ .

تقوم الإحالة بوظيفة ربط الأجزاء والمكونات داخل الخطاب فتبرز وجه التماسك الوارد فيه ، كما أنها تدفع المتلقي إلى الانتباه وتساعد على ترتيب أجزاء الكلام والنظر إلى ما تحيل إليه عباراته وتراكيبه ، لتحقق بذلك أغراض ومقاصد الباحث ، ويكون معه في سياق واحد لكل ما يعرض من مفاهيم وتصورات من شأنها تدخل المتلقي في مناخ تواصلية ، و يتحقق ذلك بواسطة بعض الأدوات والضمائر وتعابير الإشارة كما أشير إلى ذلك سلفاً ² .

وتنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين : الإحالة المقامية ، والإحالة النصية ، وتتفرع الثانية إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية .

¹ جاك موشلر :القاموس الموسوعي للتداولية ، ص 160

²حمدي منصور جودي : خصائص الخطاب الحجاجي وبنائه الإقناعية في أعمال البشير البرهيمي (مذكرة ماجستير) ، جامعة محمد خيضر ،



وكقاعدة عامة يمكن أن تكون عناصر الإحالة مقامية أو نصية ؛ إذا كانت نصية فإنها يمكن أن تحيل إلى السابق أو إلى اللاحق ؛ أي أن كل العناصر تملك إمكانية الإحالة . والاستعمال وحده هو الذي يحدد نوع إحالتها " ¹ .

ويتتبع مقامات الهمداني نجدها قد حظيت بنماذج عدة من الإحالة يمكن أن نشير إلى بعض منها :

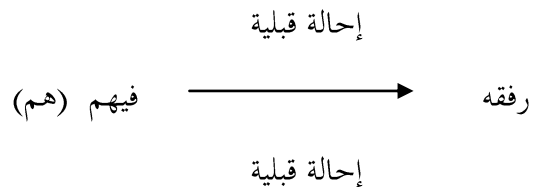
1- إحالة الضمير: تملك الضمائر خاصية بارزة في تحقيق تماسك النصوص وذلك بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية ، فهي تقوم بوظيفة الربط داخل الفقرة الواحدة أو بين الفقرات المتتالية للنص .

يقول الهمداني في المقامة الأهوازية : " حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ بِالْأَهْوَازِ، فِي رُفْقَةٍ مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِمْ تَسَهَّلَ، لَيْسَ فِينَا إِلَّا أَمْرُدُ بَكْرُ الْأَمَالِ، أَوْ مُخْتَطُّ حَسَنُ الْإِقْبَالِ، مَرَجُوهُ الْإِيَّامِ وَاللَّيَالِ، فَأَفْضُنَا فِي الْعِشْرَةِ كَيْفَ نَضَعُ قَوَاعِدَهَا وَالْأُخُوَّةَ كَيْفَ نُحْكِمُ مَعَاقِدَهَا، وَالسُّرُورَ فِي أَيِّ وَقْتٍ نَتَقَاضَاهُ، وَالشُّرْبَ فِي أَيِّ وَقْتٍ نَتَعَاطَاهُ، وَالْأَنْسَ كَيْفَ نَتَهَادَاهُ، وَفَائِتِ الْحَظِّ كَيْفَ نَتَلَفَاهُ " ² . إذ يمثل الضمير المتصل هم في

(فيهم) إحالة قبلية إلى لفظة (رفقة) ، والضمير المتصل في (فينا) إحالة قبلية إلى لفظة (نحن) أما الضمير

(ها) في لفظة (قواعدها) يحيل إلى لفظة (العشرة) ، والضمير المتصل (ها) في لفظة (مقاعدها) إحالة

قبلية إلى لفظة (الأخوة) والضمير المتصل (ه) في لفظة (نتقاضاه) إحالة قبلية إلى لفظة (السرور).



¹ محمد خطايي : لسانيات النص ، (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص 17.

² المقامة الأهوازية ، ص 67

نحن	→	فينا (نا)
		إحالة قبلية
العشرة	→	قواعدها (ها)
		إحالة قبلية
الأخوة	→	معاقدها (ها)
		إحالة قبلية
السرور	→	تقاضاه (ه)

إلى جانب استعمال الضمائر المتصلة فقد ورد استعمال الضمير المنفصل . ففي قوله في المقامة المكفوفية : " فَأَدَّانِي السَّيْرُ إِلَى رُقْعَةٍ فَسِيحَةٍ مِنَ الْبَلَدِ، وَإِذَا هُنَاكَ قَوْمٌ مُجْتَمِعُونَ عَلَى رَجُلٍ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَخْبِطُ الْأَرْضَ بَعْضًا عَلَى إِيقَاعٍ لَا يَخْتَلِفُ، وَعَلِمْتُ أَنَّ مَعَ الْإِيقَاعِ لَحْنًا " ¹ . فالضمير (هو) إحالة داخلية قبلية إلى لفظة (رجل) :

رجل → إحالة قبلية (هو)

ومما جاء في المقامة الجاحظية : " يَرَحْمُ بِاللُّقْمَةِ اللَّقْمَةَ، وَيَهْزُمُ بِالْمُضْعَةِ الْمُضْعَةَ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ سَاكِتٌ لَا يَنْبِسُ بِحَرْفٍ، وَنَحْنُ فِي الْحَدِيثِ نَجْرِي مَعَهُ، حَتَّى وَقَفَ بِنَا عَلَى ذِكْرِ الْجَا حِظِّ وَخَطَائِبِهِ " ² . فالضمير (هو) إحالة قبلية إلى لفظة (رجل) . والضمير (نحن) إحالة قبلية إلى عيسى بن هشام والقوم الذين صار إليهم .

وفي المقامة القريضية : " ، فَجَلَسْنَا يَوْمًا نَتَذَاكُرُ الْقَرِيضَ وَأَهْلَهُ، وَتَلَقَّأْنَا شَابًّا قَدْ جَلَسَ غَيْرَ بَعِيدٍ يُنْصِتُ وَكَأَنَّهُ يَفْهَمُ، وَيَسْكُتُ وَكَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ حَتَّى إِذَا مَالَ الْكَلَامُ بِنَا مَيْلَهُ، وَجَرَّ الْجِدَالَ فِينَا ذَيْلَهُ، قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ عُذَيْقَهُ، وَوَأَفَيْتُمْ جُدَيْلَهُ وَلَوْ شِئْتُ لَلْفُطْتُ وَأَفْضْتُ، وَلَوْ قُلْتُ لِأَصْدَرْتُ وَأَوْرَدْتُ، وَلَجَلَوْتُ الْحَقَّ فِي مَعْرَضٍ بَيَّانٍ يُسْمَعُ الصُّمُّ، وَيُتْرَلُ الْعُصْمُ " ³ . فقد تنوعت الإحالة في هذا المثال وتعدد ما تحيل إليه الضمائر المتصلة من ذلك :

نحن مع الرفقه → إحالة قبلية فجلسنا (نا)

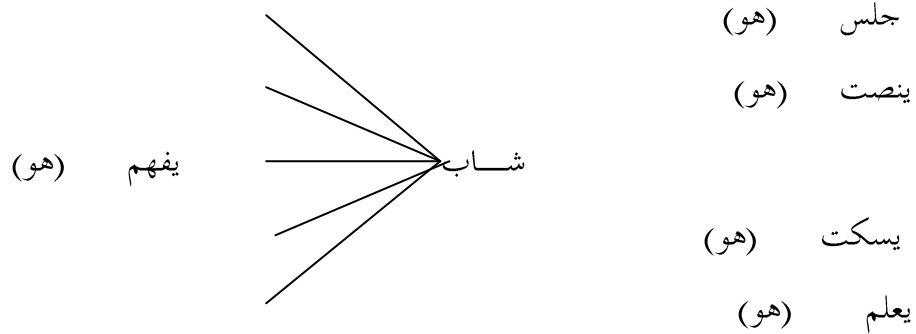
¹ المقامة المكفوفية ، ص 93

² المقامة الجاحظية : ص 88-89

³ المقامة القريضية : ص 9.

القريض	→	إحالة قبلية	أهله (هـ)
نحن مع الرفقة	→	إحالة قبلية	بلقاءنا (نا)
شاب	→	إحالة قبلية	كانه (هـ)
الكلام	→	إحالة قبلية	ميله (هـ)
الجدل	→	إحالة قبلية	ذيله (هـ)
أنتم الرفقة	→	إحالة قبلية	أصبتم (ثم)

بالإضافة إلى ذلك فقد استعمل الضمائر المستترة في مقاماته كما هو الحال في المثال السابق (قد جلس غير بعيد ينصت وكأنه يفهم ويسكت وكأنه لا يعلم) ، فالضمير المستتر المقدر بـ (هو) في الأفعال (جلس- ينصت - يفهم - يسكت - يعلم) يحيل إلى لفظة (الشاب) ، وهي إحالة قبلية على هذا النحو :



2- أسماء الإشارة : تؤدي أسماء الإشارة دورا لا يقل أهمية عن دور الضمير في الإحالة ، فاسم الإشارة ينوب عن الاسم وعن الفعل وعن الجملة، كما أنه قد ينوب عن النص بكامله .

ومن أمثله في المقامات قوله في المقامة السجستانية : " وَلَا بُدَّ لِي أَنْ أَخْلَعَ رِبْقَةَ هَذِهِ الْأَمَانَةِ مِنْ عُنُقِي إِلَى أَعْنَاقِكُمْ، وَأَعْرِضَ دَوَائِي هَذَا فِي أَسْوَاقِكُمْ (...) ثُمَّ تَعَرَّضْتُ فَقُلْتُ: كَمْ يُجِلُّ دَوَاءَكَ هَذَا؟ فَقَالَ: يُجِلُّ الْكَيْسُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكْتُهُ وَأَنْصَرَفْتُ " ¹.

¹ المقامة السجستانية ، ص 27-28

فقد أحال اسم الإشارة (هذه) إلى لفظة بعده وهي (الأمانة) ، وأحال اسم الإشارة (هذا) إلى لفظة بعده وهي (دوائي) ، كما أحال اسم الإشارة في العبارة الاستفهامية إلى لفظة قبله وهي (دوائك) تمثل ذلك على هذا النحو :

هذه ← إحالة بعدية ← الأمانة

دوائي ← إحالة قبلية ← هذا

دوائك ← إحالة قبلية ← هذا

وفي قوله : " وَلَمْ نَزَلْ نَفْرِي أَسْنَمَةَ النَّجَادِ بِتِلْكَ الْحَيَادِ، حَتَّى صِرْنَا كَالْعِصِيِّ " ¹.

فاسم الإشارة (تلك) قد أحال إلى لفظة بعده وهي (الحياد).

تلك ← إحالة بعدية ← الحياد

ومما جاء في قوله : " : فَتَنَاجَيْتُ نَفْسِي بِأَنَّ هَذَا الرَّجُلَ أَفْصَحُ مِنْ إِسْكَانَدَرِيْنَا أَبِي الْفَتْحِ، وَالتَّفَتُّ لَفْتَةٌ فَإِذَا هُوَ وَاللَّهِ أَبُو الْفَتْحِ، فَقُلْتُ يَا أَبَا الْفَتْحِ بَلَّغْ هَذِهِ الْأَرْضَ كَيْدُكَ، وَانْتَهَى إِلَى هَذَا الشَّعْبِ صَيْدُكَ " ².

هذا ← إحالة بعدية ← الرجل

هذه ← إحالة بعدية ← الأرض

هذا ← إحالة بعدية ← الشعب

3- اسم الموصول : يقوم الاسم الموصول في الخطاب بوظيفة الإحالة إلى ما قبله أو إلى ما بعده ومن أمثلته

الواردة في مقامات الهمداني ما يلي :

- قوله في المقامة الأصفهانية : **ثُمَّ عَلِمَنِي دُعَاءً أَوْصَانِي أَنْ أَعْلَمَ ذَلِكَ أُمَّتَهُ، فَكَتَبْتُهُ عَلَى هَذِهِ الْأُورَاقِ**

بِخُلُوقٍ وَمِسْكَ، وَزَعْفَرَانٍ وَسُكِّ، فَمَنْ اسْتَوْهَبَهُ مِنِّي وَهَبْتُهُ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ ثَمَنَ الْقِرْطَاسِ أَخَذْتُهُ "

3

إذ أحال اسم الموصول في الحالة الأولى إلى طالب الهبة ، وهي إحالة بعدية ، أما اسم الموصول في الحالة

الثانية فقد أحال إلى (طالب استرداد الثمن) وهي أيضا إحالة بعدية :

¹ المقامة الأسدية ، ص 36

² المقامة الأدربيجانية ، ص 54

³ المقامة الأصفهانية ، ص 65

إحالة بعدية

مَنْ ← طالب الهبة

إحالة بعدية

مَنْ ← طالب استرداد الثمن

- وجاء في المقامة الأسدية: " قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقُلْتُ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ الْإِسْكَندَرِيُّ الَّذِي سَمِعْتُ بِهِ وَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَإِذَا هُوَ هُوَ، فَدَلَّغْتُ إِلَيْهِ " ¹ .

فاسم الموصول (الذي) قد أحال إلى لفظة قبله هي: (الإسكندري)

إحالة قبلية

الإسكندري → الذي

- ومما جاء في المقامة المكفوفية: " قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ: فَفَرَّقَ لَهُ وَاللَّهِ قَلْبِي، وَأَغْرُورَقَتْ لَهُ عَيْنِي، فَفُلْتُهُ دِينَارًا كَانَ مَعِي، فَمَا لَبِثَ أَنْ قَالَ :

يا حُسْنَهَا فاقِعَةٌ صَفْرَاءُ	مَمَشُوقَةٌ مَنقُوشَةٌ قَوْرَاءُ
يَكَادُ أَنْ يَقْطُرَ مِنْهَا الْمَاءُ	قَدْ أَثْمَرَتْهَا هِمَّةٌ عَلِيَاءُ
نَفْسٌ فَتَى يَمْلِكُهُ السَّخَاءُ	يَصْرِفُهُ فِيهِ كَمَا يَشَاءُ
يا ذَا الَّذِي يَعْنِيهِ ذَا الثَّنَاءُ	ما يَتَقَضَى قَدْرَكَ الْإِطْرَاءُ

امضِ إِلَى اللَّهِ لِكَ الْجِزَاءُ وَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ شَدَّهَا فِي قَرْنٍ مِثْلِهَا، وَأَنْسَهَا بِأُحْتِهَا، فَنَالَ النَّاسُ مَا نَالُوهُ" ² .

فذا الأولى أحالت إلى: (الذي) والتي بدورها أحالت إلى الشخص الذي يعنيه الشكر والثناء، وذا الثانية أحالت إلى: (الثناء).

إحالة بعدية

ذا (الأولى) ← الذي ← طلب الثناء

إحالة قبلية

¹ المقامة الأسدية، ص 44

² المقامة المكفوفية، ص 95-96

إحالة بعدية

ذا (الثانية) ← الشاء

هذه بعض أمثلة الإحالة الواردة في نصوص مقامات الهمداني، وقد حاولنا تفرغها ودراستها منفصلة اعتباراً لطبيعة المحيل (ضمير ، اسم إشارة ، اسم موصول) وذلك لغاية الشرح والتوضيح غير أنها تكون أبلغ وأكثر حجية في النصوص كلما كانت مجتمعة و متنوعة في الاستعمال من مثال لآخر، مؤكدة على أن الباث يحيل المتلقي بواسطة هذه الإحالات إلى ما ذكر سابقاً في الإحالة القبلية وما سيذكر لاحقاً في الإحالة البعدية وعن طريق الاستدلالات الذهنية واليقظة والتركيز الشديد وكل ذلك للإحاطة بكل ما يطرح واستيعاب أجزائه.

ومن أمثلة هذا التنوع في الاستعمال نورد المثال التالي :

" لَتَرَوْنَهَا صُعْرًا وَلَتَرْكَبَنَّهَا كَرْهًا وَقَسْرًا، مَا لَكُمْ تَطَيَّرُونَ مِنْ مَطِيَّةٍ رَكَبَهَا أَسْلَافُكُمْ، وَسَيَّرَكَبَهَا أَخْلَافُكُمْ، وَتَتَقَدَّرُونَ سَرِيرًا وَطَنَهُ آبَاؤُكُمْ، وَسَيَطُؤُهُ أَبْنَاؤُكُمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَتَحْمَلَنَّ عَلَيَّ هَذِهِ الْعِيدَانَ، إِلَيَّ تِلْكُمْ الدِّيدَانَ

1"

ففي هذا المثال كانت الإحالات على هذا المنوال وفق ترتيبها كالآتي :

¹ المقامة الاهوازية ، ص 68

إحالة قبلية	المحيل	إحالة بعدية	طبيعة المحيل
الموت	لتركبها		ضمير متصل
	تطيرون		ضمير مستتر
	ركبها		ضمير متصل
	هذه	العيدان	اسم إشارة
	تلكم	الديدان	اسم إشارة
	هذه	الجياذ	اسم إشارة
	تلكم	الوهاد	اسم إشارة
القوم	أسلافكم		ضمير متصل
	سير كبها		ضمير متصل
	أخلاقكم		ضمير متصل
	أباؤكم		ضمير متصل
	أبناؤكم		ضمير متصل

10.2 مقامات الهمداني وسياق التلقي¹:

لقد اكتست قراءة النص في الدراسات الحديثة أهمية جليلة ، ذلك لأن وجود النص مرتبط بتحقيقه في التلقي والقراءة ، وأن بقاءه وحياته لصيقة بالقاريء من خلال تاريخ اشتغال المتلقي به، فالتلقي إعادة إنتاج وتصنيع للنص من جديد ، وذلك بعد ما أُنجز بصورة أولية من قبل مؤلفه ، وهو " بهذا المعنى فرصة يتجاوز

¹ إنه من باب إعطاء كل ذي حق حقه وإرجاع الفضل لأهله وأصحابه ، نؤكد على اعتمادنا في هذا الجزء من البحث (مقامات الهمداني و سياق التلقي) على دراسة عربية نقدية حديثة في أنماط التلقي لمقامات الهمداني والتي قام بها الأستاذ نادر كاظم في مؤلفه : المقامات و التلقي، مجليا فيها تطبيق نظريات القراءة و التلقي على مدونة نثرية قديمة متمثلة في فن المقامة ، وهي بحق دراسة جليلة وفريدة لم يسبق إليها من قبل بإجماع أهل التخصص في الأدب و النقد ، وليس لنا في هذا الباب جهد إلا التصرف و التبسيط و التعليق أحيانا إن أمكن.

فيها كل من النص والمتلقي ذاتهما ليمتدا خارج حدودهما . حيث النص لا يتحقق إلا من خلال القارئ ، والقارئ لا يحقق وجوده إلا من خلال القراءة " ¹ .

من منظور نظريه التلقي يصعب الفصل بين حدود النص وحدود القارئ ؛ " إذ من الصعب التمييز أو وضع حدود دقيقة بين الواقعة والتأويل ، أو بين ما يمكن أن يقرأ في النص وبين ما هو مقروء منه فعلاً " ² ، إذ لا يمكن الفصل بين فهمنا للنص وبين النص ذاته ، وفي ذلك لأن المعاني نتاج تفاعلٍ نشطٍ بين القطبين (النص - القارئ) وليست موضوعات محتبئة في النص ، حيث النص يجاوز نفسه ممتداً في القارئ ، والقارئ يخرج عن ذاته ممتداً في النص .

إن الحديث عما يقوله القارئ ، هو الحديث عن المناطق المبهمة وغير المحددة التي على القارئ أن يملئها باستخدام خياله والتي يسميها (إيزر) في نظريته بالفجوات أو الفراغات حيث يعتبر النص بنية مليئة بالفراغات التي تتطلب من القارئ ملؤها ، وهي " تشتغل كمحفز أساسي على التواصل، وبطريقة مشابهة فإن الفراغات (...) هي التي تحدث التواصل في عملية القراءة " ³ . وهي المكان الذي يكون فيه الشخص القارئ ساداً تلك الفجوات لبلوغ الاتساق والتوازن في فهم النص .

وقد ألح (باوس) مثل ما فعل (إيزر) على أهمية التواصل بين النص والتلقي ، واعتبر التلقي تجربة لا تتحقق إلا من خلال وجود علاقة متبادلة بين العمل والجمهور، وبين الأسئلة التي يثيرها المتلقي وهو يلامس فعل القراءة والأجوبة التي يقدمها النص في أفق تاريخي محدد ⁴ .

وعلى أساس هذا الأفق التاريخي يمكننا التحدث على المتن القرائي الذي تشكل حول مقامات بديع الزمان في النقد العربي ، وعن حالات من التلقي الجماعي المشترك الذي يميز كل مجموعة قرائية أو كل تشكيلة قرائية على حدة ، وفي هذا السياق يمكننا تصنيف القراءات الكثيرة في ثلاث أنماط أو ثلاث

¹ نادر كاظم : المقامات والتلقي (بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمداني في النقد العربي الحديث) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، سنة 2003 ، ص 13 .

² أحمد بو حسن : نظرية التلقي والأدب العربي الحديث ضمن كتاب (نظرية التلقي : إشكالات وتطبيقات)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، المغرب ، د ت ، سنة 1993 ، ص 23

³ فولف غانغ إيزر : فعل القراءة ، نظرية جمالية التجاوب ، ترجمة حميد الحمداني والجيلالي الكدية ، منشورات مكتبة المناهل ، فاس ، المغرب ، د ط ، د ت ، ص 98 .

⁴ نادر كاظم : المقامات والتلقي ، ص 31

تشكيلات قرائية كبرى وهي: التلقي الإحيائي ، والتلقي الإستيعادي ، والتلقي التأصيلي، وذلك من منظور الغاية التي كانت تحرك هذه القراءات والكيفية التي تمت بها قراءة المقامات :

1.10.2 -التلقي الإحيائي:

لقد كان من نتائج حملة نابليون على مصر أن تشكلت آلية دفاع تجلت في صورة العودة إلى الأصول والتأني خشية تلاشي الذات وفنائها في الآخر ، وذلك بإحياء التراث الذي يمثل قاعدة يمكن الارتكاز عليها.

وما يهمنا هنا هو مناداة الإحيائيين بضرورة بعث المقامات كنموذج تراثي زاهر يعبر عن نمط من أنماط التلقي الجيد للمقامات، وهو مؤشر إيجابي على بداية تحول الاستقبال، وهكذا يمكننا تخيل التلقي الإحيائي وهو مصوب نحو المقامات بوصفها مؤلفا ظهر في ذروة تألق الحضارة الإسلامية من جهة، ونحو تلقي القدماء لهذا النص من جهة ثانية، وعلى هذا فإن الوقوف على التلقي العربي القديم لمقامات البديع شرط ضروري لمعرفة خصوصية التلقي الإحيائي لها ، فكيف كان هذا التلقي الأول لمقامات بديع الزمان الهمذاني؟.

يبدو أن نقاد وكتاب الجيل الأول لم يستشعروا جدتها وقيمتها الأدبية الفريدة فقد أشار الثعالبي إلى انشغال النقاد بالأدب القديم، وإغفالهم لمؤلفات أهل العصر و إبداعاتهم على ما فيهم من رواء الحدائث ولذة الجدة وحلاوة قرب العهد¹.

فقد كتب الهمذاني في بعض رسائله - النص الموازي لمقامات البديع - إلى خصومه كاشفاً بوضوح وعيه بخصوصية نصه ، وموقف معاصريه منه، كما فعل في نقض قصيدة للخوارزمي: " وما كنت لأكشف تلك الأسرار، وأهتك هذه الأستار، وأظهر منها العار والعار، لولا ما بلغنا عنه (أي الخوارزمي) من اعتراض علينا فيما أملينا، وتجهيز قدح علينا فيما روينا من مقامات الإسكندري، من قوله: إنا لا نحسن سواها، وإنا نقف عند منتهاها، ولو أنصف هذا الفاضل لراض طبعه على خمس مقامات أو عشر مفتريات، ثم عرضها على الأسماع والضمائر وأهداها إلى الأبصار والبصائر، فإن كانت تقبلها ولا تجزيها ، أو تأخذها ولا تمحها كان يعترض علينا بالقدح، وعلى إملاتنا بالجرح، أو يقصر سعيه، ويتداركه وهنه، فيعلم أن

¹ أبو منصور الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، د ت ، ج 1 ، ص 4.

أُملي من مقامات الكدية أربعمائة مقامة، لا مناسبة بين المقامات لفظاً ولا معنى ، وهو لا يقدر منها على عشرٍ، حقيق بكشف عيوبه"¹.

تكشف هذه الرسالة طريقة الهمذاني في إبداع مقاماته وفهمه لها ووعيه بقيمتها و مدى اعتداده بمقدرته على تأليف هذا النوع من الأدب ، ولهذا اجترأ على التحدي الصريح بالإتيان بخمس أو عشرٍ مفترياتٍ مثلها مشيراً إلى أن المقامات نوع يستوعب فنون القول والكتابة، كما أن هذه الرسالة تشير إلى جهل معاصريه الأوائل بخصوصية هذا الفن ، فكان ما كان منه من طعن وجرح وقدح دليلاً على ذلك الجهل . لكن فترة الجيل الذي عاصر أواخر عهد الهمذاني (أواخر القرن الرابع وأواخر القرن الخامس) قد شهدت تلقي المعجب بالمقامات والمكبر لها والواعي ببعض خصائصها ومظاهرها التي حجبت على المتلقين الأوائل حتى غدا الهمذاني عند الثعالبي " بديع الزمان ، ومعجزة همذان ، ونادرة الفلك ، وبكر عطار ، وفرد الدهر وغرة العصر ... ولم ير ولم يروا أن أحدا بلغ مبلغهم من لب الأدب وسرهم وجاء بمثل إعجازه وسحره "².

قد كان تضمين نصوص الهمذاني في مدونة ضخمة للثعالبي يعد ذا قيمة من المختارات والمنتخبات التي تشكل ضرباً من ضروب التلقي للنصوص المنتقاة من جهة ، وللنصوص المتروكة من جهة أخرى³ . وإلى جانب الثعالبي فقد اعترف الحصري بأديتها وجودتها ، مقدماً تلقياً مدركاً لخصوصية مقامات البديع المتمثلة في طبيعتها التعددية والاحتفالية ، من حيث هي نص يستوعب نصوصاً شتى . ولكننا مع نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس وبظهور مقامات الحريري ، أخذ تألق مقامات البديع يأفل رغم اعتراف الحريري بفضلها وأسبقيتها ، فهو عنده مبتدع فن المقامات " وسباق غايات وصاحب آيات ، وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة ولو أوتي بلاغة (قدامة) ، لا يغترف إلا من فضالته ولا يسري ذلك المسرى إلا بدالته "⁴ .

¹ إبراهيم علي الأحمد الطرابلسي: كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان ، المطبعة الكاثوليكية ، لبنان ، د ط ، د ت ، ص 389-

190

² أبو منصور الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج4 ، ص 256

³ نادر كاظم : المقامات والتلقي ، ص 82

⁴ أبو محمد القاسم الحريري: مقامات الحريري، دار الكتب العلمية، لبنان، ط4. دت، ص14.

لقد لاقت مقامات الحريري في هذه الفترة وما بعدها من الشهرة والرواج ما لم يلاقي مثله نص " فأقبل عليها الخاصة والعامّة حتى أنست مقامات البديع وسيرتها كالمرفوضة " ¹ . فتشكل بذلك تلقي جديد مبنياً على عظمة مقامات الحريري واعتبارها نموذجاً ممثلاً لنوع المقامات.

وهكذا فقد شهد التلقي العربي القديم لمقامات الهمذاني ثلاثة أنماط من القراءات ² :

- 1 قراءة أحيطت بصورة سلبية قدحية لمقامات الهمذاني كقراءة الخوارزمي .
 - 2 قراءة أظهرت المقامات بوصفها نصاً أدبياً رفيعاً كقراءة الثعالبي والحصري .
 - 3 قراءة المقامات الهمذانية في ضوء المقامات الحريرية ، حيث توارت في الظل وصيرتها كالمرفوضة .
- لقد غدا التلقي الإحيائي عدولاً عن المفاضلة بين مقامات الهمذاني والحريري ، وعدم التمييز بينهما ، فهو تلقي للمقامات دون تحديد لصفاتها بديعية أو حريرية إلا على نطاق ضيق ، حيث استقبلت المقامات في مابعد بوصفها كترًا ثميناً وجزءاً لا يتجزأ من التراث العربي ، يمكننا حصر أشكال التلقي الإحيائية المختلفة للمقامات في مسارات ثلاث :

1- مسار التلقي الأدبي : يبدأ هذا المسار من اليازجي إلى المويلحي ، حيث تعدد مقامات اليازجي الستين التي أسماها (مجمع البحرين) ، والتي كانت مصرحاً لصراع الأموات والأحياء من أجل البقاء ، أبرز محاولة إحيائية لإنشاء مقامات على نمط مقامات الهمذاني والحريري (1855) .

المطلع لمقامات اليازجي يجده يتبع الشكل السردى ذاته الذي سارت عليه أغلب مقامات الهمذاني والحريري مؤلفة بلغة رفيعة غير معهودة ولا متداولة ، كما أنها تلتزم السجع وتحتفي بأنواع المحسنات البديعة المتنوعة معرض لمختلف فنون القول والكتابة ؛ كالشعر والرسائل والألغاز والأحاديث والطرائف والحكم والوصايا وغيرها ، فجعل اليازجي بطلاً لمقاماته سماه ميمون بن خزام ، وهو أديب مكدي وراوي لمقاماته هو سهيل بن عباد ، بنفس خريطة توزيع الشخصيات التي أرساها الهمذاني، رغم أنه يدعي أن مقاماته لا تشبه الأقدمين إلا في الاسم ويُرى في مؤلفه موضعاً يلتقي فيه بحر الشعر ببحر النثر، وهو ما

¹ القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي : صبح الأعشى ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر ، د ط ، د ت ، ج 14 ، ص 110

² نادر كاظم : المقامات والتلقي ، ص 88

يشكل استمرار الجمالية البلاغيتين التي أرساها الهمذاني ومعاصروه ، فهو لم يستطع الفكك من الفحول والأسلاف ، فضلت مقاماتهم عندهم موضع إكبار واحترام ¹ .

كما ألف فارس الشدياق أربع مقامات ضمنها في أربعة كتب موزعة ؛ في كل كتاب مقامة واحدة ، وهي تأسس لنفسها شكلا سرديا ثابتا لا يربطه بشكل المقامات السردية الذي أسسه الهمذاني ورسخه الحرير إلا علاقة ضعيفة ، فهو " لم يستطع أن يفلت من تأثير الهمذاني والحريري معا ، فإن مطالعة هذه المقامات تدل على التأثير الذي لم يستطع الشدياق أن يواريه وراء عبارات مقاماته " ² .

فقد سلك محاكاة ساحرة كوسيلة للدفاع عن حاجاته الجمالية والأدبية ثم جاء المويحي بمؤلفه (حديث عيسى بن هشام أو فترة من الزمن) كأول إنتاج قصصي واقعي يستهدف منه غاية إصلاحية ، يصور من خلالها طبائع الفئات الاجتماعية ، ويشرح أخلاقهم ، فقد استطاع أن يستحضر نصوص الأوائيل ، ولكن بنوع من التكيف ، وأن يحقق تحولا بفضل تعلقه بهم ، و " من هنا كان عمل الملحي استحضارا إبداعيا تطويريا لمقامات البديع ، ومثالا جيدا على حالة عودة الأموات الإيجابية كما يسميها هارولد بلوم " ³ .

2- مسار التلقي الفيولوجي : وهو مسار يعد مؤشرا على بداية تحول في طريقة تعامل الإحيائيين مع

مقامات البديع ، فكانت الطريقة التي تداول بها مؤلف البديع تسمح بكثير من أشكال التغيير والتعديل والحذف والإضافة ، وذلك لأن طبيعة أي مخطوط تستدعي ذلك ، فهو ليس نصا مفتوحا على الخارج باستمرار ، فالذين هم في عناء من تفهمه في غموض بعض معانيه و غرابة بعض ألفاظه هم بحاجة إلى شرح يزيل كل لبس بمثابة التأسيس وإعادة التشكيل لنصبة المقامات .

فانبرى بهذه المهمة الشيخ محمد عبده الذي لم يكن محقق المقامات الأول فحسب ، بل كان النص الذي أخرج به إلى الناس سنة 1889م بوصفه (مقامات بديع الزمان) الشكل النهائي والأخير لتلك المقامات ، فقد اعتمد الشيخ في ذلك على طبعة بولاق وطبعة اسطنبول رغم ما سبقهما من طبعات (طبعة طهران 1879) و(الهند) في نفس السنة ، وذلك لعنايتهما بتصحيح الكتاب ونشره خاليا من الأخطاء .

كان إخراج محمد عبده لمقامات الهمذاني مصححة مشروحة مؤشرا جيدا على تحقق تحول في تاريخ تلقيها مغلقا الباب لأي كان أن يضيف أي كلمة أو يحذف من متن هذا النص أو يعدل فيه بأن يثبت ما

¹ نادر كاظم : المقامات والتلقي ، ص 108-109-111

² عبد المالك مرتاض : فن المقامات في الادب العربي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ط 2 ، سنة 1988 ، ص 245.

³ نادر كاظم : المقامات والتلقي ، ص 123 .

أقصاه الشيخ أو يقصي ما أثبتته كما فعل في المقامة الجرجانية في ثبت بعض الأبيات مراعاة لمناسبة السياق ، وهو تقديم يتناسب مع رؤية الشيخ وفهمه ، كما يتناسب مع حاجات الناشئة من أهل ذلك العصر .

3- مسار التلقي النقدي : وفي هذا المسار نجد أن قراءة المقامات كانت تتم عادة من منظور مقارن كما فعل (رفاعة الطهطاوي) في كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) سنة 1834م بتقديم إشارات أدبية ونقدية ، وتلميحات مقارنة بين الأدب العربي و الأدب الفرنسي كما نجد ذلك في قوله " وقرأت أيضا وحدي (أي دون مساعدة أحد من الفرنسيين) مراسلات الإنجليزية صنفها (الكونت: تستر فيلد) لتربية ولده وتعليمه وكثيرا من المقامات الفرنسية " ¹ .

وهو يوحى بالمقامات الفرنسية إلى معنى " أن المقامات الفرنسية عبارة عن مؤلفات أدبية تصنف من أجل تعليم الأولاد وتربيتهم ، مثلها كمثل المقامات العربية التي فهمت بوصفها أحاديث تصنف من أجل تعليم الناشئة أساليب اللغة العربية وألفاظها المختارة " ² .

وفي سنة 1904 يكتب روجي الخالدي فيها مؤلفه (تاريخ علم الأدب عبر الإفرنج والعرب وفكتور هيغو) معبراً عن قراءته المقارنة بين المقامات الهمدانية والحريية ، وبين الدراما الغربية الكلاسيكية (راسين - مولير - كورني) والرومانسية (شكسبير) ، مؤكداً فيه إمكانيته وقدرته على كتابة هذا المؤلف على طريقة المقامات المسجوعة ، غير أنه أثار أن يكون واضحاً مفهوماً غير متكلف في استعمال الكلمات الغربية ومحاكاة النماذج الأدبية العليا كالمعلقات السبع أو المقامات الهمدانية والحريية ، " فلا فائدة في تحمل المشقة للإتيان بمعلقة ثامنة أو مقامات ثالثة ، إذ الأصل في الإنشاء أن يعبر الفرد عن إحساسه الخاص ومشاعره الذاتية تجاه أسرار الكون وحقائقه ، لا أن يجيد احتذاء الفحول السابقين وفطاحل العربية الأولين " ³ ، وغايته في ذلك أن يتيح لجمهوره قراءه أن يتابعوه .

ولأجل ذلك يرى الخالدي أن الباحثين لا يجدون في المقامات مثالا للدراما لأنها تفتقر إلى اللغة البسيطة السهلة التي يجب توفرها في الدراما ، ولهذا يصعب تمثيلها بهذه اللغة والأسلوب فهي لم تكتب للعوام وأهل السوق ، وإنما كتبت للخواص من أهل العلم والأدب ، وقد كان من الممكن لها أن تستقبل باهتمام

¹ رفاعة الطهطاوي : تخليص الإبريز في تلخيص باريز ، دار ابن زيدون ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، د ت ، ص 232

² نادر كاظم: المقامات والتلقي : ص 143 .

³ المرجع نفسه : ص 146

من قبل التلقي الشعبي مثلها مثل نواذر أشعب وجحا وغيرهما ، غير أن لغتها الرفيعة وغير المعهودة عند العوام قد حالت دون ذلك .

فقد كانت قراءه روجي الخالدي ومن معه تأخذه على فن المقامة عنايتها بالسجع والألفاظ الغريبة والمحسنات البديعية وانصرافها على بلاغة المعنى وتصوير الحكايات.

2.10.2 -التلقي الإستبعادي :

لقد شاع هذا النمط من التلقي منذ العقود الأولى من القرن العشرين ، حيث كان ينظر إلى الأدب من منحنى جمالية التعبير الرومانسية ، وهو سياق " وضع مقامات البديع وغيرها في مستوى نصوص اللغة العتيقة ومدونات البلاغة الجامدة ، وفي هذا الأفق مسخت المقامات وانتهت إلى صورة هزيلة عقيمة منفردة ، ورميت بكل مظاهر النقص والقصور والتحجر " ¹.

تبلورت هذه القراءة في مناخ أدبي يجسد صراع بين تيار المحافظين وتيار المجددين في هذه الفترة حيث ضاعت بينها المقامات وتاهت ، " فقد أضعاعها أصحاب التيار الأول لأنهم وقفوا بفهمهم لها عند حدود اللفظ الغريب والمحسنات البديعية ، وأضعاعها التيار الثاني لأسلوبها العتيق الذي لا يلاءم ذوق العصر ، واعتبار فن القصص فن راق ، لأنه لا يتأتى للأديب أن يصور النفوس البشرية إلا في هذا الفن ، وهو ما لا تملكه المقامة لأن فن القصص ، أدب غربي خالص " ².

لقد شكلت بلدان العالم الإسلامي عرفا مقاميا عند الهمذاني فكل المقامات تدور داخل هذه الرقعة التي تشمل :

- بلاد فارس (بلخ ، وسجستان ، أذربيجان ، نيسابور ، بخارى ، أصفهان ، جرجان ، الأهواز ، قزوین شيراز ، أرمينية ، نيسابور ، سارية) .
- بلاد الشام (حمص ، حلب) .
- بلاد العراق (بغداد ، البصرة ، الموصل ، الرصافة ، حلوان ، الكوفة) .
- وشبه الجزيرة العربية (الحجاز ، اليمن) .

3.10.2 -التلقي التأسيلي لمقامات بديع الزمان : ونميز فيه ثلاثة أنماط:

¹ نادر كاظم: المقامات والتلقي : ص 160-161

² المرجع نفسه: ص 175

1 - نمط هوس التأصيل:

كانت بداية هذا النوع مع القراءات التأصيلية للتراث العربي القديم وذلك منذ أواخر الخمسينات وبداية الستينيات ، فُرِدَّ الاعتبار للمقامات ضمن حركة شاملة ترغب في الاتصال بهذا التراث والانتظام داخله ، حيث ابتدأت الدراسات والنقاشات حول أصالة المقامات وتأثيرها في الأدب الحديث ، وإعادة تصنيفها انطلاقاً من كونها قصة أو مسرحية أو غير ذلك .

يظهر خورشيجي في دراسته (فن الرواية) كثيراً من الاستغراب من طرق بعض الدارسين المحدثين حين يعتقدون بأن فن الرواية والقصة فن مستحدث وصل إلينا عن طريق الاحتكاك بالغرب مؤكداً بحماس واضح أن الإنسان عرف النص القصصي طوال تاريخه ، وفي هذا رداً على اتهامات المستشرقين والقراء العرب السابقين في قراءتهم المغلوطة للتراث ¹ .

كما كتب توفيق الحكيم مؤلفه (قالبنا المسرحي 1964م) مؤكداً فيه على ضرورة استحداث قالب مسرحي خاص مستخرج من تراثنا العربي ، وقد وجد في أسلوب الحكواتي في الأغاني وفيما ورد عند الجاحظ والحريري وبديع الزمان بغيته . و دراسته هذه تعد من جهة : جزء من توجه جديد كان يهدف إلى استحضار هذا الفن واستثماره ، ومن جهة أخرى : تعد مؤشراً إيجابياً على بداية تغير في الموقف عن المقامات كان قد تبناه توفيق الحكيم سابقاً ، تمثل في أن الأدب العربي لم يعرف فنوناً فيه من قصة ومسرح ² .

فقراءة خورشيد وتوفيق الحكيم ومن سار على نهجهما قراءة تؤسس لهوس التأصيل كما يعتقد الباحث نادر كاظم، يلاحظ فيها حجم التحول في صورة بديع الزمان ذاته ، وصورة بطله ، كما أننا نلمح في قراءات هذا التلقي تقويلاً وحملاً على أعمال البديع نفسه ، ما كانت حاضرة في ذهنه أو في ذهن المتلقين الأوائل لعمله فهي كالخيانة ، " إلا أنها خيانة خلاقة ، لأنها تعطي للنص أبعاداً جديدة تضمن له حياة جديدة وفهما مغايراً" ³ .

يمكننا أن نسلم هذا التلقي بأنه استمرار للتلقي الإحيائي تم فيه نوع من التجاوز بالتعديل أو التصحيح .

2 نمط إعادة تصنيع المقامات:

¹ نادر كاظم: المقامات والتلقي : ص 194-295 .

² المرجع نفسه: ص 299

³ المرجع نفسه: ص 301.

لقد كانت قراءة الخالدي التي أشرنا إليها سالفاً في مقارنة فن المقامات لفن الكوميديا عند الغرب متأثرة بسياق التلقي العام الذي لم ير في المقامات إلا صوغ الأسجاع والزخارف اللفظية وبلاغة التعبير ، ولكنه في فترة لاحقة نجده قد تراجع عن تلك الصلة بين المقامات وفنون الكوميديا .

ومثله فخري أبو السعود فقد كانت قراءته قفزة على أفق للتلقي العام الذي كان سائداً وقت ظهورها ، فهي قراءة لم تصطدم بحاجز المقامات اللفظي ، استطاع فيها فخري أن يثبت البعد الإصلاحي الاجتماعي المستتر في شخصية البديع ، فقد اقتنص ملاحظة روعي الخالدي بشأن السمة الدرامية في شخصيات المقامات وتطورها ¹ ، حيث اعتبرت شخصية أبي الفتح أول محاولة لتصوير النموذج الإنساني الأول في الأدب العربي القديم في صيغة اجتماعية إصلاحية.

ونميز في هذا النمط من القراءة شكلين :

1.2 الشكل الأول:

بعد قراءة فخري أبو السعود التي استطاع بها أن يتجاوز المظهر اللغوي للمقامات إلى أها قصة فنية اجتماعية تحليلية مكتملة ، ظهرت قراءة مارون عبود في مؤلفه (بديع الزمان الهمذاني) سنة 1954 م وهي قراءة مترامنة مع قراءة شوقي ضيف في كتابه (المقامة) ، التي بها يشير إلى أن هناك تلقي عام مشترك. قد كان مارون عبود يكره السجع والتصنع ومع ذلك أكد على أبعاد مضمون المقامات الاجتماعية والفنية ، فقد ميز بين مقامات البديع ورسائله ، إذ تكون صناعة البديع واحدة ، لكن " الصنعة في رسائله أكثر منها في مقاماته " ² . وقد تكون صناعة البديع واحدة في شعره ونثره. " لكنه في الرسائل والشعر متحمل متصنع بينما هو في المقامات رجل فن " ³ .

وقد أكد أيضا في معرض مقارنته بين البديع وأدباء عصره على أن الهمذاني ليس نسخة مكررة من أدباء عصره رغم وجود عناصر مشتركة بينهم وهي سمة كل عصر ، وهكذا فقد مكنته قراءته هذه من تصحيح الرؤية وإعادة ضبط منطلقاتها ومساراتها وممارساتها ، فكانت ثمرة ذلك أن أعاد شوقي ضيف في دراسته للقصة في الأدب العربي المعاصر في مصر الاعتبار للمقامات معترفا لبديع الزمان بفضل وحقه مصححا لقراءته السابقة.

¹ نادر كاظم: المقامات والتلقي : ص308 وما بعدها

² مارون عبود : بديع الزمان الهمذاني ، دار المعارف ، سلسلة نوابع الفكر العربي ، ط 3 ، د ت ، ص 30

³ المرجع نفسه : ص 31

" فالمرجعة هنا تصدر في تصحيح القراءة ، من الاعتراف بتفرد مقامات البديع الزماني وضرورة قراءتها قراءة مباشرة دون توسط نصوص وسيطة تشوش الرؤية وتحرف مسار القراءة ، وهو ما كان يحكم قراءة شوقي السابقة ، ومن هنا يعد هذا التغيير مؤشرا جيدا على بداية تغيير في استراتيجيات القراءة وآليات التأويل التي كانت سائدة لدى القراء السابقين " ¹ .

بهذه القراءة الجديدة للمقامات نكون قد سجلنا عودة جديدة إلى نمط التلقي الإحيائي ، تتمثل في المطالبة باستثمار المقامات إبداعيا، وإعادة الاعتبار لها ولمنشئها مؤسسين لأصالة القصة في الأدب العربي . وما يميز هذه الفترة ظهور قراءة مصطفى الشكعة لمقامات بديع الزمان الهمداني في دراسته (بديع الزمان الهمداني، رائد القصة العربية والمقالة الصحفية) سنة 1959 م، حيث اعتبر بديع الزمان الكاتب العربي الأول الذي " ابتكر في الصحافة بالقدر الذي سمحت به ظروفه المحددة قبل ألف عام من الزمان " ² . فبديع الزمان من منظور مصطفى الشكعة لم يعد كما كان في التلقي الاستبعادي معلما أو كاتباً متصنفاً ، بل أصبح أديب حر التفكير ورائد المقالة الصحفية والقصة العربية في تاريخ الكتابة العربية .

2.2 الشكل الثاني:

لقد بالغ التلقي الاستبعادي في عزل المقامات عن العالم الذي نشأت فيه واعتبارها شكلا جامدا وألغيت لفظية ومحسنات شكلية ، لا يستجيب لمتطلبات عصره ومجتمعها ، إلى أن ظهر نمط اتسم بتلقيه لمقامات الهمداني بالإضافة إلى ميوله التأصيلية ، بميل تاريخي اجتماعي واقعي واضح ، يعتبر الظاهرة الأدبية كباقي الظواهر الطبيعية ، تنشأ في ظروف معينة ، وتؤثر فيها عوامل خاصة ³ .

وقد مثل هذا النمط كل من شكري عياد وعبد المالك مرتاض في أبحاثهما حول مقامات الهمداني، فرأى الأول أن هناك ارتباطا وثيقا بين الفن القصصي وظهور الطبقة البرجوازية ، ورأى الثاني ضرورة قراءة المقامات من منظور أنها مصدر غني للمعرفة التاريخية والحضارية والاجتماعية والأدبية جميعا ⁴ ، ولم يجد مانعا من التصريح بمدى العلاقة الوثيقة بين كون المقامات ذات قيمة فنية وبين اعتبارها قصة ناجحة .

¹ نادر كاظم: المقامات والتلقي : ص 321-322

² مصطفى الشكعة : بديع الزمان الهمداني ، رائد القصة العربية والمقالة الصحفية ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 1983 ، ص8

³ نادر كاظم: المقامات والتلقي : ص 332

⁴ المرجع نفسه: من 335 إلى 339

ركزت قراءات هذا الجيل كل اهتمامها على الكشف عن الغايات التي تكمن وراء سلوك أبي الفتح وعلى تحوله من نموذج الشحاذ المزعج إلى نموذج إنساني عظيم للمثقف الثائر ضد فساد المجتمع الذي جار على كثير من الأدباء والمثقفين فاضطرهم إلى التكري والاحتياي ، فهي قراءة تؤكد التجاوب الكبير بين مأساة الاسكندري ومأساة المجتمع .

3 نخط تحولات التلقي:

لقد رأى قراء هذا النمط من التلقي أن مقامات الهمذاني تستجيب لقواعد الفن ، فراحوا يربطونها بالأشكال الأدبية المستحدثة كما ذهب إلى ذلك مصطفى الشكعة ومحمد رشدي حسن وعبد المالك مرتاض ، فقد حدد هذا الأخير مقومات القصة الفنية كما هي في الآداب الإنسانية ، و انتهى إلى أنها تتجلى في ¹ :

1 الحبكة.

2 الشخصيات.

3 العقدة.

هذا إلى جانب الزمان والمكان والخيال.

فقراءة هذا الجيل كانت مدفوعة لرفع الحيف الذي أصاب المقامات من قبل المستشرقين من جهة ، ومن قبل التلقي الإستبعادي من جهة أخرى ، إلا أنها وقعت في مأزق قرائي خطير حيث انسأقت إلى قراءة نفعية استعماله انتقائية للتراث ، " وهكذا لعبت إعادة تصنيف المقامات دورا مزدوجا ، فهي بقدر ما فتحت أمام القارئ أبعادا جديدة ضمنت إلى حد كبير بقاء المقامات واستمرارها ، فإنها في نهاية المطاف قادت إلى غربة ظالمة للمقامات " ².

ولكن هذه القراءة التي ترى أن بقاء نص المقامة رهين بمدى اشتغالها على مقومات فن لقصة أو المسرح أو غيرها ، قد جنى عليها كثيرا ، مما دفع البعض أن يتراجع عن هذه القراءة الغير دقيقة علميا كما فعل عبد المالك مرتاض بعد عشرين عاما من قراءته السابقة ، إذ رأى أن مقومات القصة الفنية هي غير

¹ عبد المالك مرتاض : فن المقامات في الأدب العربي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ط2 ، 1988 ، ص 479

² نادر كاظم: المقامات والتلقي : ص 383

مقامات المقامة الفنية ، " ذلك أن التعصب للمقامة إلى حد اعتبارها قصة فنية ، هو ظلم للقصة وللمقامة معاً " ¹.

4 غمط انبعث قراءات جديدة:

لقد كان ظهور هذا النمط نتيجة للحركة النقدية التي شهدها العالم العربي من تأثير للمناهج النصية المتزايدة منذ السبعينيات والثمانينيات ، حيث تشكلت قراءات كل من عبد الفتاح كيليطو وحمادى صمود وعبد الله إبراهيم ، وعبد الله الغدامي ، وغيرهم حول المقامات .

يقراً عبد الفتاح كيليطو مقامات البديع من خلال إضافة مظهر رابع يميز فن المقامة لم يلتفت إليه الأوائل مثل الثعالبي و الحصري حين أبرزوا ثلاثة مظاهر في مقامات البديع ، الأسلوب الرفيع الأنيق ، موضوعة الكدية ، نسبة الخطاب ، وهو ثبات الشكل السردي بحيث " تكفى قراءة المقامات الأولى لإدراك الأفعال السردية تتبع في كل واحدة منها تسلسلا ثابتا ، و يوجه قراءة المقامات الأخرى تَوَقُّعُ يَحْيِبُ أحيانا بعودة هذا التسلسل ذاته " ².

وفي هذا الصدد يؤكد كيليطو على ألا ننخدع بمظهر واحد ، فنضخمه بحيث يحجب على العين بقية المظاهر الأخرى كمظهر إسناد الخطاب مثلاً ، فتقول : " توجد مقامة حين يسند المؤلف القول على النمط الخيالي لشخصية أو عدة شخصيات " ³ وذلك حين يفوض المتكلم مهمة القول إلى هذه الشخصيات المتخيلة .

فقراءة النص حسب كيليطو يجب أن تتقبل طبيعته و تحاول بعد ذلك تفسيرها بعيدا عن تلك القراءات الساخطة المتبرمة أو المأزومة المبررة حيث يكون فيها القارئ متأملاً ككثافته مستوعبا لتلك الطبيعة والوظيفة التي تميزه ، " وكاشفا عن جماله وخصوصيته ، حيث يسمو المحكى في المقامات ، بفضل هذا الأسلوب الأنيق إلى مستوى الشعر، ويصير خاضعا لمعايير التأويل والتقويم ذاتها التي تنسحب عليه " ⁴ ، وبذلك يغدو

¹ عبد الملك مرتاض :مقامات السيوطي ، منشورات اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ط11 ، 1996 ، ص12

عبد الفتاح كيليطو: المقامات ، السرد والأنساق الثقافية ، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي ، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، سنة 1993 ، ص97²

³ المرجع نفسه: ص 128 - 129

⁴ نادر كاظم: المقامات والتلقي : ص 401

نص بديع الزمان مؤسساً لشعرية جديدة في الكتابة العربية ، أطلق عليها كيليطو مصطلح شعرية الكتابة العربية¹ .

11.2 التقسيم السياقي لعناوين مقامات الهمذاني :

يُعدُّ العنوان جزءاً هاماً من منظومة النص وبنية أولى لاقتحام عالمه وأغواره ، كما يعد بنية نصية دالة ونسق لغوي له وظيفته ، " وبالإفادة من وظائف اللغة لجاكيسون يتبين أن للعنوان وظائف متعددة : كالوظيفة المرجعية (المرجع) والوظيفة الإفهامية (المرسل إليه) والوظيفة الشعرية (الرسالة) ، وقد تتسع لدى (هنري ميثران) لتشمل الوظيفة التعيينية والوظيفة التحريضية والوظيفة الإيديولوجية ، وقد اعتبره (جاك دريدا) كثرثياً بحكم موقعه معلقاً على سقف النص "² .

مما يلاحظ على عناوين مقامات الهمذاني أن هناك لازمة لا تتراح عن تركيب العنوان بحيث تتكرر في كل مرة بدون زيادة ولا نقصان وهي مصطلح المقامة وكلمة ثانية هي اسم دال على مكان الحدث أي مكان وقوع القصة كالكوفية ، أو اسماً لشخص يروى عنه مثل المقامة البشرية نسبة لبشر بن عوامة العبدى وهو أحد الصعاليك ، أو نسبة إلى الطعام كالمقامة المضيرية ...إلخ.

1 للمقامة القريضية : نسبة إلى القريض : الشعر .

2 للمقامة الأزادية : نسبة إلى نوع من التمر .

3 للمقامة البلخية : نسبة إلى بلخ وهي مدينة من مدن خراسان وهي الآن من إيالات أفغانستان واقعة في شمالي جبال هندوكش غربي بدخشان جنوبي نهر جيحون .

4 للمقامة السجستانية : نسبة إلى سجستان وهي من أقاليم بلاد فارس الشرقية تنتهي من الغرب إلى مفاوز كرمان ومن الشرق إلى حدود أفغانستان ومن الشمال إلى أطراف هراة ، ومن الجنوب إلى

بلوجيستان .

5 للمقامة الكوفية : نسبة إلى الكوفة من بلاد العراق .

6 للمقامة الأسدية : نسبة إلى حيوان (الأسد) .

7 للمقامة الغيلانية : نسبة إلى غيلان و هو ذو الرمة الشاعر المعروف .

¹ المرجع نفسه: ص 401

² علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري (من البنية إلى القراءة) ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، سنة 2000م ص142

- 8 - المقامة الأذربيجانية: نسبة إلى أذربيجان: قسم من مملكة إيران في الغرب الشمالي منها.
- 9 - المقامة الجرجانية : نسبة إلى جرجان من مدن بلاد الترك المستقلة من خانيق خبو (من جهة فارس).
- 10 - المقامة الأصفهانية : نسبة إلى أصفها مدينة من مدن إيران ، وكانت دار سلطتها قبل أن تصير طهران عاصمة المملكة.
- 11 - المقامة الأهوازية : نسبة إلى الأهواز من مدن فارس.
- 12 - المقامة البغدادية : نسبة إلى بغداد من مدن العراق .
- 13 - المقامة البصرية : نسبة إلى البصرة من مدن العراق .
- 14 - المقامة الفزارية : نسبة إلى قبيلة فزارة وهي من قبائل اليمن .
- 15 - المقامة الجاحظية : نسبة إلى الجاحظ.
- 16 - المقامة المكفوفية : نسبة للشخص الأعمى .
- 17 - المقامة البخارية : نسبة إلى مدينة بخارى من مدن فارس .
- 18 - المقامة القزوينية : نسبة إلى قزوين من بلاد فارس .
- 19 - المقامة الساسانية : نسبة إلى المكدين وهي نسبة قذف وسفالة لبني ساسان من أهل فارس.
- 20 - المقامة القرديية : نسبة إلى حيوان (القرد).
- 21 - المقامة الموصلية : نسبة للموصل من بلاد العراق .
- 22 - المقامة المضيرية : نسبة إلى لحم يطبخ بالبن المضير أي الحامض وربما خلط المضير بالحليب وهو الأجود.
- 23 - المقامة الحرزية : نسبة إلى الحرز وأصله ما يمنع من ضياع وتلف ثم خصص في اصطلاح المعوذتين بما يكتب ويحمل ، ينقى حامله من الخطر ويبلغه إلى وطر أو يحفظ عليه صحة.
- 24 - المقامة المارستانية : نسبة إلى المارستان وهو موضع يعالج المجانين (حدث في البصرة).
- 25 - المقامة المجاعية : نسبة إلى عام القحط والجوع .
- 26 - المقامة الوعظية : نسبة إلى الوعظ والإرشاد .
- 27 - المقامة السودية : نسبة إلى الأسود بن قمان من مشايخ العرب كان مشهورا .

- 28 - المقامة العراقية : نسبة إلى العراق .
- 29 - المقامة الحمدانية : نسبة إلى مجلس سيف الدولة بن حمدان .
- 30 - المقامة الرصافية : نسبة إلى محلة من بغداد .
- 31 - المقامة المغزلية : نسبة إلى الغزل .
- 32 - المقامة الشيرازية : نسبة إلى شيراز من بلاد فارس .
- 33 - المقامة الحلوانية : نسبة إلى حلوان من بلاد العراق .
- 34 - المقامة النهديية : الزبدة الضخمة (نوع من الأكل) .
- 35 - المقامة الإبليسية : نسبة إلى إبليس .
- 36 - المقامة الأرمنية : نسبة إلى أرمينية من بلاد فارس .
- 37 - المقامة الناجمية : نسبة إلى الشخص الطالع الظاهر المشهور .
- 38 - المقامة الخلفية : نسبة إلى شخص خلف بن أحمد .
- 39 - المقامة النيسابورية : نسبة إلى نيسبور من مدن إيران فارس .
- 40 - المقامة العلمية : نسبة إلى العلم .
- 41 - المقامة الوصية : نسبة إلى الوعظ .
- 42 - المقامة الصيمرية: نسبة إلى الصيمرة موضع بقرب دمشق بقرب البصرة .
- 43 - المقامة الدينارية : نسبة إلى الدينار من النقود .
- 44 - المقامة الشعرية : نسبة إلى الشعر .
- 45 - المقامة الملوكة : نسبة إلى الحكام والأمراء .
- 46 - المقامة الصفرية : نسبة إلى الدنانير .
- 47 - المقامة السارية : نسبة إلى بلد في طبرستان (من فارس) .
- 48 - المقامة التميمية : نسبة إلى قبيلة تميم (شخص تميمي) .
- 49 - المقامة الخمرية : نسبة إلى الخمرة .
- 50 - المقامة المطلبية : نسبة إلى المطلب و هو الكثر لأنه من أعظم ما يتعلق به المطلب .
- 51 - المقامة البشرية : نسبة إلى شخص ؛ بشر بن عوانة العبدي .

و يتتبع عناوين مقامات الهمداني نجدها تتوزع على النحو التالي:

ما ارتبط بالأقوام والشخصيات (13 مقامة) :

الغيلانية - الفزارية - الجاحظية - المكفوفية - الساسانية - الأسودية - الحمدانية - الإبلية - الناجمية - الخلفية - الملكوية - التميمية - البشرية .

لقد قدم الهمداني في مثل هذه المقامات صورة اجتماعية للتكديّة و المكدين ، وصورة للصعلكة وللبطولة والشهامة والتقاليد في الزواج مثلا ، كتلك التي رسمها لنا الجاحظ في بخلائه وفصلها أبو دلف الخزرجي في قصيدته المشهورة في الساسانيين¹ . فأحال بذلك إلى شخصيات وأقوام معلومة ومشهورة كخلف بن أحمد و بشر بن عوانة وذوي الرمة الشاعر وغيرهم ... وقد عنون بها مقاماته كمحدد سياقي يدفع المتلقي ويجعله منسجما مع باقي المحددات في فضاء النص وأجوائه فيحصل بذلك التفاعل بين قطبي العملية التواصلية وتحقق الأبعاد الحجاجية في هذه الرسالة بحسن انتقاء واختيار الشخصية المناسبة.

ما ارتبط بالأماكن والمواضع (21 مقامة) :

البلخية - السجستانية - الكوفية - الأذربيجانية - الجرجانية - الأصفهانية - الأهوازية - البغدادية - البصرية - البخارية - القزوينية - الموصلية - المارستانية - العراقية - الرصافية - الشيرازية - الحلوانية - الأرمنية - النيسابورية - الصيمرية - السارية.

لا شك أن الأحياء المكانية مستقرة خلافاً للأحياء الزمانية المتغيرة ، وهي بالنسبة للإنسان تأخذ أبعاداً مختلفة و أحجاماً قد يصعب تنظيرها لأنها تختلف طولاً وعرضاً وضيقةً واتساعاً وعلواً وانخفاضاً ... وهي في حياته ذات قيمة كبرى وميزة تشده إلى الأرض منذ أن كان نطفه يتخذ رحم أمه مكاناً يمارس فيه تكوينه البيولوجي فالمهد حيث تتفتح مداركه وبعد ذلك ، انخراطه في فضاءات اجتماعية لتبلور له أبعاد محيطه من منزل ومدرسة وسوق وشارع أو قرية أو مدينة أو ...² .

¹ عبد الرحمان ياغي: رأي في المقامات، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1-1969، ص53.

² عبد الجليل مرتاض: دراسة سيميائية ودلالية في الرواية والتراث، منشورات تاله، الجزائر، د ط، 2005، ص 136-137.

لقد ارتبطت مقامات الهمذاني ارتباطاً وثيقاً بالمكان والرحلة حتى ضمنها البعض في تعريفهم للمقامة باعتبارها وظيفة من وظائف النص المقامي عامة إذ تدور أحداثه حول بطل أفق أديب شحاذ ، يحدث عنه وينشر طويته راوية جواله¹.

" وسبب كثرة الأماكن في المقامات واختلاف أسمائها لا يفهم إلا بحضور الرحلة ومركزيتها ، والتي ترجع دوافعها إلى طلب العلم أو جمع اللغة أو مواجهة خصم أو للبحث عن أبواب الرزق ، وهذا الدافع الأخير هو أبرزها ، وهو الأكثر وفاءً بحدود مفهوم الكدية "².

وبما أن كسب الرزق في مقامات الهمذاني غالباً ما يكون عن طريق الخدعة والحيلة ، فقد كان من الضروري على الإسكندراني أن يغير مكانه كلما أراد أن يحتال من جديد ، وذلك حتى لا يكتشف أمره من طرف من انطلت عليهم حيله في المكان نفسه الذي سطى فيه على أموال الغير .
فحين يتكلم الإنسان عن المكان فهو يسعى للتعبير عن الذات وعلاقتها بالموضع الذي يعيش فيه ويمارس تكوينه وأحلامه وعشقه ومراراته وحرته وحتى موته فيه ، ويكتسي المكان وظيفته وأبعاده الدلالية وقيمته من خلال إدخاله في النظام اللغوي .

ما ارتبط بالحيوان (2 مقامة) :

الأسدية - القردية.

ما ارتبط بفنون العلم والاعتقادات والعادات (7 مقامات) :

القرضية - الحرزية - الوعظية - المغزلية - العلمية - الوصية - الشعرية .

ما ارتبط بالمال والأكل والشرب (8 مقامات) :

الأزادية - المضيرية - الجماعية - النهيدية - الدينارية - الصفرية - الخمرية - المطلبية .

¹ رشيد الإدريسي : سيميائية التأويل، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010، ص 353

² المرجع نفسه: ص 354

الفصل الثالث

الفصل الثالث : حجاجية الصورة الفنية في مقامات بديع الزمان الهمداني.

1. مفهوم الصورة الفنية في البلاغة القديمة والحديثة.

1.1 الصورة الفنية في البلاغة القديمة.

2.1 الصورة الفنية في البلاغة الحديثة.

2. أنواع الصور وأهميتها.

1.2 أنواع الصور.

2.2 أهمية الصورة .

3. الوظائف الحجاجية للصورة .

1.3 الوظيفة التعليمية (الشرح و التوضيح).

2.3 الوظيفة التوجيهية (التحسين و التقبيح).

3.3 الوظيفة الجمالية (المتعة واللذة).

4. في مفهوم الاستعارة وحجاجيتها.

1.4 في مفهوم الاستعارة.

2.4 حجاجية الاستعارة.

1.2.4 حجاجية الاستعارة في الدراسات العربية.

1.1.2.4 الادعاء .

2.1.2.4 التعارض.

3.1.2.4 أصول المقاربة التعارضية للاستعارة.

2.2.4 حجاجية الاستعارة في الدراسات الغربية.

5. التمثيل.

1.5 التمثيل تركيبيا و تداوليا.

2.5 في سلطة التمثيل وقوته الحجاجية.

3.5 صور التمثيل.

1.3.5 الاستعارة.

2.3.5 التشبيه.

3.3.5 الكناية.

6. الاستدلال.

- 1.6 الطبيعة الاستدلالية للصورة البيانية.
- 2.6 القياس.
- 3.6 القياس الإضماري.
- 7. الشاهد.
- 1.7 الأهمية الحجاجية للشاهد.
- 2.7 أنواع الشواهد.
- 1.2.7 الشاهد القرآني.
- 2.2.7 الشاهد الشعري.
- 3.2.7 الاستشهاد بالأحداث و القصص.
- 4.2.7 الاستشهاد بالعقائد و القيم الدينية.
- 5.2.7 الاستشهاد بالشخصيات.

1. مفهوم الصورة الفنية في البلاغة القديمة والحديثة:

1.أ الصورة لغة:

وردت لفظة الصورة في كلام العرب على ظاهر معناها ، و " على معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته"¹.

وفي المعجم الوسيط " الصورة هي الشكل و التمثال الجسم، وصورة المسألة أو الأمر صفتها، يقال هذا الأمر على ثلاث صور، وصورة الشيء ماهيته المجردة و خياله في الذهن و العقل"².

ومن خلال تتبعنا للفظة الصورة في المعاجم العربية نجد أن لها مدلولاً يحيل على معنيين : أحدهما حسي وهو الذي تشير إليه ألفاظ الهيئة و الرسم و الشكل و التمثال وما شاكل ذلك مما يرى بالعين المجردة و الآخر ذهني، يفيد توهم صورة الشيء و تصوره في العقل.

كما نجد في المعاجم الغربية أن المعنى اللغوي للصورة لا يختلف كثيراً عن المفهوم اللغوي في الثقافة العربية إذ تعني الشكل و الهيئة و الصفة³.

1.ب الصورة اصطلاحاً:

نالت الصورة حظاً وافراً من البحث و الدراسة عند القدماء و عند المحدثين؛ لأنها اعتبرت الوسيلة التي يتوسل بها الناقد للكشف عن شاعرية الشاعر، وهي الأداة التي يؤثر بها في المتلقي و يشد انتباهه، وقد ظهرت لهذا المصطلح عدة تسميات مثل: الصورة الفنية، الصورة الأدبية، الصورة البلاغية، الصورة البيانية، والصورة المجازية . . . لذلك لم يكن من السهل تحديد مفهوم موحد للصورة⁴، ولعل هذا الاضطراب في ضبط هذا المفهوم هو الذي جعل أحد الباحثين يعرف الصورة بوصفها "رسماً قوامه الكلمات المشحونة بالأحاسيس و العاطفة"⁵ ثم يعود مجدداً إلى دائرة الحيرة و التساؤل، فيقول: " كلا إن هذا التعريف لا ينفع البتة، وعلينا

¹ ابن منظور: لسان العرب، ج4، ص 2523.

² مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة التراث الدولية، لبنان، دط، 2004، ص 528.

³ Encyclopédie Universalis على الموقع الإلكتروني: www.Universalis.fr/encyclopédie/image بتاريخ

06.06.2016

⁴ عبد الجليل العشاوي: آليات الحجاج القرآني(دراسة في نصوص الترغيب و التهيب)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2016، ص 259.

⁵ سي دي لويس: الصورة الشعرية، ترجمة أحمد ناصف الجنابي، مالك ميري، سلمان حسن إبراهيم، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982، ص 23.

أن نبدأ البحث من جديد، نسأل أنفسنا السؤال البسيط: لماذا يثير التشبيه عواطفنا؟ ... ما سر هذه المتعة التي نجدها في لغة المجاز؟ ... لماذا نغرق في اللذة حين نتصور جبيننا كالوردة الحمراء؟ ... لماذا يعاد بناء توازننا النفسي عندما نلاحظ مع الشاعر (أن الوادي يزداد ظلاما و النسيان يزداد إظلاما)؟¹

ومن الاجتهادات التي حاولت تحديد المفهوم نورد ما جاء في قاموس المصطلحات اللغوية و الأدبية أن الصورة هي: "خيال الشيء في الذهن و العقل، وصورة الشيء ماهيته"².

وفي ارتباطها باللغة و الأدب يضيف القاموس أن الصورة "ما ترسمه لذهن المتلقي كلمات اللغة شعرا أو نثرا من ملامح الأفكار والأشياء والمشاهد و الأحاسيس و الأحيلة و تكون إما فكرة نقلية تقريرية، ترسم معادها الحقيقي في أخص خصائصه الواقعية، وإما معادلا فنيا جماليا يوحى بالواقع ويومئ إليه بأشباهه من الرسوم واللوحات عن طريق الحشد الإيقاعي و سائر ضروب الإيماء البلاغي و البديعي و الصياغات التشكيلية والتقنيات الأسلوبية و اللغوية المختلفة"³.

فالصورة بهذا المعنى تفتضي حسن إدراك و جودة تأليف و سبك، تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير، ولكن أيا كانت هذه الخصوصية أو ذاك التأثير فإن الصورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته، فهي لا تغير إلا من طريقة عرضه و كيفية تقديمه.⁴

1.1 الصورة الفنية في البلاغة القديمة :

يعد البيان ثالث الأجزاء الخمسة لفن البلاغة الأرسطية مجال الصور البلاغية في التصور القديم و الذي ينظر إلى هذه الصور بمثابة الأدلة التي توزع في الخطاب على شكل كتل كبرى تحتاج إلى إلباسها بالألفاظ، وهذه الأخيرة منقولة محولة مبعدة عن موطنها العادي المألوف، يرى فيها أرسطو نزوعا نحو الغرابة فيقول: "ينبغي الابتعاد عن العبارات الشائعة ... وفي هذا المجال يشعر الناس نحو الأسلوب بما يشعرون به نحو الغرباء، ولهذا ينبغي أن تضفي على لغتنا طابع الغرابة، لأن الناس تعجب بما هو بعيد"⁵.

¹ سي دي لويس: الصورة الشعرية، 26.

² إميل يعقوب: قاموس المصطلحات اللغوية و الأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، ط1987، ص1، ص247.

³ المرجع نفسه: ص247.

⁴ جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي عند العرب، ص323.

⁵ أرسطو: الخطابة، تر عبد الرحمان بدوي، ص196.

ويعلي أرسطو من شأن الصورة فيميزها عن باقي الأساليب بالتشريف، يقول: " ولكن أعظم الأساليب حقا هو أسلوب الاستعارة وهو آية الموهبة"¹، ويربطها بإحدى طرق المحاكاة الثلاث ويعمق الصلة بين الشاعر والرسام، فإذا كان الرسام يستعمل الريشة والألوان فإن الشاعر يستعمل الألفاظ والمفردات و يصوغها في قالب فني مؤثر يترك أثره في المتلقي.

أما الدراسات و البحوث التي تناولت مصطلح الصورة (الفنية أو الأدبية أو البيانية أو البلاغية) في كتابات النقاد و البلاغيين العرب القدامى حاولت تلمس جذور هذا المصطلح من خلال مدلولات أولئك النقاد و عباراتهم في تحديد بدء استخدام كلمة (الصورة الفنية) أو إحدى مرادفاتها أو مشتقاتها، فوصلوا إلى أن الجاحظ أول من استخدم هذه الكلمة في نقد الشعر، و بعبارة المشهورة في ذلك " فإنما الشعر صناعة و ضرب من النسج و جنس من التصوير "² فاق سابقيه في تقديم مفهوم جديد للشعر يقوم على استقصاء البعد التخيلي في تركيب الصورة ردا على التصور الذي كان سائدا، والذي يربط صنعة الشعر بقوى غيبية كالجن و التوابع... كما يمكن لهذا التصور أن يتخذ مدخلا منهجيا لدراسة ثنائية اللفظ و المعنى وعلاقتهما العضوية ببناء الصورة³.

وقد سادت فكرة التناظر و الربط بين الشعر و الفنون الحسية التي تعتمد على التصوير، كالرسم... عند فهوم النقاد و البلاغيين القدامى و خاصة في عصر الجاحظ و الذي يليه في القرنين الثالث و الرابع، إلى أن ظهر عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس فطور مفهوم التصوير البلاغي، حتى عدت دراسته للصورة لدى بعض المهتمين خير ما تركه القدماء من حيث التحديد و التقسيم وتوليد المعاني الجديدة⁴، وبذلك قد اتضحت معالم الصورة على يديه وأخذت في التشكل فأسس لقاعدة مهمة تدخل في تكوين الصورة وفي رسم حدودها تتمثل في أن الصور ماهي إلا تمثيل وقياس، و كان مما قاله: " و اعلم أن قولنا الصورة إنما هو تمثيل و قياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا (...). و كذلك كان الأمر في المصنوعات، فكان تبين خاتم من سوار و سوار من سوار بذلك، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين و بينه في الآخر

¹ أرسطو: فن الشعر، ترجمة محمد شكري عياد، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ص128.

² الجاحظ، الحيوان، ت عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، 1996، ج3/ص132.

³ عبد الجليل العشراوي: آليات الحجاج القرآني، ص272.

⁴ أحمد مطلوب: عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1973، ص23.

بينونة في عقولنا و فرقا عبرنا عن ذلك الفرق و تلك البينونة بأن قلنا : للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك"¹ .

إن المرتكز الأساس في تشكيل الصورة عند الجرجاني ذو أصل تجريبي واضح، فهو يرى أن المعاني تكون أولاً مرتبة في النفس ؛ فإنك " إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتب بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"² .

ويأتي بعد ذلك حازم القرطاجني بتوسيع مساحة البحث في مجال الصورة فبنى نظرية متكاملة في التخيل بوصفه قوام صناعة التصوير، بل إن المتتبع في نصوص المنهاج يدرك أن استعماله للتصوير و التخيل عنده على سبيل الترادف، يقول حازم " والتخيل أن تتمثل للسامع لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها و تصورهما، أو تصور شيء آخر بها انفعالا من غير روية إلى جهة من الانبساط أو الانقباض"³ .

وفي كثير من المواضع يكرر حازم تناوله لهذه المسألة ليؤكد على موقع التصوير و التخيل من نفس المتلقي وعلى دور العوامل النفسية في تشكيل الصورة عن طريق المنبهات اللفظية الخاصة في الفعل اللغوي الأدبي من خلال علاقة الصور بالعالم الخارجي الذي تنقله والذي يعد أصلاً لها.

ومصطلح الصورة مصطلح تختلف تعريفاته باختلاف اتجاهات المدارس النقدية ، وهو مصطلح له أكبر الأثر في إدراك المعاني العميقة و ألوان النفس التي يشير إليها العمل الفني ، و قد كان للعرب القدماء إشارات مهمة في مصطلح الصورة ساهمت بتصورات و مفاهيم ، أثرت في تحديد قسّمات الفهم العام لطبيعة الأنواع البلاغية للصورة ، ويتجلى ذلك فيما قاموا به من بحوث عن أنواع الصورة البيانية " التشبيهية أو المجازية، و الكنائية"، و هو ما عرف بعلم البيان ، وقد تعني الصورة : الإطار الخارجي الذي يوضع فيه الموضوع ، أو القالب الذي تصب فيه التجربة ، فيكون لدينا قالب و صورة ، و قد يشير هذا

¹ عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، مصر ، د ط ، د ت ، ص 372 .

² المرجع نفسه: ص 84.

³ حازم القرطاجني: المنهاج، تحقيق محمد الحبيب بن حوجة، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان، ط2، 1981، ص 89.

المصطلح إلى وصف تجربة ما ، تسير في موكب متحرك تصور موقفا إنسانيا ، وقد تعني الصورة الثوب الذي تلبسه الفكرة ليؤدي إلى وضوحها و قوتها و زيادة أثرها¹

يقول أحمد بسام الساعي : " توقفت الدراسات البلاغية القديمة للصورة عند جزئية صغيرة ذات جناحين رئيسيين هما عمادها : المشبه و المشبه به ، واهتدت عن طريق العلاقات الكثيرة التي يمكن أن تقوم بين هذين الجناحين ، و الظروف اللغوية التي تحيط بهما ، و كذلك عن طريق بعض العلاقات الأخرى إلى أسماء كثيرة حصروا بها _أو حاولوا ذلك على الأقل _ الحالات البلاغية المحتملة في الصورة الأدبية ، فكان هناك التشبيه و الاستعارة و الكناية ، و المجاز المرسل و المجاز العقلي ، و بعض ما عدوه من الفن البديعي المعنوي² .

و من خلال تتبع جهود و أعمال المتقدمين في هذا الباب نصل إلى أن دراساتهم تقتصر على الصورة " البلاغية " و لهذا لا يمكن أن نعثر على تعريف نقدي قديم لمصطلح الصورة ، لأنه لم يتبلور إلا في النقد الحديث حيث لم تعد الصورة البلاغية وحدها المقصود بالمصطلح.

2.2 الصورة الفنية في البلاغة الحديثة:

لقد ركزت أغلب الدراسات الحديثة اهتمامها بالصورة الفنية حيث وسعت مجالها ، و حظيت بنصيب وافر من البحث ، و ربطت البلاغة الجديدة مصطلح الصورة بالحجاج ، لأنها وسعت من مجال هذا الأخير وجعلته شاملا كل المكونات الموجودة في الرسالة مهما كان شكلها مكتوبة أو مقروءة أو مشاهدة أو حتى إشارية،...، كما يرى محمد العمري: " أن كل ما اعتدنا اعتباره بلاغة في خطاب ما ، وخاصة صور الأسلوب سيفسر باعتباره حالة خاصة من أحوال الحجاج"³ ، وفي هذا المجال طابق بيرلمان بين البلاغة و الحجاج وجعل من أنواع الصور البلاغية ممثلة في التشبيه والتمثيل والاستعارة حججا ؛ فعد الأول نموذجا للحجاج شبه المنطقية، والآخرين حججا مؤسسة لبنية الواقع⁴.

وقد شغلت الصور البلاغية في تصور هايير حيزا هاما؛ إذ برهن في نظرية المساءلة على الدور الحجاجي الذي تحققه هذه الصور، وإن الصورة إذا ما طرحت في الخطاب فذاك يعني أن سؤالا طرح فيه ؛ والسؤال

¹ أحمد علي دهمان : الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، سوريا ، ط 1 ، 2000 ، ص 127 .

² أحمد بسام الساعي: الصورة بين البلاغة و النقد ، المنارة للطباعة و النشر و التوزيع ، دمشق ، ط 1 ، 1984 ، ص 36 .

³ محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2005، ص 216.

⁴ عبد الجليل العشراوي: آليات الحجاج القرآني، ص 280.

يستدعي بالضرورة جوابا إشكاليا يستفهم السامع و يدعوه إلى الإجابة عن السؤال المطروح ، وتأتي الإجابة بتجاوز ظاهر اللفظ ، ويركز مايرير في معالجته على الصور المجازية و يعتبرها فادحة للخيال ومعبرة عن الأهواء الإنسانية¹ ، وذات طبيعة حجاجية تساؤلية ، فهي تلمح إلى المقصود وإلى الإجابة عن الإشكال المطروح ، من خلال الإشارة إلى جزء من الإجابة ، على أن الأجزاء الباقية من الإجابة تتناسل منها تساؤلات عدة بحسب المقام و الموضوع ؛ تحيل إلى جملة من الاحتمالات تستدعي مشاركة المخاطبين الفعالة ، والتي تحقق الغرض والقصد من الخطاب².

أما الدراسات النقدية التي لم تنظر للحجاج كمقوم من مقومات الصورة عرضت مفهومات تتفق في إطارها العام و تتباين في التفصيلات و من هذه التعريفات تعريف فرانسوا مورو الذي يقترح تعريفا أوليا للصورة : " الصورة هي بمعناها الأسلوبي : تمثيل لعلاقة لغوية بين شيئين"³.

غير أن هذا التعريف يقوم على درجة من العموم لا تكاد تنفع في تمييز الصورة عن غير الصورة ، كما أنه لا يوضح المقومات البنيوية التي تقوم عليها الصورة، وليس بالطرح الجديد فقد سبق وأن تناوله البحث العربي القديم في مجال المجاز⁴.

وهناك من الباحثين من يتجه إلى تعريف الصورة البلاغية بأنها " عدول أو انزياح عن الدرجة الصفر والمقصود بالدرجة الصفر هو أن تأتي الكلام على الأصل اللغوي و النحوي ، فهو يعني الكتابة غير الأدبية التي تقوم على النظم الشكلي دون الفني "⁵ ، و هو المقصود بالكلام المتروك على ظاهره عند عبد القاهر الجرجاني .

غير أن تلك التعريفات المختلفة يمكن حصرها في اتجاهين أساسيين هما :

الاتجاه الأول : يربط مفهوم الصورة بآلية الحجاج كما فعل بيرلمان وتيتيكا في مشروعهما الحجاجي المتكامل فينظر الأول إلى التشبيه بوصفه عاملا يتوقف عليه نجاح الحجاج ، كما ينطلق في تصوره

¹ محمد القارصي: البلاغة و الحجاج من خلال نظرية المساءلة، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة و الحجاج، إشراف حمادي صمود كلية الآداب، منوبة، تونس، ص396.

² عبد الجليل العشرراوي: آليات الحجاج القرآني، ص 288-269.

³ فرانسوا مورو ، البلاغة : المدخل لدراسة الصورة البيانية ، ترجمة محمد الولي و عائشة جرير ، أفريقيا الشرق ، بيروت 2003، ص17 .

⁴ علي عمران : حجاجية الصورة الفنية في الخطاب الحربي (خطب الإمام علي أمودجا) ، ص 67 .

⁵ المرجع نفسه: ص 68 .

للاستعارة من مسلمة اضطلاعها بوظيفة حجاجية ، أما **مايير** في نظرية المساءلة فيؤكد على دور المجاز فهو عنده يخلق المعنى و يصدم كل من لا يشاطر المتكلم وجهة نظره.

أما الاتجاه الثاني: ينظر أصحاب هذا الاتجاه إلى الصورة على أنها استقصاء للبعد التخيلي كـمقوم أساس في تشكل الصورة ، مقتصرين على الأنواع البلاغية من تشبيه و استعارة و كناية ، كما هو الحال في البلاغة العربية القديمة ، أو بأنها المنظر المكون من الكلمات ، و يتزعم هذا التصور الشاعر الناقد الإنجليزي المعاصر (سي داي لويس) ، إذ يعرف الصورة بأنها منظر مكون من كلمات أو رسماً قوامه الكلمات المشحونة بالعاطفة والأحاسيس و واضح أن هذا التعريف لا ينطبق على مفهوم الصورة في الأدب ، لأنه يدخل فيه الوصف عموماً ذلك أن الوصف يجسد صورة بالكلمات و لكن هذا الوصف لا علاقة له بالصورة الفنية التي نتناولها .

2. أنواع الصور وأهميتها:

1.2 أنواع الصور:

تقدم الصورة الفنية ، عقدة فكرية و عاطفية ، وهي تعبير عن نفسية الباحث ، تؤدي دورها في التعبير عن التجربة بطريقة صياغتها الفنية ، وهذه الصياغة هي التي تحدد أنواعها ، وقد أولاهما النقاد في العصر الحديث كل عناية ، فقد تحدثوا عن أنواع كثيرة و قسّموها تقسيمات مختلفة باعتباريات متعددة ، و يمكن حصر هذه التقسيمات في ثلاثة اعتبارات :

التقسيم الأول : بحسب قالبها الفني : و قد قسموا الصورة بحسب قالبها الذي صيغت فيه إلى نوعين من الصور : هما : الصورة البيانية ، و الصورة الحقيقية :

— **الصورة البيانية :** وهي التي اعتمدت في بنائها على التشبيه أو الاستعارة أو الكناية أو المجاز ، و هذا النوع من الصور هو ما عرفه النقاد القدماء ، و تحدثوا عنه ، و في ضوء هذا قسم بعض الدارسين المحدثين الصورة البيانية إلى عدة صور هي : الصورة التشبيهية ، و الصورة الاستعارية ، و الصورة الكنائية ، و الصورة المجازية بينما أطلق دارسون آخرون اسم الصورة المجازية على جميع أنواع الصور البيانية¹ . و هناك من يضيف إلى الصورة البلاغية " الصورة البديعية " لما تمتاز به من انسجام صوتي و إيقاع خاص ، و لما يشكله الجرس والإيقاع من هيئة تصويرية .

¹ أحمد علي دهمان : الصورة البلاغية عند عبد القاهر منهجا و تطبيقا ، ص 160 .

– **الصور الحقيقية** : وهي الصور المعتمدة في صياغتها على الألفاظ و العبارات الحقيقية الاستعمال ، والتي لا تستلزم ضرورة أن تكون مجازية ، ومع ذلك تكون دقيقة التصوير دالة على خيال خصب ¹ و يسميها علي البطل الصورة " الذهنية " من حيث هي نتيجة لعمل الذهن الإنساني في تأثره بالعمل الفني وفهمه له و يسميها نصرت عبد الرحمان الصورة " التقريرية " ² .

و أما **التقسيم الثاني** بحسب حجمها ، ونجد فيه نوعين من الصور ³ :

أ – البسيطة و منها :

– الصورة المفردة كالصورة البيانية من تشبيه واستعارة و كناية ، و يدخل فيها الصورة الجزئية التي هي بمعنى القصيرة ، و لكنها أخص منها ، لأنها جزء مرتبط بصورة كلية .

– الصورة الكلية أي التي تكون من صور كثيرة بعضها مرتبط ببعض كما في التشبيه التمثيلي .

ب – المركبة و هي :

" الصور الممتدة على المشهد أو اللوحة و تتمثل في مشاهد متتابعة تستغرق أبياتا عدة ، وقد تمتد لتشمل القصيدة كلها ، و خاصة في القصائد التي تصور موقفا نفسيا واحدا في لحظة زمنية معينة ، و تظهر هذه الصور في القصائد التي تصف الناقة أو الفرس أو المرأة مثلا ، و في القصائد القصصية التي تشغل القصة أبيات القصيدة كلها " ⁴ .

و **التقسيم الثالث** هو قسمتها بحسب ارتباطها بالحواس الخمس ، فمنها : الصور البصرية و السمعية و الذوقية و الشمية و اللمسية و الصور الساكنة و المتحركة و الملونة .

وقد أشارت بعض كتب البلاغة قديما إلى علاقة الحس بالصورة ، بيد أنهم قصرُوا إشاراتهم على التشبيه، مع أن هذه الصورة تكون في التشبيه و غيره من الأنواع المجازية و الحقيقي .

2.2 أهمية الصورة :

تناولت الدراسات القديمة و الحديثة موضوع الصورة من حيث البناء و التشكل إن على مستوى البعد النفسي الذي تتأسس عليه كما أشار حازم القرطاجني ، أو على مستوى علاقات المشاهدة مع العالم

¹ أحمد علي دهمان ، الصورة البلاغية عند عبد القاهر منهجا و تطبيقا ، ص 162 .

² علي عمران : حجاجية الصورة الفنية في الخطاب الحربي (خطب الإمام علي أمودجا) ، ص 72 .

³ المرجع نفسه: ص 73 .

⁴ المرجع نفسه: ص 73 .

الخارجي كما أشار جميع الباحثين، ولكنهم أجمعوا على أنها طريقة خاصة من طرق التعبير والتأثير دون أن تغير من طبيعة المعنى في ذاته ، وإنما تغير من طريقة عرضه و كيفية تقديمه ، ولهذا أجمع البلغاء و النقاد على أهمية المجاز وفائدته ، وعلى أنه يفيد ما لا تفيدته الحقيقة ، وأنه يقع لمعان عدة ، ولولا ذلك لكانت الحقيقة أولى منه ¹.

و ذهب صاحب الوساطة إلى أن الاستعارة أحد أعمدة الكلام ، " وعليها المعول في التوسع و التصرف وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ و تحسين النظم و النثر " ² ، و هناك من تحدث عن الرونق الذي يضيفه المجاز على الكلام ، وأن الكلام متى خلا من الاستعارة ، و جرى كله على الحقيقة ، كان بعيدا من الفصاحة . وعده من مفاخر كلام العرب ، ورأس البلاغة، وبه بانت لغتها عن سائر اللغات حتى أجملوا فيه بقولهم : إن المجاز أبلغ من الحقيقة ، وأحسن موقعا في القلوب و الأسماع ³ . وهنا نجد أن أصل المتعة ، التي تقدمها الصورة

" يرتد إلى نوع من التعرف على أشياء غير معروفة ، و كأن النادر و الغريب من الصور الشعرية يثير فضول النفس و يغذي توقعها إلى التعرف على ما تجهله ، فتقبل عليه ، لعلها تجد فيه ما يشبع فضولها" ⁴ . لقد رد عبد القاهر الاعجاب بالمجاز إلى الجانب الفطري من النفس الإنسانية ، و اعتبر أنه متى أريد الدلالة على معنى ، فترك أن يصرح به ، و يذكر باللفظ الذي هو له في اللغة ، و عمد إلى معنى آخر فأشير به إليه كان الكلام بذلك حسن و مزية ، لا يكونان إذا لم يصنع ذلك ، وانتهى إلى أن المعنى عندما يرد على المتلقي عاريا مجردا ، لا يحدث فيه لذة ، لأنه يقرر للمتلقي ما هو معروف بأسلوب معروف فلا يثير فضولا أو شوقا إلى التعرف على غير المعروف . أما إذا ورد المعنى عن طريق التمثيل ، فإنه يرد بشكل غير مباشر ، لا يتجلى إلا بعد طلبه بالفكرة ، وتحريك الخاطر له ، وكلما كان التمثيل ألطف كان امتناعه على المتلقي أكثر ، واحتجابه أشد ⁵ ، ومن المركز في الطبع أن الشيء إذا نبل بعد الطلب له ، أو الاشتياق

¹ ابن جني : الخصائص ، ج 2 ، ص 442 .

² القاضي الجرجاني : الوساطة بين المتني و خصومه ، تحقيق محمد أبو الفضل وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، دط، ص 428 .

³ ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ج1، ص 286.

⁴ جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، ص325.

⁵ المرجع نفسه: ص325.

إليه ، ومعاناة الحنين نحوه ، كان نبهه أحلى وبالميزة أولى، فكان موقعه من النفس أجل وألطف ، وكانت به أضن وأشغف، وكذلك ضرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد الماء على الظمأ¹.

تكمن أهمية الصورة الفنية الواردة في النصوص و الخطابات في الطريقة التي تفرض بها على المتلقين نوعا من الانتباه والتمثل للمعاني التي تعرضها في مختلف السياقات ، و فيما تفرضه علينا من أساليب تجعلنا متفاعلين مع ذلك المعنى و متأثرين به ، فهي تريد أن تلفت انتباهنا إلى المعنى ، " و تفجؤنا بطريقتها في تقديمه . هناك معنى مجرد اكتمل في غيبة من الصورة ، ثم تأتي الصورة فتحتوي ذلك المعنى أو تدل عليه ، فتحدث فيه تأثيرا متميزا ، وخصوصية لافتة ، ذلك أنها لا تعرضه كما هو في عزلة و اكتفاء ذاتيين ، وإنما تعرضه بواسطة سلسلة من الاشارات إلى عناصر أخرى ، متميزة عن ذلك المعنى ، لكنها يمكن أن ترتبط به على نحو من الأنحاء " ²، كما تقوم بتوجيه و انحراف التقاء المتلقي بالمعنى إلى مسارات هي عبارة عن إشارات فرعية هامشية غير مباشرة ذات قيمة دلالية ، تساهم في الوصول إلى المعنى .

ويشير الباحث جابر عصفور في كتابه (الصورة الفنية) إلى مساهمة هذه الطريقة في نقل المتلقي من ظاهرة المجاز إلى حقيقته، ومن ظاهرة الاستعارة إلى أصلها ومن المشبه به إلى المشبه ، مستعملا جملة من الاستدلالات ، ينشط معها ذهن المتلقي ضمن عمل فكري صرف ، فيقوم بواسطة هذه الاستدلالات بتأمل علاقات المشاهدة أو التناسب ، التي تقوم عليها الصورة ، حتى يصل إلى معناها الأصلي السابق في وجوده عليها . وبمقدار ما يبذل من جهد في هذه العملية العقلية، وبما يتوصل إليه المتلقي من قيمة في المعنى ، وتناسبه مع ذلك الجهد المبذول تتحدد المتعة الذهنية التي يستشعرها المتلقي³.

3. الوظائف الحجاجية للصورة :

إن لخطاب الصورة الأثر العميق في إثارة انفعالات المتلقي، وسر هذا التأثير الذي يعتري المخاطب إنما هو حدث تخلقه الصورة يفاجيء إما بالمتعة أو عبر الدهشة ومن جراء هذا الحدث وهذه الصدمة يهتز المتلقي فاعتبرت بذلك وسيلة للإقناع ، تتوسل بنوع من الإبانة و التوضيح و تعتمد على لون من الحجاج والجدل و تحرص على إثارة الانفعالات في النفوس ، على النحو الذي يؤثر في المتلقي كما هو الحال في الصورة

¹ عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص104.

² جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، ص 328 .

³ المرجع نفسه: ص 328 .

القرآنية فيما تستميله إلى القيم الدينية السامية¹ ، فالصورة تضطلع بوظائف هامة، لا تتوقف عند التزيين لمجرد التزيين أو التقبيح لمجرده، كما رأت البلاغة الجديدة من هذا المنظور عدم الفصل في وظائف الصورة بين الأسلوبية منها والحجاجية، وعدت كل المقومات التي اعتبرت عند المتقدمين مجرد محسنات مقومات حجاجية إقناعية². فما هي هذه الوظائف؟ وكيف تتجلى أبعادها الحجاجية؟.

1.3 الوظيفة التعليمية (الشرح و التوضيح) :

تعدُّ وظيفة الشرح والتوضيح من أهم الوظائف التي عني بها الدارسون المتقدمون منهم والمتأخرون؛ فهي خطوة أولية في عملية الإقناع ، ومفهومها هو ما قصده العلماء (بالإبانة) المرتبط ارتباطا وثيقا ببلاغة الصورة وتأثيرها ، ذلك أن (الإبانة) تعني التوضيح و الشرح ، أو تقريب المعنى البعيد ، و حذف فضوله ، وتصويره في نفس المتلقي أبيض تصوير و أوضحه³.

و قد تناول البلاغيون هذه الوظيفة عند حديثهم عن البيان كما فعل الجاحظ إذ عرفه ب " كل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل و السامع، إنما هي الفهم و الإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع"⁴، و ذلك ما جعل البلاغيين المتأخرين من أتباع السكاكي يضعون التشبيه ، و الاستعارة و الكناية ، و المجاز ، في قسم واحد مستقل من أقسام البلاغة ، هو علم البيان ، قاصدين بذلك ، أن كل هذه الأنواع البلاغية للصورة إنما هي طرائق خاصة في التعبير ، تكسب المعاني فضل إيضاح أو بيان ، و لم يكتفوا بالإيضاح أو البيان مجملا ، بل شققوه إلى أساليب احتجاج فرعية ، كما صنعوا في التشبيه ، عندما تحدثوا عن بيان إمكان وجود المشبه أو بيان حاله ، أو بيان مقدار حاله في القوة و الضعف و الزيادة أو تقرير حاله في نفس السامع⁵.

¹ جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، ص 332 .

² محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية و عربية وغربية، منشورات دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، ط 1 ، 2005، ص453.

³ جابر عصفور: الصورة الفنية، ص333.

⁴ الجاحظ: البيان و التبيين، ج1، ص 76.

⁵ القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط1، سنة 2003، ص

كما تحدث الجرجاني عن الصورة البيانية واعتبرها تبرز المعنى أبدا في صورة مستحجة تزيد قدره نبلا وتوجب له بعد الفضل فضلا، إذ نجد اللفظة الواحدة قد تكتسب بها فوائد في الاستعمال حتى نراها مكررة في مواضع ومع ذلك نجد لها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف مفرد، وفضيلة مرموقة، وقيمة خاصة تميزها عن غيرها¹.

و حين يتحدث العسكري عن التشبيه، يقول: إن التشبيه "يزيد المعنى وضوحا و يكسبه تأكيدا، و لهذا ما أطبق جميع المتكلمين من العرب و العجم عليه، و لم يستغن أحد منهم عنه"². أما عند حديثه عن الاستعارة، فقد ذهب إلى أن الغرض منها "إما أن يكون شرح المعنى و فضل الإبانة عنه، أو تأكيده و المبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه، و هذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة، و لولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن مالا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالا"³.

فمزية الصورة هنا بما تؤديه من ضرورة الانتقال من الواضح أو الأقل وضوحا إلى الأوضح و تقريب البعيد، الأمر الذي يتفق فيه القدماء و المحدثون على حد سواء، و مصدر الصورة في توضيح المعاني و تبيانها يرجع لما تملكه الصورة من طاقة تعمل على تنشيط الذهن و إثارته حتى يستقبل الفكرة و المعنى المقصود في أحسن الظروف تجعل المخاطب في عملية تفاعلية يكتشف من خلالها و بمعية مكتسباته آفاقا جديدة لم تكن في حسابانه⁴.

ويمكن توضيح هذه الوظيفة من الناحية التداولية على الشكل التالي:

الأبعاد الإنجازية للصورة : الأهداف التأثرية للصورة:

التنشيط/ التحفيز الذهني التدبير الجيد للمعرفة

من خلال:

1- إدراك الرسالة.

¹ الجرجاني: أسرار البلاغة، اعتناء ميسر عقاد ومصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1، 2004، ص38،

² العسكري: كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد الجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 1986، ص243.

³ المرجع نفسه: ص 268.

⁴ Marc Bonhomme, Pragmatique des figures du discours, Editions Champion; Paris;2005,p173.

2- قههما جيدا .

3- اكتشاف أفكار/ مفاهيم جديدة¹.

2.3 الوظيفة التوجيهية (التحسين و التقبيح) :

وتهدف هذه الوظيفة إلى تغيير في سلوك المخاطب إن على مستوى الفكر أو على مستوى العاطفة ، وذلك باتخاذ الصورة وسيلة للإقناع ، وترتبط براعة هذا الإقناع بالقدرة على تحسين الشيء و تقبيحه ، ومما يؤدي إلى ترغيب المتلقي في أمر من الأمور أو تنفيره منه ، وفي تراثنا البلاغي القديم نجد مفهوم البلاغة يختلط بمفهوم الجدل الكلامي و ما يتصل به من قدرة على إثبات الشيء و نقيضه ، فليس الشأن في البلاغة تحسين الحسن " و إنما الشأن في تحسين ما ليس بحسن ، و تصحيح ما ليس بصحيح ، بضرب من الاحتيال " ². و لا غرابة في ذلك فالبلاغة هي " كشف ما غمض من الحق، وتصوير الحق في صورة الباطل " ³. وقد رد الجرجاني جانبا كبيرا من الشعر ومن الصورة إلى قدرة الشاعر على تحسين الأشياء حتى ولو كانت قبيحة ، وتقبيحها حتى ولو كانت حسنة " فكم جواد بخله الشعر وبخيل سخاه، وشجاع وسمه بالجبن و جبان ساوى به الليث، ودي أوطأه قمة العيوق، وغبي قضى له بالفهم، وطائش ادعى له طبيعة الحكم " ⁴، ولا يتم ذلك إلا باستعمال تخايل من الكلام تمز المتلقين و تحركهم ، ولم تكن غايات التخيل الشعري تفترق كثيرا عن ذلك الفهم الشائع للبلاغة والشعر ، فالتخيل طريقة خاصة في تقديم المعاني ونوع من القياس الخادع ، يهدف إلى تنفير المتلقي من شيء و ترغيبه فيه ، بضرب من التحسين و التقبيح .

" لقد اقترن التخيل _ و هو مرادف للمحاكاة _ بالقدرة على تحسين القبيح و تقبيح الحسن، و هذه فكرة غريبة عن المحاكاة الأرسطية، ذلك أن المحاكاة عند أرسطو تصور أحيارا أفضل من الأحيار العاديين أو أشرارا أسوأ من الأشرار العاديين، وفي كلتا الحالتين تجسم الخير أو الشر، فتحسن الخير لأنه جميل ، و تقبح الشر لأنه قبح ، و لا تقلب الحقائق بأي حال ، أما عند النقاد و الفلاسفة العرب، فقد تجاوزت المحاكاة تحسين الحسن و تقبيح القبيح إلى تحسين القبيح أو تقبيح الحسن، و ما يتصل بذلك من مغالطة أو مخادعة .

¹ Marc Bonhomme, Pragmatique des figures du discours, p173

² العسكري : كتاب الصناعتين، ص53 .

³ المرجع نفسه: ص53.

⁴ الجرجاني: أسرار البلاغة ، ص187.

و فقدت المحاكاة بذلك محتواها الأخلاقي ، الذي يربط الجمال و اللذة بالخير كما أشار أرسطو في الخطابة¹.

وقد تناول هذه المسألة حازم القرطاجني بدءاً من تعريفه للشعر باعتباره كلاماً يجب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها و يكره إليها ما قصد تكريهه ، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه² ، وذلك يتأتى حسبه بالتخييل الذي هو قوام الصورة ، حيث يكون غرض المخاطب المبالغة في تحسين حسن أو تقبيح قبح. فيتجاوز حدود أوصافه الحقيقية و يحاكيه بما هو أعظم منه حالاً أو أحقر ليزيد النفوس استمالة أو تنفيراً منه. لقد ميز الفلاسفة بين الشعر و الخطابة من حيث الوسيلة إلا أنهم قربوا بينهما من حيث الغاية ، و سمحوا للخطيب أن يتوسل ببعض الأقاويل المخيلة ، كما سمحوا للشاعر أن يتوسل ببعض الأقاويل الخطابية . و أشاروا إلى أن كثيراً من الشعراء يجمع في شعره بين القول المخيل و القول المقنع ، مما أدى بحازم إلى القول بأنه " لا ينبغي أن ينحى بالمعاني أبداً منحى واحداً من التخييل ، أو الإقناع ، و لكن تردف التخيلية في الطريقة الشعرية بالإقناعية ، و الإقناعية في الخطابة بالشعرية " ³ . ومعنى ذلك أن حازم يجعل الاستخدام الشعري للصورة لا يفترق كثيراً عن الاستخدام الخطابي لها، فكلاهما يهدف إلى إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر بمقتضاه .

وفي هذا السياق يقسم حازم التخييل و المحاكيات إلى ثلاثة أقسام : محاكاة تحسين ، محاكاة تقبيح ، محاكاة مطابقة ؛ إلا أنه جعل محاكاة المطابقة أدنى مراتب الشعرية لأنه لا يقصد بها إلا ضرب من رياضة الخواطر و الملح في بعض المواضع التي يعتمد فيها وصف الشيء و محاكاته بما يطابقه و يخيله بما هو عليه⁴ ، أما محاكاة التحسين و التقبيح فترميان إلى إنفاض النفوس إلى فعل الشيء أو طلبه أو اعتقاده أو التخلي عن فعله أو طلبه أو اعتقاده بما يخيل لها فيه من حسن أو قبح و جلاله و خسة⁵.

¹ جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، ص 359 .

² حازم القرطاجني : منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، ص 71 .

³ المرجع نفسه: ص 358 .

⁴ المرجع نفسه: ص 92 .

⁵ المرجع نفسه: ص 106 .

وهكذا يتضح لنا من خلال هذا التحليل الدور الرئيس الذي تلعبه الوظيفة التوجيهية للصورة في تغيير سلوك المتلقي وتعديله إن تحسنا أو تقيحاً.

3.3 الوظيفة الجمالية (المتعة واللذة) :

تتضح هذه الوظيفة عن طريق الوصف و المحاكاة ، وهي ترتبط بما يتيح القول من لذة و متعة سواء لناظمه أو لمتلقيه، وقد تناول القدماء هذه الوظيفة في معرض حديثهم عن الوصف ، فأحسنه عند ابن رشيق ما مثل الموصوف في قلب سامعه ، وما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عيانا للسامع. وأجود الشعراء من أتى في شعره أكثر المعاني التي الموصوف بها مركب، ثم بأظهرها فيه، وأولاها به ، حتى يحكيه و يمثله للحس بنعته¹ .

إن بعض الصور الناتجة عن محاكاة الواقع الخارجي تصبح اللذة الشعرية فيها مرتبطة بالتعجب من حسن محاكاتها وإبداع الصنعة في تمثيل الأصل المحكي عنه ، فيكون موقعها من النفوس مستلذاً لأن النفس قد جبلت على التنبيه لأنحاء المحاكاة و استعمالها شديدة الولوع بالتخييل² ، تنفعل للمحاكاة انفعالا من غير رؤية سواء كان الأمر الذي وقعت المحاكاة فيه على ما خيلته لها المحاكاة حقيقة ، أو كان ذلك لا حقيقة له³ .

ويبرز الجرجاني الجانب الجمالي في الصورة ، فيصف الاستعارة بأنها أشد افتنانا وأكثر جريانا، وأعجب حسنا و إحسانا وبأنها أسحر سحرا ، وأملاً بكل ما يملأ صدرا ، ويمتد عقلا ، ويؤنس نفسا ، ويوفر أنسا، قد تخير لها الجمال، وعني بها الكمال، مدت في الشرف و الفضيلة باعا لا يقصر، وأبدت من الأوصاف الجليلة محاسن لا تنكر⁴ .

وقد تناول الدرس الغربي هذه الوظيفة بشيء من التفصيل والتحليل فربط تحقيق الوظيفة الجمالية

للصورة بجملة عوامل نوجزها فيما يلي:

¹ ابن رشيق: العمدة، في محاسن الشعر و آدابه، ج2، ص230..

² حازم القرطاجني: منهاج البلغاء، ص116.

³ المرجع نفسه: ص116

⁴ الجرجاني: أسرار البلاغة ص38

أ - المسافة : حيث كلما كان تركيب الصورة بعيدا عن توقعات المخاطب ، كانت الصورة ذات بعد جمالي تأثيري ؛ أي أن هذا العامل يرتبط بمدى " بعد الصورة عن أفق انتظار المتلقي " ¹ . وبذا تصبح جمالية الصورة أكثر ارتباطا بمدى إمكانية الصائغ على الجمع بين الأشياء المتباعدة وخلق نوع من التعدد الدلالي والغموض فيها².

ب - التصوير: وهو ما تمده الصورة من جمال و أناقة من خلال تجسيدها للأشياء وجعلها محسوسة مرئية، وقد أشار **مارك بونوم** إلى ذلك في قوله " كلما حركت الصورة تماثلات المتلقي عن الأشياء المحسوسة و كلما أثارت خياله ، كلما حازت على درجة عالية من الخيال"³.

ج - انسجام مكونات الصورة : مدى التلاؤم و الانسجام الحاصلين بين مكوناتها ، فكلما كان التوافق حاصلًا بين ألفاظ متخيرة و معان شريفة تحققت المتعة الجمالية.

د - ملائمة الصورة لسياقها: فكلما كانت الصورة مستعملة في سياقها كانت مصدر جمال و متعة ⁴ . ويمكننا تمثيل الوظيفة الجمالية للصورة تداوليا على الشكل التالي⁵:

البعد الجمالي للصورة: هدف الصورة التأثيري:

التجميل والتحسين تحقيق المتعة و اللذة لدى المتلقين

و هناك وظائف أخرى للصورة الشعرية مستمدة من طبيعتها ذكرها الدكتور أحمد علي دهمان في كتابه (الصورة البلاغية عند عبد القاهر) يمكن تلخيصها فيما يلي :

1_ إن وظيفة الصورة هي أن تكون تجربة شعرية متكاملة عند الفنان الخالق ، لأن التكامل في نظره هو سر العبقرية الفنية ، وهي تقدم حركة فكرية و عاطفية موحدة فيما بين الأفكار المتفاوتة داخل التجربة ، مما دفع بالصورة أن جعلها تحمل الإحساس و الفكر و الموسيقى ، " و كل صورة جزئية تقوم متأزرة مع غيرها داخل القصيدة برفد الصورة الكلية بعوامل نموها و نمائها المتصاعد حتى تصل إلى الغاية الأساسية ... فإذا كانت الصورة وعاء للإحساس و الفكر و الشعور ، فإنها تكون صورة لنفسية الشاعر ، ومعرضا أصيلا

¹ Marc Bonhomme: Pragmatique des figures du discours, P163

² عبد الجليل العشاوي: آليات الحجاج القرآني(دراسة في نصوص الترغيب و الترهيب)، ص 293.

³ Marc Bonhomme: Pragmatique des figures du discours, P164.

⁴ Ibid, P165.

⁵ Ibid, P163.

لفكره و رؤيته لما يشعر به داخليا ، وللوجود من حوله ، ورمزا يجسد شعوره وفكره بإطار فني خاص " ¹ .
 2_ تقوم الصورة بالكشف الظاهري للفكرة وتجعل أدوات صياغتها المجازية متفاعلة مع فكرتها و الشعور
 الموحي بها . حيث يستطيع كل فنان من خلالها أن ينفذ بالوسائل و الأشكال المجازية إلى أعماق الشعر،
 وروح الأدب . " هذا إذا ما أدركنا كذلك أن هذه الوسائل لا تقوم بعملية التكثيف الحسي أو التصوير
 البصري للتجربة عن طريق عقد المقارنة الباردة بين الشيء و الشيء ، لأن الصورة قد تكون بصرية ، و قد
 تكون سمعية و قد تكون معنوية ، و نفسية ، و قد تكون وسائل صياغتها الفنية حقيقية الاستعمال خالية
 تماما من المجاز . و استخدام المجاز في الصورة الشعرية ينبغي أن يحدده السياق ، ويعطيه المعنى الذي يتطلبه
 الموقف " ² .

4_ إن الصورة هي أداة الخيال و وسيلته ، تعمل على جعل ملكة التخيل أعظم آلة في يد ملكة التصور .
 و بمقدار أصالة الصورة نستطيع أن نغوص في أعماق الكون المحسوس ، و نخلق منه صوراً ذهنية . " فالخيال
 عنصر أساسي في التصوير ، و تعد الصورة معرضاً لإظهار مدى قدرة الشاعر على استخدام ملكته التخيلية
 لأن التصوير الفني الراقي هو الذي لا يشترط التقارب المادي بين العناصر الداخلة في التصوير ... ولا يقف
 كذلك عند المرئي المحسوس من أطراف الصورة ، و هذا هو دور الخيال ، فالعلاقة القائمة بين الخيال و
 الصورة هي الوسيلة لإظهار وظيفة الصورة في بيان مدى أصالة الفنان و قدرته التخيلية " ³ .

5_ بالصورة تتحقق خاصية الشعر ، ولا يكون الشعر شعراً إلا بما إلى جانب الإيقاع الموسيقي ، لما لها من
 جمال و إبداع و تأثير يهز النفس ، ولهذا تعد أداة يستعين بها الناقد ، لتحديد وظيفتها في كونها من الزاوية
 النقدية معياراً أصيلاً للنقد و الحكم على أصالة التجربة الشعرية ، فموجب فنيها و جمالها يحكم على
 الشاعر المنشئ ⁴ .

6_ وظيفة الصورة تتحدد بأنها ميدان امتزاج نفس الأديب بعالم الطبيعة ، فهو يضيف إلى موضوع
 مشاهدته عنصراً من نفسه أو يتلقى منه عنصراً في صياغة معينة يكمن فيها موقف الكاتب مما أمامه ،
 إضافة إلى أن الصورة تحقق الوحدة النفسية للشاعر و تصل بينه و بين العالم الخارجي، وهي وسيلة لتحقيق

¹ أحمد علي دهمان : الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، سوريا ، ط 2 ، 2000 ، ص 155 .

² أحمد علي دهمان : الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، ص 155-156 .

³ المرجع نفسه: ص 157

⁴ المرجع نفسه: ص 156 .

الاتحاد الكامل بين الفنان و مادة تصويره ، و من ثم تقوم بتوجيه الشعور بعض التوجيه لفيضاتها في النص الذي يصقل قالب الخبرة الفنية¹ .

4. في مفهوم الاستعارة وحجاجيتها :

1.4 في مفهوم الاستعارة:

الاستعارة في اللغة: رفع الشيء أو تحويله من مكان إلى آخر، يقال استعار فلان سهما من كنامته: رفعه وحوله منها إلى يده، وعلى هذا يصح أن يقال: استعارة إنسان من آخر شيئا، بمعنى أن الشيء المستعار قد انتقل من يد المعير إلى المستعير للانتفاع به ، واستعار فلان سهما من كنامته : رفعه و حوله منها إلى يده² . أما الاستعارة في البلاغة العربية ؛ هي تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه وهي استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها ؛ وهي أيضا نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو لحسن المعرض الذي يبرز فيه³ .

ويعرف عبد القاهر الجرجاني الاستعارة بقوله : " اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية "⁴ .

وقد اتخذت الدراسات القديمة حول طبيعة الاستعارة شكلين مختلفين : " الأول يهتم بالاستعارة أو غيرها من صور المجاز و وجوهه، باعتبارها شكلا أدبيا أو شعريا ، والثاني يهتم بالاستعارة أو غيرها من صور المجاز و وجوهه، باعتبارها من تقنيات الخطاب الإقناعي، أي باعتبار وظيفتها الحجاجية لا باعتبار وظيفتها التزيينية ولا باعتبارها من صور الأسلوب"⁵ .

¹ المرجع نفسه: ص 157 – 158 .

² ابن منظور : لسان العرب ، ج4، 3187.

³ مختار عطية: علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع (دراسة بلاغية) ، دار الوفاء للطباعة و النشر، الاسطندنرية، دط، 2004، ص61.

⁴ عبد القاهر : أسرار البلاغة ، ص 29.

⁵ لحسن المؤذن: حجاجية المجاز والاستعارة، ضمن كتاب: الحجاج (مفهومه و مجالاته)، حافظ اسماعيلي علوي، دار عالم الكتب

الحديث، 2010، ج3، ص162.

وقد تبوأَت الاستعارة عند أرسطو مكانتها لا بكونها مجرد نقل لاسم شيء إلى شيء آخر لأجل النقل فقط، بل لكونها تمثل انزياحا عن القاعدة حيث يتم الانتقال من معنى أصلي وحقيقي إلى معنى آخر ثان، ضم شرطي (خرق القاعدة) ، و(خلق المفاجأة)¹.

وفي البلاغة العربية القديمة ؛ فإنه يمكن القول إن مفهوم الاستعارة لم يخرج عن التصور السابق الذي ينظر إليها على أنها علاقة لغوية تعتمد الاستبدال أو الانتقال بين الدلالات ، أو تعليق للعبارات على غير ما وضعت له في أصل اللغة.

ومفهوم النقل الذي تداولته الدراسات البلاغية القديمة لا يقصد به النقل النهائي الذي يفرغ الكلمة من معناها على غرار ما نجد في كلمة سيارة التي كانت القافلة والتي بنقلها أفرغت من دلالاتها الحقيقية لصالح الدلالة الاستعارية الثانية ، ولكن المراد من النقل ذلك الذي يبقى ع لى حضور المعنيين معا وتعايشهما² ، والذي ينبني على المشاهدة القائمة على المبالغة³.

ونجد أبي هلال العسكري يعرف الاستعارة بقوله : " الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه " ⁴.

فقد كانت التعريفات التي أوردها علماء البلاغة في القديم لا تخرج في جوهرها عن التعريفات السابقة ، " وأما المفهوم فلم يتغير وبقي يشير إلى الانتقال بين الدلالات و المعاني، أي الانتقال من المعنى المجازي إلى المعنى الحقيقي، ومن ظاهر الاستعارة إلى حقيقتها ، وظل مسيطرا على تصور النقاد و البلاغيين للاستعارة. بمن فيهم عبد القاهر الجرجاني خلال كتابه أسرار البلاغة الذي يعد امتدادا لسابقه في تصورهم لهذا المفهوم معتبرا الاستعارة نقلا " ⁵.

ويمكننا تقديم تعريف للاستعارة في ضوء ثلاث اتجاهات هي :

¹ عمر أو كان : أرسطو والاستعارة، ضمن مجلة فكر ونقد، الدار البيضاء، المغرب، عدد: 17، ص109.

² محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، ص227.

³ المرجع نفسه: ص 232.

⁴ أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين، ص 268.

⁵ كمال الزماني: حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، ص42.

1- الاستبدالية: وهو اتجاه ينظر إلى الاستعارة بأنها تحصل باستبدال كلمة حقيقية بكلمة مجازية، وأن كل كلمة لها معنيان : معنى حقيقي، ومعنى مجازي، وأن هذا الاستبدال مبني على علاقة المشابهة الحقيقية أو الوهمية ، وينظر أصحاب هذا الاتجاه إلى الاستعارة على أنها إهمال أو استبدال لبعض الصفات الحقيقية للفظ ما ، وأن الدال الاستعاري يفقد جزءا من سماته ليكتسب دلالة جديدة، وم ن ثم نكتفي بدلا من ذلك بالصفة المهيمنة التي يمكن بموجبها أن يشبه هذا اللفظ لفظا آخر¹ ، فيفقد بذلك عند البعض دلالاته الخاصة ويتزحزح المعنى كما يرى ديمارسيه².

في حين نجد داخل هذا الاتجاه من يرى أن هذه الدلالة لا تختفي في الاستعارة، بل تبقى حاضرة مع قرينتها المجازية وأن الجزء غير المشترك ليس أقل ضرورة في خلق أصالة الصورة كما هو الحال عند جماعة مو³.

2- التفاعلية: يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الاستعارة لا تنعكس في الاستبدال ، وإنما تحصل من التفاعل أو التوتر بين بؤرة المجاز وبين الإطار المحيط بها ، أي أن للسياق دور في تحديد الدلالة ، وأن الاستعارة تتجاوز الاقتصار على كلمة واحدة ، وأن علاقة المشابهة ليست الوحيدة في الاستعارة ، فقد تكون هناك علاقات أخرى غيرها حيث يفتح مفهوم الاستعارة على تعدد المعاني ويأخذ بعين الاعتبار الجوانب السياقية والشعورية المكونة للقول الاستعاري وهي العناصر الخارجية المتعلقة بالإحساسات التي تميز القول الإنساني وبالسياق النصي⁴ ، كما يرى ريتشاردز في كتابه فلسفة البلاغة⁵.

3- التداولية: وينظر أصحاب هذا الاتجاه إلى الاستعارة من وجهة نظر تداولية ، مفادها أن الجملة ليست هي من يحدد المعنى الاستعاري، وإنما المقصديات الممكنة للمتكلم، كما يرى سورل و أصحاب هذا التوجه ونظريتهم التي تهتم بالنوايا والمقاصد في تحليل الاستعارة ودراستها، حيث نقلت الاستعارة من داخل النص

¹ المرجع نفسه: ص45-46.

² فراتسوا مورو : المخل لدراسة الصور البيانية، ترجم محمد الولي و عائشة جرير ، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب ، دط، ستة 2003، ص33.

³ كمال الزماني: حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، ص47.

⁴ المرجع نفسه: من ص47 إلى ص49.

⁵ سعاد أنقار : البلاغة و الاستعارة من خلال كتاب فلسفة البلاغة، ضمن مجلة عالم الفكر، الكويت ، ع3، مجاد 37، مارس 2009، ص190 وما بعدها.

إلى جوانب أخرى تتعلق بما يجري خارج النص، وأن هناك توسعا في المعاني الاستعارية في عدد مفتوح، كما أكدته النظرية السياقية لجيري مرقان، حيث التفت إلى البعد السياقي في تأويل الاستعارة وتحليلها¹.

2.4 حجاجية الاستعارة:

1.2.4 حجاجية الاستعارة في الدراسات العربية:

1.1.2.4 الادعاء: يرى طه عبدالرحمان أن الاستعارة خرق للمبادئ المنطقية ، مما يقتضي وصفها وتحليلها باستخدام وسائل حجاجية تخاطبية تكشف عن آليات حوارية وعملية في بنيتها، تجعلها مركبة المستويات ومتداخلة الذوات ومتنوعة العلاقات، ويعد عبد القاهر الجرجاني " أول من استخدم هذه الأدوات الحجاجية لوصف الاستعارة ...، هو الذي أدخل مفهوم الادعاء بمقتضياته التداولية الثلاثة: التقرير، والتحقيق، والتدليل كما استفاد في ثنايا أبحاثه من مفهوم التعارض من غير أن يطرحه طرحا إجرائيا صريحا"². ويقوم الادعاء عند عبد القاهر الجرجاني حسب طه عبد الرحمان على مبادئ ومقتضيات أساس هي:

أ_ **مبدأ ترجيح المطابقة:** و مقتضاه أن الاستعارة ليست في المشابهة بقدر ما هي في المطابقة أي أن المستعار منه و المستعار له يبلغ التشابه بينهما درجة ينتفي معها الاختلاف و التفاوت، حتى يصيرا شيئا واحدا، أما المقتضى المطابقي للادعاء فهو أن القول الاستعاري يحتمل تخريجه على المعنى الظاهر ، إضافة إلى احتمال الدلالة على المعنى المجازي³.

ب_ **مبدأ ترجيح المعنى :** و مقتضاه أن الاستعارة ليست في اللفظ بقدر ما هي في المعنى ، فالإعارة تلحق المعنى قبل أن تلحق المبني ، فمدار فهم الاستعارة ليس على المعنى المأخوذ مباشرة من اللفظ ، وإنما على معنى ثان يتولد في النفس بطريق هذا المعنى المباشر الأصلي ، أما المقتضى المعنوي للادعاء فمداره أن القول الاستعاري يستند إلى بنية استدلالية .

¹ كمال الزماني: حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، ص50 - ص51.

² طه عبد الرحمان: الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج، مجلة المناظرة، العدد4، 1991، ص70.

³ طه عبدالرحمان: اللسان والميزان، ص303.

جـ. مبدأ ترجيح النظم: و مقتضاه أن الاستعارة ليست في الكلمة بقدر ما هي في التركيب بتوخي مقتضيات العقل و ذلك بتناسق دلالة الألفاظ فيما بينها تناسقا يستوفي شرائط التعليل العقلي ، و بتوخي قوانين النحو و ذلك بالنظر في أسباب التفاضل التعبيري والتبليغي لهذا التركيب .
و المقتضى النظمي للدعاء هو أن القول الاستعاري يصير لا ينحصر في الربط بين مخبر عنه و مخبر به ، بل نضيف عنصرا ثالثا هو ذات المخبر¹.

وبهذه المبادئ والمقتضيات يتضح أن القول الاستعاري تجتمع له الأوصاف الثلاثة : أنه تركيب خبري تداولي ، وأنه قابل للأخذ على جهة الحقيقة و أنه مشتمل على بنية تدليلية ، و كل قول هذه أوصافه ، يعد في سياق الجدل الذي تهجه الجرجاني بمرتلة (دعوى) كما يعد صاحبه (مدعيا) و يعد عمله (ادعاء)² وقد تتبع الجرجاني هذه الأوصاف الثلاثة (مقتضيات الادعاء) بالتحليل و التنظير:
مقتضى الخبر : و هو عنده خاصية تتعلق أساسا بالحكم و ليس بالمفردات ، فصارت الاستعارة عنده أحق بأن تكون إسنادا عقليا ، و طبيعي أن كل إسناد عقلي يتطلب أن يصدق أو يكذب و لا تصديق و لا تكذيب إلا بقيام الدليل³.

مقتضى الحقيقة : يتضح هذا المفهوم في إلحاح الجرجاني على أن المستعير يثبت اسم المستعار منه للمستعار له على وجه الحقيقة ، وذلك بإدخاله جنسه ، ومتى تحقق هذا الدخول ، لم يكن قد نقل اسم المستعار منه عما وضع له في الأصل ، و إنما ادعى نفس معناه للمستعار له⁴.

مقتضى التدليل : يشير الجرجاني إلى الإثبات المقرون بالدليل (الإثبات المدلل) في بحثه البلاغي ، فهو أن نصوص الدلالة الأصلية للمستعار منه في حكمنا به على المستعار ، على أن يبقى الجامع بينهما مطويا في النفس ، مكنونا في الضمير⁵.

¹ المرجع نفسه: ص306.

² المرجع نفسه: ص 306.

³ عبدالقاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ، ص272.

⁴ طه عبدالرحمان: اللسان و الميزان، ص 307.

⁵ المرجع نفسه: ص 307

2.1.2.4 التعارض : حد التعارض " أن يتقلب المتحاور بين العرض و الاعتراض منشئا لمعرفة تناظرية

وفق مسالك معينة يعتقد أن خصائصها التقابلية أحت على العمل " ¹.

و يستند هذا التعارض إلى قواعد تخاطبية نذكر منها ما يلي :

— لا تنص على شيء و أنت لا تقصد تخصيصه

— تسلك طرق التقابل في تشقيق الكلام .

— لتستحضر في قولك إمكان الاعتراض عليها .

يلزم عن هذه القواعد أن المتحاور ينشق إلى ذات عارضة تثبت منطوق القول و إلى أخرى غيرها معترضة تلك المنطوق بالمفهوم المخالف ، و بذلك يجعل التعارض المتجاوز يتجاوز عند كل قول من أقواله ، و هو ناتج عن خاصية استعارية اللغة و التي من خصائصها " أن المعنى الحقيقي و المعنى المجازي يتلازمان في التعبير و يتعاندا في ، و ما تلازم منهما ، تضاعفت فيه ذات المتعارض تضاعف تماثل و ما تعاند منهما تراوحت فيه تراوج تباين و في هذا الأخير وحده يكتمل معنى التجاوز و تحقيق المتحاور نفسه " ².

يؤكد طه عبد الرحمان أن عبد القاهر كان أسبق إلى ملاحظة الخاصية التعارضية للاستعارة بين التحقيق

و التخيل و كما لو كانت الجملة الاستعارية تجمع بين عالمين : (عالم واقعي) و (عالم ممكن) ، أما العالم الممكن فيكون فيه المستعار له هو المستعار منه بعينه ، و أما العالم الواقعي فيكون فيه مفارقا له ، و إن اشترك معه في بعض الصفات ³.

و بذلك تكون الاستعارة " السبيل النموذجي لفتح باب الواقع على الممكن ، و إبداع العوالم الكثيرة ، و هي التي تأخذ بالتخييل الذي يمكن من إنشاء عوالم تكون بمرتلة بدائل لعالمنا الواقعي ، و تأخذ بالمشاهدة التي تجعل العوالم تتشابه فيما بينها ، و تتفاوت في هذا التشابه " ⁴.

وحاصل الكلام في هذا الموضوع يرى طه عبد الرحمان أن عبد القاهر الجرجاني وضع أصول نظريته في الاستعارة ، متأثرا في ذلك من جهة بأساليب في الحجاج متعارف عليها كالرد على أقاويل المعترض و على شبه تأويله ، و كالتوجه إلى المخاطب و افتراض علمه واقتناعه بما يلقي إليه و بناء الأحكام و القواعد على

¹ طه عبد الرحمان : في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ص 49.

² المرجع نفسه: ص 49 .

³ طه عبد الرحمان: اللسان والميزان ، ص 308 .

⁴ المرجع نفسه: ص 308_309 .

هذا الافتراض ، ومن جهة أخرى بالجهاز الحجاجي للمناظرة ، المتأصل في المجال التداولي الإسلامي العربي إذ اقتبس عناصر مختلفة منه في تكوين تصوره للاستعارة كمفاهيم الادعاء ، الدعوى ، الإثبات ، التقرير ، السؤال ، الاعتراض ، المعارضة ، الدليل ، الشاهد ، الاستدلال ، القياس ... كما جعل من مفهوم الادعاء أداته الإجرائية الأساسية في وصف آليات الاستعارة ، و نقل هذا المفهوم إلى المجال البلاغي بكل أوصافه و التي تعود إلى ثلاثة أصلية هي : التقرير أو الخبر ، و التحقيق و التدليل¹ .

3.1.2.4 أصول المقاربة التعارضية للاستعارة :

ينطلق طه عبد الرحمان في بناء نظريته التعارضية إلى الاستعارة على افتراضات مسبقة تتمثل في²:

- أن القول الاستعاري قول حوارى : و حواريته ذاتية له ، و الذوات الخطابية التي تشترك في بناء القول الاستعاري أربع : الذات الظاهرة، و الذات المؤولة، و الذات المضمره و الذات المحتملة، و يتخذ المخاطب كل هذه الذوات مظاهر لوجوده في القول الاستعاري يتقلب بينها، قائما بكل أدوارها الخطابية في آن واحد.

- أن القول الاستعاري قول حجاجي : و حجاجيته من الصنف التفاعلي ويرى طه عبد الرحمان أن الصفة الحجاجية للقول الاستعاري ، يكفي أن نتبين فيها وجوه تد اخل آليتي " الادعاء " و " الاعتراض " اللتين تميزان الحجاج ، اكتشف أن البنية الاستعارية تتصف بالتعارض، و بأن المتعارض _ و هو المستعير _ يسلك طرقا حجاجية ظاهرة التناقض .

- القول الاستعاري قول عملي: و صفته العملية تلزم ظاهره البياني و التخيلي، و مفاده أن الاستعارة أدعى من الحقيقة لتحريك همة المستمع إلى الاقتناع بها و الالتزام بقيمها ، فالمستعير يقصد أن يغير المقاييس التي يعتمدها المستمع في تقويم الواقع و السلوك ، و أن يتعرف المستمع على هذا القصد منه ، و على معنى كلامه و ما يلزم عنه ، و أن يكون هذا التعرف سبيلا لقبول خطابه و لإقباله على توجيهه ، فهي تدخل في سياق التواصل الخطابي باعتباره نسقا من القيم و المعايير العملية .

وهكذا فإن حجاجية الاستعارة لا تعني فقط فعاليتها في التأثير على الأذهان و الأفهام ، بل تجاوزت ذلك و امتدت إلى مناطق أخرى في متلقيها، فصارت تعني أن لها وظيفة مركبة يرتبط فيها العقل بالإحساس و الفكري بالنفسي، فالاستعارة تسعى إلى إحداث قطيعة و قلب انتظارات و مفاجأة توقعات، و إعادة النظر

¹ المرجع نفسه: ص 309.

² المرجع نفسه: ص 310 وما بعدها.

في نظام الخطاب، وهي مكون بنيوي للمعنى، تجعل الحجاج يتراوح بين العقلي و الثقافي و النفسي والانعفالي¹.

2.2.4 حجاجية الاستعارة في الدراسات الغربية :

لقد عمل بيرلمان وتيتيكا على تأسيس بلاغة جديدة موضوعها هو دراسة وسائل الحجاج الأخرى غير المتعلقة بالمنطق الصوري التي تسمح بالحصول أو الزيادة في استمالة الآخر فيما يقدم له أو يقترح عليه من الطروحات، كما قام الأول بجهود عظيم يثقل في التحديد الذي أحدثه في النظام الأرسطي حيث أدرج أرسطو الحجج القائمة على المقارنة والتمثيل والشاهد ضمن مبحث الكتاب الأول من الخطابة في حين تناول الاستعارة في الكتاب الثالث الذي خصه للأساليب، رغم أن المقارنة والشاهد يرتبطان بالاستعارة ارتباطاً وثيقاً، فقد أهملها أثناء دراسته لهذه المباحث في الكتاب الأول. ومن هنا يمكننا القول بأن شام بيرلمان حمل على عاتقه مهمة "تبنيه لأطروحة أساسية وهي تسليمه بأن كل المقومات التي اعتبرت عند المتقدمين مجرد محسنات هي عنده مقومات حجاجية إقناعية. وهذا هو الذي ساعده على تلافي "خطأ" أرسطو الذي تحدث عن الاستعارة في مبحثين اثنين وهما، اعتبارها تارة مقوماً حجاجياً (تحت تسمية الشاهد) في الكتاب الأول، واعتبارها (محسناً لفظياً)².

إن الطرح الأرسطي أحدث في البلاغة التقليدية الغربية تأثيراً بالغاً. "فحتى حينما استقلت بلاغة المحسنات عن البلاغة الحجاجية ظل الشاهد يحتل خانة خاصة به باعتباره محسناً فكرياً مقابل الاستعارة التي اعتبرت محسن كلمة. وذلك يعود إلى توهم أن هذا المحسن هو من جهة أداة إقناعية، وهو من الجهة الأخرى لا يقوم على أي خرق دلالي كما هو الشأن بالنسبة إلى الاستعارة.

إلا أن المدّش حقا هو أن أرسطو قد عاود طرح موضوع الشاهد أو التشبيه أو المقارنة تحت تسمية أخرى تدعى باليونانية إيكون *icone* وترجمتها الحرفية هي (صورة). والواقع أن الأمر لا يتخطى التشبيه³.

¹ حسن المودن: حجاجية المجاز والاستعارة، ضمن الحجاج (مفهومه ومجالاته)، ج3، ص166.

² محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص 453.

³ المرجع نفسه: ص 456.

هذه إذن نفس الظاهرة مطروحة حيناً باعتبارها مقوماً حجاجياً وباعتبارها طوراً آخر محسناً أسلوبياً. واللافت أيضاً هو أن الاستعارة تعرض لها أرسطو في موقعين في كتاب الخطابة ؛ لقد تحدث عنها في باب الشاهد الذي فرعه إلى ثلاثة أجناس وهي الشاهد الواقعي والشاهد الصناعي المحتمل والشاهد الخرافي. "وعلى الرغم من الذرائع التي يمكن أن تساق في هذا المقام من قبيل الزعم بأن هذه المقومات ينظر إليها أرسطو بوصفها مقومات حجاجية كما فعل في الكتاب الثاني من الخطابة ، وباعتبارها محسنات أسلوبية كما فعل بها في الكتاب الثالث. والحق أن هذه المحسنات أو ما اعتبر محسنات قد ظلت دائماً مقومات حجاجية في الكتاب الثالث نفسه. هذا التمزيق لهذه المقومات وهذا التوزع بين مجالي الحجاج والمحسنات يمكن أن نجد له تفسيراً في كون أرسطو كتب الكتابين مستقلاً أحدهما عن الآخر بل وكأن الكتاب الثالث "ينسخ" إلى حد ما الكتاب الثاني.

هذا الاختلال هو الذي عاجله بيرلمان ، فقد طهر البلاغة الحجاجية من البلاغة المحسناتية ؛ إذن لم يعد هناك مجال لتوزع عليه هذه المقومات. ولهذا فقد احتلت الاستعارة مكاناً إلى جانب التشبيه أو المقارنة ضمن الجنس الثالث من أجناس المقومات الحجاجية"¹.

فالتحديد الذي جاء به بيرلمان تمثل في إبطال مفعول بلاغة المحسنات ، وإدراج الاستعارة والتشبيه ضمن بلاغة الحجاج. كما عمل على تقريب الهوة بين الخطاب الحجاجي النفعي الوظيفي والأدب. فقد استفادت الدراسات البلاغية التي أخذت عن أرسطو تصوراتاً للاستعارة وكذا التمييزات الدقيقة بين الاستعارات الحجاجية أو الخطابية والاستعارات الأدبية ، غير أن هذا التمييز وهذا الفصل لم يجد له قبولاً عند بيرلمان؛ لأن الأدب في تصوره خطاب حجاجي².

ففي نظر بيرلمان وتيتيكا أن كل دراسة لمجموع الحجاج لا بد أن تأخذ بعين الاعتبار أن الاستعارة و التمثيل من عناصر الحجة، واعتبار الاستعارة مجازاً، ويجعلها الصورة المجازية بامتياز،" وكان هناك من يقول أن الاستعارة هي نقل دلالة خاصة لاسم ما إلى دلالة أخرى، ولا تناسب بينهما إلا بالنظر إلى تشبيه ذهني، وكان هناك من تخلى عن فكرة التشبيه ، مشدداً على الطابع الحي والتنوع والمفارق للعلاقات بين المفاهيم

¹ المرجع نفسه: ص 457 .

² محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، ص 457 .

المعبر عنها دفعة واحدة بواسطة الاستعارة ، فهي بذلك تفاعل أكثر مما هي استبدال، وتقنية للابتكار قدر ما هي تقنية تزيين¹.

ودور الاستعارة في نظر هذين الباحثين يمكن أن يتضح أكثر في علاقته بالنظرية الحجاجية للتمثيل، وينتهيان في مؤلفهما المشترك (الاستدلال بواسطة التمثيل) إلى أن " التمثيلات تلعب دورا مهما في الابتكار وفي الحجاج، وبالضبط بسبب ما تسمح به من تطورات وامتدادات"².

وفي باب ابطال التمييز العتيق بين الحسنات البلاغية والمقومات الحجاجية يقول بيرلمان: "إن محسنا هو حجاجي إذا كان استعماله ، وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر، يبدو معتادا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة. وعلى العكس من ذلك ، فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب ، فإن المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة ؛ أي باعتباره محسلا أسلوبيا ويعود ذلك إلى تقصيره عن أداء دور الإقناع"³.

وعلى ضوء تجديدات بيرلمان أصبح كل خطاب تندرج فيه شخصية الباحث والمتلقي خطابا حجاجيا ، والتي كانت تعتبر مجرد مزيينات للخطاب، وأن ما يهتني من الخطابات الحجاجية هو الخطابات العلمية التجريبية أو النظرية من قبيل الرياضيات والمنطق الصوري. بل إن الفلسفة نفسها التي لا تستقيم للخطابين الرياضي والتجريبي هي من قبيل الحجاج أو الخطابية ؛ الشيء الذي لم يكن ليتبادر إلى ذهن أرسطو في تحليلاته ومباحثه المتعلقة بالاستعارة و الشاهد.

يرى محمد الولي أن التصورات السابقة التي كانت تعتبر الاستعارة محسنا بيانيا أو شعريا . يرجع إلى التداخل الذي أوقعه أرسطو وسط المقومات الحسناوية والمقومات الحجاجية بحصر المعنى. ولعل التفكير الوضعي والتجريبي قد جردا الاستعارة من أية جدارة علمية كيفما كانت. " ويعود الفضل إلى شام بيرلمان في أمر نفي التهمة عن الاستعارة، وذلك باكتشافه أن هناك مجالات شاسعة لا يمكن الخوض فيها بدون اللجوء إلى الاستعارات "⁴. فهي إذن مقوم حجاجي بل برهاني أيضا في مجال الإنسانية لا غنى عنه. كما أن هناك من الباحثين من يتجه إلى الاعتقاد بأن العلوم التجريبية نفسها كثيرا ما تزودت من خزانات الاستعارات حينما تعوزها البرهنة الرياضية و التجريبية وحينما تجد نفسها مضطرة إلى العمل بالاعتماد على

¹ حسن المودن: حجاجية المجاز والاستعارة، ضمن الحجاج (مفهومه ومجالاته)، ج3، ص170.

² جابر عصفور: مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي ، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، دت ، ص517.

³ Perlman, Chaim: L' empire rhetorique, ed, vrin, 1977, p53:

⁴ محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية وعربية و غربية ، ص 458 .

الفرضيات ؛ كقول أحدهم : " أننا نعتقد أن دور الاستعارة سيتضح أكثر بربط طه بنظرية التناسب الحجاجي.[...] إننا لا نستطيع في هذه اللحظة وصف الاستعارة إلا باعتبارها تناسباً مكثفاً، ناتجاً عن ذوبان عنصر المستعار منه في المستعار له " ¹.

ينطلق هذا التحديد الأولي من التحديد الموروث عن أرسطو، وهو التعريف الذي يقدمه في كتابه الشعر ؛ إنها في رأيه : " نقل اسم شيء إلى شيء آخر ، فإما أن ينقل من الجنس إلى النوع، أو من النوع إلى الجنس، أو من نوع إلى نوع، أو ينقل بطريق المناسبة " ².

ويذهب بيرلمان إلى اعتبار الاستعارة التناسبية هي الأصل الذي يتفرع عنه نوع الانتقال من نوع إلى نوع. إذن فلاستعارة عنده هي في الأصل تناسبية دائماً. يقول : "الشائع اليوم إطلاق مصطلحي الكناية والمجاز المرسل، اللذين يتعارضان مع الاستعارات، على المجازات حيث نقل الألفاظ قائم على علاقة رمزية (الصليب بدل المسيحية) أو على علاقة الجزء بالكل (الأشعة بدل السفن) من الجنس إلى النوع (الفانون بدل الإنسان) أو من النوع إلى الجنس. لهذا السبب فإنني لن أهتم إلا بالاستعارات التي هي في تعريف أرسطو قائمة على تناسب والتي هي في الواقع مجرد تناسبات مكثفة " ³.

وهكذا يوضح بيرلمان هذا من خلال أمثلة : " فانطلاقاً من التناسب (الشيخوخة هي بالنسبة إلى الحياة مثل المساء بالنسبة إلى النهار) يمكن أن نشق الاستعارات الآتية : (شيخوخة النهار)، (مساء الحياة) (الشيخوخة مساء) " ⁴.

يرى محمد الولي أن نفس البنية العميقة تسمح باشتقاق كل أنواع الاستعارات. مبسطة المسألة كما يلي: أن هناك شيئين أ و ج. ويتسم أ بصفة هي ب. كما يتسم ج بصفة هي د . فإذا كان العمر هو أ، وكان النهار هو ج، وكانت الشيخوخة هي ب ، والغروب هو د ، وكان كل من ب و د تربطه بالحامل علاقة مشابهة أمكن القول: " شيخوخة النهار " و " مساء العمر " كما يمكن القول: " الشيخوخة مساء ". ففي الحالتين السابقتين نكون بصدد استعارة بمعناه المحصور حيث نتقل من نوع إلى نوع.

¹ Perlman, Chaïm et Olbrechts, tytica: Traité de l'argumentation, université du Bruxelles, 1976, p 535.

² أرسطو طاليس: فن الشعر ، ترجمة شكري عياد، منشورات دار الفكر العربي ، دط ، 1967 ، ص 116 .

³ Perlman, Chaïm : Rhétoriques, éd, université du Bruxelles, 1989, p398.

⁴ Perlman, Chaïm : L'empire rhétorique p p-133-134.

فالعلاقات التي يتيحها تناسب قد لا تسمح بها الاستعارة (حيث يتفق على تسمية الاستعارة التناسبية تناسباً والاستعارة غير التناسبية استعارة) . إذ يمكننا وضع شيئين غير متشابهين في وضع المتشابهين اعتماداً على ربطهما بعلاقة متشابهة. إن التشابه الطارئ في التناسب يُكتسب بفضل هذا الربط. ولهذا أمكن القول إن الإمكانيات الابتكارية في التناسب أقوى منها في الاستعارة. إلا أن بيرلمان يلح على اعتبار الاستعارة هي مجرد تناسب حذفت بعض أطرافه ، ولا تفهم بشكل مرضٍ إلا بإعادة بناء التناسب وذلك بإرجاع العناصر المحذوفة. حينما نكتب عن محارب شجاع (هذا الأسد ينقض)، فإنه يمكن تفسير ذلك بالتناسب (هذا المحارب هو بالنسبة إلى الرجال الآخرين مثل الأسد في علاقته بالحيوانات الأخرى)¹.

وخلاصة ما ذهب إليه بيرلمان في بلاغته الجديدة هو اعتبار الصورة شكل أو بنية مستقلة عن المعنى واستعمالها يعني الابتعاد عن الطريقة العادية في التعبير إلى طريقة تثير الانتباه، وأما من تقنيات الخطاب الإقناعي، فيفسر استعمالها بواسطة حاجيات الحجاج، ولا تعتبر حجاجية إلا بما تحدته من تحول في التصور ضمن الوضعية الجديدة المقترحة ، في حين إذا كان الخطاب لا يؤدي إلى انخراط السامع و مساهمته في هذا الشكل الحجاجي، فالصورة سينظر إليها باعتبارها تزيينا أو باعتبارها شاهداً على أصالة الخطيب². ومن منظور تحليل الخطاب نجد الباحثة أموسي ترى أنه ينبغي إعادة النظر في المكانة الضيقة المخصصة لصور المجاز، بمقاربة التصوير بعبارات التحليل الحجاجي من منظور يربط قدرته على التأثير في السامع باشتغالها الخطابي، وهذا يعني إعادة النظر في إمكانيات التشبيه و غيره من الصور، مراعين أن استعمالها في مجرى تفاعل حجاجي خاص هو الذي يمنحها وزنها وأثرها على المتلقي، ولهذا ينبغي على البلاغي أن ينطلق من ضرورة معرفة إثارة الانفعالات من أجل الإقناع ، وكل نوع من صور المجاز و وجوهه له سمات قادرة أن تحدث مفعولات خاصة تتعلق فضائلها بوضعية الخطاب³، وعن طريق الصور يمكن أن نتعرف على الصنافة الكلاسيكية للانفعالات⁴.

إن الصور في تصور أموسي ترتبط بالحجاج وتتدخل فيه إما باعتبارها نوع من الكليشيهات يكون لها بفضل استعمالها في مختلف السياقات أثر نفسي هام ، وإما باعتبار أنها تعمل على إحداث قطيعة واضطراب

¹ محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، ص 460 .

² حسن المودن: حجاجية المجاز والاستعارة، ضمن كتاب الحجاج (مفهومه ومجالاته)، ج3، ص 171.

³ حسن المودن: حجاجية المجاز والاستعارة، ضمن كتاب الحجاج (مفهومه ومجالاته)، ج3، ص: 171-172.

⁴ R, Amosy, L'argumentation dans le discours, éd Nathan, Paris, 2000, p185.

ومفاجأة ، مما يؤهلها بأن تمتلك القدرة على التأثير و الإقناع لدى متلقي الخطاب مؤدية بذلك على العموم وظائفها الحجاجية¹.

5. التمثيل:

1.5 التمثيل تركيبيا و تداوليا :

لقد استطاع الباحث المغربي محمد الولي من خلال استقراءه لجهد الجرجاني البلاغي وخاصة ما تعلق بالاستعارة و التمثيل و الشاهد مفصلا ذلك في كتابه (الاستعارة: في محطات يونانية وعربية وغربية) أن يتوصل إلى أن الجرجاني قد نال السبق في وصف التمثيل و تحديد طبيعته التركيبية تحديدا يتوافق والطروحات الحديثة التي تناولته في البلاغة الجديدة ، كما أنه لم يغفل وصف الأبعاد التداولية المصاحبة له، من مثل ما فعل مع باقي المقومات المجازية ، ولعل النص التالي الذي يستشهد به الباحث ما يؤكد ما ثبت ما خلاص إليه يقول الجرجاني: " و اعلم أن هذا الشبه حكمه واحد سواء أخذته ما بين الفعل و المفعول الصريح أو ما يجري مجرى المفعول. فالمفعول كالقوس في قولك : (أخذ القوس باريها) ، و ما يجري مجرى المفعول ، الجار و المحرور ، كقولك : (الرقم في الماء) و هو كمن يخط في الماء. و كذلك الحال ، كقولهم : (كالحادي و ليس له بعير) ، فقولك : (و ليس له بعير) جملة من الحال ، و قد احتاج الشبه إليها ، لأنه مأخوذ ما بين المعنى الذي هو الحدو، و بين هذه الحال ، كما كان مأخوذا بين الرقم و الماء و ما بين الفتل و الذروة و الغارب .

و قد تجد بك حاجة إلى مفعول و إلى الجار مع المحرور كقولك : (و هل يجمع السيفان في غمد ؟) و (أنت كمن يجمع السيفين في غمد) . ألا ترى أن الجمع فيه لا يعني بتعديده إلى السيفين ، حتى يشترط كونه جمعا لهما في الغمد ؟ فبمجموع ذلك كله يحصل الغرض . و هكذا نحو قول العامة (هو كثير الجور على إلفه) و قولهم (كمتبغي الصيد في عريسة الأسد) . لأن الصيد مفعول و " عريسة " جار مع المحرور².

و بعد هذه الأوصاف التركيبية للتمثيل يعود كعادته إلى تناوله من الزاوية التأثيرية الجمالية . إنه يطرح السؤال : ما هو الشيء الذي يكسب التمثيل هذا التأثير الجمالي ؟ ، و هذا الجانب التأثيري الذي ندعوه

¹ حسن المودن: حجاجية المجاز والاستعارة، ضمن كتاب الحجاج (مفهومه ومجالاته)، ج3، ص172.

² عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، ص 83 .

جماليا هو في الحقيقة تداولي . يقول عبد القاهر : " فأما القول في العلة و السبب لم كان للتمثيل هذا التأثير ؟ و بيان جهته و مأثاه . و ما الذي أوجبه و اقتضاه ؟ ، فغيرها .
و إذا بحثنا عن ذلك وجدنا له أسبابا وعللا ، كل منها يقتضي أن يفخم المعنى بالتمثيل و ينبل و يشرف و يكمل .

فأول ذلك و أظهره أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي و تأتيتها بصريح بعد مكني و أن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم ، و ثقته به في المعرفة أحكم ، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس و عما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار و الطبع ، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركز فيها من جهة الطبع و على حد الضرورة ، يفضل المستفاد من جهة النظر و الفكر في القوة و الاستحكام ، و بلوغ الثقة فيه غاية التمام ...، و ضرب آخر من الأنا و هو ما يوجبه تقدم الإلف كما قيل : ما الحب إلا للحبيب الأول .

و معلوم أن العلم أتى النفس أولا من طريق الحواس و الطباع ، ثم من جهة النظر و الروية ، فهو إذن أمس بها رحما ، و أقوى لديها ذمما ، و أقدم لها صحبة ، و أكد عندها حرمة و إذا نقلتها في الشيء بمثله عن المدرك بالعقل المحض و بالفكرة في القلب ، إلى ما يدرك بالحواس أو يعلم بالطبع و على حد الضرورة ، فأنت كمن يتوسل إليها للغريب بالحميم و للجديد الصحبة بالحبيب القديم ، فأنت إذن مع الشاعر و غير الشاعر، إذا وقع المعنى في نفسك غير ممثل ثم مثله كمن يخبر عن شيء من وراء حجاب ، ثم يكشف عنه الحجاب و يقول : ها هو ذا ، فابصر تجده على ما وصفت " ¹ .

يتوصل الباحث محمد الولي عند تحليله لهذا النص أن الجرجاني يشدد على أن العبارة المجازية لها وظيفة تلقينية أو تعليمية . إلا أن هذه الوظيفة تأتي مدعومة بالصورة الحسية المجازية . و هذه الحسية تتخذ أداة إمتاع للحواس تسليها لأجل تمرير الرسالة . و هذه الملامح كثيرا ما شدد عليها الدارسون . فهذا سيلو يحدد المثل بقوله : " إنه عبارة متحققة في لغة شعبية و هو يتصف بطابعه التعليمي و شكله اللافت مقارنة مع الخطاب المعتاد " ² .

¹ عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة : ص 92 - 93 .

² Jolies, André : les formes simples ,éd seuil, paris, 1972, p121.

و يعتبر الباحث أن هذه الخاصية الحسية معناها التقديم الحسي للمجردات ، مستشهدا ببيت ابن المعتز¹ :

اصبر على مضمض الحسو د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

فقد استطاع الشاعر تجسيده المعاناة الحسية في هذا التمثيل الجميل، إذ المشاهدة فيه تقوم على المبالغة . و هذه تمثل خاصية أساسية في الاستعارية الرفيعة . كما أن هناك نوعا متدنيا من المشاهدة لا يستند على المبالغة كأن نشبه المصابيح بالنجوم ، ثم نعكس فنشبه النجوم بالمصابيح ، و هو نوع ضعيف من حيث القيمة الجمالية ليس فيها خلق وإبداع يقتصر فيها على الالتقاط من الواقع ما تزودنا به حواسنا ، في حين أن النوع الذي لا يسكن إلى المشاهات الحسية بين الطرفين و لا يستسلم لمعطيات المادة المحسوسة والتي يقتصرها المبدع حينما يبحث للمجردات عن مقابلات حسية ، و هذه المشاهات هي التي يتكئ عليها التمثيل ؛ حيث لا نستطيع أن نعثر بالحواس على خصائص مشتركة في بيتي ابن المعتز السابقين. و لا نستطيع قلب التشبيه . فلا نستطيع أن ندعي أن تأكل النيران هو معاناة الحسود . " ما هو قائم هنا هو المبالغة في التشبيه . و هذه هي أساس التمثيل . إن هذا يقدم في صورة أمرا مجردا و معنويا . و لهذا لا يمكن أن يلتبس في النظر ملمحان أحدهما مادي و الآخر حسي ، حتى تتمكن من قلب التشبيه . و هذا الجنس من المشاهات القائمة بين طبيعتين مادية و مجردة هو أساس التمثيل و هو علامة من علامات الكفاءة الابتكارية عند الشعراء"². يقول عبد القاهر في شرح هذه الخاصية في التمثيل:

" و أما ما تقوى فيه الحاجة إلى التأول حتى لا يعرف المقصود من التشبيه فيه ببديهة السماع ، كنحو قول كعب الأشقري و قد أوفده المهلب على الحجاج ، فوصف له بنيه و ذكر مكانهم من الفضل و البأس فسأله في آخر القصة قال : فكيف كان بنو المهلب فيهم ؟ قال : كانوا حماة السرح نهارا ، فإذا ألبوا ففرسان البيات . قال فأيهم كان أنجد ؟ قال : كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها . فهذا كما ترى ظاهر الأمر في فقره إلى فضل الرفق به و النظر . ألا ترى أنه لا يفهمه حق فهمه إلا من له ذهن و نظر يرتفع به عن طبقة العامة ؟ و ليس كذلك تشبيه الحجة بالشمس ، فإنه كالمشترك بين الاشتراك ، حتى يستوي في معرفته اللبيب اليقظ و المضعوف المغفل. و هكذا تشبيه الألفاظ بما ذكرت ، قد

¹ محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية وعربية و غربية ، ص 273.

² المرجع نفسه: ص 274.

تجده في كلام العامي . فأما ما كان مذهبه في اللطف مذهب قوله : (هم كالحلقة) فلا تراه إلا في الآداب و الحكم الماثورة عن الفضلاء و ذوي العقول الكاملة " ¹ .

و يحمل تصور الجرجاني للطبيعة التي يبنى عليها التمثيل هو ما كان قائم على المبالغة في التشبيه ، وأن المشابهات القائمة بين طبيعتين مادية و مجردة هي أساس التمثيل، ولا يعرف المقصود من التشبيه فيه ببديهة، بل تقوى الحاجة فيه للتأول و إعمال الفكر والذهن.

2.5 في سلطة التمثيل وقوته الحجاجية:

لقد أكدت الدراسات النقدية و البلاغية القديمة على ما للتمثيل من دور في تقريب المعنى إلى ذوي الأذهان البسيطة غير القادرة على التجريد في صورة المحسوس، لأن الكلام إذا جعل مثلاً كان أوضح للمنطق و أنق للسمع و التمثيل " أولية ذهنية مترسخة في اللغة الطبيعية و ممارسة علمية و فلسفية تتخذ من المجاز و الاستعارة و المشابهة و المقايسة و المطابقة و المخالفة ممارسات لغوية و فكرية لفهم العالم و التقاط شواهده المثلى ... تملك من السند المصرح به أو المضمّر ما يجعلها حجة قاطعة غير قابلة للطعن و تبريراً كافياً لإرجاع الفرع إلى الأصل عبر مقايسة قائمة على علاقة المشابهة أو المطابقة " ² ، و التمثيل نشاط فكري يقصد به " إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو معناه و ذلك أوكد في طريقي الترغيب فيه أو التنفير عنه " ³ .

وقد أشار الباحثون إلى وظائف التمثيل " وقوته الحجاجية و قدرته على إخضاع النفوس والأذهان و جعلها تدعن له و تقع تحت تأثيره، فمن رأي قائل إن الأمر موصول بالسكن إلى الحواس و إلف المرء لها، إلى أخذ بعين الاعتبار البعد المنطقي في القول " ⁴ ، وأنه المحرك الرئيس للاستدلال ، وآلية إنشاء المعرفة و تداولها و تطويرها محققاً مقاصد الإمتاع و الإقناع.

¹ عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، ص 72 – 73 ..

² عبد المجيد الصغير: التمثيل و التبرير، ضمن ندوة: تكون المعارف (دور القياس التمثيلي)، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات و محاضرات، ع117، ط1، سنة 2005، من ص145 إلى ص157.

³ ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، ج1، ص378.

⁴ عبد الله البهلول: الوصايا الأدبية إلى القون الرابع هجرياً، مقارنة أسلوبية حجاجية، مؤسسة الانتشار العربي: بيروت، لبنان، ط1، سنة 2011، ص268.

وقد أكد ابن الأثير في معرض مقارنة صورة المنطوق بصورة المرجع أن المتقبل متى " شبه صورة هي أحسن كان ذلك مثبتا في النفس خيالا حسنا يدعو إلى الترغيب فيها" ¹.

وكذلك إذا شبه صورة بصورة أقبح منها فإن ذلك من شأنه أن يثبت في النفس " خيالا قبيحا يدعو إلى التنفير عنها، وهذا لا نزاع فيه " ².

و من أمثلة التمثيل في المدونة مايلي :

— جاء في المقامة السجستانية: " فلَمَّا انْتَضِيَ نَصْلُ الصَّبَاحِ، وَبَرَزَ جَيْشُ المِصْبَاحِ " ³.

يظهر التمثيل في قوله (انتضي نصل الصباح)، وإضافة النصل إلى الصباح، كأن الصباح غائر بيده سيف قد استلّ نصله، والإشارة به إلى أول بياض الصبح فإنه يشبهه في دقته نصل السيف المسلول.

كما يظهر التمثيل في قوله (جيش المصباح)، حيث شبه أشعة الشمس عند ظهورها بالجيش حين يبرز في الأفق

— وجاء في المقامة الأصفهانية: " كُنْتُ بِأَصْفَهَانَ، أَعْتَرَمُ المَسِيرَ إِلَى الرَّيِّ، فَحَلَلْتَهَا حُلُولَ أَلْفِيٍّ، أَتَوَقَّعُ القَافِلَةَ كُلَّ لَمَحَةٍ، وَأَتَرَقَّبُ الرَّاحِلَةَ كُلَّ صَبْحَةٍ، فَلَمَّا حُمَّ مَا تَوَقَّعْتُهُ نُودِيَ لِلصَّلَاةِ نِدَاءً سَمِعْتُهُ " ⁴.

والتمثيل واضح جلي في قوله (فحللتها حلول ألفيٍّ)، فقد حلّ المدينة على نية الترحال كما أنّ الظلّ إذا حلّ مكانا حلّه على أن ينتقل بطبعه، وهو تركيب متداول عند العرب، يضرب به المثل في التحول والانتقال بسرعة.

— ومما جاء في المقامة الفزارية: " فِي لَيْلَةٍ يَضُلُّ فِيهَا العَطَاطُ " ⁵.

والعطاط هو القطا وهو مضرب المثل في الهداية: يقال فلان أهدي من القطا، والليل الذي يضل فيه القطا بهيم لا سبيل فيه إلى الهداية.

— وفي نفس المقامة جاء قوله: " لَكِنِّي تَجَلَدْتُ فَقُلْتُ: أَرْضُكَ لَا أُمَّ لَكَ، فَدُونَكَ شَرُّ الحِدَادِ، وَخَرَطَ القَتَادِ " ⁶.

¹ ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص378.

² المرجع نفسه: ص378.

³ المقامة السجستانية: ص23.

⁴ المقامة الأصفهانية: ص62.

⁵ المقامة الفزارية: ص81.

⁶ المقامة الفزارية: ص82.

و التمثيل بيّن في قوله (وخرط القتاد) ، وهو من أمثال العرب في الأمر دونه مانع، فالأمر الصعب المنال يقولون دونه خرط القتاد ؛ أي لا بد أن يصل الطالب إليه من طريق يدوس فيها على شوك القتاد.

وشوك القتاد مضروب به المثل في الخشونة والشدّة، كما قال أبو تمام :

" نَنَا خَيْرَ كَأَنَّ الْقَلْبَ أَمْسَى يَجْرُ بِهِ عَلَى شَوْكِ الْقَتَادِ"¹.

__ وجاء في المقامة الأرمنية : " فَوَجَدْنَاهُ يَطْلُعُ مِنْ ذَاتِ لَطَى تُسَجَّرُ بِالْعَضَا"².

نار الغضا مشهورة عند العرب ، وهي مضرب المثل في شدة الاشتغال وطول مدته ، لأن خشب الغضا من أصلب الخشب ، إذا أوقدت به النار اشتد لهبها وثبت زمتا طويلا في جمرها.

وقد تناول الشعراء هذا التركيب كثيرا، كقول عنتره:

" حَرَامٌ عَلَيَّ النَّوْمُ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ وَمَنْ فَرَشُهُ جَمْرُ الْعَضَا كَيْفَ يَرْقُدُ"³.

واختيار الغضا دون الأنواع الأخرى من الخشب دلالة كبيرة ، وكناية عن لهب الغضب المتأجج في النفس، قد أدت بهذه البنية التركيبية بعدا حجاجيا إقناعيا لدى السامع ، بمعرفته المسبقة لطبيعة هذه الصيغة التمثيلية.

__ ويقول الهمذاني في المقامة الجاحظية : " وَتَحْوُلُ فِي الْقَصْعَةِ، كَالرُّخِ فِي الرُّقْعَةِ، يَزْحَمُ بِاللُّقْمَةِ اللُّقْمَةَ"⁴.

مثل الكاتب يد ذلك الرجل في تناوله الأكل بذهابه و مجيئه بالإمكانية التي تسمح للرخ بالتحرك في رقعة الشطرنج في كل اتجاه. وهو أسلوب حجاجي استند إلى المعرفة السابقة لوظيفة عنصر الرخ في هذه اللعبة حيث يتحرك يمينا وشمالا، وفي الأمام أو الخلف دون مراعاة لمن يعترض طريقه، وهي نفس الحال التي عليها يد هذا الرجل.

__ وفي المقامة المكفوفية : " وَسَرَّحْتُ الطَّرْفَ مِنْهُ إِلَى حُرْقَةٍ كَالْقَرْنِيِّ أَعْمَى مَكْفُوفٍ"⁵.

¹ أبو تمام : الديوان ، شرح محي الدين صبحي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 2008، ج1، ص215.

² المقامة الأرمنية : ص214.

³ عنتره : الديوان، دار صادر، بيروت، دط، دت ، ص 142.

⁴ المقامة الجاحظية : ص88.

⁵ المقامة المكفوفية : ص93.

فقد شبه الهمداني مشية الرجل الحزقة بمشية القرني، وهي دودية على هيئة الخنفس منقطة الظهر، وهي مشية بطيئة ضعيفة ، وقد يكون التمثيل به في نفور النفس من شكل هذا القزحة، كما ينفر من شكل القرني.

— وجاء في المقامة الموصلية : " وقام للركعة الأولى فانتصب انتصاب الجذع"¹.

مثل حال أبي الفتح الإسكندري في قيامه للصلاة محافظاً على الاعتدال في القيام ثابتاً ثبوت الجذع في الأرض والجذع يضرب به المثل في الاستقامة؛ لأنها ألزم له من بين الأشجار، ثم له جذور ضاربة في الأرض.

وقد جاء هذا التصوير بأسلوب حجاجي اعتمد على القيمة الدينية للاعتدال في نفوس المصلين ورمزيتها في الثبات وتأکید الخشوع و الاستقامة في الدين كاستقامة الجذع ومثانته، مما يوحي للمشاهد أو السامع الهيبة والتسليم، ومن ثم يبلغ الإقتناع أعلى مراتبه.

— ويقول الهمداني في المقامة الصيمرية : " أترددُ على الشطِّ، كَأني راعي البَطِّ، أمشي وأنا حافي، وأتبعُ الفيافي، عيني سخيئةٌ، ونفسي رهينةٌ، كَأني مجنونٌ قد أفلتَ من دَيْرٍ"².

ويقال فلان عينه سخيئة : إذا كان حزينا مهموما ، ولمن أراد أن يدعو على شخص يقال : أسخن الله عينه كما يقال: أقر الله عينه. وفي هذا يقول أبو نواس:

" يَا شَاغِلِي بِهَوَاهُ مُدُّ بُلَيْتُ بِهِ أَسَخَنْتَ عَيْنِي أَقْرَ اللَّهُ عَيْنَاكَ"³

— وجاء في المقامة الحمدانية : " وهو في طمرين، قد أكل الدهرُ عليهما و شربَ"⁴.

فقول الهمداني (قد أكل الدهر عليهما و شرب) ، من أقوال العرب وأمثالهم إذا طال عمر الرجل أن يقولوا: لقد أكل الدهر عليهما و شرب، إنما يريدون إنه أكل هو وشرب، دهرًا طويلاً، وهنا المعنى أن الطمرين قد عاشا دهرًا طويلاً، فما بقي لهما على جسده إلا أثرهما ، أو ما بقي منهما.

¹ المقامة الموصلية : ص120.

² المقامة الصيمرية : ص ص: 239-240.

³ أبو نواس: الديوان، دار بيروت للطباعة و النشر، لبنان دط ، 1978، ص474.

⁴ المقامة الحمدانية : ص 175.

وقد استعمل التركيب كتمثيل لطول الزمان عليهما في الابتذال و الامتهان، في قالب مثل مشهور تداولته العرب قديما، ومما زاد في قوته الحجاجية، إحالته إلى المأخذ الذي نشأ فيه هذا التركيب، قول النابغة الجعدي:

" سَأَلْتَنِي عَنْ أَنْاسٍ هَلَكُوا شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلَ " ¹.

— يقول الهمداني في المقامة الحلوانية: " فَجَاءَنِي بِرَجُلٍ لَطِيفِ الْبَنِيَّةِ، مَلِيحِ الْحَلِيَّةِ، فِي صُورَةِ الدُّمِيَّةِ " ². وهنا تمثيل ملاحه و حسن هذا الرجل بالدمية؛ و الدمية يضرب بها المثل في الحسن؛ لأن مصورها و ناقشها يفرغ و سعه في إبداعها أحسن ما يتصوره من لوازم الحسن و متمماته إظهارا للبراعة في فنه ³، وكذلك تشبه بها الغيد الحسان.

3.5 صور التمثيل:

1.3.5 الاستعارة :

— يقول الهمداني في المقامة الشيرازية: " وَضَرَبَ الدَّهْرُ بِنَا ضُرُوبَهُ ... وَانْتَرَفَ مَاءَهُ الدَّهْرُ " ⁴. فقد شبه الدهر بالإنسان، و لم يذكره وإنما ذكر لازمة من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، وذلك يقال في العبارة (وَانْتَرَفَ مَاءَهُ الدَّهْرُ) أنها حققت وظيفة حجاجية في الإشارة من انتزف الدهر ماءه فيذبل و يبس و يقرب إلى الفناء ، و المقصود هنا ماء الشباب و الفتوة كماء العود وهو أخضر ناضر فإذا جف عنه الماء و نقص يؤول إلى اليبس و تذهب نضرتة، وقد أكد الهمداني هذا البعد مستعملا أسلوب التقديم و التأخير حيث قدم المفعول به و آخر الفاعل، وهذا أسلوب حجاجي آخر الغاية منه لفت انتباه السامع و تقريب الصورة، و كأن في هذا التقديم و التقريب، انصراف ذهن المتلقي إلى من وقع عليه الفعل أكثر مما يتوجه إلى من قام بالفعل فيكون في تناول هذا التركيب بهذا الأسلوب تهيولا و تعظيما لصروف الدهر و تأثيره.

— ويقول في المقامة القرديّة: " إِذِ انْتَهَيْتُ إِلَى حَلَقَةِ رِجَالٍ مُزْدَحِمِينَ يَلُوي الطَّرْبُ أَعْنَاقَهُمْ، وَيَشَقُّ الضَّحِكُ أَشْدَاقَهُمْ، فَسَاقَنِي الحِرْصُ إِلَى مَا سَاقَهُمْ، حَتَّى وَقَفْتُ بِمَسْمَعِ صَوْتِ رَجُلٍ دُونَ مَرَأَى وَجْهِهِ لِشِدَّةِ الهَجْمَةِ

¹ ابن رشيق: العمدة، ج1، ص 269.

² المقامة الحلوانية: ص 199.

³ شرح مقامات الهمداني: ص 199.

⁴ المقامة الشيرازية: ص 194.

وَفَرَطِ الزَّحْمَةِ " ¹. ففي (قوله يلوي الطرب أعناقهم) صورة بيانية، فالطرب أخذ منهم حتى إنه يميل أعناقهم من جانب إلى جانب، كالإنسان الذي يلوي الأعناق، وهنا استعارة مكنية، وكناية عن شدة الطرب، ثم أعقب بعد ذلك باستعارة جميلة إذ الضحك صار قادرا على أن يعمل و يشق كالبشر. وفي قوله (فساقني الحرص إلى ما ساقهم) أي اندفعت مثلهم وطلبت الوقوف حيث وقفوا لأشاهد المنظر وما يقوم به القراد، وطبيعي أن الحرص لا يسوق، وإنما جعله كذلك على سبيل الاستعارة المكنية، ليزيد في قوة الأسلوب الحجاجي بتوالي تلك الاستعارات المكنية وكأنه يرى المشهد رأي العين من خلال هذا النقل الجيد وهذا التصوير البديع، فيكون السامع عنصرا وطرفا مشاركا في جمالية هذه الصورة الفنية بالتفاعل الذي تحدثه في نفسه .

—ومما جاء في المقامة السودية : "وَيُنشِدُ شِعْرًا يَقْتَضِيهِ حَالُهُ، وَلَا يَقْتَضِيهِ ارْتِحَالُهُ، وَأَبْعَدْتُ أَنْ يُلْحِمَ نَسِيحَهُ" ².

ففي العبارة (وَأَبْعَدْتُ أَنْ يُلْحِمَ نَسِيحَهُ) يقصد أن ابن هشام أبعد أن يكون الفتي هو ناسج ذلك الشعر ومؤلفه، وقد شبه الهمذاني الشعر بالثوب في التحام أجزائه وتناسبها وتأليفه، على سبيل الاستعارة المكنية. —ومما ذكره في المقامة الأزادية قوله :

" يَهْدِي إِلَيْنَا قَدَمَ التَّوْفِيقِ يُنْقِذُ عَيْشِي مِنْ يَدِ التَّرْنِيقِ " ³.

والمعنى المقصود من البيت أن ذلك الفتي يهدي إلي قدمه لينقذ عيشي من الترنيق أي من التكدير وضعف الأمر، وفي التعبيرين (قدم التوفيق) و (يد الترنيق)، استعارتان مكنيتان.

—ومما ذكره في المقامة القريضية قوله : " فاستظهرت على الأيام بضياح أجلت فيها يد العمارة، وأموالٍ وفتتها على التجارة " ⁴.

فابن هشام قد استعان على حوادث الأيام بضياح أعمالها و أصلح الفاسد منها بتقويتها واجتلاب المياه إليها وتنقيتها من كل ما يضر لتعمر بعد ذلك، فقد شبه العمارة بالإنسان، وحذف المشبه به ورمز إليه

¹ المقامة القردية : ص113.

² المقامة السودية : ص159.

³ المقامة الأزادية: ص 14.

⁴ المقامة القريضية : ص07.

بشيء من لوازمه وهو اليد على سبيل الاستعارة المكنية، ليحقق الغاية الحجاجية من طرف الدعوى المقدمة وذلك من خلال الربط بين اليد و العمارة، أي بين الحركة والإعمال من ناحية، وما تثمره هذه الحركة من خير ورزق من ناحية أخرى.

-وفي نفس المقامة يقول: " حَتَّى إِذَا مَالَ بَتَا الْكَلَامِ مَيْلُهُ، وَجَرَ الْجِدَالَ فِينَا ذَيْلُهُ " ¹. ففي العبارة (حتى إذا مال بتا الكلام ميله)، يقصد عيسى بن هشام أن الكلام اندفع بهم و انحدر في أبواب المعاني انحداره المعروف عند أهله فيكاد يغلبهم على ما لا يقصدون الخوض فيه، فقد شبه الكلام بالإنسان الذي يستطيع أن يميل وينحدر، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، في أسلوب المفعول المطلق، ليضيف إلى الوظيفة الحجاجية الأولى بعدها التوكيدي الإقناعي.

-ويقول في المقامة البصرية: " وَنَشَزْتُ عَلَيْنَا الْبَيْضُ، وَشَمَسَتْ مِنَّا الصُّفْرُ، وَأَكَلَتْنَا السُّودُ، وَحَطَمَتْنَا الْحُمْرُ " ².

فقد شبه البديع الدراهم من الفضة التي استعصت عليهم فلا تصل إلى أيديهم ونفورها منهم بالمرأة التي تتعذر على زوجها وتستعصي عليه، فحذف المشبه به وهو المرأة ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو النشور على سبيل الاستعارة المكنية.

ونفس الشيء يقال في قوله (شمتت منا الصففر)، فقد شبه البديع الدنانير الصفراء من الذهب في عدم إقبالها عليهم بالدابة الراححة الشموس التي تمنع ظهرها من الركوب فكلما طلب منها لم تجبه مطلوبه، فحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

— ويقول في المقامة الأسدية: " وَأَخَذْنَا الطَّرِيقَ نَنْتَهَبُ مَسَافَتَهُ، وَنَسْتَأْصِلُ شَأْفَتَهُ " ³.

فقد شبه البديع مسافة الطريق بالمال المعرض للزوال عن طريق الانتهاب الذي يتم عادة بسرعة خاطفة، فإذا أسرعوا فيها فكأنهم ينتهبون أجزائها ويسرعون في أفنائها كما يفعل نهبه الأموال في تبديدها، وكلما تركوا منها مقدارا فكانه فيني وعدم.

كما أن إضافة الشأفة إلى الطريق، من باب إضافة المشبه به إلى المشبه، فقد شبه مشاق الطريق وأهواله، وما ينشأ عنه للقدم من تورم و انتفاخ، بالقرحة التي تعرض للقدم.

¹ المقامة القرظية: ص 07.

² المقامة البصرية: ص 77.

³ المقامة الأسدية: ص 36.

وقد أشار عبد المالك مرتاض عند تحليله لهذه الصورة الاستعارية إلى أن غرض الكاتب من تشبيهه عناء الطريق بالشأفة التي تعرض في القدم يتمثل في شيئين اثنين¹ :

أحدهما : التهويل والتبشيع بمخاطر السفر وشروره ، كما الحال في مرض الشأفة ومخاطرها. ثانيهما : أن تشبيه مسافة الطريق بالشأفة ، تشبيه مقصود للعلاقة التي تربط القدم بالطريق مما تسببه هذه الأخيرة من قرحة وجروح أسفل القدم إذا طال المشي والسير عليها. — ونجد في المقامة الملوكية، زعم عيسى بن هشام أن سيف الدولة ممن يخلو فيهم المدح، فأنكر عليه الإسكندري، وأنشأ يقول :

" يا سارياً بنجوم الليل يمدحها
ولو رأى الشمس لم يعرف لها خطراً

و واصفاً للسواقي هبك لم تزر ال بحر المحيط ألم تعرف له خـ
ومن أبصر الدر لم يعدل به حجرا ومن رأى خلفاً لم يذكر البـ شراً " ².

فقد جاء بديع الزمان باستعارات متتالية، حيث شبه سيف الدولة بنجوم الليل، وخلفا بالشمس. والشمس بضيائها ونورها لا تقارن معها أضواء النجوم الخافتة، كما تنعدم المقارنة بين السواقي المشبه بها سيف الدولة والمحيط المشبهه به خلفا لكرمه وجوده وسعة حلمه، وعرض ثرائه، وهي كلها استعارات تصريحية ظاهرة.

أمّا في البيت الأخير فقد شبه البديع خلفا بالدرّ النفيس، فحذف المشبه واستعار له المشبه به ليقوم مقامه بادعاء أن المشبه هو عين المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

2.3.5 التشبيه:

– يقول الهمذاني في المقامة الأسدية : " في صُحْبَةِ أَفْرَادِ كُنُجُومِ اللَّيْلِ " ³ ، فقد شبه الهمذاني الأفراد وهم محسوسون ملمسون، بنجوم الليل، وهي مرئية ترى بالعين المجدة.

¹ عبد المالك مرتاض : فن المقامات في الأدب العربي ، ص 105.

² المقامة الملوكية : ص 258.

³ المقامة الأسدية : ص 36.

- ويقول في نفس المقامة: " ، وَلَمْ نَزَلْ نَفْرِي أَسْنِمَةَ النَّجَادِ بَيْتَكَ الْجِيَادِ، حَتَّى صِرْنَا كَالْعِصِيِّ،
وَرَجَعْنَا كَالْقِسِيِّ، وَتَاخَ لَنَا وَادٍ فِي سَفْحِ جَبَلٍ ذِي أَلَاءٍ وَأُتْلٍ، كَالْعَدَارَى يُسْرِحْنَ الضَّفَائِرَ،
وَيَنْشُرْنَ الْعَدَائِرَ وَمَالَتِ الْمَاهِجِرَةُ بِنَا إِلَيْهَا"¹.

فقد شبه الجياد بالعصي في الدقة والضمور لفرط السفر الشاق المتواصل بلا انقطاع ولا فتور، ولم يكفها ذلك إلى أن أصبحت العصي في حالة تقوس وانحناء نتيجة هذا السفر الشاق المتواصل ، ثم يستمر الكاتب في توالي التشبيهات للسيطرة على المتلقي واستمراره في التدقيق لفهم طبيعة هذا النوع من الأسفار، فيشبه له ظهور أشجار الآلاء والأتل المخضرة المورقة، بالعداري الجميلات وهن يسرحن شعورهن الطويلة المرسلة.

-ويقول في المقامة البغدادية: " فَأَنْحَى الشَّوَاءَ بِسَاطُورِهِ، عَلَى زُبْدَةٍ تُنَوِّرُهُ، فَجَعَلَهَا كَالْكَحْلِ سَحْفًا
وَكَالطَّحْنِ دَقًّا"². فقد شبه البديع الزبدة في رقتها وذوبانها على التنور بالكحل في سحقته، وبالطحن في دقته.

-وفي المقامة المضيرية: "أَنْظُرْ هَذَا الشَّبَّهَ كَأَنَّهُ جَذْوَةٌ اللَّهَبِ أَوْ قِطْعَةٌ مِنَ الذَّهَبِ"³ ، فقد شبه البديع النحاس في اصفراره و بريقه، وهي صورة محسوسة مرئية، بجذوة اللهب أو قطعة من الذهب، وفي كل لمعان ونور.

-وقوله في نفس المقامة: " أَرْسِلِ الْمَاءَ يَا غُلَامُ، فَقَدْ حَانَ وَقْتُ الطَّعَامِ، بِاللَّهِ تَرَى هَذَا الْمَاءَ مَا أَصْفَاهُ أَزْرَقُ
كَعَيْنِ السَّنُورِ، وَصَافٍ كَقَضِيبِ الْبَلُورِ، اسْتَقَى مِنَ الْفُرَاتِ، وَاسْتَعْمَلَ بَعْدَ الْبَيَاتِ"⁴.

فالتشبيهات هنا مادية ، فقد شبه زرقاء الماء بعين القط، وصفاءه بصفاء البلور، وكان لهذا التاجر عناية باختيار الماء حتى أنه ليعتد السفار لاستقائه من الفرات، كحجج مبنية على آلية التشبيه، ثم أعقب بعد ذلك حديثه عن الزيادة في صفاء الماء بأنه استعمل بعد البيات فإن كان فيه عكر رسب وخلص الماء منه، وهي حجة أخرى تملك من التأثير و القوة ما لا يستطيع المتلقي حين يسمعها مع تلك الأوصاف إلا الإقتناع بحسن وجودة الماء المقدم من قبل التاجر.

¹ المقامة الأسدية : ص36.

² المقامة البغدادية : ص73.

³ المقامة المضيرية : ص131.

⁴ المقامة المضيرية : ص 132.

-يقول البديع في المقامة الفزارية: " كَابِنِ حُرَّةٍ طَلَعَ عَلَيَّ بِالْأَمْسِ، طُلُوعَ الشَّمْسِ " ¹.

فقد شبه الهمذاني ظهور ذلك الكريم الذي عبر عنه بـابن الحرّة إشارة لطيب منبته، بظهور الشمس وطلوعها عليه بعد كل ظلمة حالكة وسواد الليل، فقد كان لظهوره انفراج هم ، وسعة من ضيق ، ونور بعد ظلام دامس من الشدة و المحنة. وقد حاكى الهمذاني هذه الحال بصورة بيانية بديعة في أسلوب حجاجي بليغ .

-ويقول في المقامة القزوينية: " تَسِيحُ فِي الرِّضْرَاضِ، سَيِّحَ النَّضْنَضِ " ².

فقد شبه ماء العين يجري على الحصباء جري الحية التي لا تستقر في مكان، وقد قدمها الهمذاني في أسلوب حجاجي بديع مستعملا التأكيد بالمفعول المطلق من ناحية، وأسلوب الجناس و السجع مما أضفى على

التركيب بعدا إيقاعيا حجاجيا، له التأثير القوي والوقع الخلاب في نفس السامع.

-ويقول في المقامة القرديّة: " فَرَقَصْتُ رَقْصَ الحَرَجِّ، وَسِرْتُ سَيْرَ الأَعْرَجِ " ³.

فقد جعل رقص عيسى بن هشام في نزواته و وثباته في الإسراع إلى مكان منه القرداء وقرده، فهو يثب هنا وهناك كالكلب المحرّج؛ أي الكلب المقلد بالخرج وهو الودع ، وهنا صورة تشبيهية بديعة لرجل يحاول أن يظل على المشهد من خلال الزحام.

-ويقول في المقامة السجستانية: " وَمِنْ قِلَادَةِ السُّوقِ إِلَى وَاسِطَتِهَا، حَرَقَ سَمْعِي صَوْتٌ لَهُ مِنْ كُلِّ عِرْقٍ مَعْنَى، فَأَنْتَحَيْتُ وَقَدُهُ حَتَّى وَقَفْتُ عِنْدَهُ، فَإِذَا رَجُلٌ عَلَى فَرَسِهِ، مُخْتَنِقٌ " ⁴.

فقد شبه بديع الزمان السوق بالقلادة، وهو تشبيه بليغ، حيث الصورة تعزز المعنى لأنّ السوق في تلك الأيام حوانيت مصطفة يتوسطها ساحة يجول فيها طلاب الحاجات و الباعة، فكانت على ساحاتها أشبه بالقلادة على العنق و واسطتها ما يستقبل الآتي من أول السوق ذاهبا إلى آخرها.

-ويقول في نفس المقامة: " وَالْآنَ لَمَّا أَسْفَرَ صُبْحُ المَشْيِبِ، وَعَلَّثْنِي أُبْهُةُ الكَبِيرِ، عَمَدْتُ لِإِصْلَاحِ أَمْرِ المَعَادِ، بِإِعْدَادِ الزَّادِ، فَلَمَّ أَرَّ طَرِيقًا أَهْدَى إِلَى الرِّشَادِ مِمَّا أَنَا سَالِكُهُ " ⁵.

¹ المقامة الفزارية: ص83.

² المقامة القزوينية: ص102.

³ المقامة القرديّة: ص113.

⁴ المقامة السجستانية: ص23.

⁵ المقامة السجستانية: ص26.

وهنا تشبيهه بليغ، فكأنه يريد أن يقول إن شبيهه كالصبح عندما يظهر والتشبيه به لأنه " بياض نهار في سواد ليل، كما أن المشيب أول ما يلوح بياض شعر في سواده ثم لا يلبث أن يجلل الرأس بياضه كما يسطع في الآفاق بياض النهار"¹.

-ويقول في المقامة البلخية: " حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: نَهَضْتُ بِي إِلَى بَلْخِ تِجَارَةَ الْبَزِّ فَوَرَدْتُمَا وَأَنَا بِعُذْرَةِ الشَّبَابِ وَبَالِ الْفَرَاغِ وَحِلْيَةِ الثَّرْوَةِ"².

ففي العبارة (حلية الثروة) تشبيه بليغ، فالأصل فيها كالحلية و إضافة الحلية من باب إضافة المشبه به إلى المشبه فإن الثروة شبيهة بالحلية، فكل منهما يكسب صاحبه بهاء.

3.3.5 الكناية :

الكتابة في دلالتها اللغوية من تكتي ؛ أي تستر من كنى عنه إذا ورى أو من الكنية³ ، وقد استعمل ابن منظور كلمة (ورى) التي لا تعني وقوع تحول في دلالة الاسم بقدر ما تعني ترك التصريح بالاسم إلى ما يعادله دلالة ومعنى، وبهذا يكون مصطلح الكناية يدل على التستر والإخفاء ؛ أي إخفاء الاسم الصريح لإحلال الكنية مكانه.

أما الكناية في البلاغة العربية القديمة ؛ هي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى، وقد أطلق عليها قدامة بن جعفر لفظ (الإرداف)، ويعرفه بقوله: " هو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني، فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له، فإذا دلّ على التابع أبان عن المتبوع بمتزلة قول الشاعر:

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل أبوها وإما عبد شمس فهاشم

وإنما أراد الشاعر أن يصف طول الجيد فلم يذكره بلفظه الخاص به، بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد، وهو بعد مهوى القرط"⁴.

¹ شرح المقامة السجستانية : ص 26.

² المقامة البلخية : ص 17.

³ ابن منظور: لسان العرب ، ج 5 ، ص 3944.

⁴ قدامة بن جعفر : نقد الشعر، ترجمة محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ط1، 1978، ص- ص: 157-158.

أما عبد القادر الجرجاني فيوضح الكناية بقوله : " المراد بالكناية هنا ، أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى المعنى، هو تاليه وردفه في الوجود، فيومىء به ويجعله دليلا عليه، مثال ذلك قولهم (هو طويل النجاد)؛ يريدون طويل القامة، و(كثير رماد القدر)؛ يعنون كثير القرى، وفي المرأة (نؤوم الضحى) والمراد أنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها، فقد أرادوا في هذا كله كما ترى معنى، لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر، من شأنه أن يردفه في الوجود...

أفلا ترى أن القامة إذا طالت، طال النجاد؟ وإذا كثر القرى كثر رماد القدر؟، وإذا كانت المرأة مترفة، لها من يكفيها أمرها، ردف ذلك أن تنام الضحى¹.

ويقول أيضا في موضع آخر : " الكلام على ضربين : ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت: (خرج زيد)...وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل..."².

ويرى ابن الأثير أن في الكناية معنيين : أحدهما مستور، والآخر واضح و" المستور فيها هو المجاز ، لأن الحقيقة تفهم أولا، ويتسارع الفهم إليها قبل المجاز، لأن دلالة اللفظ عليها دلالة وضعية، وأما المجاز؛ فإنه يفهم منه بعد فهم الحقيقة، وإنما يفهم بالنظر والفكرة ، ولهذا يحتاج إلى دليل، لأنه عدول عن ظاهر اللفظ، فالحقيقة أظهر، والمجاز أخفى، وهو مستور بالحقيقة ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [سورة النساء، الآية 43] فإن الفهم يتسارع فيه إلى الحقيقة، التي هي مصافحة الجسد للجسد، وأما المجاز الذي هو الجماع، فإنه يفهم بالنظر والفكر، ويحتاج الذهاب إليه إلى دليل، لأنه عدول عن ظاهر اللفظ"³.

ومبنى الكناية يقوم على قاعدة التلازم أي الانتقال من اللازم إلى الملزوم ، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم م، كما أشار إلى ذلك السكاكي في تعريفه للكناية " هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى

¹ عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص 92.

² المرجع نفسه: ص 219.

³ ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص184.

ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك كما تقول فلان طويل النجاد، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو طول القامة"¹.

لازم نؤوم الضحى (مدلول 1)

مترفة

مخدومة

ملزوم مكفية (مدلول 2)

فالكناية عند السكاكي لم تعد تدل على الاستعمال المجازي فقط، بل يجوز حمله على كليهما معا، فإذا قلنا (نؤوم الضحى) يدل ذلك باعتباره تجوزا على أهما (امرأة مخدومة)، كما أنه يدل باعتباره مستعملا على الحقيقة على أن هذه المرأة تتأخر في نومها حتى وقت الضحى.

ونجد من بين التعريفات الغربية التي تناولت مبحث الكناية في الدراسات المعاصرة، تعريف **تودوروف**، معرفا إياها بقوله: " استعمال كلمة للدلالة على شيء أو صفة يكون بينها وبين مرجع تلك الكلمة الاعتيادية علاقة في الوجود "². وهي عند **جورج لايكوف**: " أن نستعمل كيانا معينا للإحالة على كيان آخر مرتبط به "³، وهي عند **نيروب**: " أنها انتقال من تمثيل إلى تمثيل آخر يرتبط محتواه بعلاقة تجاوز مع التمثيل المعطى"⁴.

أما أوليفي روبول فيعرفها بقوله: " أن تسمى شيئا آخر مجاورا للاسم الأول "⁵.

¹ السكاكي: مفتاح العلوم، ضبط و تعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، سنة 1987، ص 402..

² Todorov Ducrot ; Dictionnaire encyclopédique du sciences des langages ; éditions du seuil ; 1972 ;p 354

³ جورج لايكوف ومارك جونسن : الاستعارات التي نحيا بها، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط02، 2009 ص 55.

⁴ فرانسو مورو: البلاغة مدخل لدراسة الصور البيانية، ترجمة محمد الولي و عائشة جرير، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، دط ، 2003، ص162.

⁵ Oliver Reboul :Introduction à la rhétorique ; 1 éd ; presses universitaires de France ; paris :1991 ; p128 :

وتكمن قيمة الكناية الأسلوبية أنها أبلغ من الإفصاح، وأنها تختصر المسافات، وتقوم بالوظائف عينها التي تقوم بها الاستعارة من حركة و تجسيد، وأنسنة، وإيحاء، و" هي رغم ما قيل عنها أحد أعمدة الكلام، بما تزين ضروبه، وتكثر أوجه الدلالية عليه"¹.

يقول الهمذاني المقامة البصرية: " وانتابت أبو مالك، فما يلقانا أبو جابر إلا عن عقر"². فقد كتني البديع عن الشيخوخة بأبي مالك، والمقصود به الكبار، أصحاب الفاقات وأهل الضراء يسرع فيهم ضعف الأبدان فيعجل إليهم الهرم، وبأبي جابر عن الخبز لأنه يجبر ما كسره الجوع، ويريد أن الخبز لا يلقاهم إلا بعد أن أوغل فيهم الضعف، وإذا نالوه لا يفيدهم أكله لاشتداد الضعف فيهم. ويروى عن فعر بضم العين بعد فاء، ومعناها الحين أو الشهر أي لا يلقاهم الخبز إلا عن حين أو شهر يمضي.

— ويقول في المقامة الأسدية: " فقلنا مالك لا أبا لك؟ فقال: أنا عبدُ بعض الملوك هم من قتلني بهم"³. فالتركيب (مالك لا أبا لك؟)، التي أوردتها الهمذاني تعبير كنائي يفيد المدح، أو الذم على حسب السياق، فالمدح على أن المخاطب لا نظير له، إذ لو كان له أب لكان له أخ يماثله، والذم على معنى نفى نسبه، وجهالته، فهو إذن خسيس دنيء لا شرف له ولا فضل، فهو هنا استفهام لما عرض له من محاسن هذا الفارس، قد أذى وظيفة حجاجية مؤدّاها أن التركيب (لا أبا لك؟) دعاء بفقد الأب أخرج مخرج التعجب من المدعو عليه في قالب الحسن و الافتتان به.

— ومما جاء في المقامة الفزارية: " فبيننا أنا في ليلة يضل فيها الغطاء، ولا يبصر فيها الوطواط، أسبح سباحاً ولا سانح إلا السبع، ولا بارح إلا الضبع"⁴.

وهنا تعبير كنائي عن الليلة المظلمة، إذ لشدتها يضل القطا المعروف بالهداية، ولا يبصر الوطواط في ليلة، كانت من الظلام بسواد لا مسرب للضياء فيه بالمرّة، ولم يكن حالها من حال سائر الليالي في شيء، وهي حجة ثانية ليؤكد بها الهمذاني عظيم تصوره حول هذه الليلة الحالكة الشديدة الظلمة.

¹ كمال الزماني: حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي: ص 58.

² المقامة البصرية: ص 77.

³ المقامة الأسدية: ص 40.

⁴ المقامة الفزارية: ص 81-82.

— و السانح في قوله : " ولا سانح إلا السبع، ولا بارح إلا الضبع " ¹، هو الذي يمرّ عن يمينك، والبارح الذي يمرّ عن يسارك من وحش و طير و ظي، والعرب تختلف فيه، فمنهم من يتيمن بالسانح، ومنهم من يتطير به و كذلك يفعلون مع البارح، وقد أدى هذا التعبير بعدا حجاجيا في وصف الطريق بأنها مخوفة حتى أن السائر فيها لا يجد من الحيوان سانحا ولا بارحا إلا المفترسة من سبع وضع، يدرك من خلاله المتلقي وحشة و خطر السفر وعظمة الأهوال التي يلقاها السائر فيه.

— ويقول في المقامة الحرزية : " وَطَوَيْنَاهَا لَيْلَةً نَابِغِيَّةً، وَأَصْبَحْنَا نَتْبَاكِي وَتَشَاكِي، وَفِينَا رَجُلٌ لَا يَخْضَلُ جَفْنُهُ وَلَا تَبْتَلُ عَيْنُهُ، رَاحِي الصَّدْرِ مُنْشَرِحُهُ، نَشِيْطُ القَلْبِ فَرِيْحُهُ، فَعَجِبْنَا وَاللَّهِ كُلَّ العَجَبِ " ².
واللييلة النابغية كناية عن طول الليل ومعاناته، وهي المشار إليها في قوله :

" كَلَيْنِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ ناصِبٍ و ليلٍ أُقاسِيه بَطِيءِ الكَوَاكِبِ
تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَصٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النَّجْمَ بِأَيْبٍ " ³

ففي التركيب إحالة إلى ما كان يقاسيه النابغة من همّ و نصب و طول سهر في ليلته تلك، حيث يطول فيها ليل حتى كأنه لا ينقضي، و كل من ادهمت به الخطوب و أثقلت كاهله الأحران.
وقد كتني الهمداني بالرجل الذي لا يخضل جفنه ؛ أي لا يندى جفنه بالدموع، عن عدم البكاء.
وفي المعنى أيضا إحالة إلى القول الشعري والاستشهاد به ليثبت البديع جملة من الأبعاد الحجاجية في سلسلة متوالية من الكنايات أكسبت البنية التركيبية المستعملة مؤثرات إقناعية من شأنها أن تدفع السامع إلى التسليم والافتناع لما عرض له.

— وقول في المقامة الأهوازية : " كُنْتُ بِالْأَهْوَازِ، فِي رُفْقَةٍ مَتَى مَا تَرَقَّ العَيْنُ فِيهِمْ تَسَهَّلٌ " ⁴.
ترقّ: فعل مضارع من الخماسي (تترقى) حذف تاء المضارع للتخفيف وألف العلة لأنّ الفعل مجزوم بحرف الشرط متى، وتسهّل: أي من الأرض، والمقصود أنّ هؤلاء الرفقة في براعة جماهم وجهاز هيتهم لا تصعد العين فيهم بالتظر إلاّ وتنحط عنهم غاضّة مما يصيبها من البهر.

¹ المقامة الفزارية : ص82.

² المقامة الحرزية : ص138.

³ النابغة : الديوان ، دار صادر، بيروت ، لبنان ، ط3، 2001، ص 9.

⁴ المقامة الأهوازية : ص67.

وقد قدم البديع هؤلاء الناس بصورة بديعة، في حجاج إيقاعي عبر أسلوب من البديع القائم على المطابقة بين (ترقّ و تسهّل)، وعبر حجاجية الكناية أيضا.

— وفي المقامة السوديّة: " يَا فَتَى الْعَرَبِ أَتُرَوِي هَذَا الشُّعْرَ أَمْ تَعَزِّمُهُ؟ فَقَالَ: بَلْ أَعَزِّمُهُ، وَأَنْشَدَ يَقُولُ:

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ صَغِيرَ السِّنِّ وَوَكَانَ فِي الْعَيْنِ نُبُوٌّ عَنِّي
فَإِنَّ شَيْطَانِي أَمِيرُ الْجِنِّ يَذْهَبُ بِي فِي الشُّعْرِ كُلِّ فَنٍّ¹.

و المقصود بقوله: (أتروي هذا الشعر أم تعزمه؟): هل حفظت الشعر عن غيرك أم أصدرته عن قوّة إرادتك واندفاع قريحتك إليك، وهي كناية مدهشة تعبر عن شدّة تعجب القوم من قوّة ارتجال الفتى في الكلام، فهو أعلى وأكبر من الملكة التي يمكن أن تكون مثله ممن على سنّه، وهي حجة قوية أردفها بتأكيد ذلك كحجة ثانية في معناها بقوله (فَإِنَّ شَيْطَانِي أَمِيرُ الْجِنِّ يَذْهَبُ بِي فِي الشُّعْرِ كُلِّ فَنٍّ)؛ أي أن الفتى يزعم أن شيطانه ليس من أفراد الشياطين، بل هو أمير الجنّ وصاحب السّلطة فيهم، فهو أوسعهم اقتدارا لهذا يصرفه و يذهب به على صغر سنّه في كلّ فنون الشعر، مستشهدا وممثلا هذه الدّلالة في قالب شعري، مما يزيد في حجّية الدّعوى المقدّمة.

— ويقول أيضا في نفس المقامة:

" وَأَبْيَضَ وَضَّاحِ الْجَبِينِ إِذَا انْتَمَى تَلَاقِي إِلَيَّ عَيْصِ أَعْرَ يَمَانِي².

فقوله (أبيض وضّاح الجبين)، كناية عن نقاء العرض و النّظافة من دنس اللّؤم، المعروف بالمكارم نقي النّفس من دون المآثم.

— ويقول فيها أيضا:

" حَتَّى كَسَانِي جَابِرًا خَلَّتِي وَمَاجِيًا بَيْنَ آثَارِهَا³

ففي البيت كناية عن العطاء و المساعدة ماحيا و مزيلا كلّ آثار الفقر والحاجة الظاهرة.

— وفيها أيضا: " ثُمَّ عِشْنَا زَمَانًا فِي ذَلِكَ الْجَنَابِ حَتَّى أَمِنَّا، فَرَأَحَ مُشْرِقًا وَرُحْتَ مُعْرَبًا⁴.

¹ المقامة السوديّة: ص 159-160.

² المقامة السوديّة: ص 161.

³ المقامة السوديّة: ص 162.

⁴ المقامة السوديّة: ص 163.

يريد بقوله تفارقنا فأنا إلى وطني وهو إلى حيث يجد صيدا، وقد أتى التعبير في أسلوب حجاجي قوامه الكناية عن الفراق، كما جاءت الصياغة رائعة في جانبها الإيقاعي المتمثل في الطباق بين (مشرقا و مغربا) كحجة مدعمة لحجة الكناية، للتأثير في السامع وجلب انتباهه.

6. الاستدلال:

1.6 الطبيعة الاستدلالية للصورة البيانية:

اكتست الصورة في الدراسات البلاغية أهمية كبيرة بتصدرها كل أنماط الكلام ، وامتلاكها لكل الأصناف التعبيرية التي يلجأ إليها المتكلم، وذلك لكونها تحمل شحنة و طاقة إضافية تجعلها قادرة على إصابة الاقتناع و التأثير من العقل والقلب معا، حيث يكتفي المتكلم بالشكل الضمني الذي يزيد من طاقة الصورة وقوتها الإيحائية، ويعدل عن الشكل الصريح الذي يهدد بشكل قاطع قدرة الصورة على الفعل و التأثير¹. وانطلاقا من هذه القيمة، فقد عمل النقاد البلاغيون قديما و حديثا على إيجاد بعض الآليات شبه المنطقية التي يمكن أن تبرز بشكل عملي الأسباب الثاوية وراء القوة الحجاجية للصورة ، فتوصلوا إلى جملة من الآليات²، ونذكر من بين هذه الآليات: آلية الاستدلال.

من المتعارف عليه أن مفهوم الاستدلال يرتبط أكثر بمجال المنطق، وهو عند أرسطو تفكير عقلي بواسطته يتم إنتاج العلم ، انطلاقا من معارف سابقة أهمها المبادئ والتعريفات و المسلمات، " وبهذا الصدد اهتم أرسطو بأكثر صور الاستدلال أهمية وعي الصور القياسية، ومن ثم يصح الحديث عن الاستدلال القياسي الذي يُعرّف عند أرسطو بأنه قول مؤلف من أقوال إذا سلم بما لزم عنها بالضرورة قول آخر"³.

" وفي المنظور العربي اللغوي- البلاغي نجد مفهوم الاستدلال (المرادف للقياس أيضا) لا يخرج عن حظيرة التشبيه و الوصف و الاستعارة و من ثم فهو ليس عملية عقلية استنباطية محضة، بل عملية خطابية يتم بموجبها اتخاذ علامة مادية أو معنوية وجعلها شاهدا ومثالا على شيء أو صفة من صفاته، لذلك قد لا يخرج الاستدلال عن دائرة التشبيه و الاستعارة وبشكل أعم عن دائرة المجاز"⁴.

¹ سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم، ص253.

² كما الزماني : حجاجية الصورة في الخطابة السياسية، ص216.

³ الحبيب أعراب : الحجاج و الاستدلال الحجاجي، ضمن كتاب الحجاج (مفهومه و مجالاته)، لحافظ اسماعيلي علوي، ج 3، ص 64.

⁴ الحبيب أعراب : الحجاج و الاستدلال الحجاجي، ضمن كتاب الحجاج (مفهومه و مجالاته)، لحافظ اسماعيلي علوي، ج 3، ص 62.

" ومن منظور أهل البيان دائما اعتبر القياس الذي هو ضمن الصور الأساسية للاستدلال، إلى جانب الخبر، من الوسائل التي يتوسلها العقل و البيان معا لإدراك حقائق الأمور في ظاهرها وباطنها. وإذا كان الاستدلال البياني هو نوع من معرفة الغائب بالشاهد ، فهو إحدى طرق التصديق و اليقين إلى جانب الخبر، وقد استقصى الباحث محمد عابد الجابري علاقة القياس بالبيان عند إسحاق بن وهب فتبين له أن العقل و البيان متكاملان عنده"¹.

" إن السكاكي حتى و إن تناول الاستدلال تناولا جافا- عكس الجرجاني مثلا- فقد اجتته من صرح المنطق الصوري وجعله ضابطا للجمل الخبرية . وعلى هذا الأساس صار الاستدلال، مع هذا العلامة، مرادفا للإشارة إلى الجملة الواحدة، خاصة الجملة الخبرية والتي تكون بمثابة حجة و استدلال و دليل، علما بأن المصطلحات الموظفة لدى السكاكي هي مصطلحات منطقية لا نحوية ، كالحج و الاستدلال و الدليل، والحكم و الاستقراء، و الاستلزام"². وهكذا فقد تمحل السكاكي في إقحام القياس المنطقي داخل البيان، موظفا الاستدلال توظيفا عقليا، في أرضية معنوية تركيبية ، وبذلك صار حجة و دلالة عقلية- بيانية، مؤكدا ذلك في قوله : " من تكملة علم الم عاني في الاستدلال، وهو إكساب الخبر للمبتدئ أو نفيه عنه بواسطة تركيب جمل ، تنبيه على ما عليه أصحاب هذا النوع من إباء أن يسموا الجملة الواحدة حجة و استدلالا . . . "³.

إن هذا البيان عند السكاكي حجاجي يتعلق بتحصيل المطلوب مما يعني تحقيق مقصدية المتكلم ضمن سياق تخاطبي معين يقوم على الاستدلال خدمة للنجاعة الإقناعية، فالتصوير عنده عملية استدلالية لا يقوم على مجرد التخييل فقط ، بل يبنى بالدليل وليس بالتحسين الأسلوبي، وما البديع إلا مجرد حلية لا تستحق الرصد الممعن الطويل ، ولهذا " جعل السكاكي طالب الصورة البيانية يتوخى في مسلكه، المسلك الذي يتوخاه صاحب الاستدلال، وغير خاف أن ربط البيان بالادعاء و الفاعلية الاستدلالية أتجاه ستركز عليه المباحث الحجاجية المعاصرة و لاسيما بيرلمان"⁴.

2.6 القياس :

¹ المرجع نفسه : ج 3، ص 63.

² المرجع نفسه : ج 3، ص 63.

³ السكاكي محمد بن علي : مفتاح العلوم، ضبطه و شرحه نعيم زرزور، ص 438.

⁴ عبد اللطيف عادل : بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان ، الرباط، ط 1 ، سنة 2013، ص 79.

ينظر إلى الاستدلال على أنه حركة الفكر الذي يستعمل معرفة دليلاً إلى معرفة أخرى و به يكتسب معرفة جديدة من معرفة سابقة ، أي انتقال العقل من قضية إلى قضية بقصد الوصول إلى مدرك عقلي ، كما ينظر إلى القياس على أنه قاعدة استدلالية بها نتوصل إلى معرفة جديدة انطلاقاً من معطيات معلومة ، و وفق هذا المعنى يعرفه روبير بلانشيه بقوله : "القياس خطاب تكون فيه بعض الأمور معطاة فينجم عن ذلك بالضرورة شيء آخر غير هذه المعطيات، وذلك بمقتضى هذه المعطيات بالذات"¹. وهو ينطلق في تعريف هذا المصطلح من تعريف أرسطو للقياس والذي يتوافق كثيراً مع مفهوم الاستدلال المشار إليه في مواطن مختلفة من الأورغانون دون أن يقدم له أرسطو تعريفاً، وانتهى - أي بلانشيه- إلى أن الاستدلال "عملية ذهنية متصلة، بما يتم الانتقال من مقدمات إلى نتائج بالاستناد إلى علاقة منطقية تربط الأولى بالثانية"² وبذلك يكون القياس "نوع من الاستدلال غير المباشر، وهو قول مؤلف من أقوال إذا وضعت لزماً عنها بذاتها قول آخر، فماهية القياس تقوم في لزوم النتيجة عن المقدمتين"³.

لقد فكر الناس تفكيراً منطقياً قياسياً قبل أرسطو من دون شك ، غير أنه أول من استخلص بنية القياس و صورته الخالصة التامة فقال في تعريفه " هو قول إذا وضعت فيه أشياء أكثر من واحد ، لزماً شيء ما آخر من الاضطرار لوجود تلك الأشياء الموضوعة بذاتها"⁴.

و في سياق التصور الأرسطي للقياس يمكننا أن نعرفه تعريفاً تقنياً فنقول تبعاً لذلك : " القياس استدلال نستنتج فيه من مقدم يجمع حدين بحد ثالث ، تالياً يجمع أحد هذين الحدين بالآخر"⁵.
ويطلق على هذه الحدود التي يتألف منها القياس بالأطراف، وعليه يتشكل القياس من " ثلاثة أطراف مترابطة اثنين اثنين في ثلاث مقدمات أولية، كل منها يتكرر مرتين ويكون لأحد الأطراف دور أساس في الاستبدالات، وهو القيام بالتوسط بين الطرفين: إنه الطرف الوسط، والطرفان الآخران هما النقيضان،

¹ روبير بلانشيه: المنطق وتاريخه من أرسطو إلى راسل، ترجمة خليل أحمد خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، ص 62.

² هشام الريفي: الحجاج عند أرسطو، ضمن (كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، ص 99.

³ محمد فتحي عبد الله: معجم مصطلحات المنطق وفلسفة العلوم للألفاظ العربية و الفرنسية و الإنجليزية و اللاتينية، دار الوفاء، الإسكندرية، دط، 2002، ص 196.

⁴ أرسطو (منطق أرسطو) ، التحليلات الأولى 24 ب 20 (بدوى) نقلاً عن دروس في المنطق السوري لمحمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط3 ، 2009 ، ص 123 .

⁵ محمود يعقوبي : دروس في المنطق السوري، ص 123 .

فالطرف ذو الاتساع الأكبر والذي يظهر أولاً هو الطرف الأكبر أو الكبرى، والطرف ذو الاتساع الأصغر والذي يأتي بعد الآخر، هو الطرف الأصغر أو الصغرى، هذا عن الأطراف وذاك عن المقدمات أما النهاية (النتيجة) فهي التي توحد بين الطرفين النقيضين، الأصغر كموضوع، والأكبر كمحمول، وهي واردة في هذا الأخير، والقضيتان الأخريان اللتان يتوزع الطرف الأوسط بينهما هما المقدمتان؛ والمقدمة التي تتضمن الطرف الأكبر والتي نضعها أولاً تكون هي الكبرى، والثانية التي تتضمن الطرف الأصغر وتأتي بالمرتبة الثانية، هي الصغرى¹.

فالقياس انتقال من الكل (المعطيات) إلى الجزء (النتيجة)، حيث النتيجة متضمنة في المقدمات، لذلك فهي معروفة مسبقاً، إلا أن دورها في الإقناع ليس بالهين، شرط أن تكون المقدمات سليمة، لأنها مبنية على التسليم، ولا يبرهن عليها، وهو ما يؤكد روبر بلانش "مهما يكن الاستدلال محكماً، فإنه لا يمكن أن يجبر على الإقناع إلا إذا سلمت المقدمتان أيضاً"².

وفي تفصيلات أرسطو في باب القياس أدرك الضرورة المنطقية التي تربط المقدمات بالنتائج، كما ميز بين نوعين من القياس: أولهما قياس منطقي، مقدماته علمية ونتيجته حتمية لازمة وثانيهما قياس جدلي خطابي مقدماته احتمالية ظنية، ونتيجته ليست لازمة حتمية؛ لأن الفكرة في الخطابة مضطربة وغير مستقرة يلحقها التردد في التفكير في الشيء وضده³.

و من أمثلة القياس :

المثال 1 : _ كل إنسان فان _____ مقدمة كبرى .

_ و كل فيلسوف إنسان _____ مقدمة صغرى ،

_ إذن فكل فيلسوف فان _____ نتيجة .

المثال 2 :

_ كل كمال في المخلوق هو من إرادة الخالق _____ مقدمة كبرى .

_ القدرة على الفعل كمال في المخلوق _____ مقدمة صغرى .

¹ روبر بلانشي: المنطق و تاريخه من أرسطو إلى راسل، ص63.

² المرجع نفسه: ص62.

³ عباس ارحيلة: الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة الغربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، مشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل و أطروحات رقم 40، ط1، 1999، ص238.

— إذن القدرة على الفعل من إرادة الخالق ————— نتيجة .

إن نظرية القياس مثل جميع النظريات تنطلق من مبادئ بديهية واضحة بنفسها و عامة جدا ، هي أساس لكل تفكير استنتاجي ، يعد القياس أقوى صور ه ، و عندما نعلم النظر في جوهر عملية الاستنتاج القياسي من خلال الأمثلة السابقة نجد أنها تؤول في النهاية إلى صور وفق إحدى المبادئ التالية¹ :

1 _ مبدأ الثالث الجامع : الشئان المساوي كل منهما لشيء ثالث متساويان .

2 _ مبدأ الثالث الفاصل : إذا كان أحد الشئين مساويا لثالث ، و الآخر مخالفا لنفس هذا الثالث كانا مختلفين .

3 _ مبدأ المقول على كل الموضوع : كل ما يقال على (كلي) يقال على أفراده .

4 _ مبدأ المنفي عن كل الموضوع : كل ما ينفي عن (كلي) ينفي عن أفراد هذا الكلي .
و إذا أردنا أن نحلي شكل القياس أكثر نظراً في المثال التالي²:

فيا أيها الشانية خلفك صاديا فإنك عن ذاك المعين مذود

لغيرك سقيا الماء و هو مروق و غيرك رُفَّ الظل و هو مديد

نحاة و لكن أين منك مرامها و حوض و لكن أين منك ورود .

في النص تتوالى صور أربعة هي في الواقع أربع استعارات المشبه فيها واحد و هو المعز الذي استعار له المعين الظل ، النحاة و الحوض . فهي من حيث البلاغة تشابه حذفت بعض أركانها و هي من حيث الحجاج قياسات أربعة يتكون كل واحد منها من مقدمتين و استنتاج . تمثلها كالاتي :

مقدمة صغرى: المعز واسع الجود .

مقدمة كبرى: كل جواد معين لا ينضب .

النتيجة : المعز معين لا ينضب .

مقدمة صغرى: المعز يحمي كل من احتوى به .

مقدمة كبرى: كل من يحمل غيره ظل يستظل به

النتيجة : المعز ظل يستظل به .

¹ محمود يعقوبي : دروس المنطق الصوري ، ص 132_133.

² ابن هاني الأندلسي: الديوان ، تحقيق كرم البستاني ، دار بيروت للطباعة و النشر، لبنان ، دط، 1980، ص 97.

مقدمة صغرى: المعز يفرج كربة كل مهموم .

مقدمة كبرى: كل من يفرج الكرب نجاة لغيره .

النتيجة : المعز نجاة للآخرين .

مقدمة صغرى: المعز يقضي حاجة المحتاجين .

مقدمة كبرى: كل من يقضي حاجة الناس حوض يردونه .

النتيجة : المعز حوض يرده كل صاد .

فبالنظر إلى هذا التفصيل يعتبر القياس هنا قياسا صريحا و لكن ما يظهر في الشعر عادة هو الشكل الضمني من القياس حيث يكتفي الشاعر بالنتيجة و يغيب مقدمتين أو إحداهما ، و هو أسلوب مقبول في عرف السياق الحجاجي ؛ لأن الشكل الصريح في القياس من شأنه أن يهدم الطاقة الإيجابية في الصورة و يجهز على ما فيها من جمال و قدرة على التأثير في متلقي الخطاب .

فقد لجأ الشاعر في وصفه لأحد الخلفاء الفاطميين إلى استعارات حجاجية تمثل ضربا من القياس . إذ التسليم بالمقدمتين الصغرى و الكبرى من شأنه أن يقود المتلقي إلى التسليم بالنتيجة . و قوة الاستعارة إنما تتأتى من قدرتها على التقريب بين عنصرين من نظامين مختلفين مع محاولة جاهدة لطمس ما بينهما من فروق¹، وقد تطرق أوليفي روبول إلى دور الاستعارة في الإقناع و إلى أبعادها الحجاجية قائلا: "الاستعارة أكثر اقناعا من القياس و ذلك تحديدا بفضل المزج الذي تحدته بين المستعار و المستعار له جاعلة بذلك توحد العناصر المنتمية إلى أنظمة مختلفة أمرا مدركا"².

وانطلاقا من المفاهيم السابقة للقياس ندرك أنه أداة فعالة تساهم في تماسك النص وارتباط أجزائه، به تشتق الأقوال بعضها من بعض، ويتألف بعضها من بعض لتكون تراكيب مقبولة منسقة، فهو آلية من آليات الذهن البشري مهمتها توليد الخطاب الطبيعي، وقد خلص طه عبد الرحمان أثناء حديثه عن الاستدلال الكلامي إلى بناء القياس وتشكله و اعتبره يقوم على مسلمات أربع و عمليات ثلاث أشار إليها في كتابه (اللسان و الميزان):

¹ سامية الدريدي: دراسات في الحجاج (قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم)، عالم الكتب الحديث، إربد، ط 2009، ص 99.

²Oliver Rboul: Introduction a la Rhétorique, press universitaires de France, 2^{ème} édition corrigé 1994,p191.

أ- مسلمات القياس الخطابية¹:

مسلمة حوارية الخطاب: مفادها أن لا كلام مفيد إلا بين اثنين، لكل منهما مقامان؛ مقام المتكلم ومقام المستمع ووظيفتان هما العرض والاعتراض.

مسلمة وصفية الخطاب: مفادها أن كل من دخل في التخاطب تساوت عنده الموضوعات الموصوفة وجملة الصفات التي تستند إلى هذه الموضوعات خدمة للخاصية التحويلية المميزة للطريق اللغوي في الإدراك من خلال نقل تلك الصفات.

مسلمة بنائية الخطاب: وتقتضي هذه المسلمة تقلب موضوعات الخطاب في أحوال دلالية متباينة، تنتقل فيها من الإجمال إلى التفصيل، ومن الإشكال إلى التبيين، ومن الخفاء إلى الظهور.

مسلمة ترتيبية الخطاب: ومقتضاها أن علاقة الصفة بالموصوف لا تنتقل بين قيمتي الانطباق أو عدمه، وإنما تحتل درجات مختلفة لا يكون فيها الانطباق و عدمه إلا الطرفين المتباينين الأعلى والأدنى، فمبدأ الثالث المرفوع لا يسري في هذه المسلمة (إما ب أو لا).

أما عمليات القياس الخطابية فهي²:

عملية التفريق: وهي العملية التي يستخرج بها القائل مختلف الجوانب والوجوه التي يظهر بها موضوع من موضوعات قوله.

عملية التثبيت: يتم بموجبها نقل الصفة المنشأة من الموصوف من مقام الصفة إلى مقام الموصوف، فيكون التثبيت بمثابة عامل يدخل على الاسم الموصوف بالصفة المذكورة.

عملية اللاحاق: يتم فيها تحويل الموصوف الجديد إلى مقام صفة تستند بوجه من الوجوه لموضوع خطابي جديد.

وبتضافر وتعاون هذه المسلمات وهذه العمليات التخاطبية تتشكل بنية القياس، مانحة " هذه البنية خصائص تداولية و منطقية تميزها عن غيرها من العلاقات المنطقية مثل المماثلة المطلقة أو التساوي"³.

3.6 القياس الإضماري:

¹ طه عبد الرحمان: اللسان و الميزان، ص279

² المرجع نفسه: ص 280.

³ عبد الجليل العشرأوي: آليات الحجاج القرآني: ص68.

لقد مهد أرسطو بتمييزه بين القياس المنطقي و القياس الجدلي الخطابي وخاصة في عدم تقييد مقدمات هذا الأخير بالشروط التي يتقيد بها القياس المنطقي، إلى ظهور القياس الإضماري باعتباره " قياسا حذفت مقدمته الصغرى أو الكبرى أو نتیجته"¹. ويعد هذا القياس من أكثر الأنواع استعمالا وتداولاً في مختلف الخطابات لأنه الأقوى في فاعلية التأثير والإقناع من جهة، وفي عملية التواصل بإشراك المتلقي في الكشف عن النتيجة بنفسه من جهة ثانية.

ويعرف جول ريكو القياس الإضماري بقوله : " القياس الإضماري عند أرسطو قياس خطابي ينتج عن مقدمتين ظنيتين، ومعناه قريب من معنى القياس المعلن أو القياس الجدلي، وهو لا يفيد إلا إقناع المخاطب ... أما عند المحدثين فهو قياس مبتور أضمرت إحدى مقدمتيه، وحتى نتیجته، ويعرفه بور روايال بأنه قياس تام في الذهن ناقص في العبارة"².

وهكذا فقد قسم المناطقة القياس الإضماري إلى ثلاثة أقسام:

أ - قسم أضمرت مقدمته الكبرى.

ب- قسم أضمرت مقدمته الصغرى.

ج- قسم أضمرت نتیجته.

و في المدونة محل الدراسة قدّم الهمداني طرح جملة من القضايا في شكل صيغ و عبارات مبنية على آلية القياس نورد بعضاً منها كما يلي :

" فَقَالَ: يَا قَوْمُ إِنِّي أَمْرٌ مِنْ أَهْلِ الإسْكَندَرِيَّةِ، مِنَ الثُّغُورِ الأَمْوِيَّةِ نَمْتَنِي سُلَيْمٌ وَرَحَّبْتُ بِي عَبْسٌ جُبْتُ الأَفَاقَ وَتَقَصَّيْتُ العِرَاقَ."³.

مقدمة كبرى (مضمرة) : من كان من قبيلة سليم فهو في نسب رفيع.

مقدمة صغرى: أبو الفتح الإسكندري ينتسب إلى قبيلة سليم.

النتيجة: أبو الفتح الإسكندري رفيع النسب.

فأبو الفتح في هذه المقامة يفتخر على مجمع عيسى بن هشام بأصالة نسبه إلى قبيلة سليم وهي من قبائل العرب المشهورة والنسب إليها يعلي مقام المنتسب، فإن كان ثابت النسب في سليم لم تنكره قبيلة عبس

¹ عباس ارحيلة: الأثر الأرسطي، ص238.

² حول ريكو: المنطق الصوري، ترجمة محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 295.

³ المقامة الجرجانية : ص56.

وهي قبيلة كبيرة من بني عم سليم تجتمعان، إذ هو لم يصرح بذلك مباشرة وإنما اكتفى بقوله أن هذه القبيلة هي التي نمته؛ أي رفعت حسبه ونسبه.

وفي المقامة الجاحظية يتجلى القياس المضمّر في المثال التالي :

" وَقُلْتُ: أَفِدْنَا وَزِدْنَا، فَقَالَ: إِنَّ الْجَاحِظَ فِي أَحَدِ شِقَيِّ الْبَلَاغَةِ يَقْطِفُ، وَفِي الْآخِرِ يَقْفُ، وَالْبَلِغُ مَنْ لَمْ يُقْصِرْ نَظْمُهُ عَن نَثْرِهِ، وَلَمْ يُزِرْ كَلَامَهُ بِشِعْرِهِ، فَهَلْ تَرُؤُونَ لِلْجَاحِظِ شِعْرًا رَائِعًا؟ قُلْنَا: لَا"¹.

ونعرض عناصر القياس من النص كما يلي:

المقدمة الكبرى : البليغ من لم يقتصر نظمه عن نثره ولم يزر كلامه شعره.

المقدمة الصغرى: لا يروى للجاحظ شعرا رائعا.

النتيجة (مضمرة): الجاحظ ليس ببليغ.

يزعم أبو الفتح الإسكندري أن الجاحظ ليس من أهل البلاغة لأنك إذا نظرت إلى نثره حقرت شعره بالقياس إليه وما زعمه بصحيح عند أهل الصناعة.

" قَالَ: دَعَانِي بَعْضُ التُّجَّارِ إِلَى مَضِيرَةٍ وَأَنَا بَبْعَادٍ، وَكُرِمَنِي مُلَازِمَةٌ الْغَرِيمِ، وَالْكَئْبُ لِأَصْحَابِ الرَّقِيمِ، إِلَى أَنْ أَجَبْتُهُ إِلَيْهَا، وَقَمْنَا فَجَعَلَ طَوْلَ الطَّرِيقِ يُشْنِي عَلَيَّ زَوْجَتِهِ، وَيُفَدِّيهَا بِمُهَجَّتِهِ، وَيَصِفُ حَذَقَهَا فِي صَنَعَتِهَا، وَتَأْتُهَا فِي طَبْحِهَا وَيَقُولُ: يَا مَوْلَايَ لَوْ رَأَيْتَهَا، وَالْحَرْفَةُ فِي وَسْطِهَا، وَهِيَ تَدُورُ فِي الدُّورِ، مِنَ التُّنُورِ إِلَى الْقُدُورِ وَمِنَ الْقُدُورِ إِلَى التُّنُورِ... وَمِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يُرْزَقَ الْمُسَاعَدَةَ مِنْ حَلِيلَتِهِ، وَأَنْ يَسْعَدَ بِطَعِينَتِهِ"².

ويمكن تحليلية عناصر القياس في هذا النص كما يلي:

المقدمة الكبرى: من سعادة المرء أن يرزق المساعدة من حليلته.

المقدمة الصغرى: زوجة التاجر حذفة مساعدة.

النتيجة (مضمرة): التاجر يعيش في سعادة.

" وَيَا لَوْلَا الصَّبْرُ مَا كُنْ

ت ملأت الكيس تبرا

لَنْ يَنَالَ الْمَجْدَ مِنْ ضَا

ق بما يغشاه صدرا

¹ المقامة الجاحظية: ص ص: 89-90.

² المقامة المضيرية: ص ص: 124-125.

عة ما أعطيت صدرا" ¹.

ثُمَّ مَا أَعْقَبَنِي السَّاءَ

والقياس المضمّر في هذا المقطع يمكن رصده كما يلي:

المقدمة الكبرى (مضمرة): بالصبر ينال المجد.

المقدمة الصغرى: أبو الفتح صابر ما ضاق.

النتيجة: نال أبو الفتح المجد و استحق العطاء.

" انظُرْ إِلَى الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، وَالْمُلُوكِ الْفَانِيَةِ، كَيْفَ انْتَسَفَتْهُمْ الْأَيَّامُ، وَأَفْنَاهُمْ الْحِمَامُ؟ فَانْمَحَتْ آثَارُهُمْ، وَبَقِيَتْ أَخْبَارُهُمْ " ².

وتكون عناصر القياس في هذا المثال كما يلي:

المقدمة الكبرى: الأمم الخالية والملوك الفانية يصيبها الموت.

المقدمة الصغرى (المضمرة): الميت تنمحي آثاره وتبقى أخباره.

النتيجة: الأمم الخالية والملوك الفانية تنمحي آثارهم وتبقى أخبارهم.

" فَقَالَ: قَدْ أَرْضَعْتُكَ ثَدْيِي حُرْمَةً، وَشَارَكْتُكَ عِنَانَ عِصْمَةٍ، وَالْمَعْرِفَةَ عِنْدَ الْكِرَامِ حُرْمَةً، وَالْمَوَدَّةَ لِحَمَّةٍ ".

ويتجلى القياس في العبارة (والمعرفة عند الكرام حرمة) ، وعناصره توضح كما يلي:

المقدم الكبرى: المعرفة عند الكرام حرمة.

المقدمة الصغرى: أبو الفتح يعرف هذه الحرمة.

النتيجة (المضمرة): أبو الفتح من الكرام.

" وَلكِنْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْمُبْرَدَ فِي النَّحْوِ حَدِيدُ الْمَوْسَى فَلَا تَشْتَغِلْ بِقَوْلِ الْعَامَّةِ؛ فَلَوْ كَانَتْ الْاِسْتِطَاعَةُ

قَبْلَ الْفِعْلِ لَكُنْتُ قَدْ حَلَقْتُ رَأْسَكَ، فَهَلْ تَرَى أَنْ نَبْتَدِي؟ قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ: فَبَقِيْتُ مُتَّحِرًا مِنْ بَيَانِهِ،

فِي هَذَا بَيَانِهِ، وَخَشِيتُ أَنْ يَطُولَ مَجْلِسُهُ، فَقُلْتُ: إِلَى غَدٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ " ³.

وتكون عناصر القياس في هذا النص كما يلي:

المقدمة الكبرى (مضمرة): مسألة الاستطاعة بمعنى القدرة على الفعل أمر ثابت في المستطيع قبل الفعل تعلق

به إرادته أصدره باستطاعته أو الاستطاعة أمر يقارن الفعل يخلقه الله معه ولا يسبقه.

¹ المقامة الحرزية: ص 139.

² المقامة الوعظية: ص 154.

³ المقامة الحلوانية: ص 200.

المقدمة الصغرى: لم يخلق له رأسه لأن الاستطاعة لم تكن قبل الفعل.

النتيجة (مضمرة): يعتقد هذا الحلاق بالرأي الثاني (الاستطاعة أمر يقارن الفعل يخلقه الله معه ولا يسبقه).

- " لَمَّا ثَمَلْنَا وَكُلَّ النَّاسِ قَدْ ثَمَلُوا وَخِفْتُ صَرَعَتُهُ إِيَّايَ بِالْكُوسِ
غَطَّطْتُ مُسْتَنْعِيسًا نَوْمًا لِأُنْعِسَهُ فَاسْتَشَعَرْتُ مُقْلَتَاهُ النَّوْمَ مِنْ كَيْسِي
وَأَمْتَدَّ فَوْقَ سَرِيرِ كَانٍ أَرْفَقَ بِي عَلَى تَشَعُّثِهِ مِنْ عَرْشِ بَلْقَيْسٍ " ¹.

وتتمثل عناصر القياس في هذه الأبيات من المقامة الإبليسية في ما يلي:

المقدمة الكبرى: كل الناس قد ثملوا.

المقدمة الصغرى (مضمرة): من يشمل يعط في النعاس.

النتيجة: أبو نواس غطه النعاس واستشعرت مقلتاه النوم.

- " فَقُلْتُ: مَا الَّذِي أَنْكَرْتُ؟ وَلِمَ هَجَرْتُ؟ فَقَالَ: إِنَّ الْوَحْشَةَ تَقْدَحُ فِي الصَّدْرِ اقْتِدَاحَ النَّارِ فِي الزُّنْدِ، فَإِنْ أُطْفِئَتْ بَادَتْ وَتَلَاشَتْ، وَإِنْ عَاشَتْ، طَارَتْ وَطَاشَتْ " ².

وعناصر القياس في هذا المثال كما يلي:

المقدمة الكبرى: الوحشة تقدح في الصدر اقتداح النار في الزند من أثر سوء العشير.

المقدمة الصغرى (مضمرة): تتابع الأذى و سوء من طرف غلام عيسى بن هشام.

النتيجة: أنه في وحشة و ضيق أوجبنا الحجر.

" مَنْ أَضْمَرَ بِصَدِيقِهِ الْغَدْرَ وَتَرَكَ الْوَفَاءَ، كَانَ هَذَا مُكَافَأَتُهُ وَالْجَزَاءَ . وَجَعَلْتُهَا فِي جَيْبِهِ، وَشَدَدْنَا هُمْ فِي الصَّنَانِ، ... وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ هَذَا وَنَبَّهْتُ عَلَيْهِ لِيُؤْخَذَ الْحَذَرُ مِنْ أَبْنَاءِ الزَّمَنِ، وَتُتْرَكَ الثِّقَةُ بِالْإِخْوَانِ الْأَنْدَالِ السَّفَلِ " ³.

وعناصر القياس تتضح في هذا المثال على النحو التالي:

المقدمة الكبرى (مضمرة): كل نذل عديم الثقة.

المقدمة الصغرى: من أضمر الغدر وترك الوفاء نذل.

النتيجة: ترك الثقة بالإخوان الأندال.

¹ المقامة الإبليسية: ص 210.

² المقامة الخلفية: ص 225.

³ المقامة الصيرمية: من ص 243. إلى ص 245.

7. الشاهد:

إن الشاهد يمثل حجة بلاغية قوية يسعى إلى تعديل السلوك الذي هو الغاية القصوى التي تسعى إليه أية حجة ، " يكسب قوته الإقناعية أي فعاليته التداولية من (كونه يؤدي إلى فعل وليس إلى اعتقاد وحسب) خاصيته الحكائية، إننا نفهم من هذا:

- وجود بنية سردية خاصة.

- مقاما سرديا يغير العلاقة القائمة بين الباث والمتلقي كما هي قائمة في المقام التداولي الذي يندرج في ثناياه"¹.

وفد ارتبط الشاهد عند أرسطو بالتاريخ و الأسطورة على أساس أن الأحداث التاريخية متشابهة، ولهذا يجوز تصور المستقبل وقياسه قياسا شاهديا على الماضي، فالأحداث عنده قابلة للترابط التشاهبي، وأن التعاقب التاريخي ما هو إلا تعاقبا لحلقات متشابهة لأدوار متناظرة².

وقد أشار حازم القرطاجني إلى الشاهد ، واعتبره ذا طبيعة مزدوجة، تارة يكون محسنا شعريا ويكون تارة أخرى مقوما حجاجيا ، حيث إن هذه الهوية يكتسبها المقوم تبعاً لأحوال المتلقي، أو تبعاً لبنية هذا المقوم نفسه³، يقول حازم القرطاجني: " وأكثر ما يستدل في الشعر بالتمثيل الخطابي، وهو الحكم على جزئي بحكم جزئي آخر يماثله، نحو قول حبيب :

أَخْرَجْتُمُوهُ بِكُرِهِ مِنْ سَجِيَّتِهِ وَالنَّارُ قَدْ تُنْتَضَى مِنْ نَاضِرِ السَّلْمِ

فالأقاويل التي بهذه الصفة خطابية كما يكون فيها من إقناع شعرية بكونها ملتبسة بالمحاكاة والخيالات"⁴. فالشاهد أداة تركيبية تضطلع بالمهمة الحجاجية ؛ يلجأ إليه الباث لتبرير دعواه وتدعيمها بأدلة و شواهد وأحداث واقعية أو غير واقعية منتمية إلى التراث حيث يضفي على الدعوى المطروحة القبول شرط أن يكون هذا الشاهد قويا واضحا و معروفا ومقبولا واحتماليا⁵.

¹ Bruno Gelas, la fiction manipulatrice, in l'argumentation, éd, pull, 1981, pp:75-76

² محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص404.

³ المرجع نفسه: ص54.

⁴ حازم القرطاجني: منهاج البلغاء و سراج الأدباء، ص67.

⁵ محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية: ص401.

وقد تناول طه عبد الرحمان هذا النوع من الحجج في باب المحاور البعيدة ، حيث قسمها إلى قسمين : محاور ظاهرة وأخرى باطنة ، " فأما الظاهرة فيعرض المحاور فيها: شواهد من أقوال الغير مثل: النقل ، و التضمين و الحكاية و العنونة و الشرح و الاقتباس و التعليق و هلم جرا " ¹ .
أما الطريقة الباطنة فينشئ فيها المحاور " نصه عبر نصوص أخرى مكمله أو مبتدله فيصطبغ عندها النص بصبغة المغايرة الصميمة " ² .

أما بيرلمان فيوسع دائرة الشاهد من الأحداث و الوقائع التاريخية أو الأسطورية التي ينطلق بها الفيلسوف اليوناني لصياغة الشاهد مبطلا آثار أفعالها ، مركزا على فعالية الأفعال ذات الطبيعة الواقعية كالدوائر العلمية والقانونية والفلسفية ولغة التداول اليومي و الشعري ³ .

ويسمي جميل عبد المجيد هذه الأدلة بالإثبات الخارجي "وتمثل في إتيان أحد المشاركين بأدلة علمية خارجية يقبلها المشارك الآخر، ويصبح القول مقدمة يبني عليها المشارك الأول استنتاجاته" ⁴ .

1.7 الأهمية الحجاجية للشاهد:

تشكل الشواهد سلطة مرجعية معترف بها ، تحظى بنفوذ و مصداقية قادرة على تجاوز معارضة الخصم و انتزاع تسليمه ، وهي الأداة الأمثل لإيقاع التصديق ، وهي حسب الدكتور محمد العمري " حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصداقة الناس عليها و تواترها " ⁵ .
وهي غالبا ما تكون معلومة المصادر ؛ كأن تكون من الوقائع المشهورة أو من الشعر أو من الأمثال العربية المعروفة ، يرمي المتكلم باستعمالها إلى إشراك جمهور المخاطبين في الرأي نفسه الذي يعبر به نظرا إلى ما بينهما من ثقافة و قيم مشتركة ⁶ .

2.7 أنواع الشواهد:

1.2.7 الشاهد القرآني:

¹ طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي ، المغرب، ط2، 2000، ص47.

² المرجع نفسه: ص47.

³ محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص404

⁴ جميل عبد المجيد: البلاغة و الاتصال، دار غريب، القاهرة، ط1، 2000، ص112.

⁵ محمد العمري : في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية)، افريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002، ص65

⁶ علي عمران : حجاجية الصورة الفنية في الخطاب الحربي، ص225 .

يعد القرآن أعلى و أكبر وسائل الاستشهاد في منظومة الثقافة العربية الإسلامية حيث تنتصب آياته في أعلى السلم الحجاجي بوصفها القوة الحجاجية الأكثر تأثيرا . تكمن حجته في ذاته لأنه يستمد سلطته الخطيبية من كونه كلام الله المتزه عن كل عيب ونقص . " وقد عُدَّ الاستشهاد بالدين من المواضع الخارجة، لأنه ليس من ذات الموضوع ولا مشتقا بين خصائصه ، ولكن جاء من شيء خارج عنه ، وهو يفيد اليقين والجزم وإن كان من شيء خارج عن الموضوع ، لأن مسائل الدين في مكانة من اليقين لا تعدلها مكانة، فإذا استشهد صادقا حلت دعوى الخطيب في القلب فلا تنتزع منه، لأنها تصير جزءا من أوامر الدين، فتكسب منه تقديسا"¹.

والقرآن الكريم محط إجماع عام دونه كل الحجج ، " وهذا التفوق الدرجي يجعل منه الحجة العليا بتعبير الدكتور طه عبد الرحمن ؛ مما يجعل الفعل الحجي الذي يتم به أكثر إقناعا " ². فالحجة به تكون أقوى وأبلغ و أثبت وأرسخ في النفس، فهي بمثابة إقناع نفسي أكثر منه لغوي، فالمتلقي لا يقتنع بالرسالة الموجهة إليه كونها من حديث المتكلم بقدر ما يتأثر بالحجة بذاتها³.

لقد كان للقرآن الكريم - وما يزال - الأثر العظيم في نفوس العرب والمسلمين وتعدى ذلك إلى كل مناحي الحياة فتأثر به الشعراء و الأدباء أيما تأثير في التعبير والتصوير والأسلوب والألفاظ " والهمذاني إن هو إلا دليل واضح على تأثر الأدباء ، حتى القرن الرابع الهجري بالقرآن الكريم، إذ لم يكن القرآن كتابا مقدسا ودستورا للحياة ومنهجا للناس فحسب، بل كان - أيضا - مثلا عظيما في التعبير و التصوير والأسلوب والألفاظ أمام الأدباء، ينالون منه ما شاء الله لهم أن ينالوه، بقدر فهمهم له، وإعجابهم به، وانبهارهم بإعجازه " ⁴.

وبتتبع الشواهد القرآنية التي ضمَّنها الهمذاني في مقاماته نجدها قد تكون مقتبسة بلفظها أو معناها، مع تطويع التعبير ليتناسب مع الآية المقتبسة، أو قد يأتي بالآية لأنها تمثل تصورا رائعا ليعبر به عن قصد عن أعظم تصوير يمكن أن يصور المعنى الذي يريده، كما يعتمد الأسلوب القرآني؛ فيحاول أن يأتي بتعبير يحتوي على أسلوب متأثر بالقرآن الكريم، حيث لا يقتبس هنا آية وإنما يقتبس أسلوبا، هو من خصائص أساليب

¹ محمد التومي: الجدل في القرآن، فعالية في بناء العقلية الإسلامية، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، دط ، دت، ص33.

² عبد اللطيف عادل : بلاغة الإقناع في المناظرة ، دار الأمان ، الرباط، ط1 ، سنة 2013 ، ص233 .

³ نادية أودينجات: رسالة ماجستير: الحجاج في مقامات الحريري(مذكرة ماجستير)، جامعة تيزي وزو، 2008، ص75.

⁴ عبد الهادي عبد الله عطية : أدب الرواية في مقامات الهمذاني، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 1993، ص63.

القرآن الكريم، وقد نجد أحيانا يتخذ من القصة القرآنية موضوعا ومادة لمقامة يحكيها، تعد شرحا عظيما للقصة القرآنية، ومثالا طيبا للعظة و الاعتبار، متمثلا القرآن الكريم وهو يبدع مقاماته، ويترسم منهاجها في التصوير و التعبير والأسلوب¹ وكل ذلك لغايات وأبعاد حجاجية من شأنها أن تدفع بالمتلقي إلى الاقتناع بصحة الدعوى المقدمة إليه.

ويمكننا توزيع حجاجية الشواهد القرآنية التي أوردها الهمداني على لسان الراوية إلى صنفين :

1- حجاجية الشاهد القرآني في الشعر الذي أورده الهمداني على لسان الراوية:

- في المقامة الأسدية يقول:

" فَلَمَّا حَتَوْنَا التُّرْبَ فَوْقَ رَفِيقِنَا جَزَعْنَا وَلَكِنَّ أَيَّ سَاعَةٍ مَجَزَعٍ "

الشطر الأول فيه استفادة من قوله تعالى: ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ [سورة النحل، الآية 59]

الشطر الثاني فيه استفادة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ [سورة

المعارج ، الآية 19-20]

في المقامة البغدادية يقول:

" اعْمَلْ لِرِزْقِكَ كُلَّ آلَةٍ لَا تَقْعُدَنَّ بِكُلِّ حَالَةٍ " ²

البيت مأخوذ من معنى قوله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [سورة الملك ، الآية 15].

- في المقامة الأسودية يقول :

" إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ صَغِيرَ السِّنِّ وَكَانَ فِي الْعَيْنِ نُبُوٌّ عَنِّي

فَإِنَّ شَيْطَانِي أَمِيرُ الْجِنِّ يَذْهَبُ بِي فِي الشَّعْرِ كُلِّ فَنٍّ " ³

نلاحظ في الشطر الثاني من البيت الأول اقتباس من المعنى من الآية ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾

[سورة ، هود الآية 31]

¹ عبد الهادي عبد الله عطية : أدب الرواية في مقامات الهمداني، ص 64-65.

² المقامة البغدادية: ص 74.

³ المقامة الأسودية: ص 160.

أما البيت الثاني فقد اقتبسه الهمذاني من وصف الشيطان بالولي الموحي لغير المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [سورة الأنعام، الآية 121].

وكذلك من وصف الشيطان بالقرين في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانَ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [سورة النساء الآية 38].

وكذلك من وصف خلوة الشياطين بالمنافقين في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيبَاتِهِمْ﴾ [سورة البقرة الآية 14].

وكذلك إبعاد القرآن عن الشياطين في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ، إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعزُولُونَ﴾ [سورة الشعراء الآية 210-212]

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلُ الشَّيَاطِينُ، تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ، يُلقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [سورة الشعراء من الآية 221 إلى الآية 223]

أما الشطر الأول من البيت الثاني فقد اقتبسه من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [سورة الجن الآية 6].

وأما الشطر الثاني منه فقد استفاد فيه من قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة الشعراء من الآية 224 إلى الآية 226] - وفي المقامة الخمرية يقول:

"كَانَ لِي فِيمَا مَضَىٰ عَقٌّ لُّ وَدِينٌ وَ اسْتِقَامَةٌ"¹

وهي معاني دينية واضحة يلجأ إليها الكاتب لتقوية حجته وخاصة أنها تنسم بالاشتراك الجمعي بين المتخاطبين وتحقق فاعلية التواصل بينهم والدين المقصود في البيت هو ماجاء في قوله تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [سورة الروم الآية 30].

والاستقامة مأخوذة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [سورة فصلت الآية 30].

- ومما جاء في المقامة البشرية قوله:

"هَزَزْتُ لَهُ الحُسَامَ فَخَلَّتْ أَنِّي شَقَقْتُ بِهِ لَدَى الظَّلْمَاءِ فَجْرًا"

¹ المقامة الخمرية: 274.

وَجَدْتُ لَهُ بِحَائِثَةٍ أَرْتُهُ بَانَ كِذْبُهُ مَا مَنَّهُ غَدْرًا " 1 .

والتصوير الوارد غي البيت الأول مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [سورة الأنعام ، الآية 96].

أما البيت الثاني فمستخلص معناه من قوله تعالى: ﴿وَعَزَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ﴾ [سورة الحديد، الآية 14]

ومما يروى في بعض النسخ البيت التالي :

" بِضَرْبَةٍ فَيَصِلُ تَرَكَتُهُ شَفْعًا لَدَيَّ وَقَبْلَهَا قَدْ كَانَ وَثْرًا " 2 .

وردت كلمة الفصل لمعان كثيرة، مثل : فصل الخطاب في قوله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ

الْخِطَابِ﴾ [سورة ص، الآية 20] ، وكذلك كلمة الفصل في قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ

بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الشورى ، الآية 21] ، وكذلك ارتبطت بالقول في الآية: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ [سورة

الطارق ، الآية 13] .

أما اللفظتان شفعا، ووترا فقد وقع التناص فيهما من قوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [سورة الفجر،

الآية 3].

ومما جاء في نفس المقامة قوله :

" تُحَاوِلُ أَنْ تُعَلِّمَظْنِي فِرَارًا لَعَمْرُتِ أَبِيكَ قَدْ حَاوَلْتَضُّ نُكْرًا " 3 .

وقد أخذ الهمداني المعنى من قوله تعالى : ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُثُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ

الْقَتْلِ﴾ [سورة الأحزاب، الآية 16].

أما استعماله لصيغة القسم (لعمر أبيك)، فقد وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي

سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [سورة الحجر، الآية 72].

أما التركيب (قد حاولت نكرا) ، فهو مأخوذ من الآية : ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [سورة الكهف:

الآية 74].

2- حجاجية الشاهد القرآني في النثر الذي أورده الهمداني على لسان الراوية:

¹ المقامة البشرية: ص 285.

² المقامة البشرية: ص 286.

³ المقامة البشرية: ص 286.

- جاء في المقامة القريضية قوله: " وَحَانُوتٍ جَعَلْتُهُ مَثَابَةً " ¹ ، فالمعنى مقتبس من الآية الكريمة: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سورة البقرة، الآية 125].
- وفي نفس المقامة يقول أيضا: " وَجَعَلْنَا لِلدَّارِ حَاشِيَتِي النَّهَارِ " ² ، التعبير مقتبس من قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ ﴾ [سورة هود، الآية 114].
- وقوله أيضا في نفس المقامة: " أَلَسْتَ أَبَا الْفَتْحِ ؟ أَلَمْ تُرَبِّكْ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ؟ " ³ ، وهو إحالة حرفية إلى الآية الكريمة من قوله تعالى حكاية لما قاله فرعون لموسى عليه السلام: ﴿ قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكْ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ [سورة الشعراء، الآية 18].
- وفي المقامة البلخية يقول: " وَحِلْيَةِ الثَّرْوَةِ " ⁴ ، اقتباس وتناص من قوله تعالى: ﴿ يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ [سورة الكهف، الآية 31].
- وفيها يقول أيضا: " ثُمَّ قَالَ : أَطْعَمْنَا تُرِيدُ؟ فَقُلْتُ: إِي وَاللَّهِ " ⁵ وهذا الأسلوب مستقاه من قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ يَسْتَبْئِرُكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي ﴾ [سورة يونس، الآية 53].
- وفي المقامة السجستانية يقول: " حَدَا بِي إِلَيَّ سَجِسْتَانَ أَرْبٌ " ⁶ ، التعميم مأخوذ من قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام في حديثه عن العصا ﴿ وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى ﴾ [سورة طه، الآية 18].
- وفي المقامة الأسدية بقول: " وَنَفَدَ الزَّادُ، أَوْ كَادَ يُدْرِكُهُ النَّفَادُ " ⁷ ، التعبير اقتبسه الهمداني من الآية: ﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَّفَادٍ ﴾ [سورة ص 54].
- وفي نفس المقامة يقول: " وَخِفْنَا الْقَاتِلِينَ : الظَّمَاً وَالْجُوعَ " ⁸ ، استفاد من معنى الأمان في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى، وَ أَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ [سورة طه، الآية 118-119].

¹ المقامة القريضية : ص7.² المقامة القريضية : ص7.³ المقامة القريضية : ص 11.⁴ المقامة البلخية : ص 17.⁵ المقامة البلخية : ص18.⁶ المقامة السجستانية: ص 22.⁷ المقامة الأسدية: ص 39.⁸ المقامة الأسدية : ص 39.

- وجاء في المقامة الأذربيجانية قوله: " حَتَّى طَوَيْتُ أَرْضَ الرُّعْبِ وَتَجَاوَزْتُ حَدَّهُ، وَصِرْتُ إِلَى حِمَى الْأَمْنِ وَوَجَدْتُ بَرْدَهُ " ¹، فقد أحالت كلمة البرد إلى المعنى الموجود في الآية الكريمة: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية 69].
- وفي المقامة الأهوازية يقول: " وَأَعْرَضْنَا عَنْهَا صَفْحًا " ²، المعنى مستفاد من قوله تعالى: ﴿فَأَنْضَبُوا عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [سورة الزخرف، الآية 5].
- ومما جاء فيها أيضا قوله: " فَصَاحَ بِنَا صَيْحَةً كَادَتْ لَهَا الْأَرْضُ تَنْفَطِرُ، وَالنُّجُومُ تَنْكَدِرُ " ³، فقد حدث التناص فيها مع قوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ [سورة الانفطار، الآية 1]، ومن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [سورة التكويم، الآية 2].
- ومما جاء في المقامة البصرية قوله: " فَمَا كَانَ بِأَسْرَعٍ مِنْ إِرْعَاءِ تَوْدَادِ الطَّرْفِ " ⁴، فيه إحالة إلى الآية الكريمة: ﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [سورة النمل، الآية 40].
- وفي المقامة الجاحظية يقول: " قَدْ فُرِشَ بِسَاطِئِهَا، وَبُسِطَتْ أَنْمَاطُهَا، وَمُدَّتْ سِمَاطُهَا، وَقَوْمٌ قَدْ أَخَذُوا الْوَقْتَ بَيْنَ آسٍ مَخْضُودٍ، وَوَرْدٍ مَنضُودٍ، وَدَنْ مَفْضُودٍ، وَنَايٍ وَعُودٍ، فَصِرْنَا إِلَيْهِمْ وَصَارُوا إِلَيْنَا " ⁵، وهو تعبير مقتبس من قوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ، وَطَلْحٍ مَنضُودٍ، وَظِلِّ مَمْدُودٍ، وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ، وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَقْطُوعَةٍ، وَلَا مَمْنُوعَةٍ، وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [سورة الواقعة، من الآية 28 إلى الآية 34].
- وفي المقامة الموصلية يقول على لسان أهل القرية: " حَتَّى أَتَيْنَا قَرْيَةً عَلَى شَفِيرِ وَادِ السَّيْلِ يُطْرَفُهَا وَالْمَاءُ يَتَحَيَّفُهَا. وَأَهْلُهَا مَعْتَمُونَ لَا يَمْلِكُهُمْ غَمْضُ اللَّيْلِ، مِنْ خَشْيَةِ السَّيْلِ، فَقَالَ الْإِسْكَندَرِيُّ: يَا قَوْمُ أَنَا أَكْفِيكُمْ هَذَا الْمَاءَ وَمَعْرَتَهُ، وَأَرَدُّ عَنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ مَضْرَتَهُ، فَأَطِيعُونِي، وَلَا تُبْرِمُوا أَمْرًا دُونِي، فَقَالُوا: وَمَا أَمْرُكَ؟ فَقَالَ: أَذْبَحُوا فِي مَجْرَى هَذَا الْمَاءِ بَقْرَةً صَفْرَاءَ (...)، قَالُوا: نَفْعَلُ ذَلِكَ، فَذَبَحُوا الْبَقْرَةَ " ⁶، وكان البطل قد

¹ المقامة الأذربيجانية: ص 52.

² المقامة الأهوازية: ص 68.

³ المقامة الأهوازية: ص 68.

⁴ المقامة البصرية: ص 75.

⁵ المقامة الجاحظية: ص 87-88.

⁶ المقامة الموصلية: ص 118-119.

أمرهم بذبح بقرة صفراء ، ففي هذا التركيب احتجاج بقصة قرآنية لها وقعها في نفوس المسلمين لما تصوره من التشديد الذي وقع على بني إسرائيل لما تماطلوا وتلكأوا في تنفيذ أوامر الله تعالى مع حادثة القتل ، وتلك هي طبيعة الجدل عند بني إسرائيل والنبي موسى عليه السلام ، وقد ذكرت وقائع هذه القصة وتفصيلها في سورة البقرة¹.

- ونجد الراوية في المقامة الحرزية قد بنى فكرته متأثراً بالقرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَحَرِينَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ، فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَنْعُونَ فِي الْأَرْضِ بَعِيرٍ الْحَقِّ ﴾ [سورة يونس، الآية 22 و الآية 23].

ويقول في نفس المقامة : " وَجَنَّ عَلَيْنَا اللَّيْلُ " ² ، الصياغة مقتبسة من قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ﴾ [سورة الأنعام ، الآية 76].

- وجاء في المقامة الرصافية قوله : " وَمَنْ يَصْعَدُ فِي الْبَيْرِ " ³ ، حيث نجد الهمداني متأثراً بالقصص القرآني وخاصة هنا بقصة يوسف عليه السلام، من مثل قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ ﴾ [سورة يوسف، الآية 19].

- ومما اقتبسه في نفس المقامة: " وَمَنْ دَبَّ بِسِكِّينٍ عَلَى الْحَائِطِ مِنْ طِينٍ " ⁴ ، من القرآن الكريم : ﴿ فَأَوْقَدْ ﴾ ﴿ فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا ﴾ [سورة القصص، الآية 38].

- ومما ذكره الهمداني في المقامة الحلوانية قوله : " فَقُلْتُ : إِلَى غَدٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ " ⁵ ، وهو تعبير مقتبس من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ أَنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [سورة الكهف، الآية 23-24] حيث آثر المشيئة انقيادا لقول الحق تبارك وتعالى.

¹ سورة البقرة، من الآية 67 إلى الآية 71.

² المقامة الحرزية: ص 137/

³ المقامة الرصافية: 184.

⁴ المقامة الرصافية: ص 185.

⁵ المقامة الحلوانية: ص 200.

- وقد اقتبس في المقامة الأرمنية قوله: " وَسِرْنَا حَتَّى آتَيْنَا قَرْيَةً اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا (...) فَأَبَوْا إِلَّا بِالثَّمَنِ " ¹ من قوله تعالى: ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا ﴾ [سورة الكهف الآية 77].
- وفي المقامة النهيدية يقول: " وَأَكْرَمَتْ مَثْوَانَا " ²، التعبير مقتبس من قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾ [سورة يوسف، الآية 21]. وقوله تعالى: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ [سورة يوسف، الآية 23].
- وقد جاء في المقامة الوصية قوله: " لَمَّا جَهَّزَ أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَندَرِي وَلَدَهُ لِلتَّجَارَةِ أَقْعَدَهُ يُوصِيهِ " ³، والمعنى مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ ﴾ [سورة يوسف، الآية 70].
- وفي المقامة البشرية يقول: " وَأَتَّصَلْتُ مَعْرَأَتَهُ إِلَيْهِمْ " ⁴، وهو تعبير مستقى من الآية الكريمة: ﴿ فَتَصَيَّبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ ﴾ [سورة الفتح، الآية 25].
- وفي نفس المقامة نجد بديع الزمان الهمداني يقول على لسان بشر حين قال له الغلام: " أَنَا إِنُّنْكَ، فَقَالَ: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا قَارَنْتُ عَقِيلَةً قَطُّ، فَأَتَى لِهَذِهِ الْمِحْنَةُ؟ " ⁵، قد استفاد من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أُنَّى يُكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ ﴾ [سورة آل عمران، الآية 47]. ومن قوله تعالى: ﴿ أَنَّى يُكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً ﴾ [سورة الأنعام، الآية 101].

2.2.7 الشاهد الشعري:

يمثل الشعر ديوان العرب، وخزانة علومهم وأخبارهم، مرتبط بأنسابهم وأحسابهم وتاريخهم، وكل مواقف حياتهم وأحداثها، في سلمهم وحرهم، في أفراحهم وأحزائهم، في سكوتهم وحركاتهم، فلهجت به ألسنتهم وانصرفوا إلى قوله وروايته حتى بلغ منهم مبلغه. يعتمد عليه في تفسير الغريب وفي كثير من مسائل اللغة والبلاغة حتى ظهر عندهم ما يسمى بشعر الشواهد. وقد جعل منهج البلاغيين بعامة و البيانيين بخاصة يتضح و يتحدد في الاستشهاد بالشعر لتوضيح الأفكار والأقسام والمصطلحات البلاغية.

¹ المقامة الأرمنية: ص 215-216.

² المقامة النهيدية: ص 207.

³ المقامة الوصية: ص 233.

⁴ المقامة البشرية: ص 281.

⁵ المقامة البشرية: ص 288.

. حيث جعل كثير منهم في مختلف العصور يوريدون الأشعار لتكون موضوعا للتحليل و الدرس و لبيان وجوه التفاضل وأساراه بين الشعراء بعضهم وبعض فيما نظموه من أشعار يجمعها معنى عام واحد أو يتصل بعضها ببعض بسبب¹.

يحتل الشاهد الشعري مكانة عظيمة في التراث العربي ، لما له من أثر في الوجدان أكثر مما يؤثر على العقل وإصابته لمواطن حساسة في الوعي الحضاري الجمعي، ويداعب المشاعر أكثر مما يحكم المنطق، له مفعول السحر، إذ يعتبر ذا سلطة مرجعية في ثقافة هذا التراث، حيث يعد علامة تمكن الكاتب وبروزه كما أنه " يبنى عن فضله بوفرة وتنوع استشهاداته، ويعاتب إذا لم يتمثل بكلام غيره"². لذلك كانت للشعر " قوته في البناء اللغوي و المعرفي و الإقناعي داخل هذه الثقافة و ليس أدل على ذلك من اعتماده آلة لتفسير القرآن و كشف مقاصده. هذه المتزلة السامية التي تبوأها الشعر في علاقته بكتاب الله أكسبته حجية قوية و فعالة في تحقيق الترجيح و في قطع الشغب، و في إيقاع التصديق"³.

لقد كان الهمذاني متمثلا هذا الأمر ؛ إذ يحفظ الشعر القديم ، وعلى دراية تامة بأسلوبه ومعانيه وصوره فكان من شدة افتتانه به أن رأى أن يصنع على منواله شيئا من الأدب ، فكان أن صنع المقامات، مضمنا فيها كثيرا من أشعار القدماء، مما يدل على قوة حافظته، وشدة وعيه بالتراث الشعري القديم ، ينال منه، وينهل من معانيه، والذي ظل ينثره في مقاماته، ويتلاعب به، حتى عدت المقامات شعرا منشورا.

وقد كان منهجه واضحا في تضمين مقاماته الشواهد الشعرية على لسان الراوية ؛ فيورد البيت أو الأبيات ليؤكد فكرة أو معنى، وقد يُضْمَن أسلوبه نصف بيت من الشعر، ويضعه في بناء خاص به، بحيث يعلو به ويرتفع عن مستوى الشعر الذي اقتبس، وقد يعجب بفكرة ردها الشعراء كثيرا، فيتناولها مبرزا فيها رأيه في صورة مغايرة فيها دلالة على مهارته في صنعة الأديبة، وقد يُضْمَن مقاماته معنى سبقه إليه الشعراء القدامى فيصوغه في تركيب مشابه للتركيب الذي صاغه فيها الشاعر القديم، ولكن بتصرف يدل على فهمه العميق لهذا الشعر، وقد يُعجب بتصوير قديم، فيأتي به، بأسلوب يدل على أنه قرأ أو حفظ أو اطلع على هذا التصوير، فيوضحه في صورة جلية تبرز جمال هذا التصوير⁴.

¹ أحمد حسن صيره (بالإشتراك): التفكير الاستعاري و الدراسات البلاغية، دار المعرفة الجامعية، دط ، دت، ص67.

² عبد الفتاح كيليتو: الأدب و الغرابة، دراسات بنيوية في الأدب العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، سنة 1997، ص76.

³ عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة:ص234.

⁴ عبد الهادي عبد الله عطية: أدب الرواية في مقامات الهمذاني، ص: 116-117.

— يقول في المقامة القريضية: " طَرَحْتَنِي النَّوَى مَطَارِحَهَا، حَتَّى إِذَا وَطِئْتُ جُرْحَانَ الْأَقْصَى " ¹.

وقد أخذ الهمداني فكرته في النوى الطُّروح، من التراث الشعري من مثل شعر أبي ذؤيب:

" فَكَلْتُ تَجْنِينَ سَخَطَ ابْنِ عَمٍّ وَمَطَّلَبَ شَلَّةٍ وَنَوَى طُرُوحٍ " ².

أو قول ذي الرِّمَّة:

" أَلَمَّا بَمِي قَبْلَ أَنْ تَطْرَحَ النَّوَى بَنَا مَطْرَحًا أَوْ قَبْلَ بَيْنِ يُزِيلُهَا " ³.

— ويقول في نفس المقامة: " وَحَاثُوتِ جَعَلْتُهُ مَثَابَةً، وَرَفِقَةً اتَّخَذْتُهَا صَحَابَةً " ⁴.

والمعنى مقتبس من قول طرفة بن العبد:

" فَإِنْ تَبَغْنِي فِي حَلَقَةِ الْقَوْمِ تَلْقَنِي وَإِنْ تَلْتَمِسْنِي فِي الْحَوَانِيتِ تَصْطَدِ " ⁵.

ومما جاء في المقامة الأزادية قوله: " فَأَحَاطَ لِثَامُهُ، فَإِذَا وَاللَّهِ شَيْخَنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَندَرِي " ⁶.

والمعنى مأخوذ و وارد في الشعر القديم، قال عنترة:

" وَبَيْنَ قِيَابِ ذَاكَ الْحَيِّ خُودٌ رِدَاحٌ لَا يُمَاطُ لَهَا لِثَامٌ " ⁷.

— ويقول في هذه المقامة أيضا: " حَتَّى شَرِبْتُ مِنَ الْعُمْرِ سَائِعُهُ، وَلَبِسْتُ مِنَ الدَّهْرِ سَابِعُهُ " ⁸.

يريد بالسائغ أن مرور العمر على نفسه في لذاتها يشبه مرور الماء العذب الحلق سلامة و طيبا ، ويريد

بالسابع أن الدهر في اشتماله عليه بأنواع المآرب و صنف الرغائب في صورة الثوب السابغ الطويل الذي لم

يترك من البدن شيئا إلا ستره وفاض عنه فعبر عنه بالسابغ و حلى التصوير باللبس.

وهذا المعنى والتصوير ورد كثيرا في الشعر، كما يقول أبو نؤاس:

" قَدْ لَبِسْتُ الدَّهْرَ لِبْسَ فَتَى أَخَذَ الْآدَابَ عَنْ عِبْرِهِ " ⁹.

¹ المقامة القريضية: ص7.

² الهذليين: الديوان، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1995، ج1، ص69.

³ ذوالرِّمَّة: الديوان، شرح عبد الرحمان المصطاري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، 2006، ص240.

⁴ المقامة القريضية: ص7.

⁵ الإمام الزوزني: شرح المعلقات السبع، الدار العلمية، مصر، دط، دت، ص57.

⁶ المقامة الأزادية: ص14-15.

⁷ عنترة: الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، ص212.

⁸ المقامة الكوفية: ص29.

⁹ أبو نؤاس: الديوان، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، دط، 1978، ص311.

ويقول في نفس المقامة: " فَلَمَّا اِنْصَحَ النَّهَارُ بِجَانِبِ لَيْلِي، وَجَمَعْتُ لِلْمِعَادِ ذَيْلِي " ¹.

وهو تصوير للشيب بعد الشباب بالنهار بعد الليل مأخوذ من قول الفرزدق:

" وَ الشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يُصْبِحُ بِجَانِبِيهِ نَهَارٌ " ².

— وفي المقامة الغيلانية استشهد الهمذاني بقول ذي الرمة:

" إِذَا طَمَحَ النَّاسُ لِلْمَكْرُمَاتِ فَطَرَفُهُمُ الْمَطْرُقُ النَّاعِسُ " ³.

— ويقول في المقامة الأسدية: " وقوام متى ما ترقّ العين فيه تسهّل " ⁴.

وهذا التعبير ورد كثيرا في الشعر القديم، وقد ذكره امرؤ القيس في الشطر الثاني من هذا البيت:

" وَرُحْنَا بِكَابِنِ الْمَاءِ يُجَنَّبُ وَسَطَنَا تُصَوَّبُ فِيهِ الْعَيْنُ طَوْرًا وَ تَرْتَقِي " ⁵.

و في هذا المعنى يشير أبو نواس قائلا:

" يَحَارُ رَجْعُ الطَّرْفِ فِي وَجْهِهِ وَ صُورَةُ الشَّمْسِ عَلَى صُورَتِهِ " ⁶.

— ويقول الهمذاني في المقامة الأسدية: " وَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ وَجْهٌ يَبْرُقُ بَرَقَ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ " ⁷. وهذا

التصوير ورد كثيرا في الشعر العربي القديم كقول أبي كبير الهذلي:

" فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أَسْرَةٍ وَجْهِهِ بَرَقَتْ كَبَرَقِ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ " ⁸.

— ويذكر الهمذاني في المقامة الغيلانية: " وَ نَامَ ذُو الرُّمَّةِ غِرَارًا " ⁹.

والنوم الغرار عند العرب هو النوم القليل، وفيه إشارة إلى قول الفرزدق:

" إِنَّ الرِّزِيَّةَ مِنْ تَقْيِفِ هَالِكُ تَرَكَ الْعِيُونَ وَ نَوْمُهُنَّ غِرَارٌ " ¹⁰.

¹ المقامة الكوفية: ص 29-30.

² الفرزدق: الديوان، شرح مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999، ج1، ص 408.

³ المقامة الغيلانية: ص 50.

⁴ المقامة الأسدية: ص 39.

⁵ امرؤ القيس: الديوان، شرح عمر فاروق الطباع، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 89.

⁶ أبو نواس: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، 1978، ص 124.

⁷ المقامة الأسدية: ص 39.

⁸ ديوان الهذليين: القاهرة، مصر، دط، 1965، ج2، ص 94.

⁹ المقامة الغيلانية: 48.

¹⁰ الفرزدق: الديوان، شرح مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999، ص 325.

— ومما جاء في المقامة الفزارية: " لَكِنِّي تَحَلَدْتُ فَقُلْتُ: أَرْضَكَ لَا أُمَّ لَكَ، فَدُونِكَ شَرُّطُ الْحِدَادِ، وَخَرَطَ الْقَتَادِ وَخَصَمُ ضَخْمٍ، وَحَمِيَّةُ أَرْدِيَّةٍ، وَأَنَا سِلْمٌ إِنْ شِئْتَ، وَحَرْبٌ إِنْ أَرَدْتَ " ¹.

والقتاد شجر صلب له شوك كذلك مثل الإبر، وخرطه ما نثر من شوكة على الأرض، وخرط القتاد من أمثال العرب في الأمر دونه مانع، وشوك القتاد مضروب به المثل في الخشونة والشدة، كما قال أبو تمام:

" نَتَا خَبْرٌ كَأَنَّ الْقَلْبَ أَمْسَى
يَجْرُ بِهِ عَلَى شَوْكِ الْقَتَادِ " ²

— ويقول في المقامة الحرزية: " لما بلغت بي الغربية باب الأبواب ، ورضيت من الغنيمة بالإياب " ³.

فقوله (ورضيت من الغنيمة بالإياب) ، شطر بيت لامرئ القيس يقول فيه :

" وَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّى
رَضَيْتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ " ⁴.

— ويذكر الهمداني في المقامة السودية: " أَدَّتْنِي إِلَيْكَ حَيْفَةً، فَهَلْ عِنْدَكَ أَمْنٌ أَوْ قَرَى " ⁵.

وقد أوضح الهمداني هذا المعنى على لسان البطل، مستشهدا بيتين من الشعر من إنتاجه كحجة مدعمة لقوله بأسلوب إيقاعي جميل قائلا :

" نَزَلْتُ بِالْأَسْوَدِ فِي دَارِهِ
أَخْتَارُ مِنْ طَيْبِ أَنْمَارِهَا
فَقُلْتُ إِيَّيْ رَجُلٌ خَائِفٌ
هَامَتِ بِي الْحَيْفَةُ مِنْ ثَارِهَا " ⁶.

— ويقول في المقامة المغزلية: " سريع الكرّ إن فر " ⁷.

وقد التفت الهمداني بهذا المعنى إلى قول امرئ القيس :

" مِكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا
كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّةُ السَّيْلِ مِنْ عَلٍ " ⁸.

— وقد اهتم الهمداني كثيرا بالاستشهاد بالشعر في مقاماته على النحو الذي نجده في المقامة العراقية حين مثل للبيت الذي سمج وضعه ، وحسن قطعه، بقول أبي نؤاس في قوله :

¹ المقامة الفزارية : ص82.

² أبو تمام : الديوان ، شرح محي الدين صبحي ، دار صادر، بيروت ، لبنان ، ط 2، ص 215.

³ المقامة الحرزية : ص137.

⁴ امرؤ القيس : الديوان ، شرح عمر فاروق الطباع، دار الأرقم للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، دط، ، دت، ص 27.

⁵ المقامة السودية : ص160.

⁶ المقامة السودية : ص162.

⁷ المقامة المغزلية : ص191.

⁸ امرؤ القيس: : الديوان ، شرح عمر فاروق الطباع، دار الأرقم للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، دط، ، دت، ص 111.

" فَبِتْنَا يَرَانَا اللَّهُ شَرَّضَ عِصَابِيَةَ نَجْرٌ أذْيَالَ الْفُسُوقِ وَلَا فَخْرٌ " ¹

وقد كرّر الاستشهاد بهذا البيت في موضع آخر، في المقامة الشعريّة ²؛ ليؤكد للسّامع صحّة دعواه باستعمال باستعمال أسلوب حجاجي جديد متمثلاً في تقنية التكرار، التي تملك بعدا حجاجيا آخر وظيفته ثبت الحقائق و ترسيخها في نفس المتلقي.

— وقد كان الهمداني معجبا كثيرا بأجمل ما قيل في الشعر العربي فمثل له في كثير من المواضع ، مستشهدا بعيون الشعر التي ضمنها في كلّ المقامات، حتى عدت مزججا من النثر و النظم، إلا أنه أبرع في الجنس الأول من الثاني ؛ و من مثل ما جاء في قوله :

" أمّا البيت الذي لا يمكن حلّه فكثير ومثاله قول الأعشى :

دَرَاهِمُنَا كُلُّهَا جَيِّدٌ فَلَا تَحْبِسْنَا بِنَقَادِهَا

وأمّا البيت الذي لم يعرف أهله فكثير ومثاله قول الهذلي :

وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضٍ

... و أمّا البيت الذي لا يرقأ دمه فقول ذي الرّمة:

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيَةٍ سَرَبٌ " ³.

وهكذا فقد ضمن الهمداني كثيرا من كلام غيره، وهي سمة لصيقة بعادة العرب في التدليل في حديثهم بأقوال غيرهم و الاستشهاد بجميل كلامهم في بلاغة أشعارهم وأمثالهم الرفيعة والتي تنف عن حكمة وتجربة حياتية، وطبيعي في عرف عموم هؤلاء أن المتلقي العربي لهذه الاستشهادات أن ينقاد لها بالقبول و الرضى وفي كثير من الأحيان بالتسليم و الإذعان لما لها من أبعاد حجاجية تكسب قوتها من طبيعة بنيتها الذاتية في تميزها عن فنون القول بإيقاعها الموسيقي المؤثر من ناحية، وبتضمنها في القول النثري إذ أعطت أبعادا جمالية من ناحية أخرى.

فقد أدرك الهمداني القيمة الجليلة للاستشهاد الشعري ودوره في التلقي، فكانت له حافظة قوية للشعر القديم، حاول تمثيله وتقديمه في أغلب مقاماته، ليعبر عن حالة، أو يوضح به موقفا أو وصفا أو يقدم حكمة لجمهوره، ليلفت الأنظار و العقول، وليسهم بما يستطيع في تقديم اللغة الصحيحة، وحين تعوزه الذاكرة

¹ أبو نواس : الديوان، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، دط، 1978، ص242.

² المقامة الشعريّة: 255.

³ المقامة العراقية: ص168.

نجده يستشهد بشعر هو من إنشائه وإن لم يرق إلى عيون الشعر ومحاسنه فقد حقق كثيرا من الوظائف الحجاجية به إن على المستوى التعليمي أو على مستوى تصوير الواقع الاجتماعي لطائفة معينة وصفت بطبقة المتسولين و المكدين.

3.2.7 الاستشهاد بالأحداث و القصص :

يقول الهمداني في المقامة الدينارية : " لَيْشْتُمْ كُلُّ مِنْكُمْ صَاحِبُهُ، فَمَنْ غَلَبَ سَلَبَ، وَمَنْ عَزَّ بَزَّ، فَقَالَ الْإِسْكَندَرِيُّ: يَا بَرْدَ الْعَجُوزِ، يَا كُرْبَةَ تَمُوزَ، يَا وَسَخَ الْكُوزِ، يَا دِرْهَمًا لَا يَجُوزُ"¹.

فقوله (من غلب سلب، ومن عزّ بزّ)، من الكلمات السائرة، وما انطبق قول على حقيقة في تصرف البشر مثل ما انطبق هاتان الكلمتان على معنهما من غلب سلب، ومن عزّ بزّا.

وفي المعنى (من عزّ بزّ) إشارة إلى أول من قال هذه العبارة، وإلى الحادثة التي قيل فيها، وأول من قال من عزّ بزّ، رجل من طيء يقال له: جابر بن رألان، أحد بني ثعل، وكان من حديثه أنه خرج ومعه صاحبان له، حتى إذا كانوا بظهر الحيرة، وكان للمنذر بن ماء السماء يوم يركب فيه فلا يلقى أحدا إلا قتله: فلقى في ذلك اليوم جابرا وصاحبيه، فأخذتهم الخيل بالثوبة، فأتى بهم المنذر فقال " اقترعوا، فأيكم قرع خليت سيبه، وقتلت الباقيين، فاقترعوا فقرعهم جابر بن ألان، فخلّى سبيله، وقتل صاحبيه، فلما رأهما يقادان ليقطلا قال: من عزّ بزّ، وقال جابر في ذلك:

ولقد لقيت على الثوبة آمنا يسق الخميس بها وسيقا أحدبا

كرها أقارع صاحبي ومن يفز منا يكن لأخيه بدءا مرهبا"².

— وقد يحتج الهمداني ببعض ما جاء في القصص القرآني كقوله في المقامة الصيمرية : " وَإِنَّمَا كَانَتْ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا"³، ليبين للمتلقى عدم تأثره لما أصاب القوم، وقد كان في إخفاء ما دفعه إلى ذلك غاية ، أجاب عنها الهمداني فيما بعد، تمثلت في الحذر من أبناء الزمن وبترك الثقة بالإخوان الأندال السفلى، وهو ما كان يخفيه ويضمّره في نفسه، وهذا شبيه بحال يعقوب علي السلام ، حينما أمر أبناءه أن يتحسسوا من يوسف عليه السلام، لأنه يجد ريحه ، يرجو من ربه تحقيق الفرج، والنجلاء الهم و الغم الذي أصابه بفقد ابنه وكله أمل وثقة في مولاه المستجيب للحاجات وقاضيهها.

¹ المقامة الدينارية : ص246.

² أبو طالب المضل بن سلمة: الفاخر، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مراجعة محمد علي النجار، دار ؟ ، القاهرة، دط، 1974، ص 89-90.

³ المقامة الصيمرية : ص245.

— كما استشهد الكاتب ببعض الأحداث التاريخية والتي لها رمزيها ودلالاتها ، إذ تعد مخزوننا يتم استرجاعه وإحيائه من جديد في مواقف تدعو إلى ذلك، إنه محادثة النفس لنفسها، وإشراك للمتلقي في هذا الحوار، " ويعتبر الحديث أو الحوار الفكري الحي تجسيدا لغويا فعليا للرؤى الغائبة حيث تتلاشى المسافة لحظة الحديث بين النفس وصورها، أي بين التجربة الباطنية الغائبة و التجربة الحية الظاهرة ليصبح كلا وفعلا فكريا ممارسا عن طريق الخطاب المنطوق"¹.

ومما ذكره في المقامة الدينارية في هذا الباب قوله : " يَا سَاعَةَ الْحَيْنِ يَا مَقْتَلَ الْحُسَيْنِ يَا ثِقَلَ الدِّينِ يَا سِمَةَ الشَّيْنِ يَا بَرِيدَ الشُّومِ يَا طَرِيدَ اللُّومِ يَا تَرِيدَ الثُّومِ يَا بَادِيَةَ الزُّقُومِ"².

ففي قوله (يا مقتل الحسين) احتجاج بموضع قتله، وهو أشأم موضع لأنه أريق فيه دم الحسين، وهي حجة حية لا تحتاج إلى برهان، يسلم بها المرء دون نقاش، أراد بها الإسكندري أن يفحم صاحبه شامتا إياه و واصفه بأشأم مكان ينفر منه جمهور المستمعين حين يسترجعون الماضي في تجلياته بمقارنته بالحاضر.

— ومما استشهد به الهمذاني في التدليل على زمن ومكان وقوع أحداث قصته في المقامة القزوينية بقوله : " غَزَوْتُ الثُّغْرَ بَقَرْوِينَ، سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ، فِيمَنْ غَزَاهُ، فَمَا أَجَزْنَا حَزْنًا، إِلَّا هَبَطْنَا بَطْنًا، حَتَّى وَقَفَ الْمَسِيرُ بِنَا عَلَى بَعْضِ قُرَاهَا"³.

وقزوين مدينة من جهة الديلم والكل من بلاد فارس، وفي ذلك التاريخ كانت قزوين من ثغور بلاد المسلمين وما وراءها من البلاد لم يكن قد اكتمل افتتاحه، وهي واقعة لها ما يؤكد لها من المدونات و الوثائق التاريخية ومسلم بها لدى الطرفين لا يمكن دحضها، وقد قدمها الكاتب ليثبت صحة دعواه على أساس الشراكة التي بينهما والمتمثلة في الإيمان بالمعتقد التاريخي المشترك الذي لا يمكن إنكاره أو رفضه.

ومما احتج به الهمذاني في مقاماته التدليل و الاستشهاد ببعض المواقف التاريخية من واقع الحضارة الإسلامية، موقف معاوية وعلي كرم الله وجهه في الخلافة و البيعة قوله : " وَحَضَرْنَا مَعَهُ دَعْوَةَ بَعْضِ التُّجَّارِ، فَقُدِّمَتْ

¹ كميلى واتيكي : كتاب الإمتاع و المؤانسة لأبي حيان التوحيدي بين سلطة الخطاب و قصدية الكتابة (مقاربة تداولية)، ط1، دار قرطبة للنشر و التوزيع، سنة 2004، ص 224.

² المقامة الدينارية: ص247.

³ المقامة القزوينية : ص102.

إِلَيْنَا مَضِيرَةٌ، تُثْنِي عَلَى الْحَضَارَةِ، وَتَرَجَّرُ فِي الْعَضَارَةِ، وَتُؤَذِّنُ بِالسَّلَامَةِ، وَتَشْهَدُ لِمَعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالْإِمَامَةِ¹.

ومعاوية ادّعى الخلافة بعد بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلم يكن من يشهد له في حياة علي إلا طلاب اللذائذ وبغاة الشهوات كما يرى شارح المقامة محد عبده². فلو كانت هذه المضيرة من طعام معاوية لحملت آكلها على الشهادة له بالخلافة وإن كان صاحب البيعة الشرعية حيا، وإسناد الشهادة إليها لأنها سببها الحامل عليها، والاحتجاج بهذا له ما يبرره فهو من باب تأكيد أن أتباع معاوية من طلاب اللذائذ حتى أن اللذة (وهنا المضيرة)، صارت و كأنها من طلابه و أتباعه - حسب زعم الكاتب- فشهدت له بأحقية في الخلافة و الإمامة.

4.2.7 الاستشهاد بالعقائد و القيم الدينية:

قد يلجأ المخاطب أحيانا إلى بعض التبريرات الغير الاستدلالية، حينما يجد أن المتلقي يرفض الاستماع إليه أو يتظاهر بالصمم، وهو يخترع الاعتراضات المتراوحة في التصنع، أو حين يجد نفسه في مواقف ميؤوس منها فتكون القيم الدينية أو العقائد مسعفا له، إذ تجعل المتلقي يؤمن بها بالتسليم دون محاولة البحث عن أسباب منطقية تدفعه إلى الاقتناع بها لأنها تتسم بالمشترك الجمعي الذي يعتقد في صحته وسلامته، والقابل للخضوع والإذعان؛ ولهذا " يعتمد خطاب الحجاج العربي في تدعيم التبرير اعتمادا جوهريا على القيم التي يكون تمسك الناس بها قويا أو التي تتسم بالشمولية بسبب موالاة كثير من الناس لها"³.

— وفي المقامة الأصفهانية نجد الهمذاني قد استند في مقامته على حجج قائمة على القيم الدينية و العادات المعهودة جمهور المستمعين؛ فقد استهلها بحرص عيسى بن هشام على أداء الصلاة المفروضة في وقتها واغتنام صلاة الجماعة، وهو احتجاج له ما يبرره في إبراز قيمة وفضل أداء الصلاة جماعة، والاستعانة ببركة الصلاة في قضاء الحوائج، فانسل عيسى بن هشام من بين أصحابه على غفلة منهم ليغتنم الثواب مع الجماعة خلف إمامهم، وهو مع ذلك كان يخشى فوات القافلة وسفرها قبل التمكن من مصاحبتها لو اشتغل بالصلاة وتركها وقد مثل ذلك في المقطع التالي: " فَلَمَّا حُمَّ مَا تَوَقَّعْتُهُ نُودِيَ لِلصَّلَاةِ نِدَاءً سَمِعْتُهُ، وَتَعَيَّنَ فَرَسٌ

¹ المقامة المضيرية : ص 122.

² المقامة المضيرية : ص 122.

³ محمد العبد: النص والخطاب و الاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، سنة 22005، ص212.

الإِجَابَةِ فَأَنْسَلَّتْ مِنْ بَيْنِ الصَّحَابَةِ، أُغْتِنِمُ الْجَمَاعَةَ أُذْرِكُهَا، وَأَخْشَى فَوْتَ الْقَافِلَةِ أَثْرُكَهَا، لَكِنِّي اسْتَعَنْتُ بِبِرِّكَاتِ الصَّلَاةِ، عَلَى وَعَثَاءِ الْفَلَاةِ" ¹.

وفي قوله: " فقرأ فاتحة الكتاب، بقراءة حمزة، مدّة وهمزة " ²، احتجاج بأن الإمام رتلها وأدى كل حرف حقه وبلغ بكل مد طبيعي حدّه حتى كأنه يتلو برواية حمزة من الآيات ما فيه مد وهمزة، وفي اختيار قراءة حمزة احتجاج لتمييزه عنهم في أغلب ما فيه همز ومد وللتوافق السجعات أيضا. وحمزة هو أحد القراء السبعة الذين روي عنهم هيئة النطق في القرآن.

وقد احتج أبو الفتح الإسكندري في نفس المقامة بما يريد به تعليم القوم الدعاء و كسب العطايا و الهبات مقابل ذلك برؤية النبي في المنام وإخباره له بسر هذا الدعاء، لعلمه لاعتقاد الناس بأن رؤية النبي في المنام حق مثبت في الشرع؛ فقال في المقامة: " قَدْ جِئْتُكُمْ بِبِشَارَةٍ مِنْ نَبِيِّكُمْ، لَكِنِّي لَا أُؤَدِّبُهَا حَتَّى يُطَهَّرَ اللَّهُ هَذَا الْمَسْجِدَ مِنْ كُلِّ نَذْلٍ يَجْحَدُ نُبُوَّةَهُ " ³.

وقد أثمرت هذه الحجة في نفس عيسى بن هشام فجعلته لا يقوم من مقامه بعد قوله (حتى يطهر الله هذا المسجد من كل نذل يجحد نبوته)، فلو قام لكان قد ألزم نفسه النذالة و جحد النبوة وأن الله قد طهر المسجد منه، فاضطر للبقاء تحاميا من رمي القوم له بهذه الأوصاف، ولهذا قال بعدها " فَرَبَطْنِي بِالْقِيُودِ، وَشَدَّنِي بِالْحَبَالِ السُّودِ " ⁴، وهي قيود التسليم و الخضوع والإقتناع.

— وفي المقامة المارستانية تأكيد على ما يذهب إليه بديع الزمان الهمذاني في كثير من استشهاداته ببعض القيم و العقائد الدينية، لما لها من رمزية و قداسة في نفوس من يؤمن بها و يعتقد، وهي عبارة عن ردود حول شبهات و عقائد المعتزلة الباطلة في الدين، من طرف المجنون الذي التقى به عيسى بن هشام وهو في صحبة أبي داود أحد أهل الجدل من المتكلمين المعتزلة، من مثل قولهم في الجبر و الاختيار، و إنكارهم لعذاب القبر، و في إنكارهم للصراط، و قولهم في القرآن بأنه حادث غير قديم. و يكفي أن نشير في هذه المقامة إلى مسألة الاختيار و كيف بنى المعتزلة استدلالاتهم فيها؟، وإلى الحجج التي قدمها المجنون في الرد عليهم في هذه القضية.

¹ المقامة الأصفهانية: ص 62.

² المقامة الأصفهانية: ص 63.

³ المقامة الأصفهانية: ص 65.

⁴ المقامة الأصفهانية: ص 65.

فالمعتزلة يذهبون إلى أن العبد مختار مطلق في أفعاله وما لإرادة اله دخل فيها، ويرد المنون ويدفع ذلك مقررًا أن الاختيار لله وحده وليس للعبد إرادة مطلقة في أفعاله وأن الأمور و تصرفها سواء كانت من أفعال العبد أم لا هي بيد الله لا بيد العبد؛ عن طريق حجتين هما :

— الأولى : حجة عقلية :فإن كانت معيشتهم جبرية، وكل يحس من نفسه أنه مصرف بقوة أعلى وهو في يومه لا يعلم ما يكون في غده، بل هو في عمله المشتغل به لا يأمن أن يعرض عليه ما يمنعه من إتمامه، بل هو في تناول شربة من ماء أو لقمة من غذاء في خطر أن يغص بها فيموت فكيف مع شهود هذه الحال من أنفسهم يذهبون أن الخيرة للعبد في أحواله و أعماله، والكلام متضمن في قوله : " وَأَنْتُمْ يَا مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ تَعِيشُونَ جَبْرًا، وَتَمُوتُونَ صَبْرًا وَتُسَاقُونَ إِلَى الْمَقْدُورِ قَهْرًا"¹.

— الثانية : حجة نقلية : وهي متضمنة في قوله : " وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ"²، وهنا استشهاد بالقرآن، قد زاد في البعد الحجاجي الذي يريده المنون في الرد على أبي داود و أتباعه من المعتزلة، وقد جاءت الآية جوابا للقائلين : ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾[سورة آل عمران، الآية 154]؛ والمراد من ذلك أن الجبن والقعود لا يطول أجلا فلو كانوا في بيوتهم على حذر من حتوفهم وكان قد قدر لبعضهم أن يموتوا لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى حيث يصرعون.

وفي اختيار الهمذاني لشخص مجنون يتصدى للرد على أقوال المعتزلة قيمة حجاجية عظيمة و في قوة التبرير الذي استند من حجج عقلية و نقلية؛ وكأنه يقول لأبي داود : هذا هو ردنا قد أتاك من عند آخر رجل فينا غير عاقل لا يدرك بأسلوب مفحم ورد مقنع، فكيف إذا تصدى لمواجهتكم عقلاءنا و حكماءنا ، فهو باختياره هذا يحقق غاية حجاجية عظيمة متمثلة في تسفيهه و احتقار آراءهم و معتقداتهم مقارنة بأفكار و معتقدات أهل السنة.

— و مما استدل به الهمذاني بعض المواقف الدينية قوله في المقامة النيسابورية على لسان الراوية عيسى بن هشام حين التقى بأبي الفتح الإسكندري وسأله : " ، فَقُلْتُ: سَقَى اللَّهُ أَرْضًا أَنْبَتَتْ هَذَا الْفَضْلَ، وَأَبًا خَلْفَ هَذَا النَّسْلِ، فَأَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكَعْبَةَ، فَقُلْتُ: بَخٌّ بِأَكْلِهَا وَلَمَا تُطْبَخُ، وَنَحْنُ إِذَا رَفِاقٌ فَقَالَ: كَيْفَ ذَلِكَ

¹ المقامة المارستانية : ص ص: 141-142.

² المقامة المارستانية : ص 142.

وَأَنَا مُصَعَّدٌ وَأَنْتَ مُصَوَّبٌ؟! قُلْتُ: فَكَيْفَ تُصَعَّدُ إِلَى الْكَعْبَةِ؟ قَالَ: أَمَا إِنِّي أُرِيدُ كَعْبَةَ الْمُحْتَاكِ، لَا كَعْبَةَ الْحُجَّاجِ وَمَشْعَرَ الْكَرَمِ، لَا مَشْعَرَ الْحَرَمِ، وَبَيْتَ السَّنِيِّ، لَا بَيْتَ الْهَدْيِ، وَقِبْلَةَ الصَّلَاتِ، لَا قِبْلَةَ الصَّلَاةِ، وَمَنَى الضَّيْفِ لَا مَنَى الْخَيْفِ" ¹.

فقد استعظم واستحسن عيسى بن هشام عمل الإسكندر بن حين أجابه بوجهته إلى الكعبة، وهو احتجاج بقيمة دينية على قداستها في نفوس المسلمين، تفرض الاحترام والتقدير لمن يقوم بها، ومن ثم التبجيل، فينشأ بذلك الإقتناع والتصديق لكل أقواله وأفعال الناسك، فتؤدي هذه الرمزية الدينية في الخطاب وظيفة حجاجية لغاية التسليم والإذعان.

وفد كان في اختيار الألفاظ: بخ بخ، أكلها، لم تطبخ، وفي معناها بأن ثوابها عظيم وهي الآن لم تكمل فإن تمت كان ثوابها أعظم، احتجاج بالإيماء إلى أن الأمر مطلوب للنفس مشتتهى لها كما يشتهي الطعام الجائع ².

ونفس الشيء يقال في اختيار الألفاظ: المشعر الحرام، بيت الهدى، قبله الصلاة، منى؛ وهي مصطلحات لها دلالتها عند جمهور المتلقين من خلال مبدأ (ومن يعظم شعائر الله فإن ذلك من تقوى القلوب).

5.2.7 الاستشهاد بالشخصيات:

تعتبر الشخصية من الحجج الحية، والاستشهاد بها يعد حجة جاهزة غير اصطناعية، فالمحتج يأتي بها دون تحويرها أو تغييرها لأنها حقيقة ثابتة في التاريخ، مؤكدة بفعل السند أو التوثيق، حتى وإن استعملت في غير سياقها، إلا أن طابعها التاريخي والحضاري يظل قائما دون شك بفعل تواترها، وحضور الأعلام والشخصيات في النص لا يأتي مجرد ذكر الوقائع التاريخية، وإنما يؤتى بها لما علق بها من دلالات ومعان، من شأنها أن تزيد في تقوية الاحتجاج بها.

— مما جاء في المقامة الصيمرية: " وَشَاعَ الْخَبْرُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ بِفَعْلِي مَعَهُمْ، وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ يَزْدَادُ حَتَّى بَلَغَ الْوَزِيرَ الْقَاسِمَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ طَلَبَ كَاتِبًا لَهُ فَافْتَقَدَهُ، فَقِيلَ: إِنَّهُ فِي مَنْزِلِهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْخُرُوجِ، قَالَ: وَلِمَ؟ قِيلَ: مِنْ أَجْلِ مَا صَنَعَ أَبُو الْعَنْبَسِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ امْتَحَنَ بَعْشَرَتِهِ وَمُنَادَمَتِهِ، فَضَحِكَ حَتَّى كَادَ يُبُولُ

¹ المقامة النيسابوري: ص ص 228-229.

² شرح المقامة النيسابوري: ص 228.

فِي سَرَائِيلِهِ أَوْ بَالٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَ وَمَا أَخْطَأَ فِيمَا فَعَلَ، ذَرُوهُ فَإِنَّهُ أَعْلَمُ النَّاسَ بِهِمْ، ثُمَّ وَجَّهَ إِلَيَّ خِلْعَةً سَنِيَّةً، وَقَادَ فَرَسًا بِمَرْكَبٍ، وَحَمَلَ إِلَيَّ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، لاسْتِحْسَانِهِ فِعْلِي"¹.
فقد استشهد الهمذاني بشخصية الوزير القاسم بن عبد الله، وهو والد أبي جعفر محمد بن القاسم الذي استوزره القاهر العباسي بعد عزل أبي علي بن مقله، و استوزره أبوه عبيدالله للخليفة المعتضد كما استوزره هو له أيضا سنة 278 هـ².

— ونجد الهمذاني في المقامة الجاحظية يحتج بشخصيتين أدبيتين معروفتين في التراث العربي في قوله: " ، وَنَحْنُ فِي الْحَدِيثِ نَجْرِي مَعَهُ، حَتَّى وَقَفَ بِنَا عَلَيَّ ذِكْرُ الْجَاحِظِ وَخَطَائِبِهِ، وَوَصَفَ ابْنَ الْمُفْعَعِ وَذَرَائِبِهِ"³. والجاحظ من سلفاء العلماء في الأمة الإسلامية مات في خمس و خمسين ومائتين من الهجرة وكان أخطب أهل وقته وأكتب أبناء عصره، أما ابن المفعع من الحكماء المشهورين بالبلغاء المعروفين، وقد ترجم كتاب كليله ودمنة من الفارسية، وهو من رجال المائة الثانية من الهجرة⁴.

وقد احتج عيسى بن هشام وأصحابه بلسن الجاحظ وتمكنه في البلاغة، وحسن سننه في الفصاحة وسننه، غير أن هذه الحججة قد قوبلت بالرد و الرفض من طرف أبي الفتح الإسكندري المحاور لهم وحجته في ذلك بأنه لو كان الجاحظ بليغا كما تصفون لوجدتم له شعرا، وهو ما عبر عنه الهمذاني في قوله: " فَقَالَ: إِنَّ الْجَاحِظَ فِي أَحَدِ شِقِّي الْبَلَاغَةَ يَقْطِفُ، وَفِي الْآخَرِ يَقْفُ، وَالْبَلِغُ مَنْ لَمْ يُقْصِرْ نَظْمُهُ عَن نَثْرِهِ، وَلَمْ يُزِرْ كَلَامَهُ بِشِعْرِهِ، فَهَلْ تَرَوُونَ لِلْجَاحِظِ شِعْرًا رَائِعًا؟ قُلْنَا: لَا"⁵.

فكأن أبو الفتح الإسكندري يشترط في البليغ أن يكون مجيدا في النثر والنظم معا فلا يزري نثره شعره، أي إذا نظرت إلى كلامه في النثر ثم نظرت إلى شعره في النظم لعلو النثر عليه، بل ترى كلا منهما رفيعا في بابه، وهو يؤكد أيضا على أن من نظرت إلى نثره وحقرت شعره بالقياس إليه فليس بليغ.

¹ المقامة الصيمرية: ص244.

² شرح المقامة الصيمرية: ص244.

³ المقامة الجاحظية: ص89.

⁴ شرح المقامة الجاحظية: ص89.

⁵ المقامة الجاحظية: ص ص 89-90..

والحجة التي قدمها أبو الفتح الإسكندري في تحديد طبيعة البليغ و وصفه قد تكون قوية عند العامة من الناس ولكنها ليست كذلك عند أهل العلم و الصناعة، وصحيح إذا اجتمعت الإجابة في النوعين لواحد كان أكمل من المجيد في واحد فقط.

و لم يتوقف أبو الفتح في محاجته عند نفي صفة البلاغة عنه لعدم قوله الشعر، مدعما حكمه السابق بحجة ثانية بقوله : " ، قَالَ: فَهَلُمُّوا إِلَى كَلَامِهِ، فَهُوَ بَعِيدُ الْإِشَارَاتِ، قَلِيلُ الْإِسْتِعَارَاتِ، قَرِيبُ الْعِبَارَاتِ، مُنْقَادٌ لِعُرْيَانِ الْكَلَامِ يَسْتَعْمِلُهُ، نَفُورٌ مِنْ مُعْتَاصِهِ يُهْمِلُهُ، فَهَلْ سَمِعْتُمْ لَهُ لَفْظَةً مَصْنُوعَةً، أَوْ كَلِمَةً غَيْرَ مَسْمُوعَةٍ؟ فَقُلْنَا: لَا"¹.

فهو يحتج بأن كلامه لا يكسوه ثوب الصناعة ولا ينجلي في حلل التخيل من نسيج القرينة، وكأن الكلام العريان له غلبة على الجاحظ فهو منقاد له، وأن مفرداته و أساليبه ليس منها شيء يستغربه السمع و يستطرفه بل كله مما لم تطفه الصناعة و لم يأت منه على النفس ما تعجب له. وأن المذهب الذي سلكه الجاحظ هو مذهب رجال البلاغة الأولين السابقين. وأما المصنوعات فهي من أحداث الموضوعات لا ينظر إليها إلا صببية هذه الصناعة وقد ألفت هذه الحجج التي ساقها أبو الفتح الإسكندري وقعتها في نفوس أصحاب عيسى بن هشام عن طريق الاستفهام كأداة لإقحام الخصم في المواجهة، وتحضيره واستدراجه للترال، و وسيلة ل" إعداد الآخرين وتهيئتهم " ² كما يقول ميشال ماير؛ فدفعهم ذلك إلى الإقرار حين سألمهم (فهل سمعتم له لفظة مصنوعة، أو كلمة غير مسموعة؟) بقولهم : لا. واستفهام التقرير هذا الذي استعمله المناظر كأسلوب حجاجي لا يطلب الخبر فقط، بل يبحث في إقراره على الخصم ليضعه أمام تبعاته، وهو استفهام توريطي في نفس الوقت بوصفه آلية إقناعية تشتغل في العديد من المناظرات، حيث ينصب السؤال " طعما للخصم فيجره إلى خلاف اعتقاده أو التكرار لرأيه، والانسجام مع موقف مناظره. . بحيث يتحول إلى محاجج ضد أفكاره دون أن يشعر"³.

¹ المقامة الجاحظية : ص 90.

² Michel meyer :les fondements de l'argumentation et questionnement , sous la direction de corinne hoogaert ,paris,pres universitaires er France , 1996, p51 .

³ عبد اللطيف عادل : بلاغة الإقناع في المناظرة، ص ص: 218-219.

الفصل الرابع

الفصل الرابع: حجاجية الأفعال الكلامية وقواعد التخاطب في مقامات الهمداني.

1. الأفعال الكلامية.

1.1 مفهوم الفعل الكلامي.

2.1 الأفعال الكلامية عند أوستين.

1.2.1 طبيعة الأفعال الكلامية عند أوستين.

2.2.1 أصناف الأفعال الكلامية عند أوستين.

3.1 الأفعال الكلامية عند سورل.

1.3.1 طبيعة الأفعال الكلامية عند سورل.

2.3.1 أصناف الأفعال الكلامية عند سورل.

2. الأفعال الكلامية في مقامات الهمداني.

1.2.1 الأمريات.

1.1.2 فعل الأمر.

2.1.2 فعل الاستفهام.

3.1.2 فعل التمني.

2.2.2 التعبيريات.

3.2.2 الإعلانات.

4.2.2 الوعديات.

5.2.2 التقريريات.

1.5.2 الإثبات.

2.5.2 النفي.

2. قوانين التخاطب في مقامات الهمداني.

1.2.1 مبدأ التعاون المشترك.

1.1.2 قانون الإخباريّة .

2.1.2 قانون الشمول.

3.1.2 قانون الإفادة.

4.1.2 مبدأ الصدق.

2.2 مبدأ التأدب.

3.2 مبدأ التأدب الأقصى.

4.2 مبدأ التصديق.

1. الأفعال الكلامية:

يعدّ مجال الأفعال الكلامية من أهم مجالات البحث اللساني التداولي، وأن بداية الخوض في هذا الحقل المعرفي الجديد لابد وأن يتناول الحديث عن الأفعال الكلامية؛ فالعلاقة بينهما شديدة اللصق والارتباط، فهما يشتركان معا في الهدف العام، وهو الاستعمال اللغوي في التواصل الإنساني، كما ارتبطت الجهود المقدمة حولهما في البداية بجهود الفيلسوف الإنجليزي أوستين¹.

1.1 مفهوم الفعل الكلامي:

وهو النواة المركزية في الكثير من الدراسات التداولية، منبثق من تيار الفلسفة التحليلية، وفحواه: " أن كل منطوق ينهض على نظام شكلي دلالي إنحازي تأثيري، فضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل بأفعال قولية إلى تحقيق أغراض إنحازية (كالطلب، والأمر، والوعد، والوعيد ... إلخ) وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض، والقبول)، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المتلقي-اجتماعيا أو مؤسستيا- ومن ثم إنحاز شيء ما " ²، فالأفعال الكلامية تتعامل مع اللغة على أنها أنساق لا يمكن تحديد خصائصها إلا بربطها بظروف الإنتاج اللغوي؛ أي أن اللغة بنية وظيفية تتجاوز كونها وسيلة تواصل إلى وسيلة تأثير في العالم والسلوك تظهر من خلال الآثار والنتائج المترتبة³.

وقد أورد بعض الدارسين خصائص للفعل الكلامي رأوا بأنها مهمة و مطلوبة لنجاح الفعل الكلامي، بالإضافة إلى تحديدها لماهيته نوجزها كالآتي⁴:

-فعل لغوي، أو لفظي، أو قولي.

-فعل إنساني؛ يتبع غايات معينة يختارها الإنسان.

-فعل قصدي يصح طلب المسؤولية عنه.

-فعل له معنى، وهذا المعنى لابد أن يكون قابلا للفهم.

-فعل متوجه به إلى مخاطب.

1 علي محمود حجي الصراف: الأفعال الإنحازية في العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 1، سنة 2010، ص 22.

2 مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص ص: 54-55.

3. Austin: Quand dire c'est faire, introduction, traduction et commentaire par **gille laine**, édit, du seul, 1970pp13,14

4 علي محمود حجي الصراف: الأفعال الإنحازية في العربية المعاصرة، ص ص: 23-24.

-فعل مقيد بالقواعد.

-فعل خاضع للمواضعة و التعاقد.

-فعل له طبيعة اجتماعية.

-فعل له طبيعة سياقية.

2.1 الأفعال الكلامية عند أوستين:

1.2.1 طبيعة الأفعال الكلامية عند أوستين:

قدم أوستين اقتراحا معارضا لأفعال أخرى لا يقصد من النطق بها أداء أعمالها التي تدل عليها، وإنما يقصد بها الوصف، أو التقرير لشيء في العالم الخارجي؛ أطلق عليه الفعل الإنجازي الذي لا يحكم عباراته مقياس الصدق والكذب، وهو فعل أدائي ننجزه في أثناء النطق به؛ أي أن القول هو أحيانا أداء الفعل، يتزامن النطق به مع تحقق مدلوله.

وتمتاز الأفعال الإنجازية عنده بالسماوات التالية¹:

أ- منطوقة لها معان، ومعناها هو العمل الذي ينجز من خلال النطق بها.

ب- يعد النطق بالجملة أداء للفعل، أو جزء منه.

ج- هذه الأفعال لا تصف أي شيء على الإطلاق، ولا تقرره، أو تثبته.

د- ليست منطوقات صادقة أو كاذبة، لأنها لا نخبرنا بشيء يمكن الحكم عليه بالصدق أو الكذب.

ه- فعلها في صورة المضارع المسند إلى الفرد المتكلم، وأن يكون هذا المضارع خبريا مثبتا مبنيا للمعلوم. وقد

عَدَلَ عنه أوستين لاحقا.

كما لاحظ أوستين أنه يمكن تقدير فعل، وفق الشروط المذكورة، في العبارات الوصفية كقولنا: (الجو جميل)،

لتصير إنجازية؛ فالعبارات الملفوطة إنجازية على نوعين:

-إنجازية صريحة (مباشرة): فعلها ظاهر (أمر، حض، دعاء، نهي) بصيغة الحاضر المنسوب إلى المتكلم.

-إنجازية ضمنية (غير مباشرة): فعلها غير ظاهر، تعتمد على المقام؛ مثل (سأكون هناك)؛ فقد يكون هذا الفعل

وعدا وقد لا يكون.

1علي محمود حجي الصراف: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 23-24.

وقد توصل أوستين في آخر مرحلة من بحثه إلى أن قول شيء ما : يعني فعل شيء ما أو أننا نفعل شيئاً ما بقولنا شيئاً ما، وحسب تحليل أوستين فإن الفعل الكلامي يحتوي على ثلاثة أفعال فرعية تشكل كيانا واحداً وتحدث في وقت واحد على النحو التالي:

1-فعل القول (أو الفعل اللغوي):Acte locutoire

ويراد به " إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة" ¹؛ ويتفرع إلى: الفعل الصوتي، والفعل التركيبي، والفعل الدلالي (نسبة إلى المستويات اللسانية المعهودة).

2-الفعل المتضمن في القول Acte illocutoire:

وهو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ " إنه عمل ينجز بقول ما " ²، والفرق بين الفعل الأول و الفعل الثاني؛ هو أن الثاني قيام بفعل ضمن قول شيء ما في مقابل الفعل الأول الذي هو مجرد قول شيء ما.

3-الفعل الناتج عن القول perlocutoire Acte: ويسميه البعض بالفعل التأثيري ، وهو مجموع الآثار

الناتجة عن الفعل السابق، ويصفه أوستين بأنه " التسبب في نشوء آثار في المشاعر و الفكر، ومن أمثلة تلك الآثار: الإقناع، التضليل، الإرشاد،التثبيط... " ³.

وقد أدرك أوستين أن كل فعل كلامي أصيل يشمل بالضرورة الفعل القولي و الفعل الإنجازي أما الفعل التأثيري لا يلازم الأفعال جميعاً فمنها ما لا تأثير له في السامع أو المخاطب، وإذا كان الفعل القولي لا ينعقد الكلام إلا به والفعل التأثيري لا يلازم الأفعال جميعاً، فإن أوستين وجه جل اهتمامه إلى الأفعال الإنجازية حتى أصبحت تعرف باسمه، كما توصل إلى أن كل فعل من هذه الأفعال يتميز بتوفره على قوة إنجازية، وهي " تفترض تزامناً تاماً بين موضوع المفوضية، أو المتلفظ" ⁴.

1Austin: Quand dire c'est faire, p109.

2 Ibid : p113

3Ibid:p114.

4D. Maingueneau: Pragmatique pour le discours littéraire, p06.

2.2.1 أصناف الأفعال الكلامية عند أوستين:

وقد جاء هذا الإسهام في مجال نظرية الأفعال الكلامية في المحاضرة الثانية عشرة الأخيرة في كتابه (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)، إذ صنف الأفعال الكلامية على أساس مفهوم القوة الإنجازية، فجعلها خمسة أصناف جاءت كالتالي¹:

1-الحكميات Verdicatives:

وهي الأحكام الناتجة عن إصدار حكم سواء أكان من هيئة قضائية أم من محكم تختاره الأطراف، غير أنه ليس من الضروري أن تكون هذه القرارات نهائية؛ فقد يكون الحكم مثلاً تقديرياً، أو على صورة رأي، أو تقييماً (حكم، وعد، وصف، . . . إلخ).

2-الأمريات Exercitives:

يشير أوستين إلى أن هذا النوع متعلق بالسلة، والقانون، والنفوذ، وأمثلة ذلك: التعيين في المناصب والانتخابات وإصدار الأوامر التفسيرية في المذكرات، وإعطاء التوجيهات التنفيذية القريبة من النصح والتحذير، وغيرها (أمر قاد، طلب ...).

3-الوعديات Comissives:

وهي الأفعال التي تلزم المتكلم من خلال النطق بما يتصرف أو نشاط معين، ونموذجه إعطاء الوعد أو التكفل والضمان والتعهد؛ ويدخل التصريح والقصد في الوعد وهناك أمور أخرى تجتمع تحت خطبة الزواج أو التواعد به والمناصرة لرأي (وعد، تمنى، التزم بعقد، أقسم ...).

4-التعبيريات أو التوضيحيات Expositives:

وهي أصعب الأصناف الكلامية تعريفاً عند أوستين، ولكنها عموماً تبين كيف أن العبارات المنطوق بها تجري مجرى الاحتجاج والنقاش، كما تكشف كيف أننا نستخدم الألفاظ، وبوجه عام يصلح هذا الصنف لطريقة العرض (أكد، أنكر، أجب، احتج، أوضح ... إلخ).

5- السلوكيات Behabitives:

1فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، د ط، سنة 1986، ص 62.

وهي ردود أفعال، وتعبيرات تجاه السلوك، لا يمكن حصر أطرافها بسهولة ولكنها تندرج كلها تحت باب السلوك و الأعراف المجتمعية؛ وأمثلتها : الاعتذاريات، والتهاني، والتعازي، والقسم، وأنواع السباب، والقذف، والتحدي.

3.1 الأفعال الكلامية عند سورل:

1.3.1 طبيعة الأفعال الكلامية عند سورل:

أسهم الفيلسوف الأمريكي جون سورل بجهود واضحة شملت تعديلات لما قدمه أوستين في نظريته؛ إذ يعد أول من قام بتطويرها ، وتقديم إضافات جديدة في بعض النقاط، فشرحها أكثر ببيان شروط تحول فعل من حال إلى حال أخرى، وآليات ذلك، وتوضيح خطوات استنتاج الفعل المقصود، ونقل الاهتمام من الوحدة الصغرى للغة بوصفها نظاما إلى الوحدة الصغرى للكلام بوصفه أداء و استعمالا اتصاليا؛ وهكذا فقد قام بضبط وإحكام عام لنظرية الأفعال الكلامية¹.

ومما قدمه سورل أيضا أنه أعاد تقسيم الأفعال الكلامية، وميز بين أربعة أقسام²:

فعل القول **Acte d'enonciation**:

ويتمثل في النطق الصوتي للألفاظ على نسق نحوي و معجمي صحيح، ويقابله عند أوستين كلا من الفعل الصوتي و الفعل التركيبي.

الفعل القضوي **Acte propositionnel**: ويقابله الفعل الدلالي عند أوستين، وقد جعله سورل يتكون

من فرعين هما: (الفعل الإحالي، والفعل الحملّي)، ولتوضيح ذلك نذكر الأمثلة التالية:

1 – يذاكر زيد دروسه.

2 – أذاكر زيد دروسه؟.

3 – يا زيد، ذاكر دروسك.

1 علي محمود حجي الصراف: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة: ص 51.

2 J.L.Searl : les actes de langage (essai de philosophie du langage), collection savoir, lettre, Hermann, paris, nouveau tirage, 1996, p60.

ويتمثل الإحالي في المرجع الذي هو محور الحديث فيها جميعاً؛ وهو هنا زيد في الجمل الثلاث، وأما الحملي فيتمثل في الخبر وهو فيها جميعاً مذاكرة الدروس، و الرجوع و الخبر يمثلان معا قضية هي مذاكرة الدروس، والقضية هي المحتوى المشترك بينها جميعاً.

الفعل الإنجازي Acte illocutionnaire: وهو على نحو ما فعل أوستين؛ أي أنه لا يختلف عما اقترحه أستاذه، فالفعل الإنجازي دائماً هو الفعل الذي يتحقق في الواقع بمجرد التلفظ به؛ وهو الإخبار في الجملة الأولى و الاستفهام في الجملة الثانية، والأمر في الجملة الثالثة.

الفعل التأثيري Acte perlocutionnaire: وهو على نحو ما فعل أوستين؛ ليس له أهمية كبيرة عنده، لأنه ليس من الضروري عنده أن يكون لكل فعل تأثير في السامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما. ومما يجب الإشارة إليه أن مفهوم الفعل الإنجازي ومفهوم الفعل التأثيري عند هذا الباحث لا يختلف مفهومهما عما تناوله أوستين، إلا أن الاختلاف الجوهرى بينهما يكمن في الفعل القضوي الذي جاء كقسم مستقل عن فعل القول عند سورل.

ومن إسهامات سورل في هذا الباب أن طور شروط الملائمة عند أوستين التي إذا تحققت في الفعل الإنجازي الكلامي كان موفقاً و ناجحاً وقسمها إلى أربعة شروط هي¹:

- 1 - شرط المحتوى القضوي: إذ ينبغي أن يتوفر فعل التلفظ على قضية، وأن تسند هذه القضية إلى المتكلم فعلاً مستقبلياً مثل: (أعد أن أعرضه في جلسة الثلاثاء القادم).
- 2 - الشرط التمهيدي: ويتحقق عندما:
 - أ - يكون المتكلم أو المتلقي قادراً على إنجاز الفعل.
 - ب - لا يكون واضحاً لكل من المتلقي أو المتكلم أن المتلقي سينجز الفعل المطلوب في الجرى الاعتيادي للأحداث.

3 - شرط الإخلاص (الصدق): وتحقق حين يكون المتكلم مخلصاً أو صادقاً في أداء الفعل الإنجازي، فلا يقول غير ما يعتقد، ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع.

4 - الشرط الأساسي: هو محاولة حث المتلقي على إنجاز فعل معين.
وقد قدم سورل بعض الأبعاد التي يختلف بها كل فعل إنجازي عن الآخر¹:

1علي محمود حجي الصراف: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة: ص ص: 52-53

- 1 - الاختلاف في الغرض الإنجازي: فالغرض الإنجازي لفعل الأمر هو التأثير في المخاطب، والغرض الإنجازي للوعد هو لإلزام المتكلم نفسه بفعل ما للمخاطب.
- 2 - الاختلاف في القوة أو الدرجة التي يعرض بها الغرض الإنجازي : فالفعل الكلامي (أقترح عليك أن تفعل كذا) أقل قوة و درجة من الفعل الكلامي (أصر أن تفعل كذا) رغم اشتراكهما في الغرض الإنجازي.
- 3 - الاختلاف في اتجاه المطابقة بين الكلمات والعالم: حيث إن الغرض الإنجازي لفعل ما يوجد دائما نسبة بين المحتوى القضوي لذلك الفعل و العالم الذي تعيش فيه البشرية؛ فإتجاه المطابقة في الإخباريات يكون من الكلمات إلى العالم وفي الوعديت عكس ذلك.
- 4 - الاختلاف في الموقف النفسي الذي يعبر عنه المتكلم: فالذي يعتذر يعبر عن حالة الندم على ما فرط، والذي يأمر أو يرجو يعبر عن رغبة في أن ينجز السامع الفعل. ومن المعروف أن الحالة السيكلوجية المعبر عنها بنطق الفعل الإنجازي هي شرط الإخلاص للفعل.
- 5 - الاختلاف في عناصر السياق: حيث يختلف الفعل الإنجازي عب غيره باختلاف عناصر السياق المحيطة به مثل الموقف النفسي و المكانة الاجتماعية واهتمامات كل من المتكلم و المتلقي، بالإضافة إلى عنصري الزمان و المكان وغيرهما.
- 6 - الاختلاف في متزلة كلا من المتكلم و المتلقي: فإذا جاء الطلب من الأعلى متزلة إلى الأدنى يكون أمرا و إذا كان العكس يكون التماسا أو اقتراحا أو رجاء.
- 7 - الاختلاف في الأفعال بين قابليتها للأداء الإنجازي، وعدم قابليتها لهذا الأداء: فالأفعال من قبيل (أن أفنعك) أو (أنا أفزعك) لا تؤدي بمجرد النطق بها.
- 9 - الاختلاف في أن يكون القول دائما فعلا كلاميا، وأن يمكن أن يكون فعلا كلاميا ، لكننا لسنا في حاجة إلى جعله كذلك: فهناك أفعال إنجازية يتم أدائها بالنطق بها، ويتم أدائها عن طرق العمل غير الكلامي، ومنها: أصنف، أقدر القيمة، أشخص الحالة، أستنتج، . . . إلخ. فهذه الأفعال يمكن أدائها عمليا بدون كلام أو نطق.
- 10 - الاختلاف بين الأفعال التي تتطلب في أدائها مؤسسات غير لغوية والأفعال التي لا تقتضي ذلك مثل : الزواج، وإعلان الحرب.

1 فيليب بلانشيه : التداولية (من أوستين إلى غوفمان)، ص ص: 63-65.

11 – الاختلاف في أسلوب أداء الفعل الإنجازي كالاختلاف بين أسلوب الإعلان و أسلوب الإسرار رغم اشتراكهما في الغرض الإنجازي والمحتوى القضوي و يختلفان في أسلوب الأداء فحسب.

1.3.2 أصناف الأفعال الكلامية عند سورل:

صنف سورل الأفعال الكلامية في خمس مجموعات¹:

1 –التقريريات **ASSERTIVES**:

وتسمى أيضا التأكيدات، الغرض منها هو نقل المتكلم لواقعة ما بدرجات متفاوتة من خلال قضية محددة يعبر بها عن هذه الواقعة، وأفعال هذا الصنف كلها تحمل الصدق و الكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم كالتقرير و الاستنتاج.

2 –الأمريات **DIRECTIVES**:

والغرض الإنجازي في هذا الصنف هو محاولة المتكلم توجيه المتلقي إلى فعل شيء ما، أو التأثير عليه ليفعل شيئا معينا، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، و شرط الصدق فيها يتمثل في الإرادة أو الرغبة والمحتوى القضوي فيها هو فعل السامع شيئا في المستقبل كالأمر و الرجاء.

3 –الوعديات **COMMISSIVES**:

وتسمى أفعال النعهد، وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بدرجات متفاوتة بفعل شيء ما في المستقبل، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، و شرط الإخلاص هو القصد.

4 –الإيقاعيات **EXPRESSIVES**:

وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الحالة النفسية بشرط أن يكون هناك نية صادقة، اتجاه المطابقة في هذه الأفعال هو الاتجاه الفارغ، و شرط الإخلاص يمكن اعتباره في صدق التعبير عن الموقف النفسي، وهذا يوافق إجمالا السلوكيات في تصنيفية أوستين ومثال ذلك قولك: اعذرني.

5 –الإعلانيات **Déclarations**:

ويكون الغرض الإنجازي في هذا الصنف هو إحداث تغيير في العالم، بحيث يطابق العالم القضية المعبر عنها بالفعل الإنجازي. بمجرد الأداء الناجح للفعل، واتجاه المطابقة هنا هو الاتجاه المزدوج، ويتم ذلك بالاستناد إلى مؤسسة غير لغوية؛ اجتماعية أو قانونية ومثاله (أعلن الحرب عليكم)، ولا تحتاج الأفعال هنا من شرط الإخلاص سوى الاعتقاد بأن الفعل وقع ناجحا، والرغبة في وقوعه ناجحا.

¹فيليب بلانشيه: التداولية (من أوستين إلى غوفمان)، ص 66.

2. الأفعال الكلامية في مقامات الهمداني:

1.2. الأمرات:

1.1.2. فعل الأمر:

كثيرا ما يلجأ الباحث في خطابه إلى تناول أساليب لغوية مرتبطة بواقع استعمال اللغة من شأنها أن تحدث التغيير في العالم، وقد تناول النحاة أسلوب الأمر وقعه في صيغة الأمر وحده ونظروا إليه من جهة أحوال بنائه، أما البلاغيون فقد وسعوا دائرته وربطوه بصيغ الطلب التي تدل على الأمر، وهو عندهم "طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الأمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطب أو يوجه الأمر إليه سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا"¹، ويعرفه العلوي أيضا "وهو صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ على استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء"².

وهكذا نجد البلاغيين يشترطون أن يكون المتكلم في وضع يخول له الأمر، ويتصف بما يجعله أمر، وربطوه بوظائف المتكلم، كما سعوا إلى دمج بنية الخطاب اللغوي ببنية المقاصد التي يتدبرونها على وجه الحقيقة أو المجاز.

لكن الزمخشري: "الذي راعى قواعد البلاغيين، لم ير رؤيتهم في أسلوب الأمر المجازي؛ فالأمر المجازي عنده قد يكون تشريعا للناس، ولا يشترط فيه الاستعلاء وقد يصور الحالة النفسية للأمر، وللمخاطبين على اختلاف مكانة الأمر والمأمور وشرفهما... دون أن يهمل كيفية وقوع الأمر ووظيفته، فالأمر أيا كان ينطوي على وظيفة نفسية أو اجتماعية أو سياسية أو أخلاقية أو تربوية أو عاطفية"³. ويتخذ الأمر في العربية أساليب تحمل صفة القصدية ضمن الصيغ اللغوية والبلاغية التي اتفق عليها القدماء والمحدثون لمثل ما تنفتح على دلائل كثيرة عند القارئ. وللأمر صيغ تولد أفعالا انجازية ونشاطات عاطفية وحالات فكرية ثابتة⁴، نذكرها كما يلي:

1 صيغ الأمر المعروفة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: الآية 43].

2 فعل المضارع المقترن بلام الأمر نحو قوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: الآية 7].

1 عبد العزيز عتيق: علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1985، ص 75.

2 العلوي يحيى بن حمزة: الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تقديم ابراهيم الخولي، الهيئة العامة لعصو الثقافة، القاهرة، 2009، ج3، ص 281-282.

3 حسين جمعة: جمالية الخير والإنشاء (دراسة جمالية بلاغية نقدية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2005، ص 102-103.

4 حسين جمعة: جمالية الخير والإنشاء، المرجع نفسه، ص 103.

3 صيغ اسم فعل الأمر: وهي كلمة تدل على ما يدل عليه الفعل، وأقسام اسم فعل الأمر ثلاثة:

- أسماء مرتجلة: أي وضعت في أصلها كذلك (أمين: بمعنى استجب) و (صه: أسكت) و (مه: اكف) و (حي: أقبل) و (بله: دع أو اترك).

- أسماء منقولة إما عن جار ومجرور: (عليك نفسك: أي الزمها)، (إليك عني: أي ابتعد وتنح)، وإما عن ظرف (دونك الكتاب: أي خذه)، (مكانك: أثبت)، وإما عن مصدر كقولك (رويدك: تمهل)، (بله الشر: اتركه) وقد ينقل اسم الفعل من كلمات تفيد التنبيه كما في (ها) كقولنا (ها الكتاب: أي خذه).
- أسماء معدولة من مثل (نزال، حذار).

4 المصدر النائب عن فعله: وهو اللفظ الدال على الحدث غير مقترن بالزمان، متضمن أحرف فعله لفظا كقوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: الآية 83]، فلفظ إحسانا نائب عن فعل الأمر (أحسن). ويظهر من خلال هذه الرؤية البلاغية الموسعة في تعبيره على استعمال اللغة في الحال أو الاستقبال واشتراطه الأحوال الذهنية للمتكلم والمخاطب من استعلاء وإلزام أنه يكتسب العديد من القيم التداولية للخطاب التي تحتفي بها اللسانيات التداولية¹.

وقد حدد الباحث شكري المبخوت جملة من الشروط سماها قواعد عمل الأمر، واعتبر أن أهم ما يحدد الأمر من جهة قاعدته التكوينية إنما هو إلزام المتكلم للمخاطب بتحقيق عمل ما يمثله المحتوى القضوي، نوضحها كما يلي²:

شرط الوسم	- مقوليا: وسم الإيجاب - لفظيا: لام الأمر إضافة إلى صيغ الأمر وأسماء الفعل الدالة على الأمر.
شرط الحالة الذهنية	إرادة تحقيق المحتوى القضوي.
شرط الدلالة الذهنية	- الاقتضاء المقولي: السلب. - المخاطب قادر على إنجاز العمل المطلوب مستقبلا.
شرط علاقات التخاطب	- المتكلم: في مرتبة، حقيقية أو اعتبارية، أعلى اعتقاد المتكلم. - المخاطب: في مرتبة حقيقية أو اعتبارية، أدنى حسب اعتقاد المتكلم.

1 خليفة بوحادي: في اللسانيات التداولية (مقاربة...)، ص 171.

2 شكري المبخوت: دائرة الأعمال اللغوية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010. ص 193.

- لمصلحة المتكلم.	
- ذهنيا: غير محدد (قد يكون مقتنعا أو غير مقتنع... إلخ).	شرط التأثير بالقول
- سلوكيا: الانصياع.	
إلزام المتكلم للمخاطب بتحقيق العمل المطلوب.	القاعدة التكوينية

رأينا أن الأمر يرتبط بواقع استعمال اللغة معبرا عنه في الحال أو الاستقبال، في شكل صيغ يطلب بها المتكلم فعلا من المخاطب، استعلاء وإلزاما، وينبغي أن يكون المتكلم في وضع يخول له الأمر، ويتصف بما يجعله أمرا، إذ تفرض أقوال من هذا النمط قيام علاقة تراتبية بين المتكلمين المتخاطبين، حيث يمكن لأحدهم أن يجبر الآخر على تبني السلوك أو ذلك، أو القيام بهذا العمل أو ذلك. ويبدو من هذا أن الأمر يكتسب العديد من القيم التداولية والتي يمكن أن نحلي بعضها منها في نص مقامات بديع الزمان الهمداني:

"فَقُلْتُ: يَا فَاضِلُ اذْنُ فَقَدْ مَنَيْتَ، وَهَاتِ فَقَدْ أَتَيْتَ، فَذَنَا وَقَالَ: سَلُونِي أُجِبْكُمْ، وَاسْمَعُوا أُعْجِبْكُمْ"1.

يقوم عيسى بن هشام بفعل إنجازي (اذن) إذ يطلب من الشاب الحليم الجالس غير بعيد ينصت من رفقته التي تتذاكر القريض وأهله أن يقترب منهم، وغرضه الإنجازي هو طلب الاستفادة من بيانه الذي بلغ به مبلغ الحنكين ويؤكد هذا الشاب هذه الإمكانية وهذه القدرة العجيبة في معرفة الشعر وأهله، وحتى في النقد والمفاضلة بين الشعراء بفعلين إنجازيين متواليين (سَلُونِي أُجِبْكُمْ) وَ (اسْمَعُوا أُعْجِبْكُمْ)؛ فغرض الأول تبيان غزارة وسعة علمه في هذا الباب حتى أنه يملك الجواب لكل مسألة ومعضلة، وأما غرض الفعل الإنجازي الثاني التأثير في سامعيه حين يصغون إليه فيخطف القلوب ويأسرها بيانه الذي يسمع الصم.

"ثُمَّ أَتَيْنَا شَوَاءً يَتَقَاطَرُ شِوَاؤُهُ عَرَقًا، وَتَسَايَلُ جُودَابَاتُهُ مَرَقًا، فَقُلْتُ: افِرْزُ لِأَبِي زَيْدٍ مِنْ هَذَا الشَّوَاءِ، ثُمَّ زِنْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الحَلْوَاءِ، وَاخْتَرْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الأَطْبَاقِ، وَأَنْضِدْ عَلَيْهَا أَوْرَاقَ الرُّقَاقِ، وَرُشَّ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ مَاءِ السُّمَاقِ، لِأَيُّكَلُهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيئًا"2، فالأفعال الإنجازية التي جاءت في هذه الفقرة (افِرْزُ، زِنْ، اخْتَرْ، أَنْضِدْ، رُشَّ) هي أوامر من عيسى بن هشام إلى الشواء بأن يقوم بها وينجزها تشترك في دلالة مستلزمة كلية في استمالة وجذب أبي زيد إلى الأكل بتلك الأنواع الشهية مستعملا أسلوب الوصف المزين بأفانين التأثير،

1 المقامة القريضية: ص8.

2 المقامة البغدادية: من ص72 إلى ص73.

وقد يستعمل بديع الزمان في سرد مقاماته بعض الأفعال الإنجازية التي وقعت في الماضي من مثل ما جاء في النص التالي: "فَأَتَيْتُهُ فَأَقْتَضَيْتُهُ، وَاسْتَمَهَلَنِي فَأَنْظَرْتُهُ، وَالتَّمَسَ غَيْرَهَا مِنَ الثِّيَابِ فَأَحْضَرْتُهُ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَجْعَلَ دَارَهُ رَهِينَةً لَدَيَّ، وَوَيْثِقَةً فِي يَدَيَّ، فَفَعَلَ"¹. فالأفعال (فَأَتَيْتُهُ، فَأَقْتَضَيْتُهُ، اسْتَمَهَلَنِي، فَأَنْظَرْتُهُ، التَّمَسَ، فَأَحْضَرْتُهُ، سَأَلْتُهُ فَفَعَلَ) إنجازية جرت قبل زمن التحدث حيث كان أبا الفتح في ضيافة تاجر دعاه إلى أكل المضيرة، وبدأ هذا الأخير يسرد له جده وسعيه في كسب المال والحيل التي استعملها في الحصول عليه فجعل حاله مع خلف أبي سليمان صاحب الدار تذلاً للوصول إلى شراءها كحال العبد مع سيده؛ أي أن الوكيل عن الدار في مقام استعلاء لهذا عبر عن إنجاز التاجر لأفعاله بالفور وقد أدت الفاء (الفاء الفورية) هذه الدلالة وخاصة مع الأفعال: فَأَتَيْتُهُ، فَأَقْتَضَيْتُهُ، فَأَنْظَرْتُهُ، فَأَحْضَرْتُهُ، غير أنه في مرحلة لاحقة نجد أن الوكيل قد عدل عن مكانته وتنازل درجة إذ يضع نفسه مساويا للتاجر فيلتمس منه إحضار أثواب أخرى له، ولعل مرد ذلك إلى تدهور حاله و سوء تصرفه للأموال التي خلفها أبو سليمان وتبذيره لها في الخمر والقمار، ويزداد الأمر سوءاً حين أثقلت كاهله الديون فحط من قدره و شأنه إذ جعله التاجر رهن إشارته، فما إن سأله أن يوثق له الدار حتى أجاب عل الفور فاعلا.

وقد يأتي الأمر للإرشاد والنصح في مثل هذه الأفعال الإنجازية: (فَاعْدُوا لَهَا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)، (فَاعْدُوا لَهُ زَادًا)، (أَلَا وَإِنَّ الْفَقْرَ حَلِيَّةٌ نَبِيكُمُ فَانْكُسُوها) الوارد ذكرها في المقامة الوعظية: "وَإِنَّكُمْ وَارِدُو هُوَّةٍ، فَاعْدُوا لَهَا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، وَإِنَّ بَعْدَ الْمَعَاشِ مَعَادًا، فَاعْدُوا لَهُ زَادًا ... أَلَا وَقَدْ نَصَبْتَ لَكُمْ الْفَخَّ وَنَثَرْتَ لَكُمْ الْحَبَّ؛ فَمَنْ يَرْتَعُ، يَقَعُ، وَمَنْ يَلْقُطُ، يَسْقُطُ، أَلَا وَإِنَّ الْفَقْرَ حَلِيَّةٌ نَبِيكُمُ فَانْكُسُوها، وَالْغِنَى حُلَّةٌ الطُّغْيَانِ فَلَا تَلْبَسُوها"².

فالواعظ يأمر سامعيه بالإعداد للقبر وما بعده بعمل الصالح من الأعمال وهي القوة العظمى التي تتقى بها

أهوال ما يلقيه الأشقياء، لأن الحياة دار يتجهز فيها إلى حياة أرقى وقد أدى الفعل الإنجازي أعدوا بعدا

حجاجيا و وظيفة إقناعية في التركيب بوروده ضمن الشاهد القرآني.

وقد أتى الأمر عل صيغة اسم فعل كما هو مبين في الأمثلة التالية:

"فَقَالَ: مَا سَرُّوْنَهُ مِنِّي أَكْثَرَ، أَتَعْجِبُكُمْ حِفَّتِي فِي الْخِدْمَةِ، وَحُسْنِي فِي الْجُمْلَةِ فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتُمُونِي فِي الرُّفْقَةِ أَرِيكُمْ مِنْ حَذْقِي طُرْفًا، لِتَزْدَادُوا بِي شَعْفًا؟، فَقُلْنَا: هَاتِ: فَعَمَدَ إِلَى قَوْسٍ أَحَدَنَا فَأَوْثَرَهُ، وَفَوْقَ سَهْمًا فَرَمَاهُ فِي

1 المقامة المضيرية : ص128-129.

2 المقامة الوعظية : ص151-152.

السَّمَاءِ، وَأَتْبَعُهُ بِآخَرَ فَشَقَّه فِي الْهَوَاءِ، وَقَالَ: سَأُرِيكُمْ نَوْعًا آخَرَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى كِنَانَتِي فَأَخَذَهَا، وَإِلَى فَرَسِي فَعَلَاهُ وَرَمَى أَحَدَنَا بِسَهْمٍ أَثْبَتَهُ فِي صَدْرِهِ، وَآخَرَ طَيْرَهُ مِنْ ظَهْرِهِ، فَقُلْتُ وَيْحَكَ مَا تَصْنَعُ؟¹.
 " فَقُلْتُ: ظَفَرْنَا وَاللَّهِ بِصَيْدٍ، وَحَيَّاكَ اللَّهُ أَبَا زَيْدٍ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتَ؟ وَمَتَى وَافَيْتَ؟ وَهَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ فَقَالَ السَّوَادِيُّ: لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ، وَلَكِنِّي أَبُو عُبَيْدٍ"²

-وفي حديث عيسى بن هشام عن الشاب الذي هب من رقدة و أطلق لسانه بالحكمة و النظر السديد في رؤيته للحياة الدنيا وكيف أنها ذات أحوال و تقلبات حين قاطع الجماعة قائلا : " صَه لَقَدْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيْءٍ عَدِمْتُمُوهُ ... هَلْ تَرَوْنَ الْمَالَ إِلَّا عِنْدَ الْبُخْلَاءِ، دُونَ الْكُرَمَاءِ، وَالْجُهَّالِ دُونَ الْعُلَمَاءِ ؟ إِيَّاكُمْ وَالْإِنْخِدَاعَ فَلَيْسَ الْفَخْرُ إِلَّا فِي إِحْدَى الْجِهَتَيْنِ، وَلَا التَّقَدُّمُ إِلَّا بِإِحْدَى الْقِسْمَتَيْنِ: إِمَّا نَسَبٌ شَرِيفٌ، أَوْ عِلْمٌ مُنِيفٌ"³.
 "وَحَسْبُكَ يَا مَوْلَايَ أَنِّي كُنْتُ مِنْذُ لَيْالٍ نَائِمًا فِي الْبَيْتِ مَعَ مَنْ فِيهِ إِذْ قُرِعَ عَلَيْنَا الْبَابُ فَقُلْتُ: مَنْ الطَّارِقُ الْمُتَّابُ؟، فَإِذَا امْرَأَةٌ مَعَهَا عِقْدُ لَالٍ، فِي جِلْدَةٍ مَاءٍ وَرَقَةٍ آلٍ، تَعْرِضُهُ لِلْبَيْعِ"⁴.

فالأفعال الإنجازية(هَاتِ، هَلُمَّ، صَه، حَسْبُكَ) هي أسماء أفعال تحمل معنى الطلب كما أنها تحمل دلالات أخرى؛فهات غرضها الإنجازي الرغبة والشوق في طلب الاستزادة في معرفة حذق و مهارة هذا الشاب و خفته في الرمي و إصابة الصيد، والفعل الإنجازي (هلم: تعالى أي طلب المحييء إلى البيت) غرضه الترحيب بالسوادي أبي زيد لأنه يمثل هنا فريسة سهلة و صيدا ظفر به وقع بين أيدي عيسى بن هشام. وأما الفعل الإنجاز (صه: بمعنى اسكت) فيحمل دلالة مستلزمة هي التقرير بعجزهم و تقصيرهم بتقديم شيء هو عدة الآخرة فلو كانوا قدروه حق قدره لما هجنوه أو عدموه. والفعل الإنجازي (حسبك : تمهل) يحمل دلالة مستلزمة تتمثل في طلب التريث والتثبت من الأمر دون الاستعجال والتسرع في الفصل.

وقد أتى فعل الأمر عل صيغة المصدر النائب عن فعله كما هو واضح في المثال التالي:

" لَكِنِّي تَجَلَدْتُ فَقُلْتُ: أَرْضُكَ لَا أُمَّ لَكَ، فَدُونِكَ شَرُّ الْجِدَادِ، وَخَرَطَ الْقَتَادِ، وَخَصَّمُ ضَخْمٌ، وَحَمِيَّةٌ أَرْدِيَّةٌ، وَأَنَا سِلْمٌ إِنْ شِئْتَ، وَحَرْبٌ إِنْ أَرَدْتَ، فَقُلْ لِي: مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ: سِلْمًا أَصَبْتُ "⁵. فالمصدر(سلما) ناب عن

1 المقامة الأسدية: ص 42.

2 المقامة البغدادية: ص71.

3 المقامة المطلبية: ص276-277.

4 المقامة المضيرية : ص128-129.

5 المقامة الفزارية : ص81-82.

فعل الأمر الذي لا يظهر في البنية السطحية للجملة وبنيتها العميقة أسلمك سلما فالطلب هنا أمر جاء على جهة الاختيار ومن كان له الحق في الاختيار فهو في موضع استعلاء.
فعل الأمر غير ظاهر:

و يأتي هذا النوع من التركيب منبئاً على حذف فعل الأمر من ظاهر التركيب ويعتمد اسم الزمان (إذ) في تقدير المحذوف، كما يعتمد العطف وحذف ما ذكر في صدر الخطاب تجنباً للتكرار، ويأتي هذا الأسلوب لسرد القصص بغية التذكير و الاعتبار¹، وقد أشار ابن هشام إلى ورود هذا النمط في أوائل القصص في الترتيل أن يكون مفعولاً به بتقدير (اذكر) وتلزم الإضافة إلى جملة اسمية أو فعلية فعلها ماضي لفظاً ومعنى أو فعلية فعلها ماضي معنى لا لفظاً². وكثيراً ما كان الهمداني يستعمله في سرد مقاماته للفت انتباه السامع بطلب التذكر حتى يندمج في السياق العام للحكي فلا يشرد ذهنه أو يقع في الغفلة مستعملاً صيغة الأمر (اذكر) المقدرة في الكلام، ونجد ذلك في المقامة الإبلية جلياً في المثال التالي:

" فَقُلْتُ: هَذَا وَاللَّهِ صَاحِي، وَقُلْتُ لَهُ مَا سَمِعْتُ مِنْهُ فَنَاولَنِي مِسْرَجَةً، وَأَوْمَأَ إِلَيَّ غَارٍ فِي الْجَبَلِ مُظْلِمٍ، فَقَالَ: دُونَكَ الْغَارَ، وَمَعَكَ النَّارَ، قَالَ: فَدَخَلْتُهُ فَإِذَا أَنَا بِإِبِلِي قَدْ أَخَذَتْ سَمْتَهَا، فَلَوَيْتُ وَجُوهَهَا وَرَدَدْتُهَا، وَبَيْنَا أَنَا فِي تِلْكَ الْحَالَةِ فِي الْغِيَاضِ أَدْبُ الْحَمَرِ، إِذْ بِأَبِي الْفَتْحِ الْإِسْكَندَرِيِّ تَلَقَّانِي بِالسَّلَامِ، فَقُلْتُ: مَا حَدَاكَ وَيْحَكَ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ قَالَ: جَوْرُ الْأَيَّامِ، فِي الْأَحْكَامِ، وَعَدَمُ الْكِرَامِ، مِنَ الْأَنَامِ " ³. فاسم الزمان (إذ) قد حل محل الفعل الإنجازي (اذكر) لتحقيق أغراض وأبعاد حجاجية متمثلة في التذكر و الاعتبار و التنبيه، ونفس الشيء يقال عن مجيء إذ في المثال التالي: " فَبَيْنَا أَنَا فِي لَيْلَةٍ يَضِلُّ فِيهَا الْعَطَاطُ، وَلَا يُبْصِرُ فِيهَا الْوَطْوَاطُ، أَسِيحُ سَيْحًا، وَلَا سَانِحُ إِلَّا السَّبْعُ وَلَا بَارِحُ إِلَّا الضَّبُّ، إِذْ عَنِّي رَاكِبٌ تَأْمُّ الْآلَاتِ، يُؤْمُّ الْأَثَلَاتِ، يَطْوِي إِلَيَّ مَنَشُورَ الْفَلَوَاتِ، فَأَخَذَنِي مِنْهُ مَا يَأْخُذُ الْأَعْزَلَ مِنْ شَاكِي السَّلَاحِ " ⁴.

وقد يأتي الأمر على صيغة فعل المضارع المقترن بلام الأمر:

1 محمد خان: لغة القرآن، دراسة لسانية تطبيقية للجملة في سورة البقرة، دارالهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2014، ص202.

2 ابن هشام: مغني اللبيب، تحقيق صلاح عبد العزيز علي السيد، دار السلام، القاهرة، مصر، ط2008، ج1، ص114.

3 المقامة الإبلية: ص 212.

4 المقامة الفزارية: ص 81-82.

" قَالَ: اسْكُتْ يَا لُكْعُ، وَاللَّهِ لَيْشُدَنَّ كُلُّ مِنْكُمْ يَدَ رَفِيقِهِ، أَوْ لِأَعِصَنَّهُ بِرِيقِهِ، فَلَمْ نَدِرْ مَا نَصْنَعُ وَأَفْرَأَسْنَا مَرْبُوطَةً"¹.

" لا درَ درَالفقر فه و طريده وبه رزيتيه

لأسلطنَ عليه من خلف بن أحمد من يميته"².

فالأفعال الإنجازية (لَيْشُدَنَّ، لِأَعِصَنَّهُ، لِأَسْلَطَنَّ)، أفعال أمر جاءت عل صيغة مضارع مقترن بلام الأمر ، فالغرض الإنجازي للأول طلب التمسك بأيدي بعض المصحوب بالتنبيه لما سيأتيهم، وأما غرض الفعل الثاني إيقاعهم في شدة لا منقذ منها تجعل أسهل الأشياء تناولا أصعبها كما تصيب الغصة في الحلق ويصعب ما يزيلها، وإن لم يفعلوا ذلك لينفذهم بالسهم فيكون الخطر عليهم خطر الموت وهو أشد الخطر، وغرض الفعل الأخير لأسلطن حلف بأنه ليسلطن على الفقر من خلف بن أحمد شخصا يميته بمواهبه و عطاياه، والكلام على التجريد وإنما خلف بن أحمد هو الذي سيسلط على الفقر فيميته"³.

2.1.2 فعل الاستفهام:

يُعدُّ أسلوب الاستفهام أحد الأساليب اللغوية المرتبطة بالاستعمال، وهو أن يكون صادرا ممن لا يعلم إلى من يعلم أو إلى من يتوقع أنه يعلم، وإن ارتبط هذا الأسلوب بجوابه فقد لا يبحث فيه المتكلم عن إجابة محددة وإنما يهدف إلى تصور ما يتحدث عنه فيخرجه عن حقيقته إلى مقاصد شتى، وهو ما يعرف عند البلاغيين بالمجاز البلاغي⁴ وبذلك يكون الاستفهام غني بالقيم التداولية، وأساس الاستفهام هو "طلب الفهم، والفهم هو صورة ذهنية تتعلق أحيانا بمفرد شخصي أو شيء، أو غيرهما، وتتعلق أحيانا بنسبة أو حكم من الأحكام سواء أكانت النسبة قائمة على يقين أم على ظن أم على شك"⁵، وقد ربط السكاكي بينه وبين العمليات الذهنية التي ترافقه في قوله أن الاستفهام "طلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن: إما أن يكون حكما بشيء على شيء أو لا يكون، والأول هو التصديق ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين، والثاني هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من التصديق"⁶.

1 المقامة الأسدية : ص42

2 المقامة السارية : ص 265

3 محمد عبده، شرح مقامات بديع الزمان الهمداني، ص265.

4 حسين جمعة: جماليات الخبر والإنشاء،(دراسة جمالية بلاغية نقدية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2005، ص 134.

5 مهدي المحرومي: في النحو العربي (نقد وتوجيه)، دار الكتب العصرية، بيروت، دط، ص 286.

6 السكاكي: مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، ص 303.

وانطلاقاً من التعريفين تبرز سمة أساسية للاستفهام بأنه متعلق بما في ذهن المتخاطبين، أي أن تحقيقه يحصل داخلياً على عكس ما هو موجود في الأمر إذ يرتبط تحقيقه بفعل خارجي¹.

ويشترط في وسم التركيب العربي بالاستفهام أن يسبق بأداة استفهام مذكورة أو مقدرة، وأدوات الاستفهام هي: الهمزة، هل، من، ما، متى، أيان، أين، أنى، كيف، كم، أي، وكل هذه الأدوات أسماء ما عدا الهمزة وهل، فإنهما حرفان لا محل لهما من الإعراب².

ويرجع النحاة العرب كل استفهام إلى بنية الحرف الواسم مع المحتوى القضوي، فلا استفهام إلا بحرف

الاستفهام وما الصدارة التي تكون للأسماء الاستفهام إلا من باب الاستغناء عن همزة الاستفهام التي تلازمها³، وبناءً على هذا التصور فإن واسم الاستفهام هو الحرفان (أ، هل) صريحين أو مدلول عليهما بأسماء الاستفهام⁴.

وقد ميز البلاغيون نوعين من الاستفهام؛ أحدهما على الحقيقة وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة خاصة، والآخر استفهام مجازي لا يقصد به السؤال عن أمر وطلب الجواب عنه لا يظهر على مستوى البنية، هو تحقيق الخبر "يمكن حينها وصفه بالصدق والكذب، أو النظر إلى مدى إنجازه في الواقع اعتداداً بشروط التواصل العام، ومثل هذه الأساليب لا يدرك السامع دلالتها إلا بالاستناد إلى ما يمكن أن يفصح به المتكلم على مستوى البنية، أو إلى عناصر السياق المختلفة وملابسات الحديث... وإلا أخفق الإبلاغ المقصود"⁵. المقصود⁵.

ومن أهم المعاني التي يخرج إليها الاستفهام: الإنكار، النفي، التكثير، التأنيب... وأكد شكري المبخوت في هذا الباب متانة الصلة بين الاستفهام وبقية الأفعال الكلامية الأخرى (الإثبات، النفي، الأمر، النهي) بحيث يمكن اشتقاقها منه بفضل سير التعامل بينها جميعاً وبينه، وأنه يتحرك في نصف دائرة الأفعال الكلامية على الأقل⁶. وقد حدد شروط وقواعد عمل الاستفهام في شكل التالي⁷:

1 خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية (مقاربة بين التداولية والشعر)، ص 165.

2 عرفات فيصل المناع: السياق والمعنى (دراسة في أساليب النحو العربي)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص 214.

3 ابن يعيش: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، لبنان، دط، ص 1، ج 1، ص 22.

4 شكري المبخوت: دائرة الأعمال اللغوية، ص 196.

5 خليفة بوجادي: مقاربة بين التداولية والشعر، ص 165.

6 شكري المبخوت: دائرة الأعمال اللغوية، ص 197.

7 المرجع نفسه، ص 198.

شرط الوسم	- مقوليا: وسم الإمكان الإيجابي. - لفظيا: الحرفان (أ، هل) صريحين أو مدلولا عليهما باسم استفهام.
شرط الحالة الذهنية	إرادة معرفة مدى مطابقة المحتوى القضوي للواقع مع اقتضاء عدم اليقين.
شرط الدلالة الذهنية	- الاقتضاء المقولي: الإيجاب والسلب. أي محتوى قضوي يعتقد المستفهم أنه دخل في المعرفة المشتركة وبينه وبين المخاطب.
شرط علاقات التخاطب	- المتكلم: لا يمتلك الجواب الذي يجزم بصدقه. - المخاطب: يمتلك الجواب المطابق (بحسب اعتقاد المتكلم). - المصلحة المتكلم.
شرط التأثير بالقول	- ذهنيا: استئارة قضية في عالم الخطاب وذهن المخاطب (مع تأثيرات ذهنية سياقية). - سلوكيا: تقديم الجواب المطلوب (مع تأثيرات سلوكية سياقية).
القاعدة التكوينية	حمل المخاطب على تقديم الجواب المطلوب.

ومما جاء في المقامة القرظية في حديث عيسى بن هشام عن الشاب الذي جلس بجانب رفقة أصحابه يتدارسون الشعر وقرظيه فتدخل في معرض بيان مبديا رأيه؛ " فَدَنَا وَقَالَ: سَلُونِي أُجِبْكُمْ، وَأَسْمَعُوا أُعْجِبْكُمْ. فَقُلْنَا: مَا تَقُولُ فِي امْرِئِ الْقَيْسِ؟ قَالَ: هُوَ أَوَّلُ مَنْ وَقَفَ بِالْدِيَارِ وَعَرَصَاتِهَا، وَأَعْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكَنَاتِهَا، وَوَصَفَ الْخَيْلَ بِصِفَائِهَا وَلَمْ يَقُلِ الشُّعْرَ كَأَسِيًّا. وَلَمْ يُجِدِ الْقَوْلَ رَاغِبًا، فَفَضَلَ مَنْ تَفَتَّقَ لِلْحَيْلَةِ لِسَانُهُ، وَأَنْتَجَعَ لِلرَّغْبَةِ بَنَانُهُ، قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي التَّابِعَةِ؟ قَالَ: يَثْلُبُ إِذَا حَقَّقَ، وَيَمْدَحُ إِذَا رَغِبَ، وَيَعْتَذِرُ إِذَا رَهَبَ، فَلَا يَرْمِي إِلَّا صَائِبًا، قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي زُهَيْرٍ؟ قَالَ يُذِيبُ الشُّعْرَ، وَالشُّعْرُ يُذِيبُهُ، وَيَدْعُو الْقَوْلَ وَالسُّحْرَ يُجِيبُهُ، قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي طَرْفَةِ؟ قَالَ: هُوَ مَاءُ الْأَشْعَارِ وَطِينَتُهَا، وَكَنَزُ الْقَوَافِي وَمَدِينَتُهَا، مَاتَ وَلَمْ تَطْهَرْ أَسْرَارُ دَفَائِنِهِ وَلَمْ تُفْتَحْ أَغْلَاقُ خَزَائِنِهِ، قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ؟ أَيُّهُمَا أَسْبَقُ؟ فَقَالَ: جَرِيرٌ أَرَقُ شِعْرًا، وَأَعَزُّ غَزْرًا وَالْفَرَزْدَقُ أَمْتَنُ صَخْرًا، وَأَكْثَرُ فَخْرًا وَجَرِيرٌ أَوْجَعُ هَجْوًا وَأَشْرَفُ يَوْمًا وَالْفَرَزْدَقُ أَكْثَرُ رَوْمًا، وَأَكْرَمُ قَوْمًا، وَجَرِيرٌ إِذَا نَسَبَ أَشْجَى، وَإِذَا ثَلَبَ أَرْدَى، وَإِذَا مَدَحَ أَسْنَى وَالْفَرَزْدَقُ إِذَا افْتَخَرَ أَجْزَى، وَإِذَا احْتَقَرَ أَرْزَى،

وَإِذَا وَصَفَ أَوْفَى، قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي الْمُحَدِّثِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ ؟ قَالَ: الْمُتَقَدِّمُونَ أَشْرَفُ لَفْظًا، وَأَكْثَرُ مِنَ الْمَعَانِي حَظًّا، وَالْمُتَأَخَّرُونَ أَلْطَفُ صُنْعًا، وَأَرْقُ نَسْجًا ¹. فلاستفهامات الواردة في النص: (مَا تَقُولُ فِي امْرِئِ الْقَيْسِ؟ فَمَا تَقُولُ فِي التَّابِعَةِ؟ فَمَا تَقُولُ فِي زُهَيْرٍ؟ فَمَا تَقُولُ فِي طَرْفَةَ؟ فَمَا تَقُولُ فِي حَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ؟ أَيُّهُمَا أَسْبَقُ؟ فَمَا تَقُولُ فِي الْمُحَدِّثِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ؟) هي أفعال إنجازية جاءت على الحقيقة أي

طلب الفهم المتعلق بالشعراء من ذكر للصفات والخصائص التي يتصف بها شعر كل منهم باستعمال للأداة

الاستفهامية (ما)، وكثرة الاستفهامات المتوالية دليل على الرغبة الملحة في معرفة دقائق التفاصيل عنهم وعن

شعرهم ، ومن ثمَّ إطلاق أحكام المفاضلة بينهم

وفي نفس المقامة يتجلى الاستفهام مرة أخرى : " وَنَهَضْتُ عَلَى إِثْرِهِ، ثُمَّ قَبَضْتُ عَلَى خَصْرِهِ، وَقُلْتُ: أَلَسْتَ أَبَا الْفَتْحِ؟ أَلَمْ تُرَبِّكْ فِيْنَا وَوَلِيدًا وَوَلِيدًا وَوَلِيدًا؟ فَأَيُّ عَجُوزٍ لَكَ بِسُرٍّ مَنْ رَأَى؟ فَضَحِكَ إِلَيَّ " ². فقد جاء الاستفهام هنا بالحرف (الهمزة) في التركيب (أَلَسْتَ أَبَا الْفَتْحِ؟) جاء استنكاري لما فعله أبو الفتح

الإسكندري من جهة وللشك الذي وقع فيه عيسى بن هشام وللتردد الحاصل في الذهن من جهة ثانية والذي

عبر عنه بنفسه في قوله : " فجعلت أنفيه و أثبته، وأنكره وكأني أعرفه، ثم دلتني عليه ثناياه، فقلت :

الإسكندري و الله " ³.

أما الفعل الكلامي والمستفهم به بالهمزة كذلك في التركيب (أَلَمْ تُرَبِّكْ فِيْنَا وَوَلِيدًا وَوَلِيدًا؟ فَمَا تَقُولُ فِي امْرِئِ الْقَيْسِ؟)

(فغرضه الإنجازي التأييب والتوبيخ لنسيانه رعاية و تربية المتكلم له ومكثه عنده لسنوات، كما يرعى الوالد

ولده.

" وَلَقَيْتَنِي مِنَ الْبَرِّ فِي السَّنَاءِ، بِمَا زِدْتُهُ فِي النَّوَاءِ، ثُمَّ قَالَ: أَطْعَمْنَا تُرَيْدُ؟ فَقُلْتُ: إِي وَاللَّهِ، فَقَالَ: أَخْصَبَ رَائِدُكَ،

وَلَا ضَلَّ قَائِدُكَ، فَمَتَى عَزَمْتَ؟ فَقُلْتُ: غَدَاةَ غَدٍ ... فَقَالَ: فَأَيْنَ تُرَيْدُ؟ قُلْتُ: الْوَطْنَ، فَقَالَ: بُلِّغْتَ الْوَطْنَ،

وَقَضَيْتَ الْوَطْرَ، فَمَتَى الْعَوْدُ؟ قُلْتُ: الْقَابِلَ، فَقَالَ: طَوَيْتُ الرِّيْطَ، وَتَنَيْتُ الْخَيْطَ، فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْكَرَمِ؟ فَقُلْتُ:

بِحَيْثُ أَرَدْتُ " ⁴.

الاستفهام ب_____ أم " :

1 المقامة القريضية : ص 7-8.

2 المقامة القريضية: ص 11.

3 المقامة القريضية: ص 11.

4 المقامة البلخية: ص 18-19.

وقد استعمل الهمداني هذه الأداة في استفهاماته ، وتسمى أم المنقطعة ومعناها: "الذي لا يفارقها الإضراب، ثم تارة تكون له مجردا، وتارة تتضمن مع ذلك استفهما إنكاريا، أو استفهما طلبيا" ¹، وقد أشار إلى أبعادها الدلالية و التداولية ابن عاشور في تفسيره قائلا: " أم منقطعة بمعنى إضراب للانتقال من غرض إلى غرض وفيها تقدير استفهام، وهو استفهام للتوبيخ و الإنكار" ².

" فَقُلْتُ: ظَفَرْنَا وَاللَّهِ بَصِيدٍ، وَحَيَّاكَ اللَّهُ أَبَا زَيْدٍ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتَ؟ وَمَتَى وَافَيْتَ؟ وَهَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ فَقَالَ السَّوَادِيُّ: لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ، وَلَكِنِّي أَبُو عُبَيْدٍ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، لَعَنَ اللَّهُ الشَّيْطَانَ، وَأَبْعَدَ النَّسِيَانَ، أَنْسَانِيكَ طُولُ الْعَهْدِ، وَأَنْصَالَ الْبُعْدِ، فَكَيْفَ حَالُ أَبِيكَ؟ أَشَابُ كَعَهْدِي، أَمْ شَابَ بَعْدِي؟ " ³. ففي هذا المثال ثلاث استفهامات، أي ثلاثة أفعال إنجازية (فَكَيْفَ حَالُ أَبِيكَ؟، أَشَابُ كَعَهْدِي؟، أَمْ شَابَ بَعْدِي؟) وهي على الحقيقة؛ أي دلالاتها على المعنى الحقيقي للاستفهام وهو طلب الفهم ، ويمكن اعتبار السؤالين الأخيرين معا أنهما يؤديان غرضا إنجازيا متمثلا في التخصيص لأن السؤال عن الحال سؤال عام يشمل الحال المادية و المعنوية وفي كل منهما أحوال فعدل عن ذلك بالاستفهام عن الشيب فقط.

"فَقَالَ: مَا خَطْبُكَ؟ قُلْتُ: حَالَانِ لَا يُفْلِحُ صَاحِبُهُمَا فَفِئْرٌ كَدَّهُ الْجُوعُ وَغَرِيبٌ لَا يُمَكِّنُهُ الرَّجُوعُ فَقَالَ الْعُلَامُ: أَيُّ الثَّلَمَتَيْنِ تُقَدِّمُ سَدَّهَا؟ قُلْتُ: الْجُوعُ فَقَدْ بَلَغَ مِنِّي مَبْلَعًا! قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِي رَغِيفٍ، عَلَى خِرَانٍ نَظِيفٍ، وَبَقْلٍ قَطِيفٍ إِلَى حَلٍّ تَقِيفٍ، وَلَوْنٍ لَطِيفٍ، إِلَى حَرْدَلٍ حَرِيفٍ، وَشِوَاءٍ صَفِيفٍ، إِلَى مِلْحٍ خَفِيفٍ، يُقَدِّمُهُ إِلَيْكَ الْآنَ مَنْ لَا يَمْطُلُّكَ بَوَعْدٍ وَلَا يُعْذِبُكَ بِصَبْرٍ، ثُمَّ يَعْلُكَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَفْدَاحٍ ذَهَبِيَّةٍ، مِنْ رَاحٍ عَنَبِيَّةٍ؟ أَذَاكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ أَوْسَاطُ مَحْشُوءَةٍ وَأَكْوَابٌ مَمْلُوءَةٌ، وَأَنْقَالٌ مَعْدَدَةٌ، وَفَرَشٌ مَنْصُودَةٌ وَأَنْوَارٌ مَجُودَةٌ... إلخ" ⁴

وقد ورد الاستفهام ب (هل) الدالة على طلب تصديق أمر في المدونة كثيرا نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما جاء في المقامة الجاحظية قوله: " فَهَلْ تَرُؤُونَ لِلْجَاحِظِ شِعْرًا رَائِعًا؟ قُلْنَا: لَا، قَالَ: فَهَلُمُّوا إِلَيَّ كَلَامِهِ، فَهَوَّ بَعِيدُ الْإِشَارَاتِ، قَلِيلُ الْاسْتِعَارَاتِ، قَرِيبُ الْعِبَارَاتِ، مُنْفَادُ لُغِيَانِ الْكَلَامِ يَسْتَعْمِلُهُ، نُفُورٌ مِنْ مُعْتَاصِهِ يُهْمِلُهُ، فَهَلْ سَمِعْتُمْ لَهُ لَفْظَةً مَصْنُوعَةً، أَوْ كَلِمَةً غَيْرَ مَسْمُوعَةٍ؟ قُلْنَا: لَا، قَالَ: فَهَلْ تُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ مِنَ الْكَلَامِ مَا

1 ابن هشام : معني اللبيب في كتب الأعراب، تحقيق صلاح عبد العزيز علي السيد، دار السلام، القاهرة، مصر، ط2008، 02، ج1، ص63.

2 الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 747.

3 المقامة البغدادية: ص 71.

4 المقامة المجاعية: ص 147-148.

يُخَفِّفُ عَنْ مَنْكِبَيْكَ، وَيَبْسُطُ عَلَيَّ مَا فِي يَدَيْكَ؟ فَقُلْتُ: إِي وَاللَّهِ¹. فالتراكيب الاستفهامية الواسمة بالأداة (هل) هي أفعال كلامية جاءت على وجه الحقيقة في الجملتين (فَهَلْ تَرَوُونَ لِلجَاحِظِ شِعْرًا رَائِعًا؟) (فهل تُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ مِنَ الكَلَامِ مَا يُخَفِّفُ عَنْ مَنْكِبَيْكَ، وَيَبْسُطُ عَلَيَّ مَا فِي يَدَيْكَ ؟)، أما الاستفهام الوارد في الجملة (فَهَلْ سَمِعْتُمْ لَهُ لَفْظَةً مَصْنُوعَةً، أَوْ كَلِمَةً غَيْرَ مَسْمُوعَةٍ؟) فهو استفهام غرضه الإنجازي الاستنكار.

" دَخَلْتُ مَارِسْتَانَ البَصْرَةَ وَمَعِيَ أَبُو دَاوُدَ المَتَكَلِّمُ، فَظَهَرْتُ إِلَى مَحْجُونٍ تَأْخُذُنِي عَيْنُهُ وَتَدْعُنِي فَقَالَ: إِنْ تَصُدُقِ الطَّيْرُ فَأَنْتُمْ غُرَبَاءُ، فَقُلْنَا: كَذَلِكَ، فَقَالَ: مَنْ القَوْمُ لِلَّهِ أَبُوهُمُ؟ فَقُلْتُ: أَنَا عَيْسَى ابْنُ هِشَامٍ وَهَذَا أَبُو دَاوُدَ المَتَكَلِّمُ فَقَالَ: العَسْكَرِيُّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: شَاهَتِ الوُجُوهُ وَأَهْلَهَا إِنَّ الحَيْرَةَ لِلَّهِ لَا لِعبْدِهِ، وَالأمُورَ بِيَدِ اللَّهِ لَا بِيَدِهِ .. أَفَلَا تُنصِفُونَ، إِنْ كَانَ الأمرُ كَمَا تُصِفُونَ؟ وَتَقُولُونَ: خَالِقُ الظُّلْمِ ظَالِمٌ! أَفَلَا تَقُولُونَ: خَالِقُ المُلْكِ هَالِكٌ؟ أَتَعْلَمُونَ يَقِينًا، أَنْكُمْ أَخْبَثُ مِنْ إبْلِيسَ دِينًا؟ قَالَ: رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي، فَأَقْرَ وَأَنْكَرْتُمْ وَأَمَنَ وَكَفَرْتُمْ، وَتَقُولُونَ: خَيْرٌ فَاخْتَارَ، وَكَلَّا فَإِنَّ المُخْتَارَ لَا يُبْعَجُ بَطْنُهُ، وَلَا يَفْقَأُ عَيْنُهُ وَلَا يَرْمِي مِنْ حَالِقِ ابْنِهِ، فَهَلِ الإِكْرَاهُ إِلَّا مَا تَرَاهُ؟ وَالإِكْرَاهُ مَرَّةً بِالمَرَّةِ وَمَرَّةً بِالدَّرَّةِ. فَلْيُخْزِكُمْ أَنْ القُرْآنَ بَغِيضِكُمْ، وَأَنَّ الحَدِيثَ يَغِيظُكُمْ ... وَإِنْ قِيلَ: (عَذَابُ القَبْرِ) تَطْيِيرْتُمْ، وَإِنْ قِيلَ: (الصِّرَاطُ) تَعَامَزْتُمْ وَإِنْ ذُكِرَ المِيزَانُ قُلْتُمْ: مِنَ الفِرْعِ كِفْتَاهُ، وَإِنْ ذُكِرَ الكِتَابُ قُلْتُمْ: مِنَ القِدِّ دَفْتَاهُ، يَا أعدَاءَ الكِتَابِ وَالحَدِيثِ، بِمَاذَا تَطْيِيرُونَ؟ أباللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ تَسْتَهْزِئُونَ؟"².

الأفعال الإنجازية في هذه المقامة كثيرة و أكثرها ورودا البني السردية المؤسسة على الاستفهام ، و مرد ذلك أن السياق يستدعي هذا فالسامع هو أبو داود أحد متكلمي المعتزلة و المتكلم من الرافضين لعقائدهم ، فهو في مقام الرد على الشبهات و الأباطيل و الشكوك التي تلازم هذه الفرقة، مستعملا كل الحجج و الأدلة العقلية أو المنطقية أو النقلية لدحض آرائهم و مزاعمهم من مجنون، وفي ذلك حجة عظيمة مفادها كيف يكون حالكم لو تصدى لكم عاقلنا.

وأغلب تلك البني السردية المؤسسة على الاستفهام ما هي إلا استفهامات خرجت عن حقيقتها إلى أغراض عدة نوضحها كالآتي:

مَنْ القَوْمُ لِلَّهِ أَبُوهُمُ؟ : فعل إنجازي على الحقيقة يريد السؤال بالأداة (من) معرفة شخصهما و أصلهما (عيسى بن هشام و أبي داود المتكلم)

1 المقامة الجاحظية : ص 89-90.

2 المقامة المارستانية: من ص 141 إلى ص 144.

العَسْكَرِيُّ؟: استفهام بالهمزة المقدره ؛ وهو فعل إنجازي غرضه التعجب الذي حصل لدى المجنون.

أَفَلَا تُنْصِفُونَ، إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَصِفُونَ ؟: استفهام بالهمزة الظاهرة ؛ فعل إنجازي خرج عن حقيقته إلى الاستنكار.

أَفَلَا تَقُولُونَ: خَالِقُ الْهَلْكَ هَالِكٌ؟: استفهام بالهمزة الظاهرة؛ فعل إنجازي للتقرير وهو الوارد للإثبات، والتقرير هو حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده.

أَتَعْلَمُونَ يَقِينًا، أَنْكُمْ أَخْبَثُ مِنْ إِبْلِيسَ دِينًا ؟: استفهام بالهمزة الظاهرة؛ فعل إنجازي غرضه التوكيد وإثبات الحكم بأنهم أسوء من إبليس في اعتقادهم، وقد أكدت ذلك القرائن اللفظية: تَعْلَمُونَ يَقِينًا، أَنْكُمْ.

فَهَلِ الْإِكْرَاهُ إِلَّا مَا تَرَاهُ؟ استفهام بالأداة هل؛ فعل إنجازي خرج عن حقيقته إلى الاستنكار.

يَا أَعْدَاءَ الْكِتَابِ وَالْحَدِيثِ، بِمَاذَا تَطَيَّرُونَ ؟ استفهام بالأداة ما؛ فعل إنجازي خرج عن حقيقته إلى التوبيخ و التهكم.

أَبَاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ تَسْتَهْزِئُونَ؟ استفهام بالهمزة الظاهرة ؛ فعل إنجازي خرج عن حقيقته إلى الاستنكار.

" وَأَبْتَدَأَ فَقَالَ لِلوَالِي: مَا فَعَلْتَ فِي الْحَدِيثِ الْأَمْسِيِّ، لَعَلَّكَ جَعَلْتَهُ فِي الْمَنْسِيِّ؟! فَقَالَ: مَعَاذَ اللهِ، وَلَكِنْ عَاقَنِي عَنْ بُلُوغِهِ عُدْرًا لَا يُمَكِّنُ شَرُّهُ، وَلَا يُؤْسِي جُرْحُهُ"¹.

وقد يخرج الاستفهام إلى الإنكار و التعجب كما في قول الهمداني في المقامة الوعظية: " وَكَيْفَ يَحْرِصُ عَلَيْهَا لَيْبٌ أَوْ يُسْرُّ بِهَا أَرِيْبٌ، وَهُوَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ فَنَائِهَا؟ أَلَا تَعْجَبُونَ مِمَّنْ يَنَامُ وَهُوَ يَخْشَى الْمَوْتَ، وَلَا يَرْجُو الْفَوْتَ؟"² ففي الاستفهام الأول فعل كلامي غرضه الإنجازي يستنكر به الواعظ ويتعجب من العاقل الذي يدرك حقيقة الدنيا و فناءها كيف يحرص عليها ولا يأمن شرها وهو في سرور دائم ، ويتعجب أكثر ممن هو غافل عن الآخرة ويخاف من الموت ولا يعد للنجاة من أهوال يوم القيامة العدة اللازمة وهي الدلالة المستلزمة من الاستفهام الثاني فالخشية و الرجاء متلازمتان كتلازم الرغبة و الرهبة في مثل هذه المواقف.

1.2.3 فعل النداء:

لا تعد ظاهرة النداء عن الإنسان وسيلة اتصال فحسب وإنما تتجاوز ذلك باعتبارها أداة تعبر عن المشاعر والأفكار الإنسانية منذ القدم، مرتبطة بالمخاطب قربا وبعدا في المكان أو المترلة الناهية والاجتماعية، فيدخل

1 المقامة السارية : ص 263.

2 المقامة الوعظية : ص 155-156.

كل من المتكلم والمخاطب في إطار البنية التركيبية لهذا الأسلوب، فالأول باستعماله الهمزة الأدوات أو تلك والثاني في المقامات التي هو واقع فيها، ومن ثم يدخلان في البنية البلاغية الجمالية، "وهذا يصبح أسلوب النداء ذا جمالية إشارية في تعاقبه مع اللغة والمتكلم والمخاطب لأنه منطلق وغاية في تحولاته وأنواعه.. فالنداء بالهمزة موضوع لدلالة مغايرة للدلالة التي وضع لها حرف النداء يا أو وا"¹

ويُعرّف النداء بقولهم: "هو طلب الإقبال حسّاً أو معنى بحرف نائب مناب (أدعو) سواء كان ذلك الحرف ملفوظاً.. أو مقدرًا"².

وأدواته ثمان: (أ، أي، آ، آي، يا، هيا، أيا، وا) وأكثرها ما لصحب بالأمر والتّهي، وإن ورد معه استفهام أو خبر "وقد اختلف النحاة في دلالة كل حرف منها على المسافة من حيث القرب والبعد أو التوسط بينهما ولكن الراجح لديهم أنهم يربطون بين وجود المد في الحرف وبين بعد المسافة أو قربها فقالوا أن الهمزة للقريب لانقطاع الصوت فيها، فإذا ما مدت فيجوز أن ننادي بها العيد أيضا ومثل الهمزة كذلك (أي) في الانقطاع أو المد، أما بقية الحروف فإنها تصلح لمناداة البعيد لوجود المد فيها"³.

ويأتي النداء في أسلوب حقيقي وفي أسلوب مجازي:

1 فني الأسلوب الحقيقي نميز نوعين:

أ - نداء القريب: نستعمل فيه نوعين (أ، أي) للقريب الحقيقي، وذلك لطبيعة التشكيل الصوتي لنداء القريب حيث يعد رمزا قويا لمجاورة المخاطب للنفس لقرب المسافة والمتزلة.

وقد يتزل البعيد متزلة القريب باستعمال الهمزة وذلك لقرب المخاطب من قلب المتكلم وحضوره في الذهن، وكأنه ماثل امام العين لتأكيد هذا المعنى على الحقيقة لا على المجاز.

ب - نداء البعيد وهنا لم تصبح الهمزة قصيرة النموذج بل طويلة إذا مدت ونستعمل الأداة (آ) أو (آي). وأما إذا كانت المسافة أبعد مما ينبغي فغن الأداة المستعملة في هذا المقام هي (يا).

1 حسين جمعة: جماليات الخبر والإنشاء، ص 178.

2 عبد السلام هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، دار الجيل، ط2، 1979، ص 17.

3 عرفات فيصل المناع: السياق والمعنى، ص 233.

وقد يتزل القريب منزلة البعيد الحقيقي لأمر بلاغي محكم في علاقته الموجبة، منسجم في نسقه اللغوي والمختزن لعناصر الجمال الممتعة والمفيدة¹، وذلك لعلو منزلة المخاطب وهذا تعظيماً وتقديراً لشأنه، وتستعمل في هذا المقام (هيا) و(أيا).

وقد يكون المخاطب أقل منزلة صغير الشأن، لا يأبه له لذلك بعدت مرتبته عن مقام المتكلم مما يستدعيه مخاطبته بأدوات النداء البعيدة (يا هذا)، (أيا هذا، اصمت).

وقد يكون المخاطب في غفلة وشروء ذهن، فيستعمل المتكلم أدوات النداء البعيدة للتنبيه وشده إلى ما نقول.

2 أما في الأسلوب المجازي: فقد ذكر البلاغيون بأن أسلوب النداء لم يتوقف عند الحدود التعريفية التي اشتمل عليها من قبل، فهناك توظيفات مختلفة تحول التركيب اللغوي والنحوي والدلالي عن بنيته المباشرة تحويلات إيجائية تستوحى من السياق، وتستخلصها العقول والقرائح من القرائن الدالة عليه، وتعد هذه التحويلات معاني خرجت عن الأصل الحقيقي جمعتها كتب البلاغة في (الإغراء، الاستغاثة، الندبة، التعجب الاختصاص، التحصر، التنكر، التضجر)²

" قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ عُنْدَيْكُمْ، وَوَأَفَيْتُمْ جُنْدِيَهُ، وَكَوْ شِئْتُمْ لِلْفُظْتُمْ وَأَفَضْتُمْ، وَكَوْ قُلْتُمْ لِأَصْدَرْتُمْ وَأَوْرَدْتُمْ، وَكَجَلَوْتُمْ الْحَقَّ فِي مَعْرَضٍ بَيَانٍ يُسْمَعُ الصَّمِّ، وَيُتْرَلُ الْعُصْمَ، فَقُلْتُمْ: يَا فَاضِلُ أَدْنُ فَقَدْ مَنَيْتُمْ، وَهَاتِ فَقَدْ أَثْنَيْتُمْ."³

فالتركيب (يَا فَاضِلُ أَدْنُ) يتكون من : حرف النداء (يا) + منادى (فاضل) + مضمون النداء (ادن)

و الغرض الإنجازية للنداء هو التنبيه و طلب إقبال المدعو على الداعي، بينما الغرض الإنجازي لمضمون النداء الرغبة في الاستفادة من علم هذا الشاب الفصيح البليغ الذي وصل بيانه مبلغ المحنكين.

أنشأ أبو الفتح الإسكندري يقول في المقامة البلخية وهو يلتمس ديناراً.

" لَا أَسْتَطِيعُ الْعَطَاءَ حَمَلًا
وَلَا أُطِيقُ السُّؤَالَ ثِقَلًا
قَصُرْتُ عَنْ مُنْتَهَاكَ ظَنًّا
وَطَلْتُ عَمَّا ظَنَنْتُ فِعْلًا

1 حسين جمعة: جماليات الإنشاء والخير، ص 185.

2 حسين جمعة: جماليات الإنشاء والخير، ص 189.

3 المقامة القريضية : ص 8.

يا رُجْمَةَ الدَّهْرِ وَالْمَعَالِي لَا لَقِيَ الدَّهْرُ مِنْكَ تَكْلًا¹

فالتركيب يتكون : يا + رُجْمَةَ الدَّهْرِ وَالْمَعَالِي + لَا لَقِيَ الدَّهْرُ مِنْكَ تَكْلًا

أي من : حرف النداء + المنادى + مضمون النداء ، فالنداء (يا رُجْمَةَ الدَّهْرِ وَالْمَعَالِي) غرضه الإنجازي على الحقيقة هو تنبيه المخاطب ليصغي إلى ما يجيء بعده من الكلام والمتمثل في مضمون النداء (لَا لَقِيَ الدَّهْرُ مِنْكَ تُكْلًا) والذي غرضه الإنجازي الدعاء بعدم فقد الدهر له كما تفقد الثكلي حبيها.

" فَقَالَ الْعُلَامُ: كَانَ هَذَا اللَّبْنُ فِي غَضَارَةٍ، قَدْ وَقَعَتْ فِيهِ فَارَةٌ، فَحَنُّنُ تَصَدَّقُ بِهِ عَلَى السَّيَّارَةِ، فَقَالَ

الإِسْكَندَرِيُّ: إِنَّا لِلَّهِ! وَأَخَذَ الصَّحْفَةَ فَكَسَّرَهَا، فَصَاحَ الْعُلَامُ: وَاحْرَبَاهُ، وَامْحَرُوبَاهُ، فَاقْشَعَرَّتْ مِنَّا الْجِلْدَةُ، وَانْقَلَبَتْ عَلَيْنَا الْمَعْدَةُ، وَنَفَضْنَا مَا كُنَّا أَكَلْنَاهُ، وَقُلْتُ: هَذَا جَزَاءُ مَا بِالْأَمْسِ فَعَلْنَاهُ"².

فقد خرج هذا النداء (وَاحْرَبَاهُ، وَامْحَرُوبَاهُ) إلى التأسف أشبه بوا أسفاه في الحرب إذا وقعت فكأنها صارت موجودة حيث يحدث سلب المال في نادى به واحمروباه المقصود به المسلوب وهو هنا تلك الصفحة التي

كسرت، وبهذا يكون الغرض الإنجازي للنداء التأسف و التحسر على ما آل إليه الأمر مع أبي الفتح من غضب و تكسير للصحف.

" وَهَنَاتِي الْجَمَاعَةَ، وَجَعَلَ يَنْظُرُ فَتَفْتُلْنَا أَلْحَاطَهُ، وَيَنْطِقُ فَتَفْتِنُنَا أَلْفَاطَهُ، فَقَالَ: يَا سَادَةَ إِنَّ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ عَيْنًا

وَقَدْ رَكِبْتُمْ فُلَاةَ عَوْرَاءَ، فَخُذُوا مِنْ هُنَالِكَ الْمَاءَ، فَلَوِينَا الْأَعْنَةَ إِلَى حَيْثُ أَشَارَ، وَبَلَعْنَاهُ وَقَدْ صَهَرَتِ الْهَاجِرَةُ الْأَبْدَانُ... وَعَمَدَ إِلَى السُّرُوجِ فَحَطَّهَا، وَإِلَى الْأَفْرَاسِ فَحَشَّهَا، وَإِلَى الْأَمْكِنَةِ فَرَشَّهَا، وَقَدْ حَارَتِ الْبَصَائِرُ فِيهِ وَوَقَفَتِ الْأَبْصَارُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا فَتَى مَا أَلْطَفَكَ فِي الْخِدْمَةِ، وَأَحْسَنَكَ فِي الْجُمْلَةِ"³.

فالتركيب (يَا سَادَةَ إِنَّ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ عَيْنًا، وَقَدْ رَكِبْتُمْ فُلَاةَ عَوْرَاءَ) يتكون من :

النداء (يا + سَادَةَ) وغرضه الإنجازي على الحقيقة التنبيه و طلب إقبال المدعو على الداعي.

ومضمون النداء (إِنَّ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ عَيْنًا، وَقَدْ رَكِبْتُمْ فُلَاةَ عَوْرَاءَ) خبر تقريرى مثبت غرضه الإنجازي الأمر

بتزول السفح و الأخذ من تلك العين، ومما يؤكد هذا المعنى العبارة التي تليهاو المبدوءة بالفعل الإنجازي على

صيغة الأمر الصريح خذوا فيقوله: (فَخُذُوا مِنْ هُنَالِكَ الْمَاءَ).

1 المقامة البلخية: ص20.

2 المقامة الأرمنية: ص216.

3 المقامة الأسدية: ص40-41.

"فَقُلْتُ: الْآنَ يَشْرَقُ فَيْثُورٌ، وَيَعْمُ هَذَا وَقَبِيلَتُهُ بِالْهَجَاءِ، فَوَاللَّهِ مَا زَادَ الْفَرَزْدَقُ عَلَيَّ أَنْ قَالَ: قُبْحًا لَكَ يَا ذَا الرُّمَيْمَةِ! أَتَعْرِضُ لِمِثْلِي بِمَقَالٍ مُنْتَحَلٍ؟... وَسَارَ ذُو الرُّمَّةِ وَسِيرْتُ وَإِنِّي لِأَرَى فِيهِ أَنْكِسَارًا"¹.

نلاحظ في المثال السابق أن التركيب (قُبْحًا لَكَ يَا ذَا الرُّمَيْمَةِ! أَتَعْرِضُ لِمِثْلِي بِمَقَالٍ مُنْتَحَلٍ؟) يتضمن نداءً مركباً من حرف النداء و المنادى (يا ذَا الرُّمَيْمَةِ) وهو فعل إنجازي ليس مقصوداً لذاته ، بل هو لتنبيه المخاطب ليصغي إلى ما يجيء بعده من الكلام والمتمثل في مضمون النداء (قُبْحًا لَكَ أَتَعْرِضُ لِمِثْلِي بِمَقَالٍ مُنْتَحَلٍ؟) والذي صيغ في أسلوب الدعاء بالسوء و الاستفهام الاستنكاري وكلاهما فعلاّن كلاميان غرضهما الإنجاز يتعجب الفرزدق من انتحال ذي الرمة شعره.

وكثيراً ما يستعمل الهمداني أسلوب النداء في نثره وحتى في المقاطع الشعرية المضمنة في ثانيا مقاماته ، إذ يلجأ إليه المكدي للفت انتباه السامع أو المقصود بطلب السؤال و الحاجات والتعبير عن شدة المصاب و الآلام التي يلقاها وهو معوز معدم، وتقديم ذلك في صورة تمثيلية محزنة ومؤثرة بأساليب و أفانين من الإقناع عساها أن تجد من يمد لها يد العون و العطاء ما يسد رمقها وعجزها، ولعل هذه النداءات المتكررة في هذا النص الشعري ما يجسد هذه تلك الصورة فيقول في المقامة المكفوفية:

و طَابَتْنِي طَلَّتِي بِالْمَهْرِ	" يَا قَوْمُ قَدْ أَثْقَلَ دَيْنِي ظَهْرِي
سَاكِنَ قَفْرٍ وَ حَلِيفَ فَقْرٍ	أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدُ غَنِيٍّ وَ وَفْرٍ
يُعِينِنِي عَلَى صُرُوفِ الدَّهْرِ	يَا قَوْمُ هَلْ بَيْنَكُمْ مِنْ حُرٍّ
وَ أَنْكَشَفْتُ عَنِّي ذُبُولَ السِّتْرِ	يَا قَوْمُ قَدْ عَيْلَ لِفَقْرِي صَبْرِي
مَا كَانَ بِي مِنْ فِضَّةٍ وَ تَبْرٍ" ²	وَ فَضَّ ذَا الدَّهْرِ بِأَيْدِي التَّبْرِ

فأساليب النداء التالية : (يَا قَوْمُ قَدْ أَثْقَلَ دَيْنِي ظَهْرِي) (يَا قَوْمُ هَلْ بَيْنَكُمْ مِنْ حُرٍّ يُعِينِنِي عَلَى صُرُوفِ الدَّهْرِ) (يَا قَوْمُ قَدْ عَيْلَ لِفَقْرِي صَبْرِي) تشترك في بنية تركيبية موحدة (يا قوم) كمل تشترك في نفس الغرض الإنجازي والذي مؤداه التنبيه و طلب إقبال المدعو على الداعي.

ومضمون النداء في الأسلوب الأول (قَدْ أَثْقَلَ دَيْنِي ظَهْرِي) فعل إنجازي خبري تقريرى غرضه التوسل و الدعاء.

1 المقامة الغيلانية: ص 51.

2 المقامة المكفوفية : ص 94.

ومضمون النداء في الأسلوب الثاني (هَلْ بَيْنَكُمْ مَنْ حُرٌّ يُعِينِنِي عَلَى صُرُوفِ الدَّهْرِ) فعل كلامي على صيغة الاستفهام غرضه الإنجازي طلب الاستغاثة.

أما مضمون النداء في الأسلوب الثالث (قَدْ عَمِلَ لِفَقْرِي صَبْرِي) فعل كلامي على صيغة الخبر و التقرير غرضه الإنجازي الاستعطاف.

" يا أَصْحَابَ الْجُدُودِ الْمَفْرُوزَةِ، وَالْأَرْدِيَةِ الْمَطْرُوزَةِ، وَالذُّورِ الْمَجْدَّةِ، وَالْقُصُورِ الْمَشِيدَةِ، إِنَّكُمْ لَنْ تَأْمُنُوا حَدِيثًا، وَلَنْ تَعْدُمُوا وَاثِرًا " ¹.

فأسلوب النداء الوارد في المثال يتركب من : (يا + أَصْحَابَ الْجُدُودِ الْمَفْرُوزَةِ، وَالْأَرْدِيَةِ الْمَطْرُوزَةِ، وَالذُّورِ الْمَجْدَّةِ، وَالْقُصُورِ الْمَشِيدَةِ + إِنَّكُمْ لَنْ تَأْمُنُوا حَدِيثًا، وَلَنْ تَعْدُمُوا وَاثِرًا) ؛ أي من : حرف النداء + المنادى + مضمون النداء.

و الغرض الإنجازي للنداء هو التنبيه الصادر من ذي الطمرين إلى جماعة عيسى بن هشام الذين هم على رباط من المحبة و كأنهم في الألفة قد نظموا على سلك انتظمت فيه كواكب الثريا و طلب إقبالهم عليه لينظروا إلى الطفل المسكين بعين الرحمة، بينما يشكل مضمون النداء (إِنَّكُمْ لَنْ تَأْمُنُوا حَدِيثًا، وَلَنْ تَعْدُمُوا وَاثِرًا) فعلا كلاميا على صيغة النفي ، وغرضه الإنجازي النصح و الإرشاد وذلك بالحذر من تقلبات أحوال الدهر.

" وَجَعَلْتُ أَعْدُوَ وَهُوَ يَتَّبِعُنِي وَيَصِيحُ: يَا أَبَا الْفَتْحِ الْمَضِيرَةَ، وَظَنَّ الصَّبِيَّانُ أَنَّ الْمَضِيرَةَ لَقَبٌ لِي فَصَاحُوا صِيَاحَهُ فَرَمَيْتُ أَحَدَهُمْ بِحَجَرٍ، مِنْ فَرَطِ الضَّحْرِ، فَلَقِي رَجُلٌ الْحَجَرَ بِعِمَامَتِهِ، فَعَاصَ فِي هَامَتِهِ، فَأَخَذْتُ مِنَ النَّعَالِ بِمَا قَدَّمُ وَحَدَّثْتُ، وَمِنَ الصَّفْعِ بِمَا طَابَ وَخَبِثَ، وَحُشِرْتُ إِلَى الْحَبْسِ " ²

" يَا أَعْدَاءَ الْكِتَابِ وَالْحَدِيثِ، بِمَاذَا تَطْيَرُونَ؟ أِبَاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ تَسْتَهْزِئُونَ؟ " ³.

" يَا قَوْمُ الْحَذَرَ الْحَذَرَ، وَالْبِدَارَ الْبِدَارَ، مِنَ الدُّنْيَا وَمَكَايِدِهَا، وَمَا نَصَبْتُ لَكُمْ مِنْ مَصَايِدِهَا، وَتَجَلَّتْ لَكُمْ مِنْ زِينَتِهَا، وَاسْتَشْرَفْتُ لَكُمْ مِنْ بَهْجَتِهَا " ⁴.

1 المقامة البخارية : ص 98.

2 المقامة المضيرية : ص 136.

3 المقامة المارستلية: ص 144.

4 المقامة الوعظية: ص 155.

نلاحظ أن التركيب (يا قَوْمُ الحَذَرَ الحَذَرَ، وَالْبِدَارَ البِدَارَ، مِنْ الدُّنْيَا وَمَكَايِدِهَا) يتكون من النداء والمركب من حرف النداء و المنادى (يا + قَوْمُ) وهو فعل إنجازي ليس مقصودا لذاته، بل هو للتنبيه و طلب إقبال المدعو على الداعي.

ومضمون النداء (الحَذَرَ الحَذَرَ، وَالْبِدَارَ البِدَارَ، مِنْ الدُّنْيَا وَمَكَايِدِهَا) فعل كلامي جاء على صيغة الأمر لأن تقدير الكلام (الزم الحذر الحذر) غرضه الإنجازي التنبيه و التحذير.

4.1.2 فعل التمني:

والتمني هو رغبة صادرة عن اعتقاد القائل اتجاه أمر عسير أو غير ممكن الحصول بامتناع حصول المحتوى القضوي ولكن في مستوى التصور يعبر عن إرادة حصوله، ويحصل بالأداة ليت وهي الأصل في هذا الأسلوب، وقد يحصل بأدوات أخرى مثل: هل، لو، ألا، لعل.

ويعرفه ابن هشام بقوله: "هو طلب ما لا طمع فيه أو ما فيه عسر"¹، ويعرفه الرضي بقوله: "استعمال التمني في الممكن والحال، وذلك لأن ماهية التمني محبة حصول الشيء سواء كنت تنتظره وترتقب حصوله أو لا"². ومما يلاحظ في التعريف الأخير أنه لا بد من توفر شرط المحبة في الشيء المتمنى لأن النفس لا ترغب إلا بما تحب وهو جمع بين الرغبة والمحبة، في حين نعلم أن المحبة متضمنة في الرغبة؛ والتمني ضربان³:

1 التمني المستحيل: وهو طلب أمر مرغوب فيه أو محبوب لا يرجى حصوله كونه مستحيل الوقوع كمن يتمنى أن ينجو من الهرم وكبر السن وهو واقع لا محال.

2 التمني البعيد الوقوع: وهو طلب أمر مرغوب فيه أو محبوب لكونه ممكن الحدوث ولكنه بعيد المنال في التحقيق، فهو أشبه بالمستحيل، كمن تمنى مال قارون الذي أوتي الحظ الكثير فلا يعني أن يتحقق للآخرين وإن لم يكن مستحيلا.

ولقد لاحظ بعض الباحثين وجود علاقة بين التمني والرجاء وأدركوا أنهما يؤديان غاية واحدة، فكلاهما يبني على طلب لا يتحقق إما لاستحالته ولبعد وقوعه...ولكن الفرق الجلي بينهما هو أن التمني غير قابل للوقوع أيا كان شأنه، بينما الترجي قابل للوقوع، وغايته الإخبار لديه فهو يدخل في الممكن لا المستحيل فالأمر راجع إلى

1 ابن هشام: أوضح المسالك في ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط5، 1966، ج1، ص 238.

2 الرضي الاسترابادي: شرح الكافية، تعليق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، 1978، ج2، ص 346.

3 عرفات فيصل المناع، السياق والمعنى (دراسة في أساليب النحو العربي)، ص 241.

الفرق بإحساسنا بالأشياء كما عبر أحدهما بقوله: "فالمعاني التي نعدّها من باب التمني ذات طبيعة خاصة فهي من المعاني التي تتعلق بها القلوب وتشتاق سواء أكانت بعيدة أو مستحيلة ثم إن البعد فيها ربما لا يكون بعدا بالنسبة إلى الواقع أو العرف أو العقل وإنما هو بعد من حيث إحساس النفس به نقول ليتني..."¹.
وقد أشار شكري المبخوت إلى قواعد عمل التمني كما يلي²:

شرط الوسم	- مقوليا: وسم الإمكان السليبي. - لفظيا: الحرف ليت.
شرط الحالة الذهنية	إرادة حصول ما يعتقد المتكلم امتناع حصوله أو بعده عن الحصول.
شرط الدلالة الذهنية	- الاقتضاء المقولي: السلب. مضمون امتنع في الخارج قبل إنشاء التمني أو يمتنع حصوله بعد إنشاء التمني (بحسب اعتبار المتكلم).
شرط علاقات التخاطب	- التكلم: متحسر على امتناع المضمون القضوي. - المخاطب: مشفق على المتكلم. - المصلحة: المتكلم أو المخاطب.
شرط التأثير بالقول	- ذهنيا: الاستعطاف أو المشاركة الوجدانية في ترويح المتكلم عن نفسه. - سلوكيا: غير محدد.
القاعدة التكوينية	حمل المخاطب على التعاطف مع المتكلم أو بيان المتكلم لتعاطفه مع المخاطب.

وقد حظيت مقامات الهمداني بأفعال التمني نورد منها:

" قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ عُدَيْقَهُ، وَوَأَفَيْتُمْ جُدَيْلَهُ، وَلَوْ شِئْتُ لَلْفُطْتُ وَأَفَضْتُ، وَلَوْ قُلْتُ لِأَصْدَرْتُ وَأُورَدْتُ، وَلَجَلَوْتُ الْحَقَّ فِي مَعْرَضٍ بَيَانٍ يُسْمَعُ الصُّمَّ، وَيُتْرَلُ الْعُصْمَ"³.

1 محمد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب (دراسة بلاغية)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط5، 2000، ص 199.

2 شكري المبخوت: دائرة الأعمال اللغوية، ص 200.

3 المقامة القرظية: ص 8.

" فَرَجَعْنَا إِلَيْهِ، وَوَقَفْنَا عَلَيْهِ، فَابْتَدَرَ بِالْمَقَالِ، وَبَدَأْنَا بِالسُّؤَالِ، فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ آثَرْتُمَا، أَنْ تَعْرِفَا مِنْ أَمْرِي مَا أَنْكَرْتُمَا فَقُلْنَا: كُنْتَ مِنْ قَبْلُ مُطَّلِعًا عَلَى أُمُورِنَا، وَلَمْ تَعُدْ الْآنَ مَا فِي صُدُورِنَا، فَفَسَّرَ لَنَا أَمْرَكَ، وَاكْشَيْفَ لَنَا سِرَّكَ " ¹.

" كَمْ غَرَّتِ الدُّنْيَا مِنْ مُخْلِدٍ إِلَيْهَا وَصَرَعَتْ مِنْ مُكَبِّ عَلَيْهَا؛ فَلَمْ تُنْعِشْهُ مِنْ عَشْرَتِهِ؟ وَلَمْ تُقْلَهُ مِنْ صَرَاعَتِهِ، وَلَمْ تُدَاوِهِ مِنْ سَقَمِهِ، وَلَمْ تَشْفِهِ مِنْ أَلَمِهِ ...

تَنْدَمَ لَوْ أَعْنَاهُ طُولُ نَدَامَةٍ عَلَيْهِ وَأَبْكَنَهُ الدُّنُوبُ الْكَبَائِرُ

بَكَى عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَطَايَاهُ، وَتَحَسَّرَ عَلَى مَا خَلَّفَ مِنْ دُنْيَاهُ، حَيْثُ لَمْ يَنْفَعُهُ الْإِسْتِعْبَارُ ².

" فَلْيَكُنِ الْمَوْتُ مِنْكُمْ عَلَى ذِكْرٍ، لَعَلَّ تَأْتُوا بِنُكْرٍ، فَإِنَّكُمْ إِذَا اسْتَشَعَرْتُمُوهُ لَمْ تَجْمَحُوا، وَمَتَى ذَكَرْتُمُوهُ لَمْ تَمْرَحُوا، وَإِنْ نَسِيتُمُوهُ فَهَوَ ذَاكِرُكُمْ ... قُلْنَا: فَمَا حَاجَتُكَ؟ قَالَ: أَطُولُ مِنْ أَنْ تُحَدِّدَ، وَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُعَدَّ، قُلْنَا: فَسَانِحُ الْوَقْتِ قَالَ: رَدُّ فَائِتِ الْعُمْرِ، وَدَفْعُ نَازِلِ الْأَمْرِ، قُلْنَا: لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْنَا، وَلَكِنْ مَا شِئْتَ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا وَزُخْرِفِهَا، قَالَ لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا، وَإِنَّمَا حَاجَتِي بَعْدَ هَذَا أَنْ تَخْدُوا أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تُعُوا ³.

" فَكَيْفَ حَالُ أَبِيكَ؟ أَشَابَ كَعَهْدِي، أَمْ شَابَ بَعْدِي؟ فَقَالَ: قَدْ نَبَتَ الرَّبِيعُ عَلَى دِمْنَتِهِ، وَأَرْجُو أَنْ يُصِيرَهُ اللَّهُ إِلَى حَتَّتِهِ، فَقُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ⁴.

5.1.2 فعل النهي:

وقد تناولت الدراسات أسلوب النهي مقترنا بأسلوب الأمر ولم تفصل بينهم وتناولتهما في حديث واحد (الأمر والنهي)، فالنهي يتفق معه من جهة الاستعلاء، وارتباطه بالمخاطب وإرادة المتكلم الفاعل للمعنى على معنى النهي، أي يكون صادرا عن رغبة المتكلم في كف المخاطب عن عمل هو بصدد تحقيقه، كما أشار إلى ذلك المبرد في قوله: "اعلم أن الطلب من النهي بمتزلة من الأمر، يجري على لفظه كما يجري على لفظ الأمر" ⁵، ويعرف النهي أيضا بأنه: "طلب الكف على جهة الاستعلاء" ⁶.

1 المقامة المارستية: ص 146.

2 المقامة الوعظية: ص 156.

3 المقامة الأهوازية: ص 70.

4 المقامة البغدادية: ص 71-72.

5 المبرد: المقتضب، تح محمد عبد الخالق عظيم، عالم الكتب، بيروت، دط، دت، ج 2، ص 135،

6 عبد السلام هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، دار الجيل، بيروت، ط 2، 1979، ص 15.

ويأتي النهي على صورة تركيبية واحدة تبدأ بلا الناهية "وهو تماثل أنيق جعل حرف اللام الذي يوسم به بعض من عمل النهي هو نفسه الحرف المخصص لوسم النهي فكلاهما في دائرة الأعمال اللغوية ، مجعول لوسم مقولة السلب"¹، ويؤكد شكري المبخوت بأنه بالرغم من توافق هذين الأسلوبين إلا أن هناك تقابل بينهما في قوله: "فالأساسي في النهي هو تكذيب معلومة أو قضية حاصلة في ذهن المخاطب في حين أن الأساسي في تأثير النهي إنما هو الحمل على سلوك المخالف لما هو واقع بصرف النظر عما يكون له من تأثير في ذهن المخاطب"². وكما أن للأمر شروط عمل بها يمكن تحديد وإحكام الدلالة المباشرة من معرفة مترلة المتلفظ بالأسلوب بالنسبة للمتلقى فهي مترلة المتساويين أما هي مترلة الأعلى إلى الأدنى أم العكس؟ أتربطهما علاقات اجتماعية؟ وكذا معرفة غاية الخطاب، هل هي إلزامية أما إرشادية أو إخبارية أو غير ذلك؟، فإن للنهي شروطاً أوضحها شكري المبخوت في الجدول التالي:

شرط الوسم	- مقولياً: وسم السليبي - لفظياً: لا الناهية.
شرط الحالة الذهنية	إرادة تحقيق عكس المحتوى القضوي.
شرط الدلالة الذهنية	- الاقتضاء المقولي: الإيجاب. - المخاطب قادر على إنجاز عكس العمل الذي هو بصدده إثباته.
شرط علاقات التخاطب	- المتكلم: في مرتبة، حقيقية أو اعتبارية، أعلى بحسب اعتقاد المتكلم. - المخاطب: في مرتبة حقيقية أو اعتبارية، أدنى بحسب اعتقاد المتكلم. - لمصلحة المتكلم.
شرط التأثير بالقول	- ذهنياً: غير محدد (قد يكون مقتنعاً أو غير مقتنع... إلخ). - سلوكياً: الامتناع.
القاعدة التكوينية	إلزام المتكلم للمخاطب بالكف عن العمل الذي هو بصدده.

1 شكري المبخوت: دائرة الأعمال اللغوية، ص ص 193-194.

2 المرجع نفسه: ص 194.

" وَيَحَكَ هَذَا الزَّمَانُ زُورٌ فَلَا يُعْرَتُكَ العُرُورُ
لَا تَلْتَزِمُ حَالَةً، وَلَكِنْ دُرٌّ بِاللَّيَالِي كَمَا تَدُورُ"¹

ورد النهي في البيتين معا في التركيبين (فَلَا يُعْرَتُكَ العُرُورُ)، (لَا تَلْتَزِمُ حَالَةً)، وهما فعلان كلاميان غرضهما النصح و الإرشاد؛ فأبو الفتح الإسكندري ينهى عيسى بن هشام من الإنخداع للعالم ويوجهه إلى عدم الالتزام بوضع واحد وأن يتأقلم مع الحاجات و الطوارئ.

" زَجَّ الزَّمَانُ بِحُمُقٍ إِنَّ الزَّمَانَ زُبُونُ
لَا تُكَذِّبَنَّ بِعَقْلٍ مَا العَقْلُ إِلَّا الجُنُونُ"²

فأبو الفتح الإسكندري ينهى عيسى بن هشام من أن يكذب نفسه بما تمنيه من الشهرة بالعقل و الوقوف عندما يحده ويرشد إليه ويخبره بأن العقل بما أودع فيه ليفيده الخير في حياته و السعادة في معيشته؛ فقد خرج النهي هنا للإرشاد والنصح.

" أَعِدْ نَظْرًا يَا مَنْ حَبَانِي ثِيَابُهُ وَلَا تَدْعُ الأَيَّامَ تَهْمِينِي هـ —

وَقُلْ لِلأُولَى إِنْ أَسْفَرُوا أَسْفَرُوا ضحى وَإِنْ طَلَعُوا فِي غَمَةٍ طَلَعُوا سَعْدًا"³.

وهنا أبو الفتح الإسكندري يظهر كعادته الفاقة و الحاجة في أسلوب مقنع مؤثر، فيطلب ممن أنعم إليه بالثياب أن يعيد النظر في حاله ويمنحه منحة أخرى سوى الرداء فيحفظ نفسه من الأيام التي تقدمه بشدائدتها هذا، وقد جاء النهي (لا تدع) فعلا إنجازيا غرضه بيان العاقبة و سوء الحال التي سيؤول إليها إن لم ينظر إليه بعين الرحمة ويقدم له ما يسد حاجته.

" أَلَا وَإِنَّ الفَقْرَ حِلْيَةٌ نَبِيكُمُ فَاكْتَسُوهَا، وَالغِنَى حُلَّةٌ الطُّغْيَانِ فَلَا تَلْبَسُوهَا"⁴

يحذر الواعظ في هذا المقام سامعه من مهالك الغنى الذي هو حلة الطغيان وما كان كثرا للمال و خدمة للشهوات ومطابوعة للحرص ومدعاة للتقصير في واجب الطاعات و العبادات، أما الغنى الذي يؤدي منه حق الله إلى عباده ولا يفتن صاحبه ويستعان به على تأييد الحق ودحض الباطل فهو حلة أهل التقوى و الصلاح ، وقد عُبر عن هذا النهي ب(لا تلبسوها)؛ وهو فعل إنجازي غرضه التحذير و النصح.

1 المقامة القريضية : ص11.

2 المقامة المكفوفية: ص 96.

3 المقامة الجاحظية : ص 91.

4 المقامة الوعظية: ص152.

2.2.2 التعبيرات:

يشمل هذا النوع من الأفعال الكلامية كل الأساليب و التراكيب التي يعبر فيها المتكلم عن حالته النفسية وعن مشاعره تجاه الأشياء أو الأشخاص وهي أفعل الرضى و الشكر، والتهنئة، والاعتذار، والحيرة، والشوق، والحب والكره، والتعزية ... إلخ. وقد جاء ورودها كثيرا في مقامات الهمداني نذكر منها مايلي: " وَشَهَدَتْ شَوَاهِدُ حاله على صدق مَفَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا الْيَوْمَ عَبْدُكَ، وَمَالِي مَالُكَ، فَقُلْتُ: بُشْرَى لَكَ وَبِكَ، أَدَاكَ سَيْرُكَ إِلَى فَنَاءِ رَحْبٍ وَعَيْشٍ رَطْبٍ، وَهَنَاتِنِي الْجَمَاعَةُ، وَجَعَلَ يَنْظُرُ فَتَقَتْنَا أَلْحَاطُهُ، وَيَنْطِقُ فَتَفَتِنَا أَلْفَاظُهُ"¹. ففي هذا المثال فعلين كلاميين تعبيريين:

(بُشْرَى لَكَ وَبِكَ): أوقع به عيسى بن هشام فعلا إنجازيا متمثلا في تقديم الأمان و الطمأنينة

(وَهَنَاتِنِي الْجَمَاعَةُ) : قيام الجماعة التي ترافق عيسى بن هشام بفعل إنجازي والمتمثل في تهنئته لما قدمه للفارس

الفار من الملك الذي هم بقتله، وذلك بإعطائه الأمان وإخباره بأنه نازل عند أهل بيت كرم واسع؛ وقد كان

الغرض الإنجازي للفعل هنأني، الرضى والترحيب لما قام به عيسى بن هشام.

(وَيَنْطِقُ فَتَفَتِنَا أَلْفَاظُهُ): أي أن هذا الفارس حين يسهب في الكلام فإنه يأخذ بالألباب وسحر العقول و يفتن

النفوس ببيانه وبلاغته، وخاصة إذا كان الصوت لخيما و اللفظ فصيحاً فإنه يأخذ بالقلب إلى ما يريد المتكلم

وفتن العقل عن رشاده و خدعه عن مراده ، فهذا الفتى كان من رشاقة الألفاظ بحيث كان يفتنهم بلفظه ،

فالفعل (يفتن) فعل إنجازي تعبيرى غرضه الإعجاب بما ينطق به.

"فَقُلْتُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، مَنِ الرَّأكِبُ الْجَهْرُ الْكَلَامِ الْمُحْيِي بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ ؟ فَقَالَ: أَنَا

غِيْلَانُ بْنُ عُقْبَةَ، فَقُلْتُ: مَرْحَبًا بِالْكَرِيمِ حَسْبُهُ الشَّهْرُ نَسْبُهُ، السَّائِرُ مَنْطِقُهُ، فَقَالَ: رَحْبٌ وَادِيكَ، وَعَزَّ نَادِيكَ،

فَمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: عِصْمَةُ بْنُ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ، قَالَ: حَيَّاكَ اللَّهُ نِعْمَ الصَّدِيقُ، وَالصَّاحِبُ وَالرَّفِيقُ"².

شمل المثال على أفعال كلامية هي من التعبيرات الاجتماعية السائد تداولها بين الأفراد الإسلامية و العربية و

المتعارف عليها بأنها من الصيغ الدالة على الترحيب بالشخص أو الجماعة مع الأفعال الإنجازية: (مَرْحَبًا بِالْكَرِيمِ

حَسْبُهُ)، (رَحْبٌ وَادِيكَ، وَعَزَّ نَادِيكَ)، أو الدالة على تحية المخاطبين مع الفعلين الإنجازيين: (وَعَلَيْكَ السَّلَامُ

وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ)، (حَيَّاكَ اللَّهُ نِعْمَ الصَّدِيقُ).

1 المقامة الأسدية: ص40.

2 المقامة الغيلانية: ص47.

"بَيْنَا نَحْنُ بِجُرْجَانَ، فِي مَجْمَعٍ لَنَا تَتَحَدَّثُ وَمَا فِيْنَا إِلَّا مَنَّا، إِذْ وَقَفَ عَلَيْنَا رَجُلٌ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْمُتَمَدِّدِ، وَلَا الْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ، كَثُّ الْعُثُونِ، يَتْلُوهُ صِعَاژٌ فِي أَطْمَارٍ، فَافْتَتَحَ الْكَلَامَ بِالسَّلَامِ، وَتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، فَوَلَانَا جَمِيلًا، وَأَوْلَيْنَاهُ جَزِيلًا"¹

"وَأَنَا أَتَصَلَّى نَارَ الصَّبْرِ وَأَتَصَلَّبُ، وَأَتَقَلَّى عَلَى جَمْرِ الْعَيْظِ وَأَتَقَلَّبُ، وَلَيْسَ إِلَّا السُّكُوتُ وَالصَّبْرُ، أَوْ الْكَلَامُ وَالْقَبْرُ؛ لِمَا عَرَفْتُ مِنْ خُشُونَةِ الْقَوْمِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ، أَنْ لَوْ قَطِيعَتِ الصَّلَاةِ دُونَ السَّلَامِ، فَوَقَفْتُ بِقَدَمِ الصَّرُورَةِ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ إِلَى انْتِهَاءِ السُّورَةِ، وَقَدْ قَنَطْتُ مِنَ الْقَافِلَةِ، وَأَيْسْتُ مِنَ الرَّحْلِ وَالرَّاحِلَةِ"²

" قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ: فُلْنَاهُ مَا تَاحَ لَنَا مِنَ الْفَوْرِ، فَأَعْرَضَ عَنَّا، حَامِدًا لَنَا، فَتَبِعْتُهُ حَتَّى سَفَرْتِ الْخَلْوَةَ عَنْ وَجْهِهِ، فَإِذَا هُوَ وَاللَّهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَندَرِيُّ"³.

والفعل الكلامي الوارد في هذا المثال هو (فَأَعْرَضَ عَنَّا، حَامِدًا لَنَا) تعبير عن حالة المتسول النفسية لما قدم له عيسى بن هشام ورفقته العطاء الجزيل الذي يريده ومنحوه ما تمياً من فورهم أي وقتهم الأول المعقب لكلامه بلا تأخير و غرض هذا الفعل الإنجازي الشكر والامتنان.

وقد جاء في المقامة المضيرية أفعالاً إنجازية تعبر عن الحالة النفسية و الشعورية للمتكلم في قوله:

"وَلَوْ رَأَيْتَ الدُّخَانَ وَقَدْ غَبَّرَ فِي ذَلِكَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ، وَأَثَّرَ فِي ذَلِكَ الْخَدِّ الصَّقِيلِ، لَرَأَيْتَ مَنْظَرًا تَحَارُّ فِيهِ الْعِيُونُ: وَأَنَا أَعَشَقُهَا لِأَنَّهَا تَعَشَّقُنِي، وَمِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يُرْزَقَ الْمُسَاعَدَةَ مِنْ حَلِيلَتِهِ، وَأَنْ يَسْعَدَ بِظَعِينَتِهِ"⁴.

ففي التركيب (لَرَأَيْتَ مَنْظَرًا تَحَارُّ فِيهِ الْعِيُونُ) يخبر التاجر أبا الفتح الإسكندري عن حذق زوجته و يصف جمالها وحالتها و هي تطبخ ويؤكد له لو أنك رأيتها لكستك الحيرة من حالها ومنظرها ومن خفة حركتها في الخدمة، وهو فعل إنجازي غرضه الحيرة و الدهشة.

كما عبر التاجر لأبي الفتح الإسكندري عن عواطفه و مشاعره تجاهها بشدة ولعه بحليلته إذ ملأت حياته بوقوفها معه في تدبير البيت والعمل له فيما يحتاج إليه فيه سعادة ، وقد مثل لذلك بالفعل الإنجازي(أعشقتها)كفعل تعبري غرضه الإفصاح عن الحب والهيام بالمحبوب.

1 المقامة الجرجانية : ص56.

2 المقامة الأصفهانية: ص 63.

3 المقامة البخارية: ص 100.

4 المقامة المضيرية124-125.

"فَقُلْتُ: لَا حَيَّاكَ اللَّهُ، أَحْيَيْتَ شَهَوَاتٍ قَدْ كَانَ الْيَأْسُ أَمَاتَهَا"¹.

" حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: لَمَّا قَفَلْتُ مِنَ الْيَمَنِ، وَهَمَمْتُ بِالْوَطَنِ، ضَمَّ إِلَيْنَا رَفِيقٌ رَحْلُهُ، فَتَرَفَقْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، حَتَّى جَذَبَنِي نَجْدٌ، وَالتَّقَمَهُ وَهَدًى، فَصَعَدْتُ وَصَوَّبَ، وَشَرَّقْتُ وَغَرَّبَ، وَنَدِمْتُ عَلَى مُفَارَقَتِهِ بَعْدَ أَنْ مَلَكَنِي الْجَبَلُ وَحَزَنُهُ، وَأَخَذَهُ الْغُورُ وَبَطْنُهُ فَوَلَّى اللَّهُ لَقَدْ تَرَكَنِي فِرَاقُهُ وَأَنَا أَشْتَاقُهُ، وَغَادَرَنِي بَعْدَهُ أَقَاسِي بَعْدَهُ، وَكُنْتُ فَارِقُهُ ذَا شَارَةَ وَجَمَالَ، وَهَيْئَةٍ وَكَمَالٍ، وَضَرَبَ الدَّهْرُ بِنَا ضُرُوبَهُ، وَأَنَا أَتَمَثَّلُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَأَتَذَكَّرُهُ فِي كُلِّ لَمَحَةٍ، وَلَا أَظُنُّ أَنَّ الدَّهْرَ يُسْعِدُنِي بِهِ وَيُسَعِّفُنِي فِيهِ"²

" فَجَاءَنِي بِرَجُلٍ لَطِيفِ الْبِنْيَةِ، مَلِيحِ الْحَلِيَّةِ، فِي صُورَةِ الدُّمِيَّةِ، فَارْتَحْتُ إِلَيْهِ، وَدَخَلَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ، وَمِنْ أَيِّ بَلَدٍ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: مِنْ قُمْ، فَقَالَ: حَيَّاكَ اللَّهُ! مِنْ أَرْضِ النُّعْمَةِ وَالرَّفَاهَةِ وَبَلَدِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ"³.

" لَا أَنْدُبُ الدَّهْرَ رَبْعًا غَيْرَ مَأْنُوسٍ وَلَسْتُ أَصْبُو إِلَى الْحَادِيْنَ بِالْعَيْسِ"⁴.

فيعيسى بن هشام يتمثل قول أبي نواس وهو يبكي الربع و يخاطبه خطاب المتفجع معددا محاسنه ومتأسفا على ما صار إليه، معرضا بغيره من الشعراء الذين يتفجعون على وحشة المكان وخلوه من أهله ويشكون آلام الفراق ويذكرون ساعات الوداع ثم يتوسلون بحادي العيس في تبليغ السلام وعرض خيالهم و أحاسيسهم فهم لا يندبونهم الدهر. والفعل الكلامي (لا أندبُ الدهرَ ربعا) فعل إنجازي تعبيرى غرضه التفجع والتأسف

" قُلْنَا: لَا فَضٌّ فُوكَ، وَلِلَّهِ أَنْتَ وَأَبُوكَ، مَا يَحْرُمُ السُّكُوتُ إِلَّا عَلَيْكَ، وَلَا يَجِلُّ النَّطْقُ إِلَّا لَكَ "⁵.

والمثال يشمل فعلين كلاميين هما:

(لا فضُّ فوكَ): وهو دعاء مشهور لمن يستحس نطقه بأن لا تنثر أسنانه فيقبح لفظه وهو فعل إنجازي تعبيرى غرضه الإنجازي التعجب والاستحسان.

(ولله أنت وأبوك) جملة للاستحسان تقال لمن تحيرت في سبب ما أعجبك من فعله فلجأت لنسبته إلى الله أو نسبة أبيه إليه لأنه باهر القدرة لا يعجز عن إظهار مثل عملك منك. والتركيب فعل إنجازي جاء تعبيراً عن حالة المتكلم النفسية غرضه الإنجازي التعجب والاستحسان.

1 المقامة الجماعية : ص 149.

2 المقامة الشيرازية: ص 193-194.

3 المقامة الحلوانية: ص 199.

4 المقامة الإبلية: ص 209.

5 المقامة الناجمية: ص 220.

" وَصَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَيَّ، يَشْكُونَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْوَحْشَةِ لِفَقْدِي، وَمَا نَالَهُمْ لِبُعْدِي، وَشَكُوا شِدَّةَ الشُّوقِ، وَرُزْءَ التَّوَقُّ وَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَعْتَذِرُ مِمَّا فَعَلَ، وَيُظْهِرُ النَّدَمَ عَلَى مَا صَنَعَ، فَأَوْهَمْتُهُمْ أَنِّي قَدْ صَفَحْتُ عَنْهُمْ، وَلَمْ أَظْهِرْ لَهُمْ أَثَرَ الْمَوْجِدَةِ عَلَيْهِمْ بِمَا تَقَدَّمَ، فَطَابَتْ نُفُوسُهُمْ، وَسَكَنَتْ جَوَارِحُهُمْ " ¹.

يخبرنا الهمداني في هذا النص عن الأحداث التي وقعت لأبي العنيس فيما مضى وكيف ساءت حاله وتحول من مقام رفيع ووجاهة كان فيها ومكانة عالية بين أصحابه وخلانته لما هو فيه من يسر و مال، إلى مقام صار فيه مفلسا وحيدا لا يملك شيئا وقد ذهب ماله في حالة شوهاء يستوحش منها، ولما صعب عليه الأمر خرج يسبح فين البلدان و الأمصار متسولا و مكديا حتى كسب ثروة من المال الوفير فرجع إلى أهله و أصحابه و لما وجدوا ما رزقه في سفره، صاروا إليه يشكون فاقتهم و حاجتهم، وقد عبر عن ذلك بجملة من الأفعال الإنجازية نوضحها فيما يلي:

(يشكون): فعل إنجازي تعبري وقع في الزمن الماضي غرضه البوح بحالة المتكلم النفسية المتمثلة في التذلل والتشكي.

(يعتذر مما فعل): فعل إنجازي تعبري وقع في الزمن الماضي غرضه طلب العفو و الصفح.

(يُظْهِرُ النَّدَمَ عَلَى مَا صَنَعَ): فعل إنجازي تعبري وقع في الزمن الماضي غرضه إظهار القوم لحلة الندم و التحسر على ما بدر منهم تجاه أبي العنيس.

(فَأَوْهَمْتُهُمْ أَنِّي قَدْ صَفَحْتُ عَنْهُمْ): فعل إنجازي تعبري وقع في الزمن الماضي غرضه إدعاء الصفح من أبي العنيس للقوم الذين تنكروا حين ضاقت عليه الأمور.

(فَطَابَتْ نُفُوسُهُمْ، وَسَكَنَتْ جَوَارِحُهُمْ): فعلين إنجازيين تعبريين وقعا في الزمن الماضي يشتركان في نفس الغرض الإنجازي هو التعبير عن هدوء النفس و استقرارها.

3.2 الإعلانات:

وهي الأفعال التي تحدث بمجرد التصريح بها إحداث تغيير في نمط الأحداث العرفية التي غالبا ما تعتمد على طقوس اجتماعية، وهذه الأفعال أفعال مؤسساتية وليست شخصية ²، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات أو من الكلمات إلى العالم، ويدخل فيها أفعال العقود كالبيع و الشراء و الهبة و الوصية والزواج و

1 المقامة الصيمرية: ص242.

2Leech Geoffrey :principles of pragmatics, Longman London, newyork ,20th,ed 2009,p106

الطلاق، فهذه الأفعال تحدث تغييراً في الوضع القائم. بمجرد التلفظ، وعادة ما تقتضي عرفاً غير لغوي ومؤسسات خارج اللغة مثل: التشريع، المحكمة، الدستور، الحاكم، القاضي... إلخ، فالمقدرة اللغوية للمتكلم والمستمع وحدها غير كافية لإنجاح هذا الفعل ومن أمثلتها: إعلان الحرب، طقوس الزواج، أفعال الطرد والإقالة من العمل والاستقالة والتسمية وغيرها...

ومن أمثلة هذا النوع من الأفعال ما جاء في المقامة الحمدانية قول الهمداني:

"حدثنا عيسى بن هشام قال: حَضَرْنَا مَجْلِسَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ يَوْمًا، وَقَدْ عَرِضَ عَلَيْهِ فَرَسٌ مَتَى مَا تَرَقَّى الْعَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلَ، فَلَحِظْتُهُ الْجَمَاعَةَ، وَقَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ: أَيُّكُمْ أَحْسَنَ صِفَتَهُ، جَعَلْتُهُ صِلْتَهُ، فَكُلُّ جَهْدٍ جَهْدُهُ وَبَدَلٌ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: أَحَدٌ خَدَمِهِ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! رَأَيْتُ بِالْأَمْسِ رَجُلًا يَطَأُ الْفَصَاحَةَ بِنَعْلَيْهِ، وَتَقِفُ الْأَبْصَارُ عَلَيْهِ، يَسْأَلُ النَّاسَ، وَيَسْقِي الْيَاسَ، وَلَوْ أَمَرَ الْأَمِيرُ بِإِحْضَارِهِ، لَفَضَّلَهُمْ بِحَضَارِهِ، فَقَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ: عَلَيَّ بِهِ فِي هَيْئَتِهِ، فَطَارَ الْخَدْمُ فِي طَلْبِهِ، ثُمَّ جَاءُوا لِلْوَقْتِ، وَلَمْ يُعْلِمُوهُ لِأَيِّ حَالٍ دُعِيَ، ثُمَّ قَرَّبَ وَاسْتَدْنِي، وَهُوَ فِي طَمْرَيْنٍ قَدْ أَكَلَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمَا وَشَرِبَ، وَحِينَ حَضَرَ السَّمَاطَ، لَثَمَ الْبِسَاطَ، وَوَقَفَ، فَقَالَ: سَيْفُ الدَّوْلَةِ: بَلَعْنَا عَنْكَ عَارِضَةً

فَاعْرَضَهَا فِي هَذَا الْفَرَسِ وَوَصَفِهِ ... فَقَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ: لَكَ الْفَرَسُ مُبَارَكًا فِيهِ"¹.

إذ تعتبر التراكيب: (عَلَيَّ بِهِ فِي هَيْئَتِهِ)، (بَلَعْنَا عَنْكَ عَارِضَةً فَأَعْرَضَهُ)، (لَكَ الْفَرَسُ مُبَارَكًا فِيهِ). بمجرد التلفظ بها من نفس المؤسسة والتي هي هنا سلطة حاكمة أفعالاً إنجازية إعلانية مبينين أغراضها على النحو التالي: (عَلَيَّ بِهِ فِي هَيْئَتِهِ): يعد هذا الفعل قراراً صادراً من أعلى سلطة في البلد هو سيف الدولة إلى الأدنى، ومعلوم أن أمره لخدمته بإتيان هذا الرجل الذي يطأ الفصاحة بنعليه كالحكم المفصول في شأنه والذي لا رجعة فيه، وهو فعل كلامي غرضه الإنجازي تنفيذ الأمر على الفور والاستعجال.

(بَلَعْنَا عَنْكَ عَارِضَةً فَأَعْرَضَهَا): يطلب سيف الدولة من هذا الرجل أن يظهر فصاحته وبيانه في وصف الفرس الذي أثار إعجابه وإن هو أجاد وأحسن في وصفه الفرس فإن جزاءه أن يكون أن يهبه إياه. وهو فعل كلامي غرضه الإنجازي إظهار المكنة البلاغية في الوصف.

(لَكَ الْفَرَسُ مُبَارَكًا فِيهِ): بهذا الفعل يوقع سيف الدولة أمراً بتنفيذ ما وعد به بإعطاء الرجل الذي أجاد

الوصف الفرس، وهو فعل إنجازي إيقاعي غرضه تحقيق الوعد وتنفيذه.

1 المقامة الحمدانية ص 174-175.

"وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ يَزْدَادُ حَتَّى بَلَغَ الْوَزِيرَ الْقَاسِمَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ طَلَبَ كَاتِبًا لَهُ فَافْتَدَاهُ، فَقِيلَ: إِنَّهُ فِي مَنْزِلِهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْخُرُوجِ، قَالَ: وَلِمَ؟ قِيلَ: مِنْ أَجْلِ مَا صَنَعَ أَبُو الْعَنْبَسِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ امْتَحِنَ بَعْشَرَتِهِ وَمُنَادَمَتِهِ، فَضَحِكَ حَتَّى كَادَ يُبُولُ فِي سَرَاوِيلِهِ أَوْ بَالًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَ وَمَا أَخْطَأَ فِيمَا فَعَلَ، ذَرُوهُ فَإِنَّهُ أَعْلَمُ النَّاسِ بِهِمْ، ثُمَّ وَجَّهَ إِلَيَّ خِلْعَةً سَنِيَّةً، وَقَادَ فَرَسًا بِمَرْكَبٍ، وَحَمَلَ إِلَيَّ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، لَا سِتْحَسَانِهِ فَعَلِي" ¹.

والتركيب (ذروهُ فَإِنَّهُ أَعْلَمُ النَّاسِ بِهِمْ): فعل كلامي صادر من هيئة عليا في البلاد، إذ يوقع به الوزير القاسم أمرا بترك أبي العنيس على حاله وعدم التعرض له بسوء، مؤكدا لحاشيته أنهم يستحقون ما أصابهم منه فهو خبير بحالهم و بطبائعهم، ليؤخذ الحذر من أبناء الزمن و يترك الثقة بالإخوان الأندال السفلى؛ غرض هذا الفعل الإنجازي الموافقة و الإقرار لصنيع أبي العنيس.

"ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيَّ عَمِّي يَخْطُبُ ابْنَتَهُ، وَمَنْعَهُ الْعَمُّ أَمْنِيَّتَهُ، فَالَى الْأُيْرَعِي عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ إِنْ لَمْ يُزَوِّجْهُ ابْنَتَهُ، ثُمَّ كَثُرَتْ مَضْرَأَتُهُ فِيهِمْ، وَأَتَّصَلَتْ مَعْرَأَتُهُ إِلَيْهِمْ؛ فَاجْتَمَعَ رِجَالُ الْحَيِّ إِلَيَّ عَمِّي، وَقَالُوا: كُفَّ عَنَّا مَجْثُونُكَ، فَقَالَ: لَا تُلْبِسُونِي عَارًا، وَأَمْهَلُونِي حَتَّى أَهْلِكَهُ بِنِعْضِ الْحَيْلِ، فَقَالُوا: أَنْتَ وَذَلِكَ" ².

(كُفَّ عَنَّا مَجْثُونُكَ): فعل كلامي صادر عن رجال الحي و هم جماعة يمثلون مؤسسة لها وزنها في عرف المجتمعات العربية تحظى بالتأييد والسمع والطاعة لها، فهي في حكم السلطة القضائية؛ كل قراراتها ملزمة يجب الانصياع لها ولهذا نجد والد ابنة عمه استمهلهم على الفور ليرى في أمره وأن لا يفضحوه أو ينسبوا له العار، فلو تكفل لهم بدفع شره لما استطاع ولو زوجه ابنته كان مقسورا على ذلك وعد منه رضي بالضيم وفي كلا الأمرين عار شديد لهذا طلب منهم المهلة؛ وهذا الفعل الكلامي غرضه الإنجازي الحسم و الردع.

وقد يتزل الفرد متزلة السيد والقائد الحاكم إذا أوكله المتكلم زمام أمره وسلمه حكمه وتنازل عن الدرجة التي كان مساويا له فيها مؤكدا له أنه العبد المطيع، كما فعل عيسى بن هشام حينما قال لأبي الفتح الإسكندري: فَاحْكُمْ حُكْمَكَ يَا أَبَا الْفَتْحِ، فِي الْمَثَلِ التَّالِي: " وَبَيْنَا أَنَا فِي تِلْكَ الْحَالَةِ فِي الْغِيَاضِ أَدْبُ الْحَمَرِ، إِذْ بَأْبِي الْفَتْحِ الْإِسْكَندَرِيِّ تَلَقَّانِي بِالسَّلَامِ، فَقُلْتُ: مَا حَدَاكَ وَيَحْكُ إِلَيَّ هَذَا الْمَقَامَ ؟ قَالَ: جَوْرُ الْأَيَّامِ، فِي

1 المقامة الصيمرية: ص244.

2 المقامة البشرية: ص282.

الْأَحْكَامِ، وَعَدَمُ الْكِرَامِ، مِنَ الْأَنْامِ قُلْتُ: فَاحْكُمْ حُكْمَكَ يَا أَبَا الْفَتْحِ، فَقَالَ: اِحْمِلْنِي عَلَى قَعُودٍ، وَأَرِقْ لِي مَاءً فِي عُوْدٍ، فَقُلْتُ: لَكَ ذَلِكَ " 1.

فيوقع هنا أبو الفتح الإسكندري فعلا كلاميا أراد فيه من إراقة الماء في العود أن يمنحه إلى القعود لبونة يشرب لبنها ويتغذى به فالماء ماء الغذاء و العود عود بدنه الذي جف بالتعب و الإعياء، ، وقد يكون إراقة الماء في العود من فوائد حمله على القعود، فإذا حمله عليها عاد ما كان نضب منه فكأنما أراق في عوده ماء. ويكون غرض هذا الفعل الإنجازي الإسراع في التنفيذ لأن حالة أبي الفتح الإسكندري لا تسمح التطويل، فهو في تعب و إرهاق شديدين، مؤكدا له المقصود بالخطاب بالإيجاب على الفور في قوله (لك ذلك) كفعل إنجازي آخر غرضه تأكيد السمع و الطاعة.

4.2 الوعديات:

ويطلق عليه أيضا بالالتزاميات وغرضها إلزام المتكلم نفسه بفعل شيء في المستقبل، واتجاه المطابق فيها من العالم إلى الكلمات، و شرط الصدق فيها هو القصد إلى إنجاز الفعل كاملا، ويندرج ضمن هذا المجال أفعال الوعد والوعد، ومن أمثله في مقامات الهمداني قوله في المقامة الأصفهانية:

" قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ: فَلَزِمْتُ أَرْضِي، صِبَانَةَ لِعَرُصِي، فَقَالَ: حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ غَيْرَ الْحَقِّ، وَلَا أَشْهَدَ إِلَّا بِالصِّدْقِ، قَدْ جِئْتُكُمْ بِبِشَارَةٍ مِنْ نَبِيِّكُمْ، لِكَيْ لَا أُؤَدِّيَهَا حَتَّى يُطَهَّرَ اللَّهُ هَذَا الْمَسْجِدَ مِنْ كُلِّ نَذْلٍ يَجْحَدُ نُبُوَّةَهُ " 2.

ففي قوله (حقيق علي) :أراد من الحقيق عليه الثابت على ذمته أي واجب على ذمته أن لا يقول غير الحق؛ فهو فعل كلامي غرضه الإنجازي التعهد والالتزام بقول الحقيقة وشهادة الصدق.

"فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَلْتَمِسُ دِينَارًا، فَقُلْتُ: لَكَ ذَلِكَ نَقْدًا، وَمِثْلُهُ وَعَدًّا " 3.

أدرك عيسى بن هشام من طلب أبي الفتح بأن يستصحب له معه حين يرجع سالما من الطريق عدوا في بردة صديق من بُحار الصفر أنه يريد الدينانير، فالتزم له بذلك و أعطاه عهدا بأن ينيله ما أراد عند رجوعه في قوله (لَكَ ذَلِكَ نَقْدًا، وَمِثْلُهُ وَعَدًّا) وقد جاء المصدر وعدا نائبا عن الفعل أتعهد أو أوعدك ، وهو فعل كلامي غرضه الإنجازي الالتزام بالوعد.

1 المقامة الإبلية:ص212.

2 المقامة الأصفهانية: ص: 64-65.

3 المقامة البلخية: ص20.

" وَأَصْبَحْنَا نَبَاكِي وَتَشَاكِي، وَفِينَا رَجُلٌ لَا يَخْضَلُ جَفْنُهُ، وَلَا تَبْتَلُ عَيْنُهُ، رَاحِي الصَّدْرِ مُنْشَرِحُهُ، نَشِيْطُ الْقَلْبِ فَرِيْحُهُ، فَعَجَبْنَا وَاللَّهِ كُلَّ الْعَجَبِ، وَقُلْنَا لَهُ: مَا الَّذِي أَمَّنَكَ مِنَ الْعَطْبِ؟ فَقَالَ: حِرْزٌ لَا يَغْرَقُ صَاحِبَهُ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَمْتَحَ كَلًّا مِنْكُمْ حِرْزًا لَفَعَلْتُ، فَكُلُّ رَغْبٍ إِلَيْهِ، وَالْحَقُّ فِي الْمَسْأَلَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ حَتَّى يُعْطِيَنِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ دِينَارًا الْآنَ، وَيَعِدَنِي دِينَارًا إِذَا سَلِمَ، قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ: فَتَقْدَنَاهُ مَا طَلَبَ، وَوَعْدَنَاهُ مَا خَطَبَ"¹.

تعجب عيسى بن هشام في المقامة الحرزية من عدم تأثر الرجل الذي كان برفقتهم وهم سيكون ويشكون فاقدى الحيلة مما ألم بهم من خطب وهول وهم في السفينة، ولما سألوه ما أمنه العطب كان جوابه امتلاك حرز يمنع صاحبه الغرق و الهلاك، فرغب القوم وألحوا عليه أن يعطيهم منه، ولكنه اشترط عليهم أن ينالوه درهما الآن ويعيدوه آخرًا إذا سلموا، وقد وفوا بما عاهدوه استدلالاً من الفعل الكلامي (وعدناه ما خطب)، وقد كان غرضه الإنجازي الوفاء بالوعد.

" هَذَا رَجُلٌ مِنْ بِلَادِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ لَمْ يُوَافِقْهُ هَذَا الْمَاءُ، فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ السُّودَاءُ، وَهُوَ طُولَ النَّهَارِ يَهْدِي كَمَا تَرَى وَوَرَاءَهُ فَضْلٌ كَثِيرٌ، فَقُلْتُ: قَدْ سَمِعْتُ بِهِ، وَعَزَّ عَلَيَّ جُنُونُهُ، وَأَنْشَأْتُ أَقُولُ:

أَنَا أُعْطِيَ اللَّهَ عَهْدًا مُحْكَمًا فِي التَّدْرِ عَقْدًا
لَا حَلَقْتُ الرَّأْسَ مَا عِشْتُ تُوَلَّوْا لِقَيْتُ جَهْدًا"².

يتجلى الفعل (أنا أعطى الله عهداً) بوضوح بأنه فعل كلامي من الوعديات حيث يتعهد عيسى بن هشام حالفاً بالله بأن لا يخلق رأسه ما عاش ولو لاقى في ذلك العنت والجهد من تركه يطول أو من لوم الناس له، لما رآه من فضول الحجاجين وحمقاتهم المرهقة وطول كلامهم الممل، وقد صاحب هذا التعهد نذر مثبت في عقد هو التشريع الإسلامي بوجوب الالتزام به وإلا وقعت عليه الكفارة كعقوبة على التأخير أو المماثلة.

" فَصَالِحِي بَعْضُهُمْ لِعِلْمِهِ بِمَا صَنَعَ الْوَزِيرُ، وَحَلَفَ بَعْضُهُمْ بِالطَّلَاقِ الثَّلَاثِ وَبِعْتَقِ غِلْمَانِهِ وَجَوَارِيهِ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُنِي مِنْ رَأْسِهِ أَبَدًا"³.

يخبرنا عيسى بن هشام في المقامة الصيمرية عن حال الأصحاب الذين تخلوا عن أبي العنيس في شدته عندما أصابه الإفلاس، لما أوقعهم في شرك مكيدته فرأوا في نفوسهم همًا عظيمًا فحسبوا في منازلهم لا يقدر على

1 المقامة الحرزية: ص 138.

2 المقامة الحلوانية، ص 201

3 المقامة الصيمرية: ص 244

الخروج حياءً ومهانة، فكان منهم من صالح أبي العنيس لعلمه باستحسان الوزير فعله، وكان منهم من حَلَفَ بِالطَّلَاقِ الثَّلَاثِ وَبِعَثْقِ غِلْمَانِهِ وَجَوَارِيهِ؛ وهو فعل إنجازي من أفعال الالتزام والوعد؛ غرضه الإنجازي التعهد بالمقاطعة والمخاصمة وذلك بإجراء الطلاق وتحرير الغلمان والجواري إن هو رجعوا إليه وكلموه.

" دُفِعْتُ إِلَى مَكَارِهِ نَذَرْتُ مَعَهَا أَلَّا أَدَّخِرَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَنَافِعَهَا، وَلَا بُدَّ لِي أَنْ أَخْلَعَ رِبْقَةَ هَذِهِ الْأَمَانَةِ مِنْ عُنُقِي إِلَى أَعْنَاقِكُمْ، وَأَعْرِضَ دَوَائِي هَذَا فِي أَسْوَاقِكُمْ¹."

في المثال فعلين إنجازيين: أحدهما عبر عنه بصيغة الماضي لأن الراوي في مقام سرد أحداث وقعت قبل زمن التحدث وهو (نذرت) إذ بمجرد التلفظ به يكون المتكلم قد أوقع فعلا كلاميا غرضه الالتزام والتعهد بتقديم النفع للمسلمين فهو يقول: إنه في الوصول إلى بعض ما وصل إليه من عظام الأمور دفع إلى مكاره من مقارعة المهالك والصعاب في الحروب لكنه لم يستأثر بفوائدها لنفسه بل نذر مع ذلك أن لا يدخر أو يمنع دون المسلمين فوائدها، يشير بهذا إلى ما كان من الفتح الإسلامي، وما يعنى به، والغرض الإنجازي لهذا الفعل تقديم الإفادة والنفع؛ والفعل الثاني في قوله (وَلَا بُدَّ لِي أَنْ أَخْلَعَ رِبْقَةَ هَذِهِ الْأَمَانَةِ مِنْ عُنُقِي إِلَى أَعْنَاقِكُمْ) هو التزام بالتخلي والتنازل عن تلك الأمانة بعدما شاخ ويريد بالأمانة التي ربقته ما لزم اسمه من تلك الأمور، والغرض الإنجازي لهذا الفعل هو التحلل من كل ارتباط ومن كل التزام.

5.2 التقريريات:

إن تقابل النفي والإثبات في التصور اللغوي والدلالي المنطقي، هو من جنس تقابل الإثبات والأمر أو تقابل النفي والاستفهام مثلا، ويمكن اعتبار الإثبات أصلا، والنفي فرعه، الأول لا يحتاج إلى دليل من اللفظ ليدل عليه

فهو يوجد بمجرد عراء صدر الجملة من الواسمات، أما النفي فهو لغيره من أشكال وسم العمل اللغوي داخل على الكلام الموجب².

فرغم الاختلاف بينهما فهما وجهان لشيء واحد؛ أحدهما يشبه طلب إثبات شيء ما في الواقع، وفي الآخر طلب انتفاء شيء موجود في الواقع، وقياسا عليه تقرب بين النفي والإثبات باعتبارهما وجهين لشيء واحد يحتاج إلى تحديد¹.

1 المقنمة السجستانية: ص 27

2 نورة بوعباد: الحجاج وبعض الظواهر التداولية في الخطاب التعليمي الجامعي، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2009-2010، ص 276.

1.5.2 الإثبات:

يمثل الإثبات ضمن الدائرة التي اقترحها شكري المبخوت، وسما لمقولة الإيجاب، " صادرا عن إعتقاد يقين لدى المتكلم في أن محتوى قوله مطابقا لحالة الأشياء غي الكون، ولا يمكن تكذيب هذا الاعتقاد وحتى عند نفيه لأنه متصل بإنشاء الإثبات نفسه"²، وهو يحتمل أن يكون تعبيرا عن حالة أشياء وقعت قبل زمان إنشائه أو عن حالة أشياء مزامنة لإنشائه أو لحالة أشياء يعتبر المتكلم أنها واقعة لا محالة بعد زمان الإنشاء، " فهو من هذه الناحية مجال تصرف واسع، والأطرف من ذلك أن مدى الإثبات أوسع مما يمكن أن يتخيل، ويدلك على هذا أن للمتكلم أن يجعل كل الحالات الذهنية الممكنة من يقين و شك واحتمال و رغبة... إلخ محتوى لإثباته إذ يكفي لذلك أن يعجمها بما خصصته لها اللغة من واسمات لفظية (أفعال و حروف وأسماء) حتى تسلط عليه قوة الإثبات"³.

وقد حدد شكري المبخوت قواعد عمل الإثبات كالاتي⁴:

شرط الوسم	- مقوليا: وسم الإيجاب - لفظيا: غياب الواسم في الصدر.
شرط الحالة الذهنية	اعتقاد اليقين في مطابقة الكلام للخارج.
شرط الدلالة الذهنية	- الاقتضاء المقولي: الإمكان الايجابي أي محتوى قضوي سابق زمنيا لإنشاء الإثبات أو متزامن له أو لاحق حسب اعتبار المتكلم.
شرط علاقات التخاطب	- المتكلم: يعتقد في صدق محتوى الإثبات. - المخاطب: نحالي الذهن من محتوى القول حسب اعتقاد المتكلم. - لمصلحة: المخاطب أو المتكلم بحسب الحالات.
شرط التأثير بالقول	- ذهنيا: تثبيت اعتقاد وإضافة قضية في عالم الخطاب. - سلوكيا: متعدد وغير محدد.

1 شكري المبخوت: إنشاء النفي وشروطه اللغوية و الدلالية، مركز النشر الجامعي ، تونس، دط، 2006، ص 42.

2 شكري المبخوت: دائرة الأعمال اللغوية، ص 184.

3 شكري المبخوت: دائرة الأعمال اللغوية، ص 184.

4 المرجع نفسه: ص 187.

القاعدة التكوينية	التزام المتكلم بصدق الجملة.
-------------------	-----------------------------

ومن الأمثلة على هذا النوع في المدونة ما يلي :

" إِنْ لِّلهِ عَبِيدًا أَخَذُوا الْعُمَرَ خَلِيطًا
فَهُمْ يُمَسُونُ أَعْرًا بًا، وَيُضْحُونَ نَبِيطًا"¹

"وَمَنْ الَّذِي مَلَكَ مَفَاتِحَهَا، وَعَرَفَ مَصَالِحَهَا ؟ أَنَا وَاللَّهِ فَعَلْتُ ذَلِكَ، وَسَفَرْتُ بَيْنَ الْمُلُوكِ الصَّيِّدِ، وَكَشَفْتُ
أَسْتَارَ الْخُطُوبِ السُّودِ، أَنَا وَاللَّهِ شَهِدْتُ حَتَّى مَصَارِعَ الْعُشَاقِ، وَمَرَضْتُ حَتَّى لِمَرَضِ الْأَحْدَاقِ ... وَأُمُّ الْكَبَائِرِ
قَاسِيَتُهَا وَقَاسِيَتُهَا، وَأَخُو الْأَغْلَاقِ: صَعْبًا وَجَدْتُهَا، وَهَوْنًا أَضَعْتُهَا، وَغَالِيًا اشْتَرَيْتُهَا، وَرَحِيصًا ابْتَعْتُهَا، فَقَدْ وَاللَّهِ
صَحِبْتُ لَهَا الْمَوَاكِبَ، وَزَاحَمْتُ الْمَنَاكِبَ، وَرَعَيْتُ الْكَوَاكِبَ، وَأَنْضَيْتُ الْمَرَائِبَ"².

(أَنَا وَاللَّهِ فَعَلْتُ ذَلِكَ) :جواب مثبت للسؤال عن من ملك مفاتيح الأمور، والعلوم، والخطوب، وعرف مصالح
الحروب وهي طرق الغلبة و الفوز فيها وسبل الإفلات من مضايقتها، وقد صاحب هذا الإثبات القسم بالله
(أَنَا وَاللَّهِ شَهِدْتُ حَتَّى مَصَارِعَ الْعُشَاقِ، وَمَرَضْتُ حَتَّى لِمَرَضِ الْأَحْدَاقِ ...): أفعال كلامية مؤكدة باستعمال
أسلوب القسم، غرضها الإنجازي الإخبار و الإعلام بما شهدته و أصابه من محاسن ربات الحجال .

(فَقَدْ وَاللَّهِ صَحِبْتُ لَهَا الْمَوَاكِبَ، وَزَاحَمْتُ الْمَنَاكِبَ ...): أفعال كلامية مؤكدة أيضا باستعمال أسلوب

القسم على الشكل : قد+ فعل ماضي، غرضها الإنجازي الحث والسعي في الوصول إلى المطلوب.

" إِنْ الْجَاحِظَ فِي أَحَدِ شَقِيِّ الْبَلَاغَةِ يَقْطِفُ، وَفِي الْآخِرِ يَقْفُ، وَبِالْبَلِغِ مَنْ لَمْ يُقْصِرْ نَظْمُهُ عَن نُّثْرِهِ، وَلَمْ يُزِرْ
كَلَامَهُ بِشِعْرِهِ"³. يخبر أبو الفتح الإسكندري أن الجاحظ في أحد شقي البلاغة و يريد به النثر؛فهو يقطفه كما

تقطف الدابة إذا ضاق خطوها في المشي للدلالة على مكنته ووزانته فيه؛ أما الشق الآخر فيقصد به النظم،

وليس للجاحظ فيه شهرة يزاحم بها الشعراء فكأنه لم يقل فيه شيئا، فهو يشترط في البليغ أن يكون مجيدا في

النثر و النظم فلا يزري بنثره، ولكن أهل الصناعة يرون كلا منهما رفيعا في بابه، وأنه إذا اجتمعت

الإجادة في النوعين لواحد كان أكمل من المجيد في واحد فقط.

وعليه فالفعلين (يقطف) و (يقف) فعلين كلاميين دلالتهما الحرفية الإخبار و التقرير، وغرضهما الإنجازي

التوكيد و الثناء على ملكة الجاحظ في النثر في مقابل ملكة نظم الشعر.

1 المقامة البلخية: ص21

2 المقامة السجستانيّة: ص 24-25

3 المقامة الجاحظية: ص89.

"بَيْنَا أَنَا بِالْبَصْرَةِ أَمِيسُ، حَتَّى أَدَانِي السَّيْرُ إِلَى فُرْضَةٍ قَدْ كَثُرَ فِيهَا قَوْمٌ عَلَى قَائِمٍ يَعِظُهُمْ وَهُوَ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَمْ تُتْرَكُوا سُدىً، وَإِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا، وَإِنَّكُمْ وَارِدُو هُوَّةٍ، فَأَعُدُّوا لَهَا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، وَإِنَّ بَعْدَ الْمَعَاشِ مَعَادًا، فَأَعُدُّوا لَهُ زَادًا، أَلَا لَا عُذْرَ فَقَدْ بَيَّنْتَ لَكُمْ الْمَحَجَّةَ، وَأَخَذْتَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ، مِنَ السَّمَاءِ بِالْخَبْرِ، وَمِنَ الْأَرْضِ بِالْعَبْرِ، أَلَا وَإِنَّ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ عَلِيمًا، يُحْيِي الْعِظَامَ رَمِيمًا، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ جَهَازٍ، وَقَنْطَرَةُ جَوَازٍ، مَنْ عَبَّرَهَا سَلِمَ، وَمَنْ عَمَّرَهَا نَدِمَ ... أَلَا وَإِنَّ الْعِلْمَ أَحْسَنُ عَلَى عِلَاتِهِ، وَالْجَهْلَ أَقْبَحُ عَلَى حَالَاتِهِ وَإِنَّكُمْ أَشَقَى مَنْ أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ، إِنْ شَقِيَ بِكُمْ الْعُلَمَاءُ، النَّاسُ بِأَيْمَتِهِمْ، فَإِنْ انْقَادُوا بِأَزْمَتِهِمْ، نَجَوْا بِذِمَّتِهِمْ" ¹.

جاء في المقامة الوعظية إخبار عيسى بن هشام عن النصائح و المواعظ التي وجهها الرجل الحكيم إلى مستمعيه ينيهم مخاطبا بأسلوب النداء (أَيُّهَا النَّاسُ) بأن الله لم يدعكم هملا تعملون كما تشاؤون بل رعاكم بحكمته و حدد أعمالكم بشريعته و وعد القائمين عند حدودها بمثوبته وأوعد من تعداها بعقوبته، وأن يومكم لا يدوم لكم فلا بد من الارتحال عن هذه الحياة الدنيا، وأن القبر حق، فيوجههم للإعداد له بالعمل الصالح التي بها تتقى أهوال ما يلقيه الأتقياء بعد الموت، وأن الدنيا دار يتجهز فيها فمن نظر إليها بحالها الحقيقية سلم من وصمة النقص و العناء في استدامة ما لا يدوم و استفاء ما لا يبقى و استصفاء ما لا يصفو، و كل مصاغ في جمل مثبتة مؤكدة باستعمال أداة التوكيد إن: إِنَّكُمْ لَمْ تُتْرَكُوا سُدىً، وَإِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا ، وَإِنَّ بَعْدَ الْمَعَاشِ، أَلَا وَإِنَّ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ عَلِيمًا، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ جَهَازٍ ... و باستعمال أسلوب النفي (لَا عُذْرَ فَقَدْ بَيَّنْتَ لَكُمْ الْمَحَجَّةَ) يحتم هذا الجزء بتقريرات مؤكدة عن العلم بأنه أحسن الحسن في جميع حالاته وشؤونه سواء كان فيها ما يلذ للنفس أو ما يكره لها، وعن العلماء بأنهم إن شقوا بكم فأنتم أشقى أهل الأرض و شقاء العلماء أن لا يكون في الناس منتفع بعلمهم ومقتد بهداهم ، ويهدف المتكلم من هذه التقريرات الحث والسعي في طلب العلم والنهي باجتناج الجهل.

وهكذا نجد أن هذه الإخباريات والتقريرات أفعالاً كلامية تنوعت أغراضها الإنجازية فشملت التنبيه، النهي التحذير، الحث والتشجيع.

وقد يأتي التوكيد باستعمال آلية الشرح و التوضيح كما هو مبين في المثال التالي:

1 المقامة الوعظية: من ص 151- إلى ص 153

" وَالنَّاسُ رَجُلَانِ: عَالِمٌ يَرَعَى، وَمُتَعَلِّمٌ يَسْعَى، وَالْبَاقُونَ هَامِلٌ نَعَامٍ، وَرَاتِعٌ أَنْعَامٍ، وَيُلُّ عَمَالٍ أَمْرٍ مِنْ سَافِلِهِ، وَعَالِمٌ شَيْءٍ مِنْ جَاهِلِهِ " ¹. فأبو الفتح الإسكندري يصنف الناس إلى ثلاث على حسب معيار مدى اكتساب العلم فمنهم عالم يرعى أي يعمل على وفق ما أرشد إليه العلم، ومنهم المتعلم الذي يسعى حتى يكون العلم له وصفا ثابتا، وصنف ثالث لا قيمة له متروك سدى لا قائم عليه في تدبير معيشتة وتربية فراخه، ويكتسب الصنفان الأوليان صفة الأفضلية وعلو الرفعة والمكانة. وقد استعمل المتكلم في خطابه جملا اسمية مثبتة بإلقاء تقرير عام عن الناس ثم يعمد إلى تفصيل وتوضيح أجزاء هذا التقرير بالشرح والبيان.

وقد يصاغ الإثبات باستعمال التركيب : **قد+ الفعل الماضي**، كما جاء في المقامة الوعظية في المثال التالي:
 " أَلَا وَقَدْ نَصَبْتَ لَكُمْ الْفَخَّ وَنَثَرْتَ لَكُمْ الْحَبَّ؛ فَمَنْ يَرْتَعُ، يَقَعُ، وَمَنْ يَلْقُطُ، يَسْتَقْطُ ... وَقَدْ سَمِعْتَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ كَانَ قَائِمًا يَعِظُ النَّاسَ وَيَقُولُ: يَا نَفْسُ حَتَّامَ إِلَى الْحَيَاةِ رُكُوتُكَ، وَإِلَى الدُّنْيَا وَعِمَارَتُهَا سُكُوتُكَ؟ أَمَا اعْتَبَرْتَ بِمَنْ مَضَى مِنْ أَسْلَافِكَ، وَبِمَنْ وَارَثَهُ الْأَرْضُ مِنْ الْأَفْكَ، وَمَنْ فَجَعَتْ بِهِ مِنْ إِخْوَانِكَ، وَنُقِلَ إِلَى دَارِ الْبَلَى مِنْ أَقْرَانِكَ؟ " ².

يخبر أبو الفتح واعظا سامعيه بأن الدنيا بنت شراكها للغافلين ، وهيأت لهم أسباب الوقوع في مصيبتها كما يفعل الصياد حين يضع الفخ و ينثر الحب بجانبه ليحذب به الفريسة ؛ وهذا تمثيل بديع لما تزيينه الشهوة في الحياة الدنيا و الألفاظ ظاهرة، وقد كان الغرض الإنجازي لهذا الفعل الكلامي التحذير و التخويف من فتن الدنيا، كما أنه يعلمنا بما سمعه عن علي بن الحسين بن الإمام علي كرم الله وجهه من مواعظ و إرشادات تحذر من التقاعس و الركون إلى الدنيا ومن عدم الاعتبار بمن مضى من الأسلاف ، ومن فقد الإخوان و الأقران الذين كانوا معنا و بجنبنا، وقد استعمل المتكلم هنا جملة فعلية مسبوقه بالأداة (قد) ؛ وهو فعل كلامي إخباري مثبت، غرضه الإنجازي التحذير و النهي عن الاقتراب من الدنيا في الفعل (قد نصبت)، و التذكير و التنبيه في الفعل (قد سمعت).

2.5.2 النفي (الإثبات السلبي):

النفي يمثل عند بعض الباحثين ضمن دائرة الأفعال الكلامية، تعبير مجرد عن معنى التصديق و التكذيب في الخبر وهو لا يقول شيئا عن حالة الأشياء في الكون، ويكون " صادرا عن اعتقاد يقين مركب، فهو يقين في مخالفة

1 المقامة الوعظية : ص153

2 المقامة الوعظية: ص 152-153.

قول الإثبات السابق للنفي، تحقيقاً أو تصوراً لحالة الأشياء في الكون، فليس ثمة حكم مباشر على حالة الأشياء في الكون وإنما حكم بالقول المنفي على قول آخر مثبت¹.

وقد خصصت العربية مجموعة من الواسمات لإنشاء النفي هي (ما، لا، لم، لما، لن، ليس، و (لا، إن) وهما قليلتا الاستعمال في العربية القديمة، وكلّهما تشترك في دلالتها العامة على قوة النفي، ولكن بالاعتماد على طرق للتعبير عن المقامات المختلفة عند الاستعمال، وهي تبرز توزيعاً دقيقاً على ما يتصل بزمان التكلم (ما، لا)، وما قبله (لم، لما) في نفي الماضي، وما بعده في نفي المستقبل كما هو الحال مع الواسمات (لا، لن)، والنافي في كل هذا يعتقد إن على حق أو على باطل أن مخاطبه يقبل صدق الإثبات المردود وفق أحد الاحتمالات التالية²:

- نقض تام أو يكاد للقول.

- تعديل لجزء من المعنى لإنزال الإثبات درجة.

- مبالغة في رفع ما أثبتته المثبت درجة أو أكثر.

وفي الجدول الموالي القواعد الدلالية المكونة لعمل النفي³:

شرط الوسم	- مقولياً: وسم الإيجاب. - لفظياً: مجموعة (ما، لا، لم، لما، لن، إن، ليس).
شرط الحالة الذهنية	اعتقاد اليقين بعدم مطابقة الكلام المثبت السابق، حقيقة أو تصوراً، للخارج.
شرط الدلالة الذهنية	- الاقتضاء المقولي: الإمكان الإيجابي أي محتوى قضوي سبق إثباته إن صراحة وإن ضمناً سواء قبل زمان إنشاء النفي أو اعتقد المتكلم أنه سيثبت بعد زمان التكلم.
شرط علاقات التخاطب	- المتكلم: يعتقد أن المخاطب يعتقد في صدق الإثبات الذي يردده. - المخاطب: خالي الذهن من موقف المتكلم من الإثبات السابق. - لمصلحة: المخاطب أو المتكلم بحسب الحالات.
شرط التأثير بالقول	- ذهنياً: تكذيب الاعتقاد الذي يصدر عنه القول المثبت.

1 شكري المبخوت: دائرة الأعمال اللغوية، ص188..

2 المرجع نفسه: ص 189.

3 المرجع نفسه: ص 191.

القاعدة التكوينية	- سلوكيا: متعدد وغير محدد.
التزام المتكلم بعدم مطابقة القول المثبت لحالة الأشياء في الكون.	

ومن أمثلة هذا الفعل في المدونة ما يلي:

"فقلنا: ما تقول في امرىء القيس؟ قال: هو أول من وقف بالديار وعرصاتها، وأغتدى والطير في وكناتها، ووصف الخيل بصفاتها، ولم يقل الشعر كاسياً. ولم يجد القول راغباً... قلنا: فما تقول في طرفة؟ قال: هو ماء الأشعار وطينتها، وكنز القوافي ومدينتها، مات ولم تظهر أسرار دفايته ولم تفتح أغلاق خزائنه"¹.

تسأل الجماعة هذا الشاب البليغ العالم بالشعر والشعراء عن رأيه في امرىء القيس فيجيبهم في ثقة غير متردد مثبتاً بأنه أبرع الشعراء في وصف الديار والتعبير عما يجده العشاق في مواقفهم بمواطن الأحبة، ومن أجودهم ذكراً في الحديث عن الإنسان الذي يغتدي والطير في مأواها، فهو من أيقظ الناس قلباً وأشدهم حرصاً، منفياً عنه أن يكون مثل أولئك الذين ما فتق لسانهم بالقول إلا لكسب المال وما حرك أناملهم بالأقلام لتجبير الخطب والقصائد إلا انتجاعهم؛ أي ذهابهم لارتياح الأرزاق رغبة في تحصيلها، ليؤكد بذلك أنه قد فاقهم في جودة الشعر.

وقد استعمل الهمداني أسلوب النفي بالأداة (لم) كفعلين كلاميين، غرضهما الإنجازي إثبات الأفضلية والجودة في شعر امرىء القيس.

"لا أستطيع العطاء حملاً ولا أطيق السؤال ثقلاً"².

ينفي أبو الفتح الإسكندري أنه يستطيع إقلال الحمل من المنة، وفي سؤال الناس ثقل من الذل لا يطيق احتماله والحمل والثقل يذهبان مذهباً واحداً في المعنى إلا أن المعنى الثاني أثقل؛ والأول فعل كلامي غرضه الإنجازي إثبات الإحساس بالذل والمهانة؛ أما الثاني فغرضه الإنجازي الزيادة في الشعور بالذل.

"ألم تر أن امرأ القيس قد
ألظ به داؤه الناجس
هم القوم لا يألون الهجاء
وهل يألن الحجر اليابس"³.

يشير ذو الرمة في المقامة الغيلانية إلى جماعة امرئ القيس بأن قوم هذا المهجو لا يألمون من الهجاء لأنهم أحجار و المهجو واحد منهم فلا يألم كما لا يألمون وذكر الحجر لمز لهم باسم أبيهم؛ فهو بنفي عنهم كل شعور

1 المقامة القريضية : ص8-9.

2 المقامة البلخية: ص 20.

3 المقامة الغيلانية : ص49.

وإحساس بالألم، وقد جاء التركيب (لا يألمون) كفعل كلامي على صيغة النفي باستعمال الأداة (لا) غرضه الإنجازي إثبات الدم والهجاء لهؤلاء القوم من خلال طبائع القسوة و الجفاء وتبدل الأحاسيس التي يتصفون بها. " وَأَلَحَّ فِي الْمَسْأَلَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ حَتَّى يُعْطِينِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ دِينَاراً الْآنَ، وَيَعْدَنِي دِينَاراً إِذَا سَلِمْتُ"¹.

ونجد الهمداني ينوع في استعمال صيغ النفي بأدوات أخرى كاستعماله ل (لن) الدالة على النفي في المستقبل في التركيب التالي: (لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ حَتَّى يُعْطِينِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ دِينَاراً)؛ إذ يرفض رفيق الجماعة التي أوشكت على الغرق وهم في جزع وهم مما أصابهم، بينما هو في انشراح وأمن من الخطب أن يعطيهم من الحرز حتى ينالوه بعض المال في الحين وبعضه حين يسلمون و ينجون. ويكون الغرض الإنجازي للفعل الكلامي (لن أفعل) هو الرفض و المنع.

" قَالَ: يَا عِيسَى هَذَا وَأَيُّكَ الْحَدِيثُ، فَمَا الَّذِي أَرَادَ بِالشَّيْطَانَةِ؟ قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ مَا أَدْرِي، غَيْرَ أَنِّي هَمَمْتُ أَنْ أَخْطُبَ إِلَى أَحَدِهِمْ وَلَمْ أُحَدِّثْ بِمَا هَمَمْتُ بِهِ أَحَدًا، وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ أَبَدًا"².

في المثال فعلين كلاميين باستعمال أداة النفي (لا) الدالة أيضا على النفي في المستقبل كما هو الحال في التركيبين :

(لَا وَاللَّهِ مَا أَدْرِي)، (وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ أَبَدًا)؛ فالأول فعل كلامي غرضه الإنجازي إثبات الجهل بالمقصود من لفظة الشيطانة؛ وأما الفعل الكلامي الثاني فغرضه الإنجازي تأكيد النفي.

3. قوانين التخاطب في مقامات الهمداني:

يلاحظ في كثير من الأحيان بالنسبة للوصف اللغوي أن التأويل الدلالي لجمل اللغات الطبيعية في بعض المقامات يصبح متعددا؛ أي أن معاني هذه الجمل لا ينحصر فيما تدل عليه صيغها الصورية (اللفظية) للجملة بل يتعداها إلى معنى ضمني غير مصرح به، فعبرة: هل تستطيع أن تناولي الملح؟ تستدعي معرفة التأويل الوارد إعطائه لهذه الجملة. هل يعتمد المعنى المستلزم وحده باعتباره السابق إلى الفهم أم هل يعتمد المعنى الصريح (السؤال) والمعنى المستلزم معا باعتبار الثاني ناتجا عن الأول؟.

1 المقامة الحرزية : ص138.

2 المقامة المارستانية : ص146.

ولتحليل هذه الظاهرة أشار الباحثون الانتباه إلى أهمية وجود علاقات من التعامل الأخلاقي من شأنها أن تساهم في عملية التواصل الإنساني ضمن آلية وسموها بالاستلزام الحوارية و يعنون بها ما يرمي إليه المتكلم بأسلوب غير مباشر، جاعلا المستمع يتجاوز المعنى السطحي إلى المعنى الضمني للجمل؛ إذ الملفوظات عندهم تشتغل على مستويين: مستوى المضمون، ومستوى العلاقة الذي يسهم في إقامة رابط اجتماعي عاطفي بين المتخاطبين كما هو الحال في علاقة التهذيب التي أشار إليها الكثير من الباحثين المتأخرين من أمثال: براون، لفنسون، ليتش؛ إذ تسهم في أسوأ الحالات في الحد من الخلافات المحتملة، وتحيء المتخاطبين في أحسن الحالات للتواصل فيما بينهم¹.

وضمن هذه العملية التواصلية يخضع المتخاطبان إلى سنن أو مجموعة من القوانين تكمن وظيفتها في " تحديد معالم الدلالات الحجاجية ... في نظر ديكر و انسكومبر فيما أسماه اقتصاد الوصف الدلالي، والتي تهم بتأخير ظهور التباس في المعنى"².

وبمساهمة للجانب السياقي في تحديد قواعد التخاطب التي يجب مراعاتها في أي ممارسة لغوية في المجتمع، فإن للسياق أهمية كبيرة تكمن في الدور الذي يقدمه في الوقوف على الدلالات المقصودة وتحديد معاني الكلمات و العبارات و دفع الإبهام و الالتباس و الغموض.

و أول من تناول الحديث عن هذه القواعد التخاطبية الفيلسوف الأمريكي بول غرايس (p. grice) في مقاله (المنطق و الخطاب) وفي ترجمة أخرى بعنوان (المنطق والتحاو) مقدما فيها اقتراحات متعددة لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي في إطار كل من فلسفة اللغة العادية و الفلسفة الصورية، والنظرية التوليدية التحويلية³.

1Orichioni catrine kerbrat: les interactions verbales, Armand colin, édition paris,1992,tome 2,p163.

2 عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 01، 2003، ص123.

3 أحمد المتوكل: الاستلزام التخاطبي (بين البلاغة العربية و التداوليات الحديثة)، ضمن كتاب: التداوليات (علم استعمال اللغة)؛ حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، سنة 2011، ص295.

1.3 مبدأ التعاون المشترك:

وقد اعتمد غرايس في صياغته لهذه القوانين على مبدأ أساسي يخضع له كل من المتحاورين إسهامه في الحوار، وهو ما يسميه بمبدأ التعاون، وهو مبدأ مفاده "ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه سياق الحوار وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه أو الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار"¹.

وقد فرع غرايس عن هذا المبدأ أربعة قواعد أو مسلمات هي²:

- 1 - مسلمة القدر: وتخص كمية الإخبار التي يجب أن تلتزم به المبادرة الكلامية وتتفرع إلى مقولتين:
 - أ - اجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الإخبار.
 - ب - لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر من المطلوب.
- 2- مسلمة الكيف: ومفادها: لا تقل ما لا تعتقد أنه كاذب، ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه.
- 3- مسلمة الملاءمة ومفادها: لتكن مشاركتك ملاءمة.
- 4- مسلمة الجهة: التي تنص على الوضوح في الكلام، وتتفرع إلى قواعد فرعية هي:

أ- ابتعد عن اللبس .

ب- تحر الإيجاز.

ج- تحر الترتيب.

ويقترح غرايس أن توصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي انطلاقاً من مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه باعتبار أن مصدر الاستلزام هو الخرق المقصود لإحدى القواعد الأربع مع احترام المبدأ العام، مبدأ التعاون، كما يفترض أن المتخاطبين المساهمين في محادثة مشتركة يحترمون مبدأ التعاون، فالمشاركون يتوقعون أن يساهم كل واحد منهم في المحادثة بكيفية عقلانية ومتعاونة لتيسير تأويل أقواله"³. ولا تمثل قواعد المخاطبة مجرد معايير سلوكية يجب اتباعها فحسب، بل تمثل مبادئ لتأويل ما ينتظره المتكلمون من مخاطبيهم، إذ يسعى المرسل إلى إيضاح قصده للمرسل إليه، وأن يعتمد هذا الأخير إلى فهم قصد المرسل من خلال تأويل كلامه، وفي هذا الباب يقول إدريس مقبول: "... ولما كانت القصد والاعتقادات من البنية النفسية المتكلم بها، وهي لا تظهر إلا بالقول

1 عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004، ص96.

2 طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص238.

3 أن روبرول، وحاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص102.

سميت قولاً إذ كانت سبباً له، وكان القول دليلاً عليها...، وكما لا يستطيع المتكلم التواصل مع غيره من غير أن يفهم المخاطب قصده، لا يستطيع هذا القصد نفسه أن يظهر من غير عبارة، فهو مفتقر إلى ما به يكون ظهوره، فيكون معنى الشيء هو ما يقصد به ويراه منه¹.

فإدريس مقبول يؤكد هنا على ضرورة التلازم بين المستويين: القصدي والملفوضي لتحقيق التواصل المطلوب. وقد تعرضت مبادئ غرايس إلى بعض النقود: فجون لايتز يقر أن مبادئ غرايس جديرة بالاهتمام من حيث المبدأ إلا أنها لم تلق بعد بقبول عام²، كما نجد طه عبد الرحمان يرى أن غرايس لم يتفطن إلى الجانب التهذيبي الذي قد يكون سبباً في خروج المعاني الصريحة إلى معانٍ أخرى وأنه لم يجمع إلى عنصر التبليغ، عنصر التهذيب³.

لقد أعاد غرايس صياغة تلك المبادئ على شكل قوانين تسعى إلى نقل المعنى و تسيير المحادثة نحو الإفهام وتحقيق الهدف المشترك لشركاء التفاعل عن طريق التعاون فيما بينهم وتتمثل في :

1.1.2 قانون الإخبارية informativité:

وغيره تزويد المخاطب بكل المعلومات التي لم يسبق له معرفتها، فهو قانون يتمثل في رغبة المتكلم في تمثيل الفكر وتحسينه ليكون معروفاً ومدركاً عند الآخر، محالاً قدر الاستطاع أن يعطي للمتلقى قدرة على استنتاج دلالات قد لا يظهرها صريح الخطاب " وفي الحقيقة لا يمكن الوصول إلى هذه النتيجة إلا إذا كان المخاطب لا يدري ما يشار إليه⁴، وهو يتعلق بكل أنواع أفعال الكلام من تقرير واستفهام، أمر، أو نصيحة. فالإخبار هو " القصد والغرض من التخاطب بصفة عامة، وهو من الأسس التي يتجسد بواسطتها الفكر وينتقل إلى المتلقي⁵.

والإخبار في الحياة اليومية لا يتحقق باللغة فقط، فقد يلجأ الباحث إلى وسائل الإخبار غير اللغوية كما هو الحال مع الرموز والإشارات والصور.

1 إدريس مقبول: الأفق التداولي، نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط3، سنة 2011، ص28.

2 جون لايتز: اللغة والمعنى والسياق: تر عباس صادق الوهاب: دار العلوم الثقافية العلمية، بغداد، العراق، ط1، سنة 1987، ص239.

3 طه عبد الرحمان: اللسان والميزان: ص240.

4 Oswald dicrot : dire et ne pas dire (principe de sémantique linguistique), herman, paris, 1éd, 1972, p133.

5 ذهيبية سمو الحاج : لسانيات التلفظ و تداوليات الخطاب، مطبعة الأمل، تيزي وزو، الجزائر، ط2، سنة 2012، ص192.

" وفي قانون الإخبار يمنع ترديد ما قيل ويعتبر ذلك حشوا ، ما عدا في بعض الحالات التي يضطر فيها المتكلم إلى إعادة الخبر لكي يربط ذهن المخاطب الشارد أو لكي يربط ما يقول بما قال أو قيل لسبب إطالته في الكلام . وقد يكون هناك رغبة للمتكلم في أن يكون أكثر إيضاحا في بعض النقاط التي يعتقد أنها ستكون غامضة بالنسبة للمخاطب"¹.

2.1.2 قانون الشمول exhaustivité:

وهو قانون شديد اللصوق بقانون الإخبارية باعتبار أن الشمول هو إمداد المخاطب المتلقي بكل المعلومات الضرورية التي تكون مجوزته ولا يكون الكلام شاملا ما لم يحمل في طياته القدر الكافي من المعلومات، إذ إنه من غير الطبيعي أن يصرح صبي لأمه أنه أفاض الكأس بينما سيكون قد كسره، أو أن يدعي قائد عسكري أنه أضع قرية ولكنه في الواقع أضع مدينة².

وهكذا يأخذ الشمول على أنه تقديم الخبر أو الموضوع بالاعتماد على التصريح بالقدر الكافي من المعلومات لحصول الإفادة ، وهو ليس بالضرورة تقديم كل شيء لأن ذلك قد يؤدي إلى الإطناب والحشو الذي لا طائل منه .

كما أن السكوت عن بعض المعلومات في بعض الأحيان يخدم العملية التواصلية أكثر من ذكرها كما هو الحال في خطابات بعض وسائل الإعلام وذلك لأسباب معينة كعدم ملائمة تلك المعلومات والصور لأخلاقيات وعادات وتقاليد ذلك المجتمع الذي توجه إليه أو تعارضها لسياسة أمن الدولة³. وخرق هذا القانون يتم عبر طريقتين: الأولى تتمثل في الصمت، والثانية تتجلى في إخفاء نصيب من المعلومات عن الموضوع⁴.

3.1.2 قانون الإفادة intérêt:

يعد هذا القانون المركز و المحور الذي تدور حوله جميع القوانين الأخرى، إذ تتحدد أهمية الخطاب و تتوقف على مدى مساهمة المخاطب في إفادة المتلقي، فتزيد من ثقافته و تتوسع مداركه و تنقشع جهالته بالموضوع

1 محمود طلحة: تداولية الخطاب السردي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، سنة 2012، ص 121.

2Oswald dicrot,ibid,p134.

3 حكيمة حمقة: بنية المحادثة: مقارنة نصية تداولية (حصة في دائرة الضوء النموذجي)، مذكرة ماجستير، قسم علوم اللسان ، جامعة الجزائر، سنة 2010-2011، ص ص 186-187.

4 عمر بلخير: الخطاب تمثيل للعالم، ص ص 106-107.

والخطاب الجيد و الفعال هو الذي ينجر عنه نتائج عملية يعمل بها المتلقي و يستفيد منها حيث " إن تقييم الإفادة يعتمد على المتلقي : بحسب المعارف التي يمتلكها مسبقا في سياق معين " ¹ ، إلا أن قانون الإفادة لا يتناسب طرديا مع قانون الإخبارية ، إذ يمكن لجملة أن تكون إخبارية لكنها غير مفيدة، كالنموذج الذي كثيرا ما يقدم عن الملفوظات غير الإخبارية، لكنها مفيدة من الناحية الحجاجية؛ إذ في مطعم وعند دفع الفاتورة انتصب شخص متذمرا قائلا:عندي ثلاثة أطفال، فالملفوظ غير إخباري لأن الجميع يعلم أنه أب لثلاثة أطفال، ولكن ذا فائدة حجاجية، غرضه السؤال وتصوير حاجته وفاقته ودفع السامع إلى مساعدته على تقديم الأكل له ولأولاده.

وقد ربط كل من سبربر و ويلسون D.Sperber و D.Wilson هذا المبدأ بمبدأ الملائمة المتعلق أساسا بالمعلومات ذات الإفادة في السياق التواصلي، فالتواصل بالنسبة لصاحبي نظرية الملائمة يسعى إلى تغيير مقام التلفظ، وهذا يحدث خاصة بفضل الاستدلالات التي يقوم بها المتلفظ المشارك بجعل المعلومات الجديدة التي يحتويها الملفوظ تتفاعل مع المعلومات المكتسبة سابقا، وكلما غيرت المعلومات الصادرة عن الملفوظ المقام كلما كان الملفوظ ملائما ².

وهكذا فإن المتلفظ المشارك يسعى بدافع هذا المبدأ إلى معالجة المعلومة الأكثر ملائمة ضمن المعلومات التي بحوزته ³.

وقد لخص الباحث مسعود صحراوي هذا المبدأ في المقولة التالية: "كلما قل الجهد المعرفي المبذول في معالجة الملفوظ ازدادت درجة ملائمة هذا الملفوظ، وكلما استدعى التعامل مع ملفوظ ما جهدا كبيرا كانت ملائمته ضعيفة" ⁴.

4.1.2 مبدأ الصدق sincérité:

يعتبر هذا المبدأ عاملا أساسيا في التعاملات اليومية لأفراد المجتمع ومفاده قول المتكلم للحقيقة كما يتصورها موجودة في الواقع أو كما يدركها في الواقع: فلتقرير شيء ما يلزم المتكلم بأن يضمن حقيقة ما يقرره، ويكون الصدق بالإضافة إلى عامل الإثبات بالاستفهام ويشترط فيه أن تكون إرادة المتكلم الذي يطرح السؤال صادقة

1Dominique manguneau :pragmatique pour le discours littéraire, bordas,paris,1990,p104.

2D.Maingueneau: les termes clés de l'analyse du discours,seuil memo,paris,p61.

3Ibid, p p:61-62.

4 مسعود صحراوي: التداولية عند العرب، ص54.

في معرفة الإجابة، وبالأمر فعليه أن يكون مريداً لتحقيق الأمور به، لا أن يأمر بالمستحيل وقوعه، وعلى العكس من ذلك فإن المتكلم لا يلتزم بهذا القانون إذا تمنى شيئاً لا يمكن تحقيقه.

وقد تقدم الأستاذ طه عبدالرحمان بصياغة غريبة لهذا القانون أسماها مبدأ التصديق.

ويقترح بعض الباحثين التداولين مبادئ أخرى للتداول نذكر منها:

2.2 مبدأ التأدب:

لقد تفتن مجموعة من الدارسين في هذا الحقل إلى الدور الذي يلعبه التأدب في التفاعلات اللغوية وضرورة العملية التخاطبية، فما هي رويين لاكوف R.lakoff تعيب على الباحثين تقصيرهم ووقوفهم عند حد الشكل اللغوية للحكم على صحة الجمل و الملفوظات، فقد أثبت الواقع أن سلامة البنى الشكلية واللغوية للجمل و الملفوظات بصفة عامة لا يعني بالضرورة صحتها، ولذلك نجد أنها تدعو في مقالها (منطق التأدب) الذي صاغت فيه هذا المبدأ إلى ضرورة اعتبار سياق التلفظ بما فيه من اقتراحات منطقية وأخرى تداولية في الحكم على صحة الملفوظات و التراكيب فكان منطلقها أن الجمل تعكس توجه المرسل نحو سياقه الاجتماعي وافتراضاته نحو¹:

1- الناس الذين يتواصل معهم من حيث شعورهم نحوه ورتبهم الاجتماعية مقارنة برتبته.

2- موقفه الحقيقي في المحيط الذي يتواصل فيه من حيث: مدى أهمية المعلومات التي يريد تبليغها ودرجة رسمية موقف التلفظ.

3- قراراته المبنية على (1)، (2) حسب الأهداف التي يريد تحقيقها من خلال فعله التواصلية: هل يريد تعزيز الفروق التراتبية بيه وبين المرسل إليه، أم يريد محوها؟، أم أن كل ذلك لا يهمه بتاتا، وهل يريد أن يضيفي على المرسل إليه شيئاً من الأهمية أو أن يتملق له أو هل يريد تغيير العالم الحقيقي؟ أم لا؟ وغير ذلك من الأسئلة.

وقد صاغت لاكوف هذا المبدأ على الشكل التالي:

- (لتكن مؤدبا)

ويفضي هذا المبدأ بأن يلتزم المتكلم و المخاطب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام، من ضوابط التهذيب ما لا يقل عما يلتزمان به من ضوابط التبليغ²:

1 عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص: 97-98.

2 طه عبد الرحمان: اللسان و الميزان، ص240.

ترى **لاكوف** أن العلاقة بين طرفي الخطاب هي التي تعطي الخطاب معناه وتبرز قصد المرسل، وقد تفرعت ثلاث قواعد عن هذا المبدأ، سمتها قواعد التهذيب وهي¹:

- 1 - قاعدة التعفف ومقتضاها : لا تفرض نفسك على المخاطب.
- 2 - قاعدة التشكك أو التخيير وصيغتها: لتجعل المخاطب يختار بنفسه.
- 3 - قاعدة التودد وصيغتها: لتظهر الود للمخاطب.

وعند تحليل هذه القواعد و توضيح مقتضاياتها ادعت **لاكوف** " أن قواعد التأدب كلية في طبيعتها وعددها بحيث تأخذ بها مختلف المجتمعات البشرية كما تأخذ بها مختلف الجماعات اللغوية داخل المجتمع الواحد، أما ما نشاهده من الاختلاف في التأدب فيما بين هذه الجماعات، فلا يتعلق إلا بترتيب هذه القواعد، فيفصل بعضها على بعض ويقدم العمل به على غيره عند هذه الجماعة أو تلك"².

وقد بنى باحثان آخران هما **براون و لفنسون Brown et livinson** تصورا خاصا لمبدأ التأدب اشتهر في الدراسات اللسانية التداولية المعاصرة ، عبرا عنه في عملهما المشترك (الكليات في الاستعمال اللغوي: ظاهرة التأدب)، وقد ترجمه طه عبد الرحمان ب(مبدأ التواجه) بناء على مبدأ المقابلة بين الوجه و الوجه، ويقوم هذا المبدأ على اعتبار الوجه صورة رمزية تمثل القيمة الاجتماعية للفرد المتكلم، لذلك صاغوا مبدأهما على الشكل التالي: " لتصن وجه غيرك"³.

ويقوم هذا المبدأ على مفهومين أساسيين : أحدهما مفهوم الوجه وهو عبارة عن الذات التي يدعيها المرء بنفسه والتي تحدد قيمته الاجتماعية، وهي نوعان: وجه سلبي (وجه دافع) ويتمثل في رغبة الإنسان ألا يعترض غيره سبيل أفعاله، ووجه إيجابي(وجه جالب) وهو رغبة الإنسان أن يعترف غيره بأفعاله⁴.

وثانيهما مفهوم التهديد الذي هو نقيض الصون، إذ يرى الباحثان أن بعض الأفعال الكلامية تقوم بتهديد الوجه لكل من المتكلم و المخاطب، أما المتكلم فإن من الأفعال التي تهدد وجهه الإيجابي: الاعتذار أو الاعتراف بالخطأ أو الندم، وأما تلك التي تهدد وجهه السلبي فهي الشكر و قبول الشكر أو الوعد و غيرها. وأما بالنسبة

1 طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص-240.241

2 المرجع نفسه: ص241

3 المرجع نفسه: ص243.

4 المرجع نفسه: ص243.

للمخاطب فمن الأفعال التي تهدد وجهه الإيجابي: الذم و السخرية والنقد، أما التي تهدد وجهه السلبي فمنها تلك الأفعال الكلامية التي تحمل على أداء شيء نحو الأمر و الطلب و النصح و التذكير الإنذار و التحذير¹. ويقدم الباحثان براون و لفنسون مجموعة من الاستراتيجيات الخطابية للتخفيف من آثار التهديد، يختار المتكلم منها ما يراه ملائماً لقوله ذي الصيغة التهديدية، ويمكن تصنيف هذه الاستراتيجيات في خمسة أصناف هي²:

- 1- استراتيجيات الصمت، وذلك بأن يمتنع المتكلم عن إيراد القول المهدد.
- 2- استراتيجية التأدب الإيجابي بأن يصرح بالقول المهدد مع تعديل يدفع عن المخاطب الإضرار بوجهه الإيجابي.
- 3- استراتيجية التأدب السلبي بأن يصرح بالقول مع تعديل يدفع المخاطب الإضرار بوجهه السلبي.
- 4- الاستراتيجية الصريحة كأن يصرح بالقول المهدد من غير تعديل يخفف من جانبه التهديدي.
- 5- استراتيجية التلميح بأن يؤدي القول بطريق التعريض تاركاً للمخاطب أن يتخير أحد معانيه المحتملة.

3.2 مبدأ التأدب الأقصى:

وهو من اقتراح جيوفري ليتش G.Leech أشار إليه في كتابه (مبادئ التداوليات).

والذي يعده مكملاً لمبدأ التعاون³، وقد صاغه في صورتين اثنتين⁴:

- إحداهما سلبية وهي: قلة من الكلام غير المؤدب.
- والثانية إيجابية وهي: أكثر من الكلام المؤدب.

ويقوم هذا المبدأ على الدعوى إلى الالتزام بقانون التأدب حيث يلتزم طرفي التخاطب التأدب التام في الحوار تجنباً للمخاصمة وسوء الفهم حتى يحصل التعاون، ومن ثم يتحقق التواصل التام، وتتفرع على قواعد التأدب الأقصى قواعد ذات صورتين: إيجابية و سلبية وهي⁵:

1- قاعدة السخاء وصورتاهما:

قلة من خسارة الغير.

أكثر من ربح الغير.

1 طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص243

2 طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص244.

3 Geoffrey Leech, principles of pragmatics, Longman, London, 1983, pp:79-151.

4 طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص246.

5 طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص: 246-247.

2- قاعدة السخاء و صورتاها:

قلل من ربح الذات.

أكثر من خسارة الذات.

3- قاعدة الاستحسان و صورتاها:

قلل من ذم الغير.

أكثر من مدح الغير.

4- قاعدة التواضع و صورتاها:

قلل من مدح الذات.

أكثر من ذم الذات.

5- قاعدة الاتفاق و صورتاها:

قلل من اختلاف الذات و الغير.

أكثر من اتفاق الذات و الغير.

6- قاعدة التعاطف و صورتاها:

قلل من تنافر الذات و الغير.

أكثر من تعاطف الذات و الغير.

يذهب لبيتش إلى أن مراعاة هذه القواعد و تطبيقها تطبيقاً تاماً من شأنه أن يبعد أي نزاع أو خصومة أو

تعارض يعيق المسار التخاطبي أو التعاون، كما يرى إمكانية تقديم مبدأ التأدب الأقصى على مبدأ التعاون في

حالة التعارض بينهما، لأنه أحفظ للصلة الاجتماعية التي هي شرط في التعاون¹.

وقد لاحظ طه عبد الرحمان أن الخاصية اللاتناظرية على قواعد هذا المبدأ، فمقتضاها أنه ما كان مؤدباً للمتكلم

لا يكون مؤدباً للمتلقى و العكس صحيح، فإذا أفاد منه أحدهما لا يفيد منه الآخر، الأمر الذي يجعل هذا المبدأ

قائماً على التظاهر وعلى تحصيل الأغراض، ولذلك يقترح هذا الباحث مبدأ آخر بالتقرب الخالص.

4.2 مبدأ التصديق:

1 طه عبد الرحمان: اللسان و الميزان، ص247..

وهو المبدأ الذي يمثل الصياغة العربية لقوانين التخاطب، من اقتراح طه عبد الرحمان، إذ يرى أنه مستمد من التراث الإسلامي، متخذاً صوراً متعددة من قبيل (مطابقة القول للفعل)، و(تصديق العمل للكلام)، وقد صاغه على الشكل التالي:

— " لا تقل لغيرك قولاً لا يصدقه فعلك"¹.

وقد فرع على هذا المبدأ قواعد تواصلية وقواعد تعاملية؛ أما القواعد التواصلية فهي منقولة عن الماوردي في كتابه (أدب الدنيا و الدين) وهي²:

— ينبغي للكلام أن يكون لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر.

— ينبغي أن يأتي المتكلم به في موضعه و يتوخى به إصابة فرصته.

— ينبغي أن يقتصر الكلام على قدر حاجته،

— يجب أن يتخير اللفظ الذي به يتكلم.

أما القواعد التعاملية المتفرعة عن مبدأ التصديق في جانبه التهذيبي فقد قسمها إلى³:

— قاعدة القصد: لتتفقد صدقك في كل قول تلقي به إلى الغير.

— قاعدة الصدق: لتكن صادقاً فيما تنقله إلى الغير.

— قاعدة الإخلاص: لتكن في تودد للغير متجرداً عن أغراضك.

ومما جاء في المقامة الوعظية " قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ : فَقُلْتُ لِبَعْضِ الْحَاضِرِينَ : مَنْ هَذَا؟ قَالَ : غَرِيبٌ قَدْ طَرَأَ لَأَ أَعْرِفُ شَخْصَهُ، فَاصْبِرْ عَلَيْهِ إِلَى آخِرِ مَقَامَتِهِ، لَعَلَّهُ يُنَبِّئُ بِعِلْمَتِهِ، فَصَبِرْتُ فَقَالَ : زَيْنُوا الْعِلْمَ بِالْعَمَلِ، وَأَشْكُرُوا الْقُدْرَةَ بِالْعَفْوِ، وَخُذُوا الصَّفْوَ وَدَعُوا الْكَدْرَ، يَغْفِرِ اللَّهُ لِيُؤَلِّكُمْ، ثُمَّ أَرَادَ الذَّهَابَ، فَمَضَيْتُ عَلَى أَثَرِهِ، فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتَ يَا شَيْخٌ؟ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ! لَمُتْرَضِبِ الْحِلْيَةِ غَيْرَتَهَا، حَتَّى عَمَدْتَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ فَأَنْكَرْتَهَا!"⁴، نلاحظ تحقيق

مشاركة المتخاطبين لمبدأ التعاون من خلال إجابة أحد الحاضرين: فاصبر عليه إلى آخر مقامته لعله يبنىء بعلامته.

1 طه عبد الرحمان : اللسان و الميزان، ص249.

2 المرجع نفسه: ص249

3 المرجع نفسه: ص250.

4 المقامة الوعظية: ص 157.

وفي إجابته للسؤال: من أنت يا شيخ؟ خرق لقاعدة الكم، واستنكار وعدم رضى لجهل السائل له؛ وهو البطل الغريب العجيب المخادع المحتال المكدي الهائم على وجه الأرض الفصيح البليغ الشاعر الخطيب اللبيب، وكان الكاتب يريد أن يوصل إلى أذهاننا من خلال هذا الخرق الدور الذي يتولاه كل من الراوي و الإسكندري في بناء هذا الفن، بالإضافة إلى العلاقة التي تؤطرهما، فإن نكران أحدهما للآخر هو تجاهل للبناء الذي يتأسس عليه هذا النوع من السرد؛ فإذا كان الأول حاملا الرسالة فإن الثاني موضوعها و جوهرها وفحواها، وإذا كان عيسى غالبا ما يكتفي بالافتتاح و المتابعة ونقل الأفعال و الأحوال والسؤال الباعث للحديث والأقوال، فإن الإسكندري هو القطب الذي تدور عليه رحى العالم القصصي وما يثيره من مواضيع ومواقف بأساليب بلاغية و احتيال و تسول ونقد، هو " إذن مزدوج الدور في المقامة: يتولى دور البطولة ودور إيلاغ موقف من المجتمع ورؤية فكرية و نقدية وهما دوران متداخلان متكاملان ولا تستقيم المقامة إلا بتواشجهما؛ لأن ملامح البطولة في شخصه هي من صميم الرسالة و جوهرها"¹.

وللحفاظ على العلاقة التي تطرهما والتي تتجلى في الكثير من المتحاورات التي تدور بينهما، أو بين أحدهما و شخصية أخرى لها علاقة بأحداث القصة، وحب احترام قوانين التخاطب التي تعد ضوابط نجاح أي تواصل اجتماعي؛ ففي المقامة الشيرازية يقول الهمداني: " فَبَيْنَا أَنَا يَوْمًا فِي حُجْرَتِي إِذْ دَخَلَ كَهْلٌ قَدَّعْبَرَ فِي وَجْهِهِ الْفَقْرُ وَأَنْتَرَفَ مَاءُ الدَّهْرِ، وَأَمَ الْفَنَاتُ السُّقْمُ، وَقَلَّمَ أَظْفَارُهُ الْعُدْمُ، بِوَجْهِهِ أَكْسَفَ مِنْ بَالِهِ، وَزِيٌّ أَوْحَشَ مِنْ حَالِهِ، وَكَلْتُهُ نَشْفَةً، وَشَفَةَ قَشْفَةً، وَرَجُلٌ وَحَلَّةٌ، وَيَدٌ مَحَلَّةٌ، وَأَنْيَابٌ قَدْ جَرَعَهَا الضُّرُّ وَالْعَيْشُ الْمُرُّ، وَسَلَّمَ فَازْدَرْتُهُ عَيْنِي، لَكِنِّي أَجَبْتُهُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا خَيْرًا مِمَّا يُظُنُّ بِنَا، فَسَطَّتْ لَهُ أُسْرَةٌ وَجْهِي، وَقَتَ قَتْلُهُ سَمْعِي، وَقُلْتُ لَهُ: إِيهِ، فَقَالَ: قَدْ أَرْضَعْتُكَ ثَدْيِي حُرْمَةً، وَشَارَكْتُكَ عِنَانَ عَصْمَةٍ، وَالْمَعْرِفَةَ عِنْدَ الْكِرَامِ حُرْمَةً، وَالْمَوَدَّةَ لِحِمَّةٍ"². فقد

انبسطت أسارير عيسى بن هشام لرؤية أبي الفتح الإسكندري حتى زالت تلك الخطوط التي تظهر على جبهة العباس المزدري وهو علامة على الرضى والاحترام لهذا الشخص، بالإضافة إلى حسن الإصغاء الذي أبداه عيسى بن هشام عند سماعه الدعاء قد أحدث في نفسه مقاما له غير الذي كان لأول مرآه فتحول الازدراء إلى نوع من التوقير يبسط من الوجه ويستميل الأذن لحسن الاستماع، لهذا قال له: إيه أي؛ زد من نحو قولك هذا. وقد أبدى الإسكندري صورة جلييلة من الاحترام والود تفوق سامعه أنزلها منزلة الحرمة أراد منها ما يدافع عنه

1 حافظ الرفيق: البيان و الهديان، مطبعة التسفير الفني، صفاقس، تونس، ط1، سنة 2006، ص89.

2 المقامة الشيرازية: ص: 194-195.

الرجل من حرمة و أهله؛ أي أن الطباع الكريمة تعد المعرفة نوعاً من النسب و القرابة فتعطي ذلك حكم هذا، وهو هنا احترام لقاعدة التأدب و خاصة في قاعدة التودد التي تنص: (لتظهر الود للمرسل إليه).

كما يلاحظ احترام قاعدة التشكك في المقامة الحلوانية: "فَأْتِيَا صَاحِبَ الْحَمَّامِ، فَقَالَ الْأَوَّلُ: أَنَا صَاحِبُ هَذَا الرَّأْسِ؛ لِأَنِّي لَطَخْتُ جَبِينَهُ، وَوَضَعْتُ عَلَيْهِ طِينَهُ، وَقَالَ الثَّانِي: بَلْ أَنَا مَالِكُهُ؛ لِأَنِّي ذَلَكْتُ حَامِلَهُ، وَغَمَزْتُ مَفَاصِلَهُ، فَقَالَ الْحَمَّامِيُّ: ائْتُونِي بِصَاحِبِ الرَّأْسِ أَسْأَلُهُ، أَلَيْكَ هَذَا الرَّأْسُ أَمْ لَهُ؟، فَاتَّيَانِي وَقَالَا: لَنَا عِنْدَكَ شَهَادَةٌ فَتَحَشَّشْ، فَقُمْتُ وَأَتَيْتُ، شِئْتُ أَمْ أُبَيَّتُ، فَقَالَ الْحَمَّامِيُّ: يَا رَجُلُ لَا تَقُلْ غَيْرَ الصِّدْقِ، وَلَا تَشْهَدْ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَقُلْ لِي: هَذَا الرَّأْسُ لِأَيِّهِمَا؟، فَقُلْتُ: يَا عَافَاكَ اللَّهُ هَذَا رَأْسِي، قَدْ صَحَبَنِي فِي الطَّرِيقِ، وَطَافَ مَعِيَ بِالْبَيْتِ الْعَيْتِقِ وَمَاشَكَّكَ أَنَّهُ لِي، فَقَالَ لِي: اسْكُتْ يَا فُضُولِي، ثُمَّ مَالَ إِلَى أَحَدِ الْخَصْمَيْنِ فَقَالَ: يَا هَذَا إِلَى كَمْ هَذِهِ الْمُنَافَسَةُ مَعَ النَّاسِ، بِهَذَا الرَّأْسِ؟ " ¹ فقاعدة التشكك تقتضي بأن يتجنب المتكلم أساليب التقرير و يتخذ الاستفهام مطيته كما لو كان مشككا في مقاصده، بحيث يترك للمخاطب مبادرة اتخاذ القرار كأن يقول له: (ربما يمكنك حفظ السورة) بدل أن يقول له: (يجب عليك حفظ السورة). وهذا ما سلكه الإسكندري عندما اتخذ الاستفهام (هذا الرأس لأيهما؟) وفي قوله: (يا هذا إلى كم هذه المنافسة مع الناس، بهذا الرأس؟)؛ مطيته في دفع السامع لاتخاذ القرار المناسب.

من المسلم به تداوليا أن مراعاة قوانين التخاطب في أي عملية تخاطبية و خاصة ما كان مبنيا على مبدأ التعاون أو إحدى مسلماته، يسهم في إنجاح التواصل بين المتحاورين، وأن أي خرق في هذه القوانين أو في هذه المسلمات قد ينعكس بالسلب على استمرارية وفعالية العلاقة بين المتخاطبين، كما هو الحال في خرق مسلمة الجهة و التي تنفرع عنها قاعدة مفادها (ابتعد عن اللبس).

ولهذه القاعدة أصول في تراثنا البلاغي والنحوي أسهب فيها الكثير من علمائنا القدامى في كتاباتهم من قبيل قولهم: تجنب الوحشي و الغريب، أمن البس، غاية البيان الإفهام، تجنب التعقيد... " لأن مدار الغاية التي إليها يجري القائل و السامع إنما هي الفهم و الإفهام" ².

ويتجلى هذا النوع من الخرق في المقامة البغدادية؛ إذ ألغز وأعجز أبو الفتح في وصفه للفرس معرضاً عن عريان الكلام و سلامة التعبير فقد اختار الغريب و المعقد في قوله: " وَأَسِعُ الْمَرَاثِ، لَيْنُ الثَّلَاثِ، غَلِيظُ الْأَكْرَعِ،

1 المقامة الحلوانية: ص ص: 198-199.

2 الجاحظ: البيان و التبيين، ج 1، ص 76.

غَامِضُ الأَرْبَعِ، شَدِيدُ النَّفْسِ، لَطِيفُ الخَمْسِ، ضَيِّقُ القَلْتِ، رَقِيقُ السَّتِّ " ¹، وكأنه أراد أن يكون صورة حقيقية لما وصف به في بداية المقامة من طرف بعض خدم الأمير في قوله: "أصلح الله الأمير رأيت بالأمس رجلاً يطأ الفصاحة بنعائه، وتقف الأبصار عليه، يسأل الناس، ويسقى اليأس" ².

وكلمة فصاحة في هذا السياق توحى بطلاقة اللسان والقدرة على الإقناع والتأثير، بالإضافة إلى التضلع والكفاءة المعجمية للوصف، ولعل حاجة السامع ورغبته في التواصل مع المخاطب جعلته يتبع أبي الفتح يلهث وراءه بعد انصرافه من مجلس سيف الدولة غانماً بالفرس طالبا منه تفسير كل ما هو غريب من الأوصاف التي قدمها حول هذا الفرس الهدية، والأمل يحدوه لإزالة كل لبس وغموض من خلال أسئلته: ما معنى قولك: لين الثالث؟، ما معنى قولك: رقيق الست؟ قليل الإثنين؟ ... إلخ.

والمتبع لهذا الوصف الفريد في المقامة الحمدانية نلمح الكفاءة المعجمية الثرية التي يمتلكها الوصف الجسد في شخصية أبي الفتح الإسكندري، فهو متمكن من المعجم تمكنا لا ريب فيه، فقد استطاع أن يحيط بكل جوانب العملية الوصفية لهذا الكائن الحي في إبداع بياني عجيب شمل كل مظاهر جسم الفرس، وكل حركاته و أفعاله مسترسلا في الكلام والإيطالة، وذلك بالتدقيق في الوصف و إتباع التفاصيل حتى تكون الصورة كاملة والخبر شاملا عن الفرس الهدية لكسب ثقة المخاطب الأول وهو الأمير، والمخاطب الثاني الراوي من جهة وملتقي النص من جهة أخرى، ومحاولا تزويد المستمع بأكبر قدر من المعلومات التي تفيده، وهو بذلك يجسد قانوننا من قوانين غرايس والمتمثل في قانون الشمولية، فالواصف هنا " ركب الفرس و أجراه، فانتبه إلى خصوصياته ثم اختار من رصيده المعجمي ما يتلائم مع خاصياته بالذات لا أكثر ولا أقل، ولكننا نعلم أن كل هذه العمليات مصطنعة إنما تمويه و مجرد مناورة ليخفي الوصف مقاصده، ذلك أن المدونة المعجمية المعروضة جاهزة مسبقا لديه. وقد ترك فرصة إبداع حدث ذريعة لإدراجها ... فالواصف بالقول ينطلق من حافز، ولا يكتب له النجاح إلا إذا ما كان الوصف أكثر خبرة وأكثر علما من الموصوف له، عليما بالسجل وقادرا على حسن التبليغ" ³.

وكما أن قانون الشمول قد احترم في الموصوفات الأقوال التي تمايزت نوعا ما (إنسان، حيوان، طبيعة، أشياء) وتفاوتت قيمة؛ إذ تحظى بعض الموصوفات بالعناية فيصرف الوصف إليها همته ويرسم ملامحها سالكا مسلك

1 المقامة الحمدانية: ص 175.

2 المقامة الحمدانية: ص 174.

3 محسن السقا: دراسات في المقامة و الأقصوصة، مطبعة التفسير الفني، صفاقس، تونس، ط1، سنة 2008، ص22.

الاستقصاء، في شكل نظام محكم، متجذرة في إطار عربي إسلامي لا يجيد عنه، وتدور في فلكه وما يتخلله من حركات وعلاقات وتناقضات، وما يؤكد ذلك أن جميع الموصوفات في هذه المدونة لم تخرج عن إطار الرقعة العربية والإسلامية مثل بغداد والبصرة وحمص وحلب وأحياء هذه المدن ومساجدها وأسواقها و ساحاتها وحنانها.

فالراوي لم يتوقف عند عرض معجم مخصوص في موضوع معلوم كما فعل في المثال السابق مستندا إلى آلية الاستقصاء، وإنما يرصد الموصوف وهو يقوم بأفعال وحركات في وضع معين، " والشخصية الموصوفة التي يرغب الواصفون في رصد حركاتها وسكناتها عادة ما تكون نموذجية نمطية من نوع الفاعل المختص، الخبير بشؤون خطته وتصاريه دوره كأن يكون مهندسا أو معلما أو فلاحا تاو خزاناً"¹.

ومعلوم أن هذه الآلية في قانون الشمول لها ثبت وحضور في تراثنا العربي؛ إذ نجد أبي هلال العسكري في كتاب الصناعتين يشير إليها في قوله: " والبيان لا يكون إلا بالإشباع، والشفاء لا يقع إلا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه وأبينه أشده إحاطة بالمعاني، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلا بالاستقصاء "².

ويتمثل هذا النوع من الاستقصاء في وصف الراوي لزوجة التاجر الغني في المقامة المضيرية وهو يثني عليها واصفا حذقتها: " وَقُمْنَا فَجَعَلَ طُولَ الطَّرِيقِ يَشْنِي عَلَيَّ زَوْجَتَهُ، وَيُفَدِّيهَا بِمُهَجَّتِهِ، وَيَصِفُ حِدْقَهَا فِي صَنَعَتِهَا، وَتَأْتِفُهَا فِي طَبْخِهَا وَيَقُولُ: يَا مَوْلَايَ لَوْ رَأَيْتَهَا، وَالْحَرْفَةُ فِي وَسْطِهَا، وَهِيَ تَدُورُ فِي الدُّورِ، مِنْ التَّنُّورِ إِلَى الْقُدُورِ وَمِنَ الْقُدُورِ إِلَى التَّنُّورِ تَنْفُثُ بِنَيْهَا النَّارَ، وَتَذُقُّ بِيَدَيْهَا الْأَبْزَارَ"³.

فقد صُوِّرت هذه المرأة وهي مفعمة بالحركة، خبيرة بشؤون الطبخ وما يتعلق به، تجتهد في تنويع أصناف الطعام توزع الأبراز بحكمة وروية بمقادير معينة وفي أوقات معلومة حتى تستوي طبختها وترضي زوجها الذي لم يخف إعجابه بصنيعها والتبجح بمهارتها قائلاً: " وَلَوْ رَأَيْتَ الدُّخَانَ وَقَدْ عَبَّرَ فِي ذَلِكَ الْوَجْهَ الْجَمِيلِ، وَأَثَرَ فِي ذَلِكَ الْحَدِّ الصَّقِيلِ، لَرَأَيْتَ مَنْظَرًا تَحَارُّ فِيهِ الْعِيُونُ: وَأَنَا أَعْشَقُهَا لِأَنَّهَا تَعْشَقُنِي"⁴.

وفي المقامة الناجمية يتجلى احترام مبدأ التأدب بين المتخاطبين وخاصة مع قاعدة التودد، إذ أظهر عيسى بن هشام وصحبه الود لهذا السائل في سد حاجته والذي رمت به الغربة مراميها حتى أعوزه المستقر، فهو لطول

1 محسن السقا: دراسات في المقامة و الأقصوصة، ص: 22-23.

2 أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، ص190.

3 المقامة المضيرية: ص124.

4 المقامة المضيرية: ص: 124-125.

سفره مهزول المطية طليحها من شدة التعب والعناء، كما أظهر له كل أنواع الترحيب من إناخ راحلته ومساعدته على المقصود و إمداد الطعام له حتى الشبع، وهيئة كل أحوال الراحة والاطمئنان و الأمن في قوله: " فَهَلْ مِنْكُمْ مُضِيفٌ؟ فَتَبَادَرْنَا إِلَى فَتْحِ الْبَابِ وَأَتَخْنَا رَاحِلَتَهُ، وَجَمَعْنَا رُحْلَتَهُ، وَقُلْنَا : دَارَكَ أَتَيْتَ، وَأَهْلَكَ وَأَقَيْتَ، وَهَلُمَّ الْبَيْتَ، وَضَحِكْنَا إِلَيْهِ وَرَحَّبْنَا بِهِ، وَأَرَيْنَاهُ ضَالَّتَهُ، وَسَاعَدْنَا حَتَّى شَبِعَ، وَحَادَثْنَاهُ حَتَّى أَنْسَ " ¹.

ومما يلاحظ على عيسى بن هشام ومن معه قد زاد إعجابهم بحكمة هذا الزائر وخبرته في الحياة، وقلب أحوال الدهر عليه محلة صدق في اليقين وثبات في البصر بالأمر؛ إذ وصل بذلك من العلم إلى عين اليقين حتى لم يبق للشكوك مطمع في تحويله عما وصل إليه، فهم لريب الزمان بالمرصاد لما اكتسبه من قدرة على المقاومة وتجلد في مواجهة الشدائد، فقد عاش تجربة اجتماعية طويلة النفس مثقلة بالهموم والعناء والضجر وامتنحن أثناءها الناس وتبصر أخلاقهم وطباعهم، فما كان من القوم إلا إظهار الرضى و الإعجاب وذلك باستعمال صيغ المدح: (لا فض فوك)، (ولله أنت وأبوك) للدلالة على الاستحسان في قوله: " عَاشَرْتُ الدَّهْرَ لِأَخْبَرُهُ، فَعَصَرْتُ أَعْصُرَهُ وَحَلَبْتُ أَشْطُرَهُ، وَجَرَّبْتُ النَّاسَ لِأَعْرِفَهُمْ... فَقَدْ جَاءَ بِالْإِحْسَانِ حَيْثُ أَحَلَّ نَيْمَ حَلَّةَ صِدْقٍ لَيْسَعَنَّهَا مُحَوَّلٌ قُلْنَا: لَا فُضُّ فُوكُ، وَلِلَّهِ أَنْتَ وَأَبُوكُ، مَا يَحْرُمُ السُّكُوتُ إِلَّا عَلَيْكَ، وَلَا يَحِلُّ التُّنْقُطُ إِلَّا لَكَ " ².

وبهذا يكون القوم قد احترموا إحدى قواعد مبدأ التأدب الأقصى التي أشار إليها جورج ليتش في كتابه (مبادئ التداوليات) و المتمثلة في قاعدة الاستحسان و التي مؤداها: أكثر من مدح الغير.

وما يزال القوم يظهرون كل الود لأبي الفتح الإسكندري قبل انتقاله إلى سجستان محاولين منعه من الرحيل وصدده عن عزمه وقراره بقولهم: " فَلَوْ أَقَمْتَ بِهَذَا الْمَكَانِ لَقَاسَمْنَاكَ الْعُمَرَ فَمَا دُونَهُ، وَلَصَادَفْتَ مِنَ الْأَمْطَارِ مَا يُزْرَعُ، وَمِنَ الْأَنْوَاءِ مَا يُكْرَعُ " ³، فلا يقاسم المرء غيره ما يملك إلا لوجود وشائج القرب والمحبة بينهما، وهم بعد رحيله مشتاقين له، يؤلمهم فراقه ويحزنهم ما خلفه هذا البعد في نفوسهم، وكيف أن الحنين إلى تلك الأيام السالفة التي قضوها معا يؤرق مضجعهم، ولكن ما إن ظهر إلى عيانهم بعد طول فراق إلا وهبوا لع معانقين له بصدق عما يكون له من ود واحترام في نفوسهم: " فَخَرَجَ وَوَدَّعْنَا هُوَ أَقَمْنَا بَعْدَهُ بَرْهَةً نَشْتَاقُهُ، وَيُؤَلِّمُنَا فِرَاقَهُ، فَبَيْنَا نَحْنُ بِيَوْمِ غَيْمٍ فِي سِمَطِ الثَّرِيَّا جُلُوسٌ إِذَا لَمَرَ كَبُ تُسَاقُ، وَالْجَنَائِبُ تُقَادُ، وَإِذَا رَجُلٌ قَدْ هَجَمَ عَلَيْنَا، فَقُلْنَا: مَنْ الْهَاجِمُ؟ فَإِذَا شَيْخُنَا النَّاجِمُ يَرُفُّ فِي نَيْلِ الْمَنَى، وَذَيْلِ الْغَنَى، فَقُمْنَا إِلَيْهِ مُعَانِقِينَ، وَقُلْنَا : مَا وَرَاءَكَ يَا

1 المقامة الناجمية: ص ص: 218-219.

2 المقامة الناجمية: ص ص: 219-220.

3 المقامة الناجمية: ص 221.

عَصَامٌ¹، وفي قولهم: " فَسَأَلْنَا اللَّهَ بِقَاءَهُ وَأَنْ يَرْزُقَنَا لِقَاءَهُ . . . وَلَا يَتَصَرَّفُ مِنْ كَلَامِهِ، إِلَّا فِي مَدْحِ أَيَّامِهِ، وَالتَّحَدُّثِ بِإِنْعَامِهِ "². ففي هذا الحوار التخاطبي يتبدى لنا احترام مبدأ التأدب في قاعدته: لتظهر الود للمرسل إليه.

وقد تجتمع أكثر من قاعدة من قواعد مبدأ التأدب الأقصى في البنية التحوارية في مقامات الهمداني لتحقيق الصلة الاجتماعية وحفظها، كما ورد في المقامة الخلفية في قوله: "وَهَلْ لَكَ أَنْ تَتَّخِذَنِي صَنِيعَةً، وَلَا تَطْلُبَ مِنِّي ذَرِيعَةً فَقُلْتُ: وَأَيُّ ذَرِيعَةٍ أَكْدُ مِنْ فَضْلِكَ؟ وَأَيُّ وَسِيلَةٍ أَعْظَمُ مِنْ عَقْلِكَ؟ لَا بَلْ أَخْدِمُكَ خِدْمَةَ الرَّفِيقِ، وَأَشَارِكُكَ فِي السَّعَةِ وَالضَّيْقِ "³؛ فبعدها بين هذا الشاب لعيسى بن هشام مقام نفسه في الفضل والكفاية، طاب منه أن يحسن له فيكون له بمترلة مصنوع له وهذا معنى قوله: (أَنْ تَتَّخِذَنِي صَنِيعَةً)، وأن يطيعه فيما يسعه بدون أن يطلب منه في نظير اصطناعه والإحسان إليه ذريعة ولا وسيلة أخرى سوى استصناعه⁴، وفي المقابل نجد عيسى بن هشام يستجيب لرغبة هذا الشاب مؤكدا له بأنه سيكون له بمترلة لخدام المرافق لسيدته، وإذا اعتبرنا لفظة الرقيق بقافين كما ورد في بعض نسخ هذه المدونة يكون المعنى أجود وأفضل محققا لقاعدة السخاء؛ إذ أكثر الراوي من خسارة الذات بوضع نفسه في موضع الخدم والعبيد.

وقد حقق عيسى بن هشام قبل ذلك بجوابه: (وَأَيُّ ذَرِيعَةٍ أَكْدُ مِنْ فَضْلِكَ؟ وَأَيُّ وَسِيلَةٍ أَعْظَمُ مِنْ عَقْلِكَ؟) قاعدة جليلة هامة في الإكثار من مدح الغير والإعجاب به، مما دفع بالحضور القوي للمبدإ الذي تنضوي تحته قاعدة الاستحسان.

كما أردف الهمداني هذه القاعدة بقاعدة الاتفاق والمعبر عنها في قوله: (وَأَشَارِكُكَ فِي السَّعَةِ وَالضَّيْقِ)،

ليؤكد أن تواتر القواعد وتضافرها في سياق تخاطبي ما يعمق عملية التعاون، ويثبت استمرارية التواصل الاجتماعي.

وقد البس الهمداني شخصية البطل أبي الفتح الإسكندري عدة صفات، فهو شخص قليل الكلام، ميال إلى الصمت، وإذا تكلم أفحم السامع وأخذ بلبه، وهو شخص يتصف بالدهاء " فَضَّلَ أَنْ يَخْدَعَ النَّاسَ بِجِيلٍ دَقِيقَةٍ وَأَنْ يَمَارِسَ الشُّعُودَةَ وَالنَّفَاقَ وَالتَّمَلُّقَ حَتَّى يَنْتَقِمَ مِنْ فِسَادِ الْمُجْتَمَعِ"، إلا أن السمة الواضحة فيه هي ثقافته فهو

1 المقامة الناجمية: ص 222.

2 المقامة الناجمية: ص 223.

3 المقامة الخلفية: ص 224.

4 شرح مقامات الهمداني: ص 224.

على امتداد المقامات رجل فصيح خبير بمسالك اللغة، ولذلك استحق لقب إمامة البيان، وقد بلغ شأنًا عظيمًا في البيان فملاً الدنيا وشغل الناس وأصبح ضرباً من ضروب المعجزات الخارقة، ولم يصل إلى هذه المرتبة من العلم والبيان إلا بعد تعب وتضحية ورحلة طويلة مليئة بالأهوال¹.

ولهذا نجده يجيب في المقامة العلمية حين سؤل عن كيفية اكتسابه لهذه الدرجة العلمية قائلاً " : طَلَبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ بَعِيدَ الْمَرَامِ، لَا يُصْطَادُ بِالسَّهَامِ، وَلَا يُقَسَّمُ بِالْأَزْلَامِ، وَلَا يُرَى فِي الْمَنَامِ، وَلَا يُضْبَطُ بِاللِّحَامِ، وَلَا يُورَثُ عَنِ الْأَعْمَامِ وَلَا يُسْتَعَارُ مِنَ الْكِرَامِ، فَتَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ بِافْتِرَاشِ الْمَدْرِ، وَاسْتِنَادِ الْحَجْرِ، وَرَدِّ الضَّجْرِ، وَرُكُوبِ الْخَطَرِ، وَإِدْمَانِ السَّهْرِ، وَاصْطِحَابِ السَّفْرِ، وَكَثْرَةِ النَّظْرِ، وَإِعْمَالِ الْفِكْرِ"²، ففي جوابه إفادة تامة وإخبار عام عن كل الإمكانيات والأدوات والأعمال الفكرية والنفسية والمادية التي بها ينال العلم ويكتسب، والأمر نفسه يسحب على كثير من إجاباته عن الأسئلة التي وجهت إليه على امتداد مسار المقامات ليفيد السامع ويخبره عن الأشياء التي يجهلها، وهو بذلك يجسد قانون الإخبارية ليحقق التعاون بين المتخاطبين.

و في المقامة الأصفهانية يتعجب عيسى بن هشام من دهاء أبي الفتح الإسكندري وكيف ربط الناس لحيلته و أخذ المال منهم مقابل ثمن القرطاس الحامل للدعاء الذي علمه إياه سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- حينما رآه في المنام على حد زعمه؛ إذ أوصاه بأن يعلمه أمته، ومن المعلوم أن العامة من سواد المسلمين يعتقدون و يصدقون أن رؤية النبي في المنام حق ، فالشيطان لا يتشبه به، ومما زادهم اقتناعاً و تصديقاً إيهامه لهم بأنه زاهد وغير مبال في العطاء مقابل تعليمهم الدعاء إلا من رد عليه ثمن القرطاس الموضوع فيه الدعاء فإنه يأخذه، وهذا ما جاء في قوله: " فَمَنْ اسْتَوْهَبَهُ مِنِّي وَهَبْتُهُ، وَمَنْ رَدَّ عَ لَيْثَمَانَ الْقِرْطَاسِ أَخَذْتُهُ"³.

وفي نهاية المقامة يخبرنا عيسى بن هشام عن الحوار الدار بينه وبين أبي الفتح قائلاً: " وَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَندَرِيُّ، فَقُلْتُ: كَيْفَ اهْتَدَيْتَ إِلَى هَذِهِ الْحَيْلَةِ؟ فَتَبَسَّمَ وَأَنْشَأَ يَقُولَ:

النَّاسُ حُمْرٌ فَجَوَّزُ وَأَبْرُزُ عَلَيْهِ وَبَرُّزُ
حَتَّى إِذَا نَلْتُ مِنْهُمْ مَا تَشْتَهِيهِ فَفَرَّوْزُ"⁴.

1 المنصف شعرانة: أزمة الذات في مقامات الهمداني، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، د ط، سنة 1996، ص 45.

2 المقامة العلمية: ص ص: 230-231.

3 المقامة الأصفهانية: ص 65.

4 المقامة الأصفهانية: ص ص : 65-66.

فإجابة أبي الفتح يكتنفها الغموض، تنطوي على تأكيد سحوية المكر و المراوغة التي يتسم بها شخصه، فلم يوجه السامع إلى الجواب الحقيقي، وإنما أشار إلى تفوقه و قدرته لأنه صاحب صنعة في ذلك وهي إشارة عامة ليس فيها تدقيق، وهو بذلك يكون قد خرق قاعدة الجهة في مبدأ التعاون والتي فادها الوضوح والتحديد وتجنب الغموض.

ولكننا قد نجد خرقاً لإحدى القواعد التخاطبية كما في قوله في المقامة الأسدية: " فَخَرَجْتُ ثُمَّ نَزَلْتُ عَنْ فَرَسِهِ وَجَعَلَ يَصْفَعُ الْوَاحِدَ مِنَّا بَعْدَ الْآخَرِ، وَيَنْزِعُ ثِيَابَ هُوَ صَارَ إِلَيَّ وَعَلَيَّ خُفَّانِ جَدِيدَانِ، فَقَالَ: اخْلَعُهُ مَا لَأَ أُمَّلَكَ " ¹ فعبارة (لا أم لك) تفيد الذم و الخط من قدر السامع، وليس هناك ما يؤلم و يؤثر في المرء من القدح في أصله ونسبه، فالمخاطب لم يحترم المبدأ العام للتأدب الأقصى، والذي من صورته الدعوة إلى التقليل من الكلام الغير المهذب؛ فخرق إحدى قواعده المتمثلة في قاعدة اللباقة؛ إذ سعى هذا الشاب التركي بقوله: (لا أبا لك)، أو بقوله: " اسكت يا لكع " ²، إلى خسارة المخاطب عيسى بن هشام، وقد كان تسبب في فقدان هذه العلاقة وخسارتها حينما أمن القوم و أراهم ما عنده من خدمة خفيفة وحسنا بديعا و براعة في رمي السهام واستعمال آلة الحرب وأقنعهم بشدة بأسه في الدفاع عن الصحبة والرفاق، أجهز الفتى على أحد رفاقه و أرداه قتيلا، مما جعل عيسى بن هشام يتحين فرصة اشتغاله بترع أحد الخفين، حيث أخذ السكين و أثبتته في بطنه بقوة شديدة حتى أبانه أي أظهره من ظهره.

1 المقامة الأسدية: ص 43.

2 المقامة الأسدية: ص 42.

الخصائصة

قد قادنا بحثنا في مقامات بديع الزمان الهمذاني من خلال ولوج الدراسة نسقا معرفيا جديدا منبثقا عن ما أفرزته اللسانيات الحديثة من تحول وتطور في معالجة النصوص و تحليلها ، إلى جملة من النتائج يمكن أن نوجزها فيما يلي :

من المظاهر التداولية التي ميزت مقامات الهمذاني اختياره لهذا الاتجاه من باب الاضطرار في سياق أزمة عامة تكاد تكون علامة مميزة في القرن الرابع الهجري. فقد سارت في هذا الخطاب روح عصره فعبّر عنها أحسن تعبير انطلاقا من تجربته الخاصة مع الأيام التي انتهى بها إلى التشاؤم من الزمان والمكان، ومن تصور عام تأكد له فيه أن الأدب وأهله أصبحا غريبين لا قيمة لهما ؛ فأنشأ الهمذاني مقاماته على صورة المحدثين كما شهد هذا النوع الأدبي الخاضع لقواعد الصرامة الابتعاد عن الأشكال النثرية والاقتراب شيئا فشيئا من الشعر، فعدت المقامة إطارا للشعر والنثر في الآن ذاته يستوعب كل تشكيلة الأنواع من الأغراض الشعرية التقليدية إلى الغز والمأدبة والمناظرة... إلخ.

نشأت التداولية في ظل الدراسات الفلسفية المتعلقة بالبحث اللغوي بعدها أحد مصادرها ؛ تبحث في علاقة المعنى بشكل بنيتها اعتمادا على شروط افتراضية للتواصل؛ بدءا من ظروف إنتاج الملحوظ إلى تحديد مقاصد المتكلم فيه إلى ما يمكن أن يحدثه من تأثيرات في السامع. أن البحث اللغوي العربي بما أوتي من إمكانات يمكنه أن يساهم في إثراء آليات تحليل أي خطاب أدبي وفق مستويات عدة (إقناعي، إفرادي، تركيب، دلالي) استنادا إلى ما توصلت إليه جهود القدامى في مجال اللغة والبلاغة والنحو.

يقع تأليف المقامات في منتصف المسافة بين المكتوب والشفهي، يفسر الارتجال فيها ثبات الشكل السردى أنساقا ثقافية (اجتماعية، دينية، أخلاقية...) مما جسد هذا النظام النسقي الموحد لفن المقامة آلية الاستشهاد بالقرآن والأمثال والشعر...، كحجج جاهزة غير صناعية، وقد كان الشعر فيها من الشواهد الأكثر ورودا في جل المقامات.

اعتمد الهمذاني في مقاماته على وجوه حجاجية عدة ظهرت على مستوى الإيقاع الصوتي نحو السجع و الموازنة كعناصر رافد لعملية الحجاج ، أو على مستوى التركيب نحو لجوئه إلى التوكيد والقصر وغيرها من الأساليب تقوم اعتدادا بما في ذهن المتلقي أو أن يلجأ إلى أشكال من الزيادة بين التراكيب لأبعاد حجاجية

أيضا نحو التكرار أو أن ينوع تراكيبه للعرض نفسه فيلجأ إلى التقديم أو التأخير، الالتفات ، كما لجأ الهمداني إلى أساليب حجاجية لغوية من قبيل الروابط والعوامل.

وقفت الدراسة عند الطابع الإقناعي لجملة من الأنساق البلاغية الغربية الحديثة كمشروع بيرلمان الذي يستعيد أسس البلاغة الأرسطية ويفصل في تقنيات الإقناع، أو مشروع ديكر و انسكومير الذي يتخذ الحجاج طبعا لغويا داخليا في حين يعكس مشروع ميشال ماير زواج وثيق العرى بين الفلسفة والبلاغة، قد جعل الاستشكال والسؤال مولد الحجاج.

و يعتمد الهمداني في مقاماته في كثير من الأحيان إلى توظيف الصورة باعتبارها من أقوى الحجج الداعمة لأغراض البطل ومقاصده، ولهذا جاءت هذه الصور داخل متن المدونة في أعلى السلم الحجاجي على رأس الأقوال جميعها، وهي جهاز التحكم في توجيه تقبل الجمهور لما يسمع، وذلك من خلال ما تتركه فيهم من تأثير ، والذي يتجلى في استمالتهم بتقديم يد العون للراوية أو البطل اللذين كانا كثيرا ما يشتركان في نفس وظيفة الكدية والتسول، وقد عُدَّ التمثيل من بين التقنيات التي أكثر الهمداني من استعمالها؛ وقد استوعب هذا التمثيل الاستعارة والتشبيه والكناية للتماثل القائم بين المشبه والمشبه به، والمستعار والمستعار له، والمكني به والمكني له.

تملك الصور التي استند إليها الهمداني في مقاماته أبعادا ووظائف حجاجية لإقناع الجمهور وحمله على الإذعان والتسليم تشمل: الوظيفة المعرفية، الوظيفة الجمالية، الوظيفة التوجيهية.

و لم تخلو المدونة من استعمال تركيب أفعال الكلام، فقد وردت متنوعة في استخداماتها لتنوع الأفعال الكلامية ذاتها بين: التقريريات ، الأمرات ، الوعديات ، الإيقاعات، الإعلانيات. وقد احتل فعل الاستفهام في المدونة حيزا ينسحب على كل المقامات ؛ إذ يندرج ضمن النسق العام الذي يشكل بنية المقامة ؛ كما جاء هذا الفعل الكلامي متوافقا و طبيعة حاجة المتسول وسؤاله.

وفي مستوى التحاورات المثبوتة في بعض المقامات والتي تعدّ جزءا من التشكيل العام الذي تتأسس عليه المقامة، فالمكدي يسأل وهو في مقام سؤاله يحاجج بكل ما أوتي من أساليب الحكمة والإقناع، والمستمع في مقام المسؤول، وإن لم يكن هذا الأخير في مستوى الطلب فإن السائل يحاول أن ينوع في أساليب الإقناع فيلجأ إلى طرق وقواعد خطاب من شأنها أن تحافظ على علاقة المتخاطبين؛ ولهذا فقد تفتن الهمداني إلى

مثل هذه القواعد باستعمال صيغ تعبيرية يراعي فيها قواعد اللياقة والتأدب، استنادا إلى المنظور العربي القديم الذي ينظر إلى أمن اللبس واحترام الأقدار والمترلة ، وهي ليست ببعيدة عن التصور الغربي الحديث في اعتماد قوانين خاصة للتخاطب.

قد لجأ الهمذاني إلى العقل يحثه على الاستنتاج وذلك بالاستعانة على آلية القياس كأسلوب للبرهان، يحاصر به ذهن المتلقي والتأثير فيه بسلطان العقل مما يدفعه إلى الإقبال والتسليم فيما يطرحه من قضايا ومسائل، وقد كان لنوع القياس الإضماري الحظ الأوفر في الاستعمال.

نظرا لطبيعة مكدي ومتسول المقامات الترحال والتنقل من مكان إلى مكان ومن زمان إلى آخر ومن حال إلى حال ؛ فقد حاول الهمذاني وهو ينشئ مقاماته توظيف تقنيات بيانية باعثة على إذعان السامع حتى تشتد طاقة الخطاب الحجاجية وذلك بمراعاة المقام والسياق التداولي و التي تعد شرطا لنجاح الفعل الحجاجي، وقد عرف التلقي العربي لفن المقامة منذ نشأتها تنوعا واختلافا عبر مراحل زمنية مختلفة تشمل التأكيد أو الرفض أو التأصيل ارتفاعا وهبوطا.

نود أن نشير إلى أن هذا النوع من المقاربات التحديثية يهدف إلى إعادة الاعتبار لهذه المدونة واستنباط تشكيلتها الدلالية والجمالية التواصلية ، على أن يراعى في ذلك الحمولات الحجاجية التي تزخر بها نصوصها ، ولعلنا نكون بهذا قد أسهمنا في تطبيق إفرزات النظرية التداولية على النص الأدبي من أدوات وإجراءات التحليل والمساءلة ، آملين في أن نكون قد قدمنا للخطاب الباحث في التراث العربي لبنة في سبيل إعادة بناء هذا التراث وفق مقتضيات الراهن و التجاذب الحضاري الحاصل اليوم.

في الأخير أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الكبير للأستاذ المشرف **محمد بوعمامة** على تصحيحاته وتصويباته لهاته الرسالة وفوق كل ذلك صبره وأناته و حبه العظيم للمعرفة . كما أشكر كل من ساعدنا وقدم لنا يد العون .

قائمة المصادر المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

ثانياً: المصدر الأساسي: بديع الزمان الهمذاني: المقامات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط01، 2002م.

1. ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المكتبة العصرية، لبنان، دط، 1999.

2. أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية : مدخل نظري ، منشورات عكاظ , 1986.

3. _____: الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية

للتأليف و الترجمة و النشر،

دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1.

4. أحمد بسام الساعي ، الصورة بين البلاغة و النقد ، المنارة للطباعة و النشر و التوزيع ، دمشق ، ط1 ، 1984.

5. أحمد بو حسن : نظرية التلقي والأدب العربي الحديث ضمن كتاب (نظرية التلقي : إشكالات

وتطبيقات)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، المغرب ، دت ، سنة

1993

6. أحمد حسن صبره (بالإشتراك): التفكير الاستعاري و الدراسات البلاغية، دار المعرفة الجامعية، دط ، دت.

7. أحمد علي دهمان : الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ،

سوريا ، ط1 ، 2000.

8. أحمد مطلوب: عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1973.

9. أحمد مومن : اللسانيات النشأة والتطور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط4، الجزائر 2010

10. أحمد مختار عمر : علم الدلالة ، دار عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط5 ، 1998

11. إبراهيم علي الأحذب الطرابلسي : كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان ، المطبعة

الكاثوليكية لبنان، دط، دت .

12. إدريس مقبول: الأفق التداولي، نظرية المعنى و السياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط3، سنة 2011
13. أرسطو طاليس : فن الشعر ، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
14. _____: فن الشعر ، ترجمة شكري عياد، منشورات دار الفكر العربي، دط ، 1967.
15. _____ : الخطابة، الترجمة العربية القديمة، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دارالقلم ، بيروت ، لبنان دط ، 1976 ، المقالة 01، الفصل 02.
16. امرؤ القيس : الديوان ، شرح عمر فاروق الطباع، دار الأرقم للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان..
17. _____ : الديوان ،تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ط4، 1984.
18. آن روبول ، و جاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003 .
19. أبوبكر العزاوي : الخطاب والحجاج، الأحمديّة للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007م.
20. _____ : اللغة و الحجاج، الأحمديّة للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2006م.
21. بالمر : علم الدلالة (إطار جديد) ، تر صبري ابراهيم السيد ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، د ط ، 1999 .
22. أبو تمام : الديوان ، شرح محي الدين صبحي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 2008
23. تمام حسان :الاصول ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، د ط ، 1411 هـ _____
24. نهر سلوم .نظرية اللغة و الجمال في النقد العربي ،دار الحوار،سوريا ،ط1 ، 1983
25. الثعالبي أبو منصور : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، د ت.
26. جابر عصفور :الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط03، 1992.

27. _____ : مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي ، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2.
28. الجاحظ:الحيوان ، بتجمة عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان، ط03، 1996.
29. — : البيان و التبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، دط، دت.
30. الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، مصر ، د ط ، د ت.
31. _____ : أسرار البلاغة، اعتناء ميسر عقاد ومصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1، 2004
32. جميل عبد المجيد: البلاغة و الاتصال, دار غريب، القاهرة،دط، 2000
33. جورج لا يكوف ومارك جونسن : الاستعارات التي نَحيا بها، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط02، 2009.
34. جورج مو لينيه: الأسلوبية، ترجمة بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 1999.
35. جول ريكو: المنطق الصوري، ترجمة محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
36. جون لايتز: اللغة و المعنى والسياق: تر عباس صادق الوهاب: دار العلوم الثقافية العلمية، بغداد ، العراق، ط1، سنة 1987
37. الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتين دم.ج.الجزائر، 1992.
38. ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص ، تح محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، مصر، د ط، د ت.
39. حازم الفرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 1981.
40. الحريري أبو محمد القاسم: مقامات الحريري, دار الكتب العلمية, لبنان, ط4. دت
41. حافظ اسماعيلي علوي: التداوليات (علم استعمال اللغة) ، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1
- سنة 2011
42. حافظ الرفيق: البيان و الهديان، مطبعة التفسير الفني، صفاقس، تونس، ط1، سنة 2006

43. حمادي صمود (بالاشتراك مع فريق البحث في البلاغة): أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، سلسلة آداب، 1998.
44. حمادي صمود: الحجاج (مفهومه ومجالاته)، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2010.
45. حسين جمعة: جمالية الخبر والإنشاء (دراسة جمالية بلاغية نقدية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2005.
46. حمو النقاري: التحاجج (طبيعته ومجالاته ووظائفه)، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية للرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006.
47. خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، مقارنة بين التداولية والشعر، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2012.
48. _____ : في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009.
49. ذهبية حمو الحاج : لسانيات التلفظ و تداوليات الخطاب، مطبعة الأمل، تيزي وزو، الجزائر، ط2، سنة 2012
50. ذو الرّمة : الديوان، شرح عبد الرحمان المصطاري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، 2006.
51. رابح بوحوش : اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري , دار العلوم للنشر و التوزيع عنابة، الجزائر، دط , 2006.
52. ردة الله الطلحي: دلالة السياق، مطابع جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 1424هـ
53. رشيد الإدريسي : سيميائية التأويل، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010،
54. الرضي الاسترابادي: شرح الكافية، تعليق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، 1978.
55. رفاعة الطهطاوي : تخليص الابريز في تلخيص باريز ،دار ابن زيدون ،بيروت ، لبنان ، ط 1 ، د

ت

56. ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
57. الرماني أبو الحسين علي بن عيسى : معاني الحروف , تحقيق : عرفان بن سليم , المكتبة العصرية ، بيروت , ط 1 ، 2005
58. الرماني أبو الحسين علي بن عيسى : النكت في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر
59. روبر بلانش : المنطق و تاريخه من أرسطو حتى راسل ، ترجمة خليل أحمد خليل ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
60. رينيه ويلك-أستن وارين : نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط2، 1981.
61. الزركشي بدر الدين : البرهان في علوم القرآن ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، د ط ، 1991 .
62. الزمخشري أبو القاسم محمود : أساس البلاغة ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2006.
63. _____ : الكشف عن حقائق التزويل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الدار العالمية للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة.
64. الزوزني : شرح المعلقات السبع ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د ط ، 1963.
65. _____ : شرح المعلقات السبع ، الدار العلمية ، مصر ، د ط ، دت.
66. سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة: بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008.
67. _____ : دراسات في الحجاج (قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم)، عالم الكتب الحديث، إربد، ط 1، 2009
68. السرخسي: أصول السرخسي ، تح أبو الوفاء الأفعاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

69. السكاكي : مفتاح العلوم، ضبط و تعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، سنة 1987.
70. سي دي لويس: الصورة الشعرية، ترجمة أحمد ناصف الجنابي، مالك ميري، سلمان حسن إبراهيم، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982.
71. سيبويه : الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 4 ، 2004 .
72. السيوطي جلال الدين : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، تح علي محمد البجاوي ، دار الفكر العربي.
73. الشافعي : الرسالة ، تح أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، تبنان ، د ط ، د ت
74. شاهر الحسن : علم الدلالة السيمانتية و البراجماتية في اللغة العربية، دار الفكر للطباعة و النشر، عمان، ط1، 2010.
75. شكري المبخوت: إنشاء النفي وشروطه اللغوية و الدلالية، مركز النشر الجامعي ، تونس، دط، 2006
76. _____ : دائرة الأعمال اللغوية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
77. صلاح الدين زرال : الظاهرة الدلالية ، منشورات الإختلاف .الجزائر ، ط1، 2008.
78. أبو طالب المضل بن سلمة: الفاخر، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مراجعة محمد علي النجار، دار القاهرة، دط، 1974
79. الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1984
80. طه عبد الرحمان: اللسان و الميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998.
81. _____ : في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي ، المغرب، ط2، 2000
82. عبد الجليل العشراوي: آليات الحجج القرآني(دراسة في نصوص الترغيب و الترهيب)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2016

83. عبد الجليل مرتاض: دراسة سيميائية ودلالية في الرواية والتراث، منشورات تاله، الجزائر، د ط 2005
84. عبد الرحمان ياغي: رأي في المقامات، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1969
85. عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا ط 1، 2010.
86. عبد السلام هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، دار الجليل، بيروت، ط 2، 1979
87. عبد العزيز عتيق: علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1985
88. عبد الفتاح كيليطو: الأدب و الغرابة، دراسات بنيوية في الأدب العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 3، سنة 1997.
89. عبد الفتاح كيليطو: المقامات، السرد والأنساق الثقافية، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 1، سنة 1993
90. عبد القادر الفاسي القهري: اللسانيات و اللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت 1986.
91. عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، ط 1، سنة 2013.
92. عبد الله البهلول: الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجرياً، مقارنة أسلوبية حجاجية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 2011.
93. عبد الله صولة: الحجاج في القرآن، دار المعرفة للنشر، تونس، ط 2، 2007.
94. عبد المالك مرتاض: فن المقامات في الأدب العربي، الدار التونسية للنشر، تونس ط 2، 1988
95. _____: مقامات السيوطي، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق ط 11، 1996
96. عبد الهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1، 2004.
97. عبد الهادي عبد الله عطية: أدب الرواية في مقامات الهمذاني، دارالمعرفة الجامعية، مصر، دط، 1994.

98. عرفات فيصل المناع: السياق والمعنى (دراسة في أساليب النحو العربي)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013
99. العسكري أبو هلال: كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 1986.
100. العلوي يحيى بن حمزة: الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، تقديم ابراهيم الخولي، الهيئة العامة لعصو الثقافة، القاهرة، 2009.
101. علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري (من البنية إلى القراءة) ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، سنة 2000 م .
102. علي عمران : حجاجية الصورة الفنية في الخطاب الحربي (خطب الإمام علي أمودجا)، دار نينوى، دمشق، سوريا، دط، دت.
103. علي محمود حجي الصراف: الأفعال الإنجازي في العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 1، سنة 2010
104. عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2003.
105. عنتره : الديوان ، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت.
106. فاروق شوشة : لغتنا الجميلة ، مكتبة مدبولي، مصر، دط، دت.
107. فرانسوا مورو : المخل لدراسة الصور البيانية، ترجمة محمد الولي و عائشة جرير ، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب ، دط، ستة 2003.
108. فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، د ط، سنة 1986
109. الفرزدق: الديوان، شرح مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999.
110. فولف غانغ إيزر : فعل القراءة ، نظرية جمالية التجاوب ، ترجمة حميد الحمداني والجيلالي الكدية ، منشورات مكتبة المناهل ، فاس ، المغرب .

111. فيليب بلانشيه : التداولية (من أوستين إلى غوفمان)، ترجمة صابر حباشة ، دار الحوار للنشر و التوزيع ، سوريا ، ط 1 ، سنة 2007
112. القاضي الجرجاني : الوساطة بين المتني و خصومه ، تحقيق محمد أبو الفضل وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى الباي الحلبي وشركاه، دط، دت.
113. قدامة بن جعفر : نقد الشعر، ترجمة محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ط1، 1978.
114. القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط1، سنة 2003.
115. القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي : صبح الأعشى ،وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر، دط، دت.
116. ابن القيم الجوزية : الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ، إشراف لجنة تحقيق التراث ، مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان.
117. قيس بن الخطيم : الديوان ، تحقيق ناصر الدين الأسد، ط 1، دت ، ص108.
118. كمال الزماني : حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط01، 2012.
119. كميلة واتيككي : كتاب الإمتاع و المؤانسة لأبي حيان التوحيدي بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة (مقاربة تداولية) ، ط1، دار قرطبة للنشر و التوزيع، سنة 2004
120. مارون عبود : بديع الزمان الهمذاني ،دار المعارف ، سلسلة نوابغ الفكر العربي ، ط 3.
121. المررد: المقتضب، تح محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، دط، دت.
122. محسن السقا: دراسات في المقامة و الأقصوصة، مطبعة التسفير الفني، صفاقس، تونس، ط1، سنة 2008
123. محمد التومي: الجدل في القرآن، فعالية في بناء العقلية الإسلامية، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت.

124. محمد العبد: النص والخطاب و الاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، سنة2005
125. محمد العمري : في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية)،
افريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002.
126. _____ : البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،2005
127. تحليل الخطاب الشعري(البنية الصوتية : الكثافة، الفضاء، التفاعل)، الدار العالية للكتاب، المغرب،
ط1-1990.
128. محمد المبارك: فقه اللغة و خصائص العربية، دار الفكر الحديث،لبنان،ط2/1964.
129. محمد خان: لغة القرآن، دراسة لسانية تطبيقية للحملة في سورة البقرة، دارالهدى للطباعة والنشر
والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2014
130. محمد خطابي : لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان،
ط1، 2002.
131. محمد سالم محمد الأمين طلبية ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت
، لبنان ، ط1، 2008.
132. محمد عبد الجليل: شعرية النص النثري (مقارنة نقدية تحليلية لمقامات الحريري)، شركة النشر
والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002.
133. محمد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب (دراسة بلاغية)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط5، 2000
134. محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية وعربية و غربية ،منشورات دار الأمان ، الرباط ،
المغرب ، ط1 ، 2005.
135. محمود طلحة: تداولية الخطاب السردي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، سنة 2012
136. محمود نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1،
2006
137. محمود اليعقوبي : دروس في المنطق الصوري . ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط3 ،
2009

138. مختار عطية علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع (دراسة بلاغية) ، دار الوفاء للطباعة و النشر، الاسطندرية، دط، 2004
139. مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ،(دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2008
140. مصطفى الشكعة : بديع الزمان الهمذاني ، رائد القصة العربية والمقالة الصحفية ، عالم الكتب ،بيروت ، ط 1، 1983
141. ابن المعتز عبد الله : كتاب البديع ، تعليق و فهرسة إغناطيوس كراتشكوفسكي ، دار المسيرة ، د ط ، 1982
142. المنصف شعرانة: أزمة الذات في مقامات الهمذاني، دار المعارف للطباعة و النشر، سوسة، تونس، د ط، سنة 1996
143. مهدي المخزومي : في النحو العربي (نقد و توجيه) ، المكتبة العصرية ، لبنان ، ط 1 ، د ت.
144. نادر كاظم : المقامات والتلقي (بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، سنة 2003.
145. الفارابي أبو نصر : كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق و تعليق محمد مهدي، دار المشرق، بيروت 1986.
146. أبو نواس : الديوان، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، دط، 1978.
147. ابن هاني الأندلسي: الديوان ، تحقيق كرم البستاني ، دار بيروت للطباعة و النشر، لبنان ، دط، 1980.
148. الهذليين : الديوان ، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، مصر ، ط2، 1995.
149. الديوان: مطبعة دار الكتب العلمية، القاهرة، مصر، دط، 1965.
150. ابن هاني الأندلسي: الديوان ، تحقيق كرم البستاني ، دار بيروت للطباعة و النشر، لبنان ، دط، 1980.
151. ابن هشام: مغنى اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق صلاح عبد العزيز علي السيد، دار السلام، القاهرة، مصر 2008.

152. _____ : أوضح المسالك في ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء

التراث العربي، بيروت ط5، 1966

153. ابن يعيش: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، لبنان، دط، دت.

مذكرات ورسائل:

1. حكيمة حمقة: بنية المحادثة: مقارنة نصية تداولية (حصة في دائرة الضوء انموذجا)، مذكرة ماجستير،

قسم علوم اللسان ، جامعة الجزائر، سنة 2010-2011

2. حمدي منصور جودي : خصائص الخطاب الحجاجي وبنائه الإقناعية في أعمال البشير البرهيمي -

مذكرة ماجستير- جامعة محمد خيضر

3. سعد بولنوار: آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي - رسالة دكتوراه- موسم

2011 / 2012

4. عمر بلخير: الخطاب تمثيل للعالم، دراسة في بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية، مذكرة ماجستير،

جامعة الجزائر، 1996-1997.

5. قدور عمران :البعد التداولي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل -رسالة دكتوراه- جامعة

الجزائر ، موسم 2008/2009

6. مسعود صحراوي : الأفعال المتضمنة في القول -أطروحة دكتوراه- بين الفكر المعاصر والتراث العربي،

جامعة باتنة، 2004-2005.

7. موساوي فريدة: في الشعر العربي الجاهلي-مذكرة ماجستير- جامعة الجزائر ،موسم 2004/2005

8. نادية أوديجات: الحجاج في مقامات الحريري - مذكرة ماجستير- جامعة تيزي وزو، 2008

9. نوارة بوعبيد: الحجاج وبعض الظواهر التداولية في الخطاب التعليمي الجامعي ،رسالة دكتوراه، جامعة

الجزائر، 2009-2010

معاجم وقواميس:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مصر، دط، دت.

2. أحمد مطلوب : معجم مصطلحات النقد العربي القديم ، مكتبة لبنان ناشرون ،لبنان ، ط1 ، 2001.

3. إيميل يعقوب :قاموس المصطلحات اللغوية و الأدبية، دار العلم للملايين، بيروت،ط، 1987

4. جاك موشر - أن ريبول : القاموس الموسوعي للتداولية ، ترجمة مشتركة ، دار سيناترا ، تونس ، ط2 ، سنة 2010
5. مجدي وهبه : معجم مصطلحات الأدب ، مكتبه لبنان ، لبنان ، ط1 ، 1974 ، مادة rhythm
6. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الثروة الدولية، لبنان، دط، 2004.
7. محمد عناني : المصطلحات الأدبية الحديثة ، الشركة المصرية العالمية لوجمان القاهرة، 1996
8. محمد فتحي عبد الله: معجم مصطلحات المنطق وفلسفة العلوم للألفاظ لعربية و الفرنسية و الإنجليزية و اللاتينية، دارالوفاء، الإسكندرية، دط، 2002.
9. المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات ، مطبعة النجاح الجديدة ، المغرب ، ط2 ، 2002.

المجلات والمقالات:

1. تكتك إكرام، اللغة التداولية وقوانين التخاطب (مقال)، مجلة دراسات جزائرية، ع9، 2012، مختبر الخطاب الأدبي جامعة وهران.
2. الحواس مسعودي : البنية الحجاجية في القرآن ، مجلة اللغة و الأدب ، ملتقى علم النص ، ع12 ، 1997.
3. الراضي رشيد ، السفسطة في المنطقيات المعاصرة التوجه التداولي الجدلي نموذجاً ، عالم الفكر ، العدد 4 ، المجلد 36 ، أبريل-ماي 2008.
4. سعاد أنقار : البلاغة و الاستعارة من خلال كتاب فلسفة البلاغة، ضمن مجلة عالم الفكر، الكويت ، ع3، مجاد 37، مارس 2009
5. سلسلة ندوات ومحاضرات: ندوة تكون المعارف (دور القياس التمثيلي)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ، ع117، ط1، سنة 2005.
6. السيد إبراهيم: قراءة الشعر بين النظرية الشكلية وآفاق الاتجاهات الأسلوبية، مجلة علامات في النقد (مج 10 ، ج39) ، النادي الثقافي بجدة ، السعودية ، مارس 2001.
7. طه عبد الرحمان: الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج، مجلة المناظرة، العدد4، 1991.

8. عباس ارحيلة: الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة الغربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، مشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل و أطروحات رقم 40، ط1، 1999
9. علي عزت : اللغة و نظرية السياق ، مجلة الفكر المعاصر ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر ، العدد 76، سنة 1971.
10. عمر أوكان : أرسطو والاستعارة، ضمن مجلة فكر ونقد، الدار البيضاء، المغرب، دط، دت.
11. مسعود صحراوي :الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر مجلة الآداب واللغات ، عدد 6 جامعة الأغواط 2007
- المراجع باللغة الأجنبية:

1. Austin: Quand dire c'est faire, introduction, traduction et commentaire par **gille laine**, édit, du seul, 1970
2. Burno gelas, la fiction manipulatrice, in l'argumentation, éd pull, 1981
3. Chomsky (noam) :aspect de la théorie syntaxique-tr, franc, de : j,c, milner, le seuil , parie, 1969
4. D. Maingueneau : les termes clés de l'analyse du discours, seuil, paris, 1996.
5. D. Maingueneau :Pragmatique pour le discours littéraire, bordas, paris, 1990.
6. D.Maingueneau: les termes clés de l'analyse du discours, seuil memo, paris
7. François latraverse: la pragmatique, histoire et critique, pierre mardaga, éditeur, Bruxelles, Belgique, 1987
8. Geoffrey Leech: principes of pragmatics, Longman, london, 1983
9. _____ :principles of pragmatics, Longman London, , ed 2009

10. In. andre jolle.les formes simples, éd . seuil , paris ,1972
11. J.L.Searl : les actes de langage (essai de philosophie du langage),
collection savoir, lettre, Hermann, paris, nouveau tirage,1996
12. Levinson, s : pragmatics, Cambridge university press , 1986
13. Marc Bonhomme :Pragmatique des figures du discours,
,Editions Champion; Paris;2005
14. Michel meyer :les fondements de l argumentation et
questionnement , sous la direction de Corinne hoogaert ,paris,
presse universitaires er France , 1996
15. Oliver Reboul :Introduction a la rhétorique ;1 éd ; presses
universitaires de France ; paris :1991
16. _____: Introduction a la Rhétorique, press
universitaires de France, 2^{ème} édition corrigé
1994
17. Orécchioni catrine kerbrat: l'implicite, Armand, Collin, Paris,
1986.
18. Orichioni catrine kerbrat: les interactions verbales, Armand
colin, édiction paris,1992,tome 2,
19. Oswald dicrot : dire et ne pas dire(principe de sémantique
linguistique), Herman, paris,1éd,1972
20. Perlman Chaïm et Olbrechts, tytica : Traité de l'argumentation,
université du Bruxelles,1976
21. Perlman, Chaïm :L'empire rhétorique, éd, vérin,1977,
22. _____:Rhétoriques, éd, université du
Bruxelles,1989,
23. R,Amosy, L'argumentation dans le discours, éd Nathan,
Paris,2000,

24. Todorov Ducrot ; Dictionnaire encyclopédique des sciences des langages ; éditions du seuil ; 1972

المواقع الإلكترونية:

1. www.Universalis.fr/encyclopédie/image (بتاريخ 06.06.2016)
2. www.aljasra.org/archive/cms (بتاريخ 16-07-2016 التوقيت: 16:25)
3. www.fil.univ.biskra.dz/index.(بتاريخ: 16-07-2016 ، التوقيت: 16:15)

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

أ.....مقدمة.....أ

مدخل تمهيدي : في التداولية : الماهية، النشأة، والتطور

1. في المرجعيات الفكرية و الثقافية للتداولية.....10
- 1 1 الفلسفة التحليلية 10
- 1 2 النظريات اللسانية الحديثة 14
2. في ماهية التداولية.....16
3. ابرز المفاهيم التداولية 19
- 3-1 متضمنات القول 20
- 3-2 الاستلزام الحوارى (التخاطبى) 21
- 3-3 المعانى الصريحة و المعانى الصمنية 22
4. في قيمة التداولية و أهميتها..... 23
5. تداولية الخطاب السردى..... 24

الفصل الأول:آلية الحجاج في مقامات الهمذاني

1. الحجاج..... 29
- 1.1 مفهوم الحجاج..... 29
1. 1. 1 الحجاج بما هو مرادف للجدل في اللغة و الاصطلاح..... 29
1. 1. 1 الحجاج قاسم مشترك بين الجدل و الخطابة 30
1. 1. 1 الحجاج بما هو مبحث لغوى 31
- 1.3.1.1 مفهوم بيرلمان و تيتيكا 32
- 2.3.1.1 مفهوم تول مين 33
- 3.3.1.1 مفهوم ديكرو و أوسكمبر..... 35
- 4.3.1.1 مفهوم ماير 36
2. مستويات الإقناع في مقامات الهمذاني..... 36

37.....	1.2 المستوى المعجمي.....
43.....	2.2 المستوى الإيقاعي.....
45.....	1.2.2 السجع.....
48.....	2.2.2 الموازنة.....
49.....	3.2.2 الجناس.....
50.....	4.2.2 البنية الصوتية.....
52.....	5.2.2 الصيغ الصرفية.....
53.....	3.2 المستوى التركيبي:.....
53.....	1.3.2 مفهوم الجملة.....
55.....	2.3.2 العدول الكمي بالزيادة داخل الجملة و أبعاده الحجاجية.....
62.....	3.3.2 العدول الكمي بالزيادة بين الجمل.....
66.....	4.3.2 العدول الكمي بالنقصان داخل الجملة و أبعاده الحجاجية.....
67.....	5.3.2 العدول النوعي و أبعاده الحجاجية.....
73.....	3. السلم الحجاجي.....
77.....	4. الروابط و العوامل الحجاجية.....
78.....	1.4 الروابط الحجاجية.....
86.....	2.4 العوامل الحجاجية.....

الفصل الثاني : فاعلية السياق في مقامات الهمداني :

91.....	1.2 مفهوم السياق.....
92.....	2.2 السياق في التراث.....
96.....	3.2 نظرية السياق عند فيرث.....
97.....	4.2 أنواع السياق.....
98.....	5.2 دور السياق ووظائفه.....
99.....	6.2 سياق المناسبة في مقامات الهمداني.....
104.....	7.2 سياق الافتراضات المسبقة في مقامات الهمداني.....
109.....	8.2 سياق الإضمار في مقامات الهمداني.....

9.2	سياق الإحالة في مقامات الهمذاني.....	112
10.2	مقامات الهمذاني و السياق والتلقي.....	119
1.10.2	التلقي الإحيائي.....	121
2.10.2	التلقي الإستيعادي.....	126
3.10.2	التلقي التأسيلي لمقامات بديع الزمان.....	126
11.2	التقسيم السياقي لعناوين مقامات الهمذاني.....	132

الفصل الثالث : حجاجية الصورة الفنية في مقامات بديع الزمان الهمذاني.

1	مفهوم الصورة الفنية في البلاغة القديمة والحديثة.....	140
1.1	الصورة الفنية في البلاغة القديمة.....	141
2.1	الصورة الفنية في البلاغة الحديثة:.....	144
2.	أنواع الصور وأهميتها.....	146
1.2	أنواع الصور.....	146
2.2	أهمية الصورة.....	147
3.	الوظائف الحجاجية للصورة.....	149
1.3	الوظيفة التعليمية (الشرح و التوضيح).....	150
2.3	الوظيفة التوجيهية (التحسين و التقييح).....	152
3.3	الوظيفة الجمالية (المتعة واللذة).....	154
4.	في مفهوم الاستعارة وحجاجيتها.....	157
1.4	في مفهوم الاستعارة.....	157
2.4	حجاجية الاستعارة.....	160
1.2.4	حجاجية الاستعارة في الدراسات العربية.....	160
1.1.2.4	الادعاء.....	160
2.1.2.4	التعارض.....	162
3.1.2.4	أصول المقاربة التعارضية للاستعارة.....	163
2.2.4	حجاجية الاستعارة في الدراسات الغربية.....	164
5.	التمثيل.....	169
1.5	التمثيل تركيبيا و تداوليا.....	169

172.....	2.5 في سلطة التمثيل وقوته الحجاجية.
176.....	3.5 صور التمثيل.
176.....	1.3.5 الاستعارة.
179.....	2.3.5 التشبيه.
182.....	3.3.5 الكناية.
188.....	6. الاستدلال.
188.....	1.6 الطبيعة الاستدلالية للصورة البيانية.
189.....	2.6 القياس.
194.....	3.6 القياس الإضماري.
199.....	7. الشاهد.
200.....	1.7 الأهمية الحجاجية للشاهد.
200.....	2.7 أنواع الشواهد.
200.....	1.2.7 الشاهد القرآني.
208.....	2.2.7 الشاهد الشعري.
214.....	3.2.7 الاستشهاد بالأحداث و القصص.
216.....	4.2.7 الاستشهاد بالعقائد و القيم الدينية.
219.....	5.2.7 الاستشهاد بالشخصيات.

الفصل الرابع: حجاجية الأفعال الكلامية وقواعد التخاطب في مقامات الهمداني.

225.....	1. الأفعال الكلامية.
225.....	1.1 مفهوم الفعل الكلامي.
226.....	2.1 الأفعال الكلامية عند أوستين.
226.....	1.2.1 طبيعة الأفعال الكلامية عند أوستين.
228.....	2.2.1 أصناف الأفعال الكلامية عند أوستين.
229.....	3.1 الأفعال الكلامية عند سول.
229.....	1.3.1 طبيعة الأفعال الكلامية عند سول.
232.....	2.3.1 أصناف الأفعال الكلامية عند سول.

233.....	2	الأفعال الكلامية في مقامات الهمداني.....
233.....	1.2	الأمریات.....
233.....	1.1.2	فعل الأمر.....
239.....	2.1.2	فعل الاستفهام.....
245.....	3.1.2	فعل النداء.....
251.....	4.1.2	فعل التمني.....
253.....	5.1.2	فعل النهي.....
256.....	2.2	التعیریات.....
259.....	3.2	الإعلانیات.....
262.....	4.2	الوعدیات.....
264.....	5.2	التقریریات.....
265.....	1.5.2	الإثبات.....
268.....	2.5.2	النفي.....
271.....	2.	قوانین التخاطب فی مقامات الهمدانی.....
273.....	1.2	مبدأ التعاون المشترك.....
274.....	1.1.2	قانون الإخباریة.....
275.....	2.1.2	قانون الشمول.....
275.....	3.1.2	قانون الإفادة.....
276.....	4.1.2	مبدأ الصدق.....
277.....	2.2	مبدأ التأدب.....
279.....	3.2	مبدأ التأدب الأقصى.....
280.....	4.2	مبدأ التصدیق.....
291.....		الخاتمة.....
295.....		قائمة المصادر والمراجع.....

311.....فهرس المحتويات

Résumé:

Cette recherche dans (les Makamates de **Badie Ezzamane El-Hamadhani**: étude pragmatique) essaie d'entrer pour appliquer une certaine programmation de langue introd. par le changement et le développement qui ont accompagné la nouvelle recherche langagière concernant le programme pragmatique comme un nouveau précédé pour étudier et examiner les textes d'après l'application de ces priorités et matériaux conçus de documentation textuelle qui est (les Makamates).

Des formes conceptionnelles qui ont marqué les Makamates **El-Hamadhani** son choix vers cette version de façon obligation, il a pu en rédiger d'une meilleure façon d'après son expérience personnelle: et Hamadhani a fondé ses Makamates de manière renovée comme l'a reconnu ce genre littéraire en s'appliquant sur des règles plus sévères et reconnaissant être loin de formes littéraires et qui s'approche petit à petit de la poésie , et ainsi la Makamate est devenue encadrant par la poésie et la littérature en même temps.

El-Hamadhani, devant ses Makamates, se base dans la pulpan des temps à actionner cette forme sur la considérant comme de plus fortes argumentations qui accentuent les objectifs et les opportunités des hères, et la ressemblance est tissu comme les meilleures techniques que El-Hamadhani a multiplié son utilisation. La publication n'a pas manqué de formules des actes de langage en effet, on les trouve multiples dans leurs utilisations selon une gérance des actes de langage et **El-Hamadhani** a su entreprendre l'utilisation des formules.

Langagières en respectant les causes de respect et d'obligeance se procurant à la visée ancienne de l'arbre qui prévoit la sécurité en se vêtant et en respectant les classes des autres , ce qui n'est pas lois de la visée de l'occidentale récente pour accumuler des lois spécifiques pour entre-parler.

El-Hamadhani s'est accouru au savoir pour le forcer à l'identification suivant l'aide du précédé de la bonne maitrise comme moyen d'identification pour cerner l'esprit de l'apprenant et l'influencer sous l'égide du savoir, ce qui lui permet d'accepter les problèmes et les conséquences, et ce genre de mesures emphondrés a eu une chance indéterminée dans son utilisations.